



علم النفس السياسي

رؤى نقدية

تأليف: كريستيان تيليغا
ترجمة: أسامة الغزولي





سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدرت السلسلة في يناير 1978
أسسها أحمد مشاري العدواني (1923-1990) ود. فؤاد زكريا (1927-2010)

علم النفس السياسي

رؤى نقدية

تأليف: كريستيان تيليغا
ترجمة: أسامة الغزولي



مايو 2016
436

ترسل الاقتراحات على العنوان التالي :
السيد الأمين العام
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص . ب : 28613 - الصفاة
الرمز البريدي 13147
دولة الكويت
تليفون : 22431704 (965)
فاكس : 22431229 (965)
www.kuwaitculture.org.kw

التنضيد والإخراج والتنفيذ
وحدة الإنتاج في المجلس الوطني

ISBN 978 - 99906 - 0 - 501 - 3

العنوان الأصلي للكتاب

Political Psychology:

Critical Perspectives

by

Cristian Tileagã

Cambridge University Press, 2015

طُبع من هذا الكتاب ثلاثة وأربعون ألف نسخة

رجب 1437 هـ ـ مايو 2016

المواد المنشورة في هذه السلسلة تعبر
عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس

المحتوى

مقدمة

علم النفس السياسي كحقل تأويلي

علم النفس والسياسة

وصف عالم السياســة الأمريكي تشارلز إي ميريام(*) علم النفس بأنه علم «من العشيرة» (ميريام 1924) ويكتــب ماغواير(**) (1993) عــن «الارتباط المطول» بين علم النفس وعلم السياسة، وهو ارتباط يقوم على التحول المتكرر في الموضوعــات، والإجراءات، والنظريات. وما يشترك فيه ميريام وماغواير هو أنهما يفهمان العلاقة بين علم النفس والسياســة باعتبارها دراســة «الســلوك الســياسي». وقد طُرِحت «تعاريف» متباينة لهذه العلاقة. فعلى سبيل المثال يرى سيرز(***) وآخرون (2003) العلاقة

(*) Charles Merriam (1874-1953): أسـتاذ العلـوم السياسـية بجامعة شيكاغو، مؤسس المقاربة السلوكية للعلوم السياسية.
وتجدر الإشـارة إلى أن كل الحواشي الواردة أسفل الصفحات تعود إلى مترجم الكتاب.

(**) William McGuire (1925-2007): أهم باحث في سيكولوجيا الإقناع في الأكاديميات الأمريكية في الفترة من 1955 حتى 2007.

(***) David Sears عالم النفس الأمريكي المتخصص في علم النفس السياسي والاجتماعي المولود في 1935.

«كمـشروع متعـدد التخصصـات، يتعين أن يكون علم النفس السياسي قادرا عـلى أن يؤمِّن الفضاء الفكري الـذي يتيـسر فيـه التعايـش بين المفهومـات والتقاليـد النظرية من الحقول المختلفة»

بـين علم النفس والسياسـة باعتبارها «تطبيق ما هو معـروف من علم النفس البشري على الدراسـات السياسية»(ص 3). وبالنسـبة إلى باحثين غيرهم، يتصل الأمر بتبين الكيفية التي «يتوسـط بهـا الإدراك والعاطفة البشريان لإحداث أثر للبيئة في الفعل السـياسي» (ستين(*) 2002 ص 108). وبحسب لافين(**) (2010) فالعلاقة «تتحدد وفق تأثير ثنائي التوجه: وكما أن الذات تؤثر بالتوجه السـياسي، فالكيـان السـياسي للدولة يـترك علامته على مـن نكون» (ص 20 من القسـم التمهيدي، والتوكيد منقول عن الأصل).

ولا يحاول هذا الكتاب أن يطرح بدوره تعريفا إضافيا، بل يسـعى بدلا من ذلك، إلى توصيف العلاقة بين علم النفس والسياسـة باقـتراح مقاربات بديلة، وأدوات مفهوميـة مختلفـة، ورؤية مختلفـة لعلم النفس البشري والسـلوك السياسي لها جذور في فرضيات إبستمولوجية، ونظرية، ومنهجية مسبّقة نشأت عـن التحولات الموضوعيـة (بيليـغ(***) 1987، هاريه وجيليـت(****) 1994؛ ميدلتـون وإدواردز(†) 1990) والسردية (برونـر(‡) 1986؛ بولكينهورن(§) 1988) والاجتماعيـة - الثقافية (ميدلتون وبـراون(§§) 2005، فالزينر(#) 2007، وفيرتش(•) 2002) في علم النفس، وفي العلوم الإنسـانية والاجتماعية، ما تسـبب بظهور ما يمكن تسميته، بشكل عام، علم النفس السياسي التأويلي. وتوحي هذه التسمية بأن المشتغلين بعلم النفس السياسي بوسعهم أن يحوزوا مستوى عميقا من فهم

(*) Nancy Stein الأستاذة في جامعة شيكاغو المتخصصة في سيكولوجيا التعلم.

(**) Howard Lavine محرر سلسلة دراسات «علم النفس السياسي» الصادرة عن روتليدج (حتى 2016).

(***) Michael Billig أستاذ العلوم السياسية بجامعة لوفبره.

(****) Rom Harré وGrant Gillet مؤلفا كتاب «Discursive Mind».

(†) M.Middleton وD.Edwards محررا الكتاب "Collective Remembering" الصادر ضمن مطبوعات «ساج» اللندنية.

(‡) Jerome Seymour Bruner أستاذ علم النفس الأمريكي المولود في 1915 (لايزال حيا).

(§) Donald E. Polkinghorne مؤلف Narative Knowing and the Human Sciences الصادر ضمن سلسـلة «ساني» لفلسفة العلوم الاجتماعية.

(§§) Steven Brown الأسـتاذ بجامعة ليسـتر الذي شـارك ميدلتون في تأليف كتاب «The Social Psychology of Experience: Studies in Remembering and Forgetting» الصادر ضمن مطبوعات «ساج».

(#) Jaan Valsiner أستاذ علم النفس الثقافي بجامعة آلبورغ الدنماركية وأستاذ علم النفس واللغة الإنكليزية بجامعة كلارك الأمريكية والأستاذ الزائر في جامعات يابانية وألمانية وأسترالية وإستونية وإيطالية وبريطانية.

(•) James Wertsch أستاذ الأنثروبولوجيا الثقافية بجامعة واشنطن المعني بدراسة الذاكرة الجمعية والهوية.

السلوك السياسي بالبحث في مختلف النظم الاجتماعية والسياسية - الخطابية، والثقافيـة، والدلالية - بطريقتهم هم. وعندما يبحث المشتغلون بعلم النفس السـياسي في المواقف، والعنصرية، والرأي العام، والأيديولوجية السياسـية، وما إلى ذلـك، فالمفـترض أنهم يوصّفون فرضيات مسـبّقة شـمولية وخصوصية في الثقافـة الحديثة. ويشـبّه علم النفس السـياسي التأويلي عمل المشـتغل بعلم النفـس السـياسي بعمل الأنثروبولوجي الذي يكشـف عن مختلـف الطبقات الصانعة للمعنى، تلك التي ينظم المجتمع نفسـه ويعيد إنتاج نفسـه وفقا لها (موسكوفيسي(*) 1972).

ويوصّف الكتاب أسـلوبا للاشتغال على علم النفس السياسي في أوروبا، وهو أسـلوب تخلّق عـبر الحوار مع المقاربـات الأمريكية الشـمالية، بقدر ما تخلق عـبر نقدها. وقـد طُرِح رأي مؤداه أن علم النفس السـياسي يمكـن وصفه بأنه «حقل يتمركز على الإشكاليات» واهتماماته تنشأ عن «تلك المشكلات والأحاجي الاجتماعيـة التي تظهر على مر التاريخ وفي محلات بعينها» (نيسـبت - لاركينغ وكينفـول(**) 2012، ص46). وللمشـتغلين بعلم النفس الاجتماعي والسـياسي الأوروبيين تاريخ طويل من استكشاف قضايا في علم النفس الاجتماعي والسياسي ذات طابـع أوروبي مميز مثل الفاشـية والتعصب الأعمـى، ومثل الأيديولوجية والقومية، والهوية الاجتماعية والسياسـية، والقيم والمواقف السياسـية، والفعل الجمعي، والبُنى الجماهيرية والنخبوية للسياسـة وأشـكال فهمها. وبوسع المرء أن يضيف إلى هذا اهتمامات أقرب إلى زماننا تتصل بالعلاقة بين الهوية الوطنية والأوروبيـة، و«أوروبـا الجديدة»، والذاكرة السياسـية والهويـة، وبنية الأقلية الإثنيـة والتماهي الإثني، وفهم التحول الاجتماعي والسـياسي في أوروبا الغربية والشرقيـة. والمأمول أن يقدم الكتاب مسـاهمة يقتضيهـا الوقت، ويدفع بعلم النفس السياسي إلى الأمام بوضع رؤى بحثية أوروبية في موضع راسخ على أجندته الفكرية والإمبيريقية.

(*) Serge Moscovici أستاذ علم النفس الاجتماعي الفرنسي الجنسية الروماني المولد.

(**) Paul Nesbitt-Larking أسـتاذ العلـوم السياسـية بجامعة أورون الكندية وCatarina Kinnvall أسـتاذة العلوم السياسية في جامعة لوند السويدية.

وكتــب علم النفس الســياسي كثيرة، ولكــن قلة قليلة منها هــي التي تولي المقاربــات الأوروبيــة اهتماما كبيرا. وعلى ســبيل المثــال، المجموعة المؤلفة من أربعة مجلدات عن «علم النفس الســياسي»، وهي أحدث ما حرره هوارد لافين (2010) لا تحتــوي إلا على إشــارات قليلة إلى الاهتمامات السياســية الأوروبية أو المســاهمات الأوروبية في علم النفس الاجتماعي. ولا يمكن التغاضي عن هذا الغياب الملحوظ لأنه يعيد إنتاج رؤية شائهة لماهية علم النفس السياسي وكيفية ممارســته، فعليا، حول العالم. وهذا الكتاب هو محاولة لإعادة التوازن بالتشجيع على الحوار حول رؤى لا تجد التمثيل الكافي في علم النفس السياسي، وعلى نحو يمكن أن يؤمّن تأسيسا جديدا للتحليلات المعاصرة للسلوك السياسي أو يضبطها. وليس الهدف تعميق الانقســامات، بل هو تشجيع رؤى تتلاءم، على نحو خاص، مــع المهمة المعلنــة لإنماء حوار دولي حقيقي بين تقاليــد البحث في علم النفس السياسي حول العالم (هيست(*) 2012).

علم النفس السياسي التأويلي

وتترتب نتائج رئيســية ثلاث على تضمين علم النفس الســياسي بعدا تأويليا. أولاها، أن ذلك قد يوســع البؤرة التقليدية لعلم النفس الســياسي في تركيزه على الســلوك الســياسي، الذي يُفهم على نحو ضيــق باعتباره إطــارا نظريا ومنهجيا فردانيــا. إن جانبا كبيرا من المحتوى النظري والإمبيريقي لعلم النفس الســياسي المعــاصر يحركه الســعي وراء تفاســير لأحداث الحيــاة الواقعيــة في العالم وفي المشــهد السياسي «الواقعيين». والأساس في هذه التفسيرات هو اختبار النظريات الأكاديمية المجردة، وصوغ التوقعات والنماذج التي تتصل بالسلوك السياسي بأكثر مما تتصل بأحداث وممارســات في الحياة الواقعية، وتأويلها وفق شروطها هي، مع بقاء النظرية أو النماذج الأكاديمية كمجرد دعامة. وكما أوضحت ماركوفا(**) أخيرا، فلدراســات علــم النفس الاجتماعــي تاريخ ينمّي اســتخدامات «مناهج البرهنــة» ويفرضها، كنقيض لـــ «مناهج الاكتشــاف» (2012، ص 113). وقد

(*) Helen Haste أستاذة علم النفس السياسي بجامعة باث البريطانية.

(**) Ivana Marková (ولدت في 1938) هي أستاذة علم النفس بجامعة ستيرلينغ البريطانية.

أدى ذلك إلى عجز المختصين بعلم النفس الاجتماعي والسياسي عن أن يعالجوا في أعمالهم، وعلى نحو مباشر، التناقض بين متطلبات المعرفة العلمية وملامح السلوك السياسي التي يبحثونها والتي يمكن تعريفها وتمييزها بسهولة أكبر. وكما لاحظ، وبحق، سيرج موسكوفيسي، فإن العلاقة بين علم النفس والسياسة هي علاقة ضرورية ووظيفية وإن كانت، في بعض الأحيان، تستعصي على التنبؤ وغير واضحة بالمرة (موسكوفيسي1989).

والنتيجة الثانية هي أن ذلك قد يطلق جدلا حول معنى «المعرفة العلمية» التي تمضي إلى ما وراء التجريبي أو القواعد العامة للمسح التي تحكم علم النفس السياسي المعاصر. وكما تقول ساندرا جوفتشيلوفيتش(*) فهناك «في علم النفس... اتجاه قوي إلى اعتبار معارف العوام ومفهوماتهم اليومية عوائق وصخبا وأخطاء لا بد من تنحيتها: فيجب أن تستبدل بالغيبيات والخرافات والمعتقدات الخاطئة التي يتبنونها حقيقةُ المعرفة المتخصصة أو العلمية» (2008، ص 437). ويتعين أن يكون اكتشاف المبادئ مهمة علم النفس السياسي؛ ليس فقط المبادئ العامة، ولكن أيضا المبادئ الظرفية، والمبادئ النسبية التي يقوم عليها تأويل النظم الموضوعية والثقافية والدلالية. فيتعين على المرء أن يوسع مجال البحث الاجتماعي العلمي، مبتعدا به عن طبيعة الفرد المفكر وعن النظم العقدية، ليقترب من التواصل عبر الإعلام الجماهيري، ومن التفاعل الاجتماعي، والممارسات الاجتماعية، ومصادر المعرفة العامية. وربما كان من الخطل الظن بأن مجرد استخدام «مناهج ذات كفاءة هو أمر مكافئ للبحث العلمي» (موسكوفيسي 1972، ص 21). ولا بد للمشتغلين بعلم النفس السياسي من الاستجابة للتحديات المعلنة المتمثلة بدراسة السلوك الاجتماعي والسياسي والتحديات التي يطرحها زملاؤهم العاملون في التخصصات الأخرى. وقد بدأ علم النفس السياسي الحوار مع علم الأحياء، والجينات، وعلوم الأعصاب؛ لكنه، في الوقت ذاته، يهمل حواره مع الألسنية، أو علم النفس النقدي، أو علم الاجتماع، أو دراسات الميديا، أو الفلسفة. وحتى يتسنى إثراء العمق والاتساع المميزين

(*) Sandra Jovchelovitch مديرة برنامج علم النفس الثقافي والسياسي، البرازيلية الأصل، بمدرسة لندن للاقتصاد.

للخلاصات التي يتوصل إليها والأثر الذي يحدثه في العالم «الواقعي» فهو في حاجة إلى الاعتماد على بعض فرضيات هذه التخصصات، ومسائلها ومناهجها. وكمشروع هو بحق متعدد التخصصات، يتعين أن يكون علم النفس السياسي قادرا على أن يؤمِّن الفضاء الفكري الذي يتيسر فيه التعايش بين المفهومات والتقاليد النظرية من الحقول المختلفة.

والنتيجة الثالثة هي أن علم النفس السياسي بوسعه أن يقود عملية إعادة النظر في صورة الشخص والمجتمع المتضمنة في المقاربات العلمية المعاصرة، وإعادة فحص تصورات علم النفس السياسي حول العلاقة بين الطبيعة البشرية، واللغة، والثقافة. وكما تُظهر فصول هذا الكتاب فالرأي العام، والدمقرطة، والشخصية، والتحيز، والذاكرة الجمعية، وغير ذلك من أفكار يعود أصلها إلى النظرية الاجتماعية والسياسية هي مفهومات متصلة، بعديد من الطرق، بانشغالات ثقافية ولغوية، ومجتمعية. وتنشأ عن التقانات المتزايدة الرهافة لاستطلاع الآراء، والتجريب، والتصوير العصبي بُنى للأفراد «تمضي إلى «مجاراة» متطلبات البحث؛ فيصبحون وكأنهم أشخاص هم بطبيعتهم «قابلون للبحث» من ذلك المنظور» (أوزبورن وروز(*) 1999، ص392). ونحن نميل إلى أن نحصر في حالات تجريبية ونماذج معرفية صارمة ما هو بالفعل متمدد (في هذا الشكل أو ذاك) في الثقافة. (قارن بما جاء في موسكوفيسي 1972). وكما يشير موسكوفيسي فإن «النظرية الاجتماعية» التي يتبناها المجتمع هي التي يتعين علينا أن نكون قادرين على تمييزها، وتوصيفها، وتحليلها؛ فعلم النفس الاجتماعي والسياسي لا يُمارس في «فراغ اجتماعي» (تايفل 1972).

ويبدو أن فقهاء علم النفس السياسي تقصُر جهودهم عن تفحص الحياة الاجتماعية والسياسية، في العمق، ونادرا ما يشغلون أنفسهم بما أسماه أولبورت(**) «الشخص الملموس». ولا يتعين أن تنبع تحليلات علم النفس السياسي من القوانين العامة والمفهومات السيكولوجية فحسب، بل يفضل أن تنبع من حيوات (كما عيشت بالفعل) ومن ممارسات اجتماعية (كما مورست

(*) Thomas Osborne أستاذ علم الاجتماع بجامعة بريستول البريطانية وNikolas Rose أستاذ علم الاجتماع في جامعة لندن.

(**) Gordon Allport أحد مؤسسي علم نفس الشخصية وعمل لمدة طويلة كأستاذ في جامعة هارفارد الأمريكية.

بالفعل). ويجب ألا ينطلق المرء، فقط، من التساؤل حول مدى قدرتنا كباحثين على تبين الواقع، ولكن من التساؤل حول مدى قدرة الفاعلين الاجتماعيين على تبين الواقع الذي يخبُرونه كما هو. ويتعين علينا، كمشتغلين بعلم النفس السياسي، أن نتدبر على نحو جدي التجليات الأيديوغرافية(*) للوجود الاجتماعي، والتعامل مع الناس ومع السياسات باعتبارها نواتج لنشاطات اجتماعية وممارسات اجتماعية.

ولاتزال العلاقة بين علم النفس والسياسة في حاجة إلى تفسير؛ فهي، في ذاتها، لا تفسر شيئا. وما يتحصل لدينا منها تؤسسه، وتحد منه، التقانات التي نستخدمها لمعايرتها، وسردياتنا، وخطاباتنا، وتمثيلاتنا، وهوياتنا، وذاكرتنا الجمعية. واقتداء بموسكوفيسي، فهذا الكتاب يدفع بأن علم النفس السياسي بقي، لأطول مما ينبغي، أسير «ثقافة براغماتية» تتهرب من التجليات الراهنة، والنسبية، والخاصة للخبرة الاجتماعية والسياسية.

وهناك نقطة أخرى لا بد من توضيحها، وهي تتعلق بعلم النفس السياسي الأوروبي. فعندما يصبح علم النفس السياسي الأوروبي تخصصا تأويليا، عندئذ فقط يمكنه أن يطور نفسه كمشروع ذي قيمة. فموضوعاته البحثية ومحتوى نظرياته ليست في حاجة إلى أن تُستعار من الساحل الآخر للأطلسي؛ بل يتعين أن تعكس موضوعاته البحثية ومحتوى نظرياته قضايا التنظيم الاجتماعي والسياسي الذي يخصه. وفي العام 1972 حدد موسكوفيسي «تميز» علم النفس الاجتماعي الأمريكي بأنه ليس بالضرورة تقدما منهجيا أو نظريا، بل هو أقرب إلى أن يتمثل في مسألة «اتخاذه قضايا مجتمعه هو موضوعا لبحوثه ومحتوى لنظرياته... وجعلها موضوعا للاستقصاء العلمي» (1972، ص 19، التوكيد منقول عن الأصل؛ وانظر أيضا موسكوفيسي وماركوفا، 2006 للاطلاع على تاريخ تطور علم النفس الاجتماعي في أوروبا).

ويتعين أن يأخذ علم النفس السياسي الأوروبي المعاصر رسالة موسكوفيسي بعين الاعتبار؛ يتعين أن يتحول بانتباهه إلى الحقائق الاجتماعية والسياسية

(*) idiography دراسة الحقائق والعمليات العلمية الخاصة بمعزل عن القوانين العامة.

الخاصة به هو، وأن يبتدع البديهيات والفرضيات والتساؤلات الخاصة به هو والتي يأخذ منها «النتائج العلمية» الخاصة به هو (موسكوفيسي 1972، ص19).

السلوك السياسي كممارسة اجتماعية

جرى العرف على افتراض أن مهمة عالم النفس السياسي هي تفسير التمظهرات العديدة للسلوك السياسي وتعقيداته. وعالم النفس السياسي معني، عموما، بالمشكلات وبحلول لهذه المشكلات تكون صالحة بذاتها لكل أحد، في أي وقت وفي أي مكان. ومما يترتب على ذلك أن السلوك السياسي يجري تصوره باعتباره نتيجة لعمليات عمومية الطابع واعتيادية وآلية بأكثر مما هو نتاج ممارسات إنسانية اجتماعية. ويترتب على ذلك أيضا أن السلوك الفعلي يحظى بقدر متناقص من الاهتمام (بومايستر(*) وآخرون 2007؛ بوتر(**) 2012). ويبتكر المشتغلون بعلم النفس السياسي معجمات متزايدة التعقيد تستخدم لتوصيف السلوك السياسي. وقد تأسس علم النفس السياسي المعاصر المعني بالسلوك السياسي على البنية الإبستمولوجية لـ «العقيدة المبررة» في مواجهة حقيقة «خارجية» تنتظر التوصيف والتفسير. والطريق للمعرفة وضعي، وفي الأغلب الأعم فهو يقوم على نماذج معيارية للحقيقة الاجتماعية والسياسية. لكن ما يعطي علم النفس السياسي تميزه هو أنه يعالج ما تدعوه هانا آرندت «حقل الشؤون الإنسانية» (آرندت(***) 1958). فالسياسة (والسلوك السياسي) ليست بعدا يقع خارج حقل الشؤون الإنسانية هذا؛ وكل ما في الأمر هو أنها تعامل، خطأ، على هذا الأساس في بعض الأحيان. ويعالج بعض المشتغلين بعلم النفس السياسي السلوك السياسي باعتباره وحدة اسمية substantive entity (يمكن قياسها أو تصنيفها، ويمكن تقرير توزيعها إحصائيا)؛ فيما عالجه آخرون باعتباره

(*) Roy Baumeister، أستاذ علم النفس بجامعة ولاية فلوريدا، والمولود في العام 1953.

(**) Jonathan Potter رئيس قسم العلوم الاجتماعية بجامعة لوفبره البريطانية وأحد آباء التحليل النفسي للخطاب والمولود في 1956.

(***) Hannah Arendt المنظرة السياسية الألمانية المولد (1906-1957) التي اعتبرت أن الفلسفة معنية بالإنسان الفرد.

مفهوما أو فكرة، كمفهوم منشط للاستجابات، يوجه، بأكثر مما يقرر، الخطوات التي تتخذها أبحاثهم، فهو أي شيء إلا أن يكون ثابتا أو مستقرا أو «حقيقيا».

فلا مجال للكلام على رأي عام، أو قيم، أو انحياز، أو ذاكرة جمعية، أو خطابية سياسية، أو هويات اجتماعية وجمعية وما شابه ذلك بمعزل عن الممارسات الاجتماعية للناس وبمعزل عن «العقد الاجتماعي النفسي» كما يشاهد في نسخ من الحقيقة الاجتماعية التي يتأتى لها أن تهيمن على المجتمع والتي تُبنى على نحو تشاركي، ويجري اعتناقها على نحو جمعي (مقدم(*)، 2008 ص 882). ويميل المشتغلون بعلم النفس السياسي إلى حصر أنفسهم في توصيف ما يعنيه العالم الاجتماعي والسياسي بالنسبة إليهم، متغافلين، في غضون ذلك، عما يعنيه بالنسبة إلى الفاعلين الاجتماعيين الذين يشاركون في هذا العالم ويخلّقونه.

نظرة عامة على الكتاب

حقل علم النفس السياسي هو حقل دائم الاتساع. ويطرح الكتاب تمثيلا انتقائيا، وإن كان متماسكا، لحقل متنوع. وبالضرورة، لم يتيسر سوى تغطية قطاع من الأدبيات ذات الصلة.

وفي كل فصل من فصول هذا الكتاب محاولة للبرهنة على أن السلوك السياسي يتعين النظر إليه باعتباره مسألة قائمة بذاتها. وهذا يشمل استكشاف فكرة مؤداها أن السلوك السياسي تتعين معالجته باعتباره، أكثر من أي شيء آخر، حقلا ناشئا ومتحولا من حقول النشاطات والممارسات الاجتماعية، ويتعين تسجيل تمظهراته الرمزية، والاتصالية، والاجتماعية التفاعلية التي تجري إقامتها وهدمها في العلاقات الاجتماعية بين الناس. وتناقش الفصول أيضا نطاق الأحكام الاجتماعية، والالتزامات والمواقف السياسية، والمسائل المتصلة بالحدود(**) والمحاسبية، التي يضفي عليها الفاعلون الاجتماعيون أهمية بالحديث أو بالنصوص. فالدلالات والرسائل السياسية «أكثر تقلبا مما يُفْترض عامة» (إيدلمان(***)، 2001،

(*) Fathali Moghaddam أستاذ علم النفس في جامعة جورج تاون.

(**) stakes وهي الأوتاد تدق لرسم حدود منطقة لا يجوز اقتحامها.

(***) Murray Edelman (1919 - 2001): عالم سياسة أمريكي اشتغل على السياسات الرمزية وعلم النفس السياسي.

ص 82). والدلالات الذاتية والظرفية التي يسبغها الناس على السلوك السياسي هي، وعلى نحو متزايد، التي يمكن أن تتنبأ بتبعاته السياسية أو تقررها.

ويركز الفصلان الأول والثاني من هذا الكتاب على الرأي العام والقيم الإنسانية في ضوء تفهم عمليات التحول الاجتماعي والدمقرطة. فالفصل الأول يركز على الرأي العام، وعلى معضلات الأيديولوجية والتعقيد الخطابي للمواقف في سياق النوستالجيا(*) البحثية عند الاشتغال على الشيوعية، وفي سياق فهم الكفاءة الديموقراطية للأفراد. ويركز الفصل الثاني على نماذج عمومية ونوعية للقيم الإنسانية ويمد دفوعاته من الفصل الأول إلى الكفاءة الديموقراطية للأمم وانتشار القيم الديموقراطية. ويحض الفصلان المشتغلين بعلم النفس السياسي على مقاومة إغراء تطهير السلوك السياسي من المعضلات، والالتباسات والتناقضات الظاهرة.

ويقترح الفصل الثالث مناقشة علم النفس السياسي للاتسامح باقتراح مفهوم بديل عن التحيز باعتباره محصلة اجتماعية، ودراسة لخطاب نزع الشرعية ونزع الإنسانية عن جماعات الأقليات العرقية. ويقدم الفصل الرابع للقارئ دراسة التمثيلات الاجتماعية باعتبارها وحدات تكوينية لفهم الحياة المجتمعية وتصنيع الدلالات. ويؤكد الفصل أن الحقيقة الاجتماعية والسياسية «لا تملك ممرا سلسا ومباشرا للمعرفة» (جوفتشيلوفيتش 2007، ص99)؛ وبالأحرى، فهي تنتقل عبر التمثيلات الاجتماعية باعتبارها موارد ومؤسسات ثقافية لدى المجتمعات «المفكرة».

ويدفع الفصل الخامس بأن المهمة الرئيسية لعلم النفس السياسي هي تحليل الطبيعة الاجتماعية للهويات ولممارسات الجماعات. وهو يذهب إلى أن الهويات لا يجري تنشيطها فحسب، بل بالأحرى هي تُسْتدعى وتُعدّل بفعل السياق الاجتماعي الذي تكتسب فيه مغزاها. وينشئ الفصل طرحا معاكسا للفكرة الشائعة بأن «الهويات المفردة [بوسعها] أن تُنبئ، على نحو يُعتد به، بالسلوك، والمواقف، والقيم» (ويذريل(**) 2009 ب، ص10). ويناقش الفصل السادس

(*) Nostalgia حنين غامض وأسيف لماض انقضى.

(**) Margaret Wetherell أستاذة علم النفس في جامعة أوكلاند النيوزيلندية.

قضية الذاكــرة الجمعية واتصالها بالسرديات السياســية وتأثيرها عليها. ويقترح الفصل مقاربة اجتماعية - ثقافية للبحث في الذاكرة الجمعية تســاعد المشتغلين بعلــم النفس الســياسي على تحويلها إلى موضوع اهتــمام حقيقي من قبل علم النفس الســياسي. ويذهب الفصل إلى أن المشــتغلين بعلم النفس الســياسي هم في حاجة إلى دراســة الذاكرة باعتبارها منتوجا اجتماعيا وثقافيا، ودراسة التذكر/ النسيان كممارستين اجتماعيتين وثقافيتين.

ويوسع الفصل السابع فكرة الســلوك السياسي لتغطي براغماتيات الخطاب والاتصــال، والعلاقة التبادلية بين الخطاب والسياســة. ويذهــب الفصل إلى أن الأفعال الخطابية هي تأســيس اجتماعي للظــروف الاجتماعية، وأن «الحقائق» الاجتماعيــة والسياســية والممارســات الخطابية عــلى تنوعها تعيــد إنتاج رؤى الناس، والمجتمع، والسياســات. ويواصل الفصل الثامن المناقشــة التي تجدها في الفصل السابع بالذهاب إلى أن الخطاب السياسي في حاجة إلى أن يُدرس كنشاط اجتماعــي. ويذهب الفصلان معا إلى أن الهدف الرئيسي لعلم النفس الســياسي هو مواصلة الدراســة المنهجية للسياســة في حال الفعل، دراسة ممارسات الناس وتفاعلهم الاجتماعي. ويدعو الفصلان معا إلى إعادة توجيه علم النفس السياسي باتجاه البحث في كيفية أداء السياسات في الممارسات اللغوية اليومية والنخبوية، وتحديد «الشروط البلاغية» التي تمارس السياســة، فعليــا، في إطارها. ولا يمكن القــول بوجــود «الحقيقــة» الاجتماعية والسياســية أو «الســياق» الاجتماعي والسياسي من دون تفاعلات واتصالات اجتماعية بين الناس.

ويقدم الفصل التاسع مقاربة خطابية للاتصال السياسي وللسياسات المستندة إلى إعــلام جماهــيري. ويذهب الفصل إلى أن الاتصالات السياســية يتعين النظر فيها باعتبارها خطابا جرى إنتاجه بعناية، باعتبارها ســياقا تفاعليا وسياق تفاعل اجتماعــي لتخليق الدلالة السياســية. ويمكــن للتركيز على العمليــات اللغوية والاتصاليــة أن يؤمن للمشــتغلين بعلم النفس الســياسي أساســا أكثر شــمولية ينطلقــون منه لمعالجة تركيب الاتصالات السياســية وطبيعتهــا الدائمة التحول. ويبــين الفصل كيف يمكن للمشــتغلين بعلــم النفس الســياسي أن يتعلموا من مفهومات السلوك السياسي في دراسات الميديا، والاتصال والخطاب.

وتذهب الخاتمة إلى أن علم النفس السـياسي لن يتسنى له المضي قدما، على نحو مجزٍ، إلا إذا كف عن تجاهل ماضيه وميراثه الثري من مختلف أنحاء العالم. وينطـوي حقل علم النفس السـياسي على إمكانية المسـاهمة في فهم ومعالجة المشكلات الاجتماعية في العالم الحقيقي. ولن يتطلب تحقق هذه الإمكانية، فقط، التوصل إلى أحدث المبتكرات المنهجية أو الإصرار على استعارات نظرية من فروع علم النفس المجاورة. بل سـوف يتطلب، أولا، توسعة تعريفه (تعريفاته الكثيرة) للسـلوك السـياسي ليشـمل اللغة، والثقافة، والتمثيلات الاجتماعية، والاتصال والمقاربـات البديلة التي لا تقـل «علمية» عن مجموعة المبـادئ التجريبية أو المسحية. سوف يتطلب إعادة النظر في مفهومه عن العلاقة بين علم نفس الفرد («الطبيعة البشريـة») والأداءات الجمعية («الثقافة»). ولن يتيسر لعلم النفس السـياسي أن يصبح أنثروبولوجيا اجتماعية وسياسـية أصيلة للثقافة الحديثة إلا بالاستكشاف المنهجي لرؤية تأويلية، وتنميتها ومتابعتها.

I

الرأي العام والتركيب البلاغي للتوجهات

الإرادة الجمعية والمواطن الديموقراطي «المثالي»

«نحن الشعب نشعر ونعلم أننا صرنا أكثر أهمية مما كنا عليه في أي وقت مضى، مع تضييق الحاجز الذي يفصلنا «نحن» ويفصل نطاق خبراتنا عن ممثلينا المنتخبين ونطاق خبراتهم». هذا ما كان يكتبه عالم النفس الاجتماعي هادلي كانتريل(*)، في ورقة بتاريخ 1942 بعنوان «تقلبات الرأي العام»، عن أهمية «الروح المعنوية العالية» في الديموقراطية الأمريكية، وخصوصا «الروح المعنوية الوطنية» المتصلة بالمجهود الحربي. وما أشار إليه كانتريل في العام 1942 (ولم يكن الوحيد الذي فعل ذلك) هو ما يأخذه

(*) Hadley Cantril: باحث أمريكي في دراسات الرأي العام والدعاية المضادة.

«يجب أن يزيد بحث علم النفس السياسي فيما يتوقعه المواطنون أنفسهم من الديموقراطية، وأن يقل بحثه فيما تتوقعه الديموقراطية من الناس»

السياســيون و«خبراء الرأي العام» spin doctors[*] ومن لف لفهم كأمر مسلم به، هذه الأيام: أســاس الديموقراطية يتمثل في «الثقة بأحكام الإنسان العادي». كان كانتريل يكتب عن الشــخص، عن «المواطن» الذي «عندما تقدم له حقائق كافية، وعندما يُخلق لديه الدافع للانتباه لتلك الحقائق... فسوف يصل إلى قرار تأســس على مصلحته [مصلحتها] الذاتية كعضو في مجتمع ديموقراطي» (1942، ص151). وعندما يكتب كانتريل «نحن الشــعب» فهو يؤشر باتجاه المحاســبية السياســية الديموقراطيــة (من المواطنــين لممثليهم المنتخبين) وبهــذا فهو يضع في بؤرة الاهتمام واحدا من الآمال السياســية الأساســية - أنه يتعين أن تســود إرادة «الشــعب» ومنطقه. وتعبر كلمات كانتريل عن الإيمان بالمواطن الملم بكل شيء، والمســتقل ذاتيا، الذي يحكم نفسه بنفســه (دالتون، 2008)[**]. المواطن الديموقراطي «المثالي».

ويبين هذا الفصل كيف أن اهتمام علم النفس الســياسي بـ «الإرادة الجمعية» يتــوازى معه اهتــمام بالمواطن الديموقراطــي، وبحث عنه، وتوصيف له. ويرســم الجــزء الأول من الفصل خريطة بالدلالات والتعابــير المتباينة المتصلة بهذه الإرادة الجمعية بعد تركيزها في فكرة «الرأي العام». ثم يمضي الفصل بعد ذلك إلى توصيف الفرضيات الرئيســية وراء البحث في الكفــاءة الديموقراطية لدى المواطنين وفهمها، خصوصا ما يتصل منها بالمعرفة السياسية والتركيب السياسي.

وخُصّصت بقية الفصل لاستكشــاف فكرة مؤداها أن الرأي العام هو واحد من أكثر التعابير عن السياسات الديموقراطية إثارة للجدل. ويركز هذا الجزء على التركيب البلاغي للمواقف وعلى تناقضات الرأي التي تنشــأ في ســياق محاولات التصالح مع الماضي الشــيوعي في أوربا الشرقية. في غضون ذلك، فهــو يتحدى الفكرة القائلة إن الناس يحملون في رؤوسهم مواقف كاملة التكوين أو منجزة. ويذهب الفصل إلى أنه من المهم توضيح الكيفية التي يقوّم بها الفاعلون الاجتماعيون الحقائق الاجتماعية/السياسية، وكيف أن المواقف والخبرات السياسية تمتلك تركيبا بلاغيا شديد الوضوح. وتمضي فصول تالية من هذا الكتاب بمعالجة هذه المسائل إلى مدى أبعد، وخصوصا

(*) المسؤولون عن توجيه الرأي العام وإقناعه بأمور بعينها.

(**) Russell Dalton: مدير مركز دراسات الديموقراطية بجامعة كاليفورنيا (إيرفين).

الفصل السادس (بإحالة على الذاكرة الجمعية والسرديات السياسية)، والفصل السابع (بإحالة على دور اللغة في السياسة)، والفصل الثامن (بإحالة على تركيب البلاغة السياسية). وينتهي الفصل بالدفع بأن فقه علم النفس السياسي يجب أن يكون أكثر اهتماما بما يتوقعه المواطنون أنفسهم من الديموقراطية، وربما وجب أن يكون أقل اهتماما بما تتوقعه الديموقراطية من المواطنين.

وتخلّق الانفلاقات الأيديولوجية في المجتمعات النماذج والصور الخاصة بها عن المواطنين «المثاليين» - ما يدعوه لاكوف(*) (2002) المواطنين «النموذجيين» - ففي الولايات المتحدة، على سبيل المثال، تكرس السياسات الوطنية المقولات الخاصة بها عن السياسات الأخلاقية والفعل الأخلاقي (والمواطن المحافظ «المثالي» مناقض، تمام التناقض، للمواطن الليبرالي «المثالي»)[1]. ويطرح علم النفس السياسي أفضل أمثلة البحث عن المواطن الديموقراطي «المثالي» حيث يتناغم استقرار التفضيلات والرؤى عن العالم (آنسولابيهري(**) وآخرون 2008؛ كونفيرس(***) 1964) مع الاعتقاد بإمكان الوصول بالخبرة الديموقراطية إلى حدها الأقصى برعاية التباينات الفردية (مونداك وهيبينغ(****) 2012، ستنر(†) 2005). وفي بحثهم عن المواطن الديموقراطي «المثالي» يشيّد المشتغلون بعلم النفس السياسي «خرافات مُريحة ويعتمدون عليها (ريسمان(‡) 1954)، ويشيّدون نماذج للسلوك الاجتماعي والسياسي تبرز العقلانية على حساب اللاعقلانية، والمسؤولية على حساب اللامسؤولية، والمواطنة على حساب غيرها من وسائل الانتماء والفعل في المجتمع وطرائقهما. وهناك من يذهب إلى أن هذا البحث عن الإرادة الجمعية وعن المواطن الديموقراطي «المثالي» وتوصيفهما يمثل واحدة من «التهويمات الديموقراطية الباطنية «التأسيسية، و«نموذجا زائفا» غير قابل للتحقق (ليبمان(#)، [1927] 2009).

(*) George Lakoff: أستاذ الألسنية المعرفية cognitive linguistics بجامعة كاليفورنيا، بيركلي.

(**) Stephen Ansolabehre: أستاذ علوم الحكم بجامعة هارفارد.

(***) Philip Converse (1928 - 2014): أستاذ العلوم السياسية الأمريكي.

(****) Mondak Jeff : أستاذ العلوم السياسية بجامعة إلينوي آت أوربانا شامبين وJohn Hibbing أستاذ العلوم السياسية بجامعة آيوا.

(†) Paul Stenner : أستاذ علم النفس الاجتماعي بالجامعة المفتوحة بالمملكة المتحدة.

(‡) David Riesman (1909 – 2002): عالم الاجتماع والمعلق الأشهر على المجتمع الأمريكي.

(#) Walter Lippmann (1889 – 1974): أحد أهم المعلقين السياسيين الأمريكيين في القرن العشرين.

المعرفة السياسية والكفاءة الديموقراطية للمواطنين

تبدأ دراسة الكفاءة الديموقراطية للمواطنين والمشاركة السياسية بالملاحظة السياسية التي تذهب إلى أن المواطن العادي يعجز عن تكوين وجهة نظر شاملة حول السياسة (قارن بما جاء عند كونفيرس 1964)[2]، وهناك من يذهب، وعن حق، إلى أن «المعلومات» السياسية هي «عملة» المواطنة (انظر ديللي كاربيني وكيتر(*) 1996). ويشهد المجاز الاقتصادي الذي يستخدمه ديللي كاربيني وكيتر على ميل شائع لدى المشتغلين بعلم النفس السياسي - في الاستجابة لـ «مثال» المواطن «المستنير الليبرالي» المزود بمعلومات وفيرة.

وليس هناك خلاف ظاهر في علم النفس السياسي حول الفكرة القائلة إن المعلومات السياسية تتوزع على نحو غير عادل، وأن التوزيع غير العادل يفضي إلى تفاوتات في المعلومات السياسية. وينبع هذا من فرضية أساسية أخرى: أن بعض الناس يعرف أقل القليل عن السياسة، فيما يعرف آخرون الكثير للغاية. ووفق كونفيرس، فإن المعلومات السياسية «تتباين لدى الناخبين، صاعدة من نقطة تقارب الصفر إلى ارتفاعات شاهقة» (كونفيرس، 2009، ص157). ويتحقق التعقيد السياسي بدرجة «استيعاب المعلومات في سياقها» وهو الاستيعاب الذي يُدرج، بالتالي، في نظام عقدي ذي دلالة يمتلك صلات راسخة بين جميع مكوناته. وأغلبية أعضاء الكتلة الجماهيرية لا تظهر لديهم نظم عقدية ذات دلالة ولا يعملون بها. والتصورات الملموسة، أكثر من تلك المجردة، هي ما يلفت انتباه المواطنين العاديين. ولا بد من التمييز بين «المواطن المشارك حقا» (الذي يجري توصيفه على أساس التنظيم المفهومي العالي) والأغلبية الساحقة التي لا تستطيع، إلا بشق الأنفس، الإبحار عبر المشهد السياسي أو فك ألغاز المعلومات السياسية المركبة (وتوصف على أساس التنظيم المفهومي المرتبك، والضيق، والمنخفض)[3].

وقد أدخل علم النفس السياسي المعاصر تغييرات طفيفة على بعض رؤى كونفيرس الأصلية، مع إقرارها، في الوقت ذاته. ومن الأمور المسلم بها الآن وجود تنوع هائل في الاهتمامات، والانتباه السياسي، والمعرفة السياسية لدى الكتل

(*) Michael Delli Carpini: أستاذ الاتصال بجامعة بنسلفانيا وScott Keeter مدير الأبحاث الاستطلاعية في مركز الأبحاث الأمريكي بيو.

الجماهيريـــة. ويـــرى بعض المشـــتغلين بعلم النفس الســـياسي أنـــه يتعين أن يكف المشـــتغلون بعلم النفس السياسي عن التســـاؤل عما إذا كان المواطنون «يرقون إلى مســـتوى التوقعات المثالية للمنظريـــن الديموقراطيين» وأن يبـــدأوا، بدلا من ذلك، ملاحظة أن الناس يُقْدمون، على نحو منتظم، على خيارات سياسية، وأن يسألوا عن الكيفية التي تتقرر بها هذه الخيارات، بالفعل» (دالتون وكلينغمن(*)، 2009، ص6، وانظر أيضا موتز(**) 2009). وما يحيل إليه دالتون وكلينغمن هي المناهج الإجرائية التي يستخدمها الأفراد للإبحار عبر المشهد السياسي واستيعاب دلالاته: أقصر الطرق لتحصيل المعلومات، طرائق اكتســـاب المعرفة السياســـية بالخبرة، وما شابه. وذهب كونفـــيرس إلى أن اســـتيعاب الفرد للمعلومـــات يحد منه مقـــدار التنظيم والتدفق الرســـميين وغير الرســـميين للاتصال الســـياسي، من جهة، واســـتعداد الفرد للانتباه للتدفقات القائمة للاتصالات السياسية، من جهة أخرى (قارن بما جاء عند كونفيرس، 1962). ويـــرى كونفيرس أن الأفـــراد يلجأون، والحالة هذه، إلى اســـتخدام مقاييس «معيارية» يصدرون بها أحكاما (مثال ذلك التسلسل الليبرالي - المحافظ في الولايات المتحدة، أو الطيف اليســـاري - اليميني في أوروبا) حتى يتسنى لهم «احتواء» تنوع المشـــهد الســـياسي (كونفيرس، 2006 باء؛ لاو وريدلوســـك، 2006، تابر، 2003؛ تابر ولـــودج(***)، 2006). ويمكن لوجهات النظر الفردية أن تصمد، وقد تفرض نفســـها وقـــد تختفـــي، ويتقرر ذلك في ضوء اندراجها أو عدم اندراجها في شـــبكات الاتصال السياسي المختلفة (هاكفيلت(****)، 2009؛ هاكفيلت وآخرون، 2004، 2002)[4].

دلالات الرأي العام

وكما يقول موتز فإن «أغلبية المشـــتغلين بعلم النفس الســـياسي يتمنون لو أن المواطنـــين كانت لديهم معلومـــات كاملة، ويظنون أن العملية السياســـية قد يطرأ عليها تحسن بالغ، لو أن المواطنين قُدر لهم أن يقتربوا، على الأقل، من هذا الهدف»

(*) Russell Dalton: أســـتاذ العلوم السياســـية بجامعة ميتشـــيغان وHans-Dieter Klingemann أستاذ العلوم السياسية بمركز أبحاث العلوم الاجتماعية ببرلين.

(**) Diana C. Mutz: أستاذة العلوم السياسية بجامعة ولاية أوهايو.

(***) Richard R. Lau: أســـتاذ العلـــوم السياســـية بجامعـــة روتجرز وDavid Redlawsk الأســـتاذ بجامعة آيوا الأمريكيتين، Charles Taber وMilton Lodge: أستاذا العلوم السياسية بجامعة ولاية نيويورك في ستوني بروك.

(****) Robert Huckfeldt: أستاذ العلوم السياسية بجامعة كاليفورنيا البحثية في دافيس.

(2009، ص95، التوكيد منقول عن الأصل). وهذا يتوازى مع اعتقاد وتطلع شـائعين بين الدارسين المعاصرين للسلوك السياسي إلى إمكان حشد الإرادة الجمعية والكفاءة الديموقراطية للمواطنين، والاستفادة منها، وتقدير قيمتها الكلية ومتوسطها، بوصفها تعبيرا عن جمهور أو جماهير،وكأنها «رأي عام».

ومع تطور صناعة اسـتطلاعات الرأي، أصبح «الـرأي العام» مصدر الحجية ومبدأهـا في المجتمعـات الغربية (إيدلمان، 2001 شـوتز(*)، 1976). ومن زاوية الرؤية الخاصة باستطلاعات الرأي العام، فإن «الرأي العام يُقبَل ويعامَل باعتباره حقيقة موضوعية يمكن اكتشـافها عبر اسـتطلاعات الـرأي أو غيرها» (إيدلمان، 2001، ص53)[5].

«الرأي بالنسـبة إلى الجمهور الحديث هو كالروح بالنسبة إلى الجسد، ودراسة أحدهـما تفضي بنا، على نحو طبيعي، إلى الآخـر» (تارد Jean-Gabriel de Tarde [1969]، 2010، ص297).هكذا افتتـح تارد مقالته الرأي والمحادثة في العام 1898. وفي أربعينيـات القرن العشريـن كان غالوب وراي(**) يعتـبران الرأي العام «نبض الديموقراطيـة»، كما يشـير عنـوان كتابهما. ووفـق كونفـيرس، في ثمانينيات القرن العشرين فالرأي العام هو «ما تحاول تقديره استطلاعات الرأي العام» أو «ما تقدره بنسـبة متواضعة من الخطأ» (1987, S14). وتتداخل الدلالة المعاصرة للرأي العام، كـما تعبر عنها هيربسـت، مع «جـماع الآراء المعبر عنها مـن دون تحديد هوية» (1995، ص44).

وقد تعلق اهتمام المشتغلين بعلم النفس السياسي، فوق كل شيء، بـ «الأسس» أو بالمبـادئ التنظيمية للآراء. فلكي يتيسر فهم السـبب في أن المواطنين يختارون مناصرة سياسة بعينها على سياسة أخرى، ولماذا يعلنون أنهم، مثلا، مؤيدون لزواج المثليـين، فلا بد للمرء من فهـم المبادئ التي يقوم عليها الـرأي العام: التوجهات الأيديولوجية، (مثلا، الليبرالية في مواجهة المحافظة، اليسـار في مواجهة اليمين) أو

(*) Alfred Schutz (1899-1959): رجل البنوك والمحامي اليهودي النمسـاوي الذي أصبح أسـتاذ فلسفة أمريكيا بارزا.

(**) George Gallup (1901-1984): مؤسس معهد غالوب الأمريكي لاستطلاعات الرأي العام وSaul Forbes Rae (1914 - 1999) ديبلوماسي كندي من أصول يهودية ليتوانية، شارك غالوب في أبحاث حول الرأي العام.

السـمات المميزة جينيا (مثلا، المركزية الإثنية) أو القيم (مثلا، التعبير عن الذات). وعلى سـبيل المثـال، ففي معرض الكتابة عن الأسـس الإثنية المركـز للرأي العام يذهب كايندر وكام(*) (2009) إلى أن «الأمريكيين، بدرجة ما، يصدرون عن مركزية إثنيـة» وأن المركزيـة الإثنية لها تأثيرها في الطريقة التـي يفكر بها الأمريكيون في مجتمعهم وسياسـاتهم، وفي القضايا المطروحة للنقاش في المجال العام. ومن شأن التعرف على المبدأ (المبادئ) المنظم (المنظمة) للرأي العام أن يُكسـب الآراء بنية، وتماسكا واستقرارا.

ويعـد النموذج الـذي يطرحه جون زوللـر(**) واحدا من أوسـع نماذج الرأي العام قبولا، بين المشـتغلين بالعلوم السياسية. ويُفهم الرأي العام «باعتباره استجابة للكثافة والاسـتقرار النسـبيين لتدفقات متعارضـة لاتصالات ليبراليـة ومحافظة» (زوللر، [1992] 2005، ص185 - 6). ووفقا لاهتمامات الناس بالسياسـة، يتقرر ما إذا كانـوا سـيحصّلون معلومات «جديدة» أم لا، وكيف يكـون ذلك، فيما يتقرر ما إذا كانوا سـيقبلون بالمعلومات أم لا، وفقا لميولهم الأيديولوجية. ووفق زوللر فتلك الأفـكار المبرّزة والمتاحة، بدرجة كبـيرة، تصوغ المواقف التي يعـبر عنها المجيبون. والسـياق الذي يوصّفه زوللر هو سياق اختيارعقلاني محكوم بالمنطق، تساعد عليه يورستيات(***) معرفية منْ بينها المتاحية availability.

ويوصّف زوللر الجهاز (الفني) لتكوين الرأي والتعبير، لكنه لا يقدم تفسـيرا مقنعا للكيفية التي ينحاز align (إذا اسـتخدمنا مصطلح ليبمان) بها المواطنون (الناخبون) لشيء أو لشـخص أو ضدهما. وإذا اقتدينا بليبمان فقد يكون الأقرب إلى المنطـق أن نفترض أن المواطنين (الناخبين) ليسـوا، فقط، منخرطين في عملية اختيـار معرفي (أو في معاينة، إذا اسـتخدمنا مصطلح زوللـر). ويذهـب ليبمان إلى أن «مـا يفعلـه الجمهور ليس التعبير عن رأي بـل الانحياز لمقترح أو ضده» ([1927] 2009 ص51)[6]. وتفضي محاجة ليبمان إلى خلاصة راديكالية: الجمهور مجرد «شبح» أو فكرة مجردة[7].

(*) Cindy Kam و Donald Kinder: مؤلفا كتاب الأصول الإثنية المركز للرأي الأمريكي.

(**) John Zaller: أستاذ العلوم السياسية بجامعة كاليفورنيا، لوس آنجيليس، المتخصص بدراسات الرأي العام.

(***) heuristics تقانة تساعد على التعلم الذاتي عبر التجريب.

ويتناغــم موقف ليبــمان مع موقــف بلومــر(*) ([1948] 1969) ومع موقف بورديو(**) (1979). ففي Public Opinion and Public Opinion Polling (الرأي العام واســتطلاعات الرأي العام) يذهب بلومــر (1948، ص543)، بكل تصميم، إلى أن «الرأي العام يتخذ شكله من الإطار الاجتماعي الذي يتحرك فيه، ومن العمليات الاجتماعية الفاعلة داخل ذلك الإطار». ويكتب بلومر عن عجز اســتطلاعات الرأي عن «الإمســاك» بالآراء إبان تشــكلها وعندمــا تفعل فعلها في المجتمــع. وبورديو (1979) أكثر راديكالية. وبالنســبة إليه فـ «الرأي العام»، ببســاطة، لا وجود له. إنه «خرافــة» اجتماعية وسياســية؛ خرافة ذات قوة مائزة، يمكن للسياســيين، والدولة، وجماعات المصالح، وما شــابه، أن يستخدموها لمصلحتهم هم. وبالنسبة إلى بورديو فاستطلاعات الرأي، والاعتماد الزائد عليها، يخلقان بيئة سياسية «مصطنعة»، حيث لا تكون القضايا السياســية لدى القائمين على الاســتطلاع «قضايا» حقا، وفوق ذلك فهي ليست القضايا الحقيقية عند المواطن أو الناخب «العادي».

وبالنسبة إلى بلومر أو بورديو فالإحالة على «الرأي العام» مضللة، إذ إن الأبعاد «الحقيقية»، الفعلية، البراغماتية للمجال العام تجري التعمية عليها، بهذه الكيفية. لكن يبدو أن النشاط السياسي ذاته، والجدل العام، والتسويق السياسي وما إلى ذلك، لا يمكــن تصوره من دون (أو خارج) الإطار الــذي تطرحه عبارات مثل «الجمهور» أو «الشــعب» أو «الــرأي العام». والإحــالات البلاغية على النــاس الذين «لا تمكن ملاحظتهم» هي في قلب النداءات السياسية وصيحات الاحتشاد حول قيم، وأخلاق وسياســات وطنية. وإشارة نيكسون الشهيرة إلى «الأغلبية الصامتة» في أنجح خطاب لــه عن حــرب فيتنام مثال على ذلك. وما احتوى عليه مــن حض: «لنتّحد من أجل الســلام» هو صيحة للحشد بهدف تحقيق مســاندة يبدو أنها تعتمد على مجتمع غيرمرئي، مجتمع متخيل. وكما قال إيدلمان «فبالنسبة إلى أي من الباحثين عن سبب لمنــاصرة الرئيــس، تؤدي الأغلبية الصامتة الغرض منها حتــى إن لم يكن لها وجود» (1977، ص30). والبلاغة السياســية في مختلف أنحاء العالم مثقلة بمنطوقات تحيل

(*) Herbert George Blumer (1900-1987): أســتاذ علــم الاجتماع الأمريكي الذي ركــز على التفاعلية الرمزية ومناهج البحث الاجتماعي.

(**) Pierre Bourdieu (1930-2002): عالم الاجتماع والأنثروبولوجي والفيلسوف والمثقف الفرنسي الشهير المعني بديناميات السلطة في المجتمع.

على «النـــاس الذين لا تمكن ملاحظتهـــم»، («الجمهور»، «الأغلبية»، «الشـــعب»). وبالنسبة إلى السياسيين تطرح الإحالات، المنطوية على إشكالات، على «الشعب» أو «الأغلبية» أو «الجمهور» فرصا لوضع برامج سياســية ولتبرير المســاءلة عن الأفعال السياسية. وبالنسبة إلى الكتل الجماهيرية، فهي محفزات تشكل استجابات للهموم والمخاوف أو للأمل والتوقعات[8].

ويمكـــن التفكير في الرأي العـــام أيضا في ضوء وظائفه. وتميـــز نويل - نيومان[*] (1993) بين وظيفة جليّة للرأي العام وأخرى كامنة. وترتبط الوظيفة الجلية بتصور عـــن الرأي العام باعتبـــاره مرتبطا بعملية التخليق العقلانية للـــرأي وصناعة القرار في الكيانات السياســـية الديموقراطية. أما الوظيفة الكامنة فترتبط بتصور عن الرأي العام باعتباره أداة من أدوات «السيطرة الاجتماعية»، وظيفتها هي «تعزيز التكامل الاجتماعـــي وضمان وجود مســـتوى كاف من التوافق يمكـــن أن تقوم عليه الأفعال والقـــرارات» (نويل – نيومان، 1993، ص220). وبالنســـبة إلى آخرين، فيمكن فهم الرأي العام باعتباره، في آن معا، متغيرا مســـتقلا وكذلك غير مســـتقل (قارن بما جاء عنـــد فان دير آيـــك وفرانكلـــين[**] 2009) ومتطورا، في حركة طوليـــة، مع الوقت. وكمتغير غير مســـتقل فيمكن دراسته في ضوء علاقته بتأثير قادة الرأي، والجماعات المرجعيـــة، وتأطيرات الميديا، والتماهي مع القضايا، والتماهي مع الأحزاب. وكمتغير مســـتقل يمكن دراســـته من حيث تأثيره في صناع السياســـات وفي صنع السياسات. وسواء درس كمتغير مستقل أو غير مستقل، فالرأي العام يُصور بصورة الشيء القابل للتشغيل وللقياس[9].

ويحثنا باحثون آخرون على النظر إلى الرأي العام باعتباره ظاهرة «مُخلّقة»، أو «مصنوعة»، أو «مُهندَســـة». ووفق أوزبـــورن وروز (1999) فقد أدت العلوم الاجتماعيـــة (بمناهجهـــا، وتقاناتها، وفرضياتهـــا النظريـــة) دورا بالغ الأهمية في تخليق ما يدعونه «أشخاصا متشبثين بآرائهم opinionated» و«مجتمعا معجبا

(*) Elisabeth Noelle-Neumann (1916-2010): أســـتاذة العلوم السياسية بجامعة مينز الألمانية التي كتبت في صحيفة نازية في العام 1941عن ســـيطرة اليهود على الإعلام والرأي العام في الولايات المتحدة وغضب عليها النازيون عندما رفضت نشر صور تظهر الرئيس الأمريكي روزفلت بمظهر سيئ.

(**) Cees van der eijk: أســـتاذ مناهج البحث في العلوم الاجتماعية بجامعة نوتنغهام وMark Frankling مدير المرصد الأوروبي للديموقراطية بمركز روبرت شومان للدراسات المتقدمة بالجامعة الأوروبية.

بنفســه «opinioned»[*] (وانظر أيضا ريســمان 1954 حيث تجد رأيا أقدم وإن كان مشــابها). وكما يقول أوزبورن وروز فإن «ظاهرة الرأي هي من مشــغولات الإجــراءات التقنية التي صممت بهدف تصوير هذه الظاهرة» (1999، ص382؛ انظر أيضا باور وغاســكيل[**] 2008). وتميل تقانات استطلاع الرأي إلى التعمية على حقيقة أن «الناس يتعلمون تبني الآراء، وأنهم يصبحون أشــخاصا «متشبثين بــرأي»، بل ربما «معتزيــن باعتناقهم رأيا مــا» (1999، ص392، التوكيد منقول عــن الأصل) بالتفاعــلات والمحادثات مع الآخرين وعبرهــا، في العمليات الأولية والثانويــة لاكتســاب الطابع الاجتماعــي، وكجزء من الممارســات الاجتماعية في مختلف الثقافات. والطلب والضغط يتزايدان على الأفراد لكي يفتخروا باعتناقهم رأيا ما. ويطرح آتكينســون وســيلفرمان[***] (1997) رأيا مــؤداه أننا نعيش في مجتمــع «المقابلــة الصحافية» الذي «يخــترع» و«يُخلّق» و«ينتــج»، على نحو إستراتيجي، ذاتا متشبثة برأي[10].

مفارقات الرأي: التوجهات والتركيب البلاغي

صورة المواطن الديموقراطي، تلك الصورة التي نشأت عن الاهتمامات المبكرة باســتقرار النظم الديموقراطية وبالقدرة المدنية[****] لدى المواطن الديموقراطي (عــلى ســبيل المثال، بيريلســون[†] 1952 وكونفــيرس 1964) وعــن الاهتمامات المعاصرة بالتركيب البنيوي للأيديولوجية السياســية (على سبيل المثال، جوست[‡] وآخــرون 2009) هــي صورة المواطن القــادر على فهم المشــهد الأيديولوجي للقضايــا والولاءات السياســية و«الإبحار» عبره، مظهرا الاتســاق في المعتقدات والسلوكيات السياسية.

(*) في هذه الحالة يكون الرأي هو مصدرالعُجْب.

(**) George Gaskellو Martin Bauer: أســتاذا علم النفس الاجتماعي بمعهد علم النفس الاجتماعي بمدرســة لندن للاقتصاديات.

(***) Paul Atkinson: أســتاذ البحــث الاجتماعي بجامعة كارديف وDavid Silverman أســتاذ علم الاجتماع بكلية غولدسميثس التابعة لجامعة لندن.

(****) القدرة المدنية لدى الفرد هي جماع الميول والمهارات التي تجعله مقبلا على العمل النشــيط مع مواطنيه لحل مشكلات المجتمع.

(†) Bernard Berelson (1912-1979): أستاذ العلوم السلوكية الأمريكي.

(‡) John Jost: أستاذ علم النفس والعلوم السياسية بجامعة نيويورك.

وكما بينا فيما سلف، فإن «المثال» الديموقراطي يقوم على أن المواطنين يؤسسون سلوكهم السياسي على اختيار «قائم على معلومات»، وعلى الموازنة بين تفضيلاتهم إزاء القضايا العامة. وترتبط هذه الفكرة بالفرضية الأساسية في أي بحث يتناول الرأي العام مؤداها أن المواطنين لديهم مواقف جيدة التشكيل لحد معقول، إزاء القضايا السياسية الرئيسية، وأن الاستطلاعات يمكن استخدامها من أجل «حصد» هذه المواقف (زوللر وفيلدمان(*) 1992).

ويتوقف فهمنا لهذه النقطة، بالطبع، على الكيفية التي نعالج بها «المواقف» وما يمكن اعتباره خبرة سياسية. وعلى سبيل المثال فإن بارتيلز(**) (2003) يكتب: إذا فُهمت «المواقف» باعتبارها تقويمات موجزة ومتسقة منطقيا لأي موضوع سياسي يمكن تصوره... فإذن... سوف يرسب في الاختبار، على نحو روتيني، حتى المواطنون اليقظون الحائزون على قدر فخيم من المعلومات» (ص63). ويأتي وصف مقنع آخر من التقرير الكلاسيكي عن استطلاعات الرأي العام الذي وضعه غالوب وراي(***):

> قد يكون رجل ما غير قادر على استنطاق نص قانون بالتخصيص صادر عن الكونغرس، لكن بوسعه أن يقرر ما إذا كان موافقا على الأغراض التي من أجلها سوف يصار إلى تمريره، أو معترضا عليها؛ وقد يكون رجل ما قادرا على تفهم الأسباب الفنية التي أفضت به إلى البطالة، لكنه يدرك معنى أن يكون بلاعمل، وسوف تساهم خبرته في حل المشكلة العامة (1940، ص288).

وقد ينظر المشتغلون بعلم النفس السياسي المعاصرون إلى غالوب باعتباره مثاليا، على رغم أن التقانات التي ابتكرها هو وزملاؤه تستخدم اليوم لمقاومة المثالية، وللمحاجة ضد علم نفس سياسي يقوم على دراسة الدلالات والخبرات اليومية السياسية. لكن يبقى ممكنا الدفع بأن غالوب كان لديه إدراك قوي بأن

(*) Noah Feldman: أستاذ القانون والدين والعلوم السياسية بجامعة هارفارد.

(**) Larry Martin Bartels: أستاذ العلوم السياسية والمدير المشارك لمركز دراسة المؤسسات الديموقراطية بجامعة فاندربيلت الأمريكية.

(***) George Gallup (1901-1948): الرائد الأمريكي لتقانات العينة التي يقوم عليها استطلاع الرأي العام ومبتكر استطلاعات غالوب، وSaul Forbes Raeg (1914-1999) الدبلوماسي الكندي الذي شارك غالوب تأليف التقرير الشهير «نبض الديموقراطية» (1940)عن استطلاعات الرأي العام.

من يقوم باستطلاع الرأي عندما تتجمع لديه الآراء يتجمع لديه أيضا قدر لا بأس به من معلومات ثمينة للغاية، يمكن استخدامها لموضعة هذه الآراء داخل سياق اجتماعي ذي دلالة[11].

وكما قال لين[*] (1962) فإن «أفضل فهم للرأي، أو العقيدة، أو الموقف يتحصل في سياق آراء ومعتقدات، ومواقف أخرى، إذ إنها تضيء دلالاته، وترسم حدوده، وتعدّل وتضبط قوته» (ص9-10). وبالمثل، فإن ريسمان حث علماء الاجتماع على التحرك باتجاه دراسة «أرضيات الرأي» ودراسات العوالم الاجتماعية والسياسية حيث لكل مسألة جوانب متعددة وزوايا متعددة يمكن النظر منها إلى هذه المسألة، وكل منها خالطته درجات متباينة من المعنى والتأثير» (1954، ص494).

ويشير ريسمان ولين إلى أن المواقف والخبرات السياسية تنطوي على تركيب اجتماعي وسياسي ظاهر[12]. والفكرة القائلة إن الناس تحمل رؤوسهم أفكارا كاملة التكوين أو مواقف كاملة، أو «خليطا من أفكار واعتبارات ليست إلا متسقة جزئيا» (زوللر وفيلدمان، 1992، ص579)، هي فكرة يمكن القول إنها أقل أهمية من إثبات كيفية اشتباك الفاعلين الاجتماعيين أنفسهم مع الأيديولوجية والكيفية التي تُظهر بها مواقفهم تركيبا بلاغيا (بيلليغ 1992, 1996, 1996؛ كوندور[**]؛ غامسون[***]، 1992؛ ولين، 1962).

ولا يمكن المضي قدما باتجاه إجابة عن التساؤل حول ما يجذب الناس إلى تموضعات أيديولوجية مختلفة، من دون تفهم الكيفية التي يُظهر بها الفاعلون الاجتماعيون التركيب البلاغي، في التعبير عن مواقفهم. وعلى سبيل المثال، فحتى الآراء السياسية التي يمكن أن توصف بأنها «قوية» (بيلليغ 1991) أو «متطرفة» (تيليغا 2005) يمكن النظر إليها باعتبارها إنجازات بلاغية مرنة. فالمتحدثون والكتاب يولون بياناتهم شطر السياق الاجتماعي والبلاغي الذي يتحدثون أو يكتبون فيه. ويمكن حشد القيم والمعتقدات المشتركة، على نحو متنوع ومرن، وهي اللحمة والسدى للرؤية الشائعة للديموقراطيات. والخطاب المجتمعي (خصوصا الكلام على قضايا حساسة) مشبع بمعضلات أيديولوجية؛ وعلى سبيل المثال، إنكار التحيز،

(*) Robert lane: أستاذ العلوم السياسية بجامعة ييل.

(**) Susan Condor: أستاذة علم الاجتماع السياسي بجامعة لوفبره.

(***) William Anthony Gamson: أستاذ علم الاجتماع بكلية بوسطن، وهي جامعة يسوعية خاصة.

حيـث يجري إنكار التحيز وتأبيده، في آن معا (بيلليغ، 1985، فان ديجك(*) 1987)، أو مناقضة التمييز الإيجابي affirmative action، حيث تمتزج موروثات التسـامح بموروثات اللاتسامح (أغوسطينوس(**) وآخرون 2005).

وقد يكـون الأجدى (والأفضل) التفكّر في المواقـف باعتبارها تموضعات بلاغية إزاء مسـائل مختلف حولهـا (بيلليغ، 1996)، نواتج لمقابـلات اجتماعية - اتصالية وممارسات جمعية، بأكثر مما هي ملامح سابقة الوجود لأناس يجري التعبير عنهم، وفق الطلب، في اسـتطلاعات الرأي (كوندور وغيبسون 2007؛ ومايرز 1998؛ وبوكتا وبوتر 2004) (انظر أيضا الفصلين 8 و9 من أجل مناقشـة مفصلة لبعض تداعيات هذا التموضع، خصوصا عند تطبيقه على بحوث الخطاب السياسي).

وكـما بيّن بيلليـغ وآخـرون (1988) فالرؤية المشـتركة أوالأيديولوجية ليسـتا توحيديتـين بل هـما إشـكاليتان، إذ إنهما تشـتملان على موضوعات اسـتعدائية ومعاكسة. ومن دون موضوعات معاكسة كهذه فلا يمكن أن توجد مواقف أو قيم؛ ولا يمكن أن تكون هناك محاجة.

إشكالات الأيديولوجية: الحنين إلى الماضي الشيوعي

يقدم الناس إجابات مباشرة وغير متناقضة حول معظم القضايا السياسية والمتصلة بالسياسـات، ولكن فيما عدا ذلك فالمفارقات وفيرة. وظاهرة «النوستالجيا(***) إلى الاشـتراكية/ الشـيوعية» (إيكمان وليند 2005؛ تودوروفا وجيـل 2010؛ فيليكونجا 2009؛ وويللينغـر(****) 2007)[13] هي مثال على ذلك. وإحدى الملاحظات الأجدر بالاهتمام حول التصالح مع الماضي الشـيوعي (وموروثـه) في أوروبا الشرقية تتصل

(*) Teun Adrianus van Dijk: باحث هولندي في ألسنيات النص.

(**) Martha Agoustinos: أستاذة علم النفس بجامعة آديليد الأسترالية.

(***) النوستالجيا: الحنين إلى الماضي. [المترجم].

(****) Joakim Ekman: أسـتاذ العلوم السياسـية بجامعة سـودرتور السـويدية، Jonas Linde أسـتاذ العلوم السياسـية بجامعة بيرغن النرويجية، Maria Todorova المؤرخة والفيلسـوفة البلغارية، Zsuzsa Gille الأسـتاذة المسـاعدة لعلم الاجتماع بجامعة إلينوي، Urska Velikonja الأسـتاذة المساعدة بمدرسـة القانون بجامعة إيموري الأمريكية، Markus Willinger المؤلف النمسـاوي اليمينـي المولود في العام 1992 ومؤلف كتاب Die identitäre Generation الذي حاز شـهرة عالمية وترجم للإنجليزية بعنوان Generation Identity: A Declaration of War Against the «68ers [هوية جيل: إعلان الحرب على من بلغوا الثامنة والستين].

بمثابرة الذهنية التي يعتبرها البعض دائمة التطلع إلى الخلف ومعادية للديموقراطية. وكما قال بريدام فإن «الموروث الذي يثبت، عادة، أنه الأكثر استعصاء على المعالجة لا يكون مؤسسيا بقدر ما يكون متعلقا بالمواقف» (2000، ص49).

وتعكس أغلبية استطلاعات/ مسوح الرأي العام في أوروبا الشرقية «الموروث المواقفي» الذي يشير إليه بريدام. فبدلا من توافق وطني صريح وعقلاني نسبيا حول التقويم الخلقي الرسمي للذاكرة الجمعية للشيوعية (المعادية لحقوق الإنسان، اللاشرعية، الإجرامية) (انظر، مثلا، تقرير تيسمانينو (2008) حول إدانة الشيوعية في رومانيا، والفصل السادس من أجل مقاربات حول الشيوعية في الذاكرة الجمعية)، ويلحظ المرء ظاهرة معاصرة لافتة ومحيرة: رؤى إيجابية شائعة حول المرحلة الشيوعية.

ويُنظر إلى الرؤى الإيجابية الشائعة حول الشيوعية، عادة، باعتبارها «متناقضة»، أو «مستفزة»، أو «مربكة للعقل»، أو «شاذة»، أو «مختلطة». وبالنسبة إلى بعض الباحثين، يمكن تفسير هذه الرؤى باعتبارها «أزمة الذاكرة الجمعية» (شتومبكا 2004، ص183). وبالنسبة إلى آخرين، تعكس النوستالجيا للماضي الشيوعي «طوبوية ارتدادية... تشوفا وتطلعا إلى العالم الآمن، والمجتمع العادل، والصداقات الحقيقية، والتضامن المتبادل / والرفاه بشكل عام، وتعبر عنهما» (فيليكونجا، 2009، ص547-8).

وتطرح فيليكونجا (2009) عدة أمثلة لمسوح متنوعة للجمهور، أجريت في أقطار مختلفة في أوروبا الشرقية، تظهر مواقف «نوستالجية» إزاء الماضي الشيوعي/ الاشتراكي القريب. ففي 1999 اعتبر 50 في المائة من السلوفاك أن النظام الاشتراكي السالف أفضل من «الديموقراطية الراهنة». وفي العام ذاته، في روسيا، تبين أن 85 في المائة من الروس آسفون على سقوط الشيوعية والاتحاد السوفييتي. وفي 2004، تراجع المعدل إلى 74 في المائة. وفي العام 2002، قال 56 في المائة من البولنديين، في استطلاعات للرأي، إن الحياة «في الماضي كانت أفضل». وفي 1995 و2003 اعتبر 88 في المائة ثم 86 في المائة من السلوفانيين، على التوالي، أن الحياة في يوغسلافيا السابقة كانت «طيبة» و«طيبة جدا». وفي تاريخ أقرب (2009)، أعلن 72 في المائة من الهنغاريين، و62 في المائة من البلغار والأوكرانيين، و60 في المائة من الرومانيين، و45 في المائة من الروس،

و42 في المائة من اللتوانيين والسلوفاك، و39 في المائة من التشيك، و35 في المائة من البولنديين أنهم يعيشون في حال أسوأ مما كانوا عليه أيام الشيوعية.

وتظهر استطلاعات للرأي في رومانيا، قريبة العهد، أجريت بتكليف من معهد التحقيق في الجرائم الشيوعية وذاكرة المنفى الروماني والمعهد الروماني للتقويم والإستراتيجية تناقضات صارخة في الرأي. فعلى رغم أن 50 في المائة يعتقدون أن الأمور كانت «أفضل في الماضي»، قبل ديسمبر 1989، فإن 41 في المائة يعتقدون بالفعل أن النظام الشيوعي كان «إجراميا». وعلى رغم أن أكثر من نصف الرومانيين يعتقدون أن الشيوعية كانت نظاما قمعيا، فإن 13 في المائة منهم فقط هم الذين يعتبرون أنهم «عانوا» في ظل الشيوعية. وعلى رغم أن أكثر من نصف الرومانيين يعتبرون الاطلاع على ملفات الشرطة السرية الشيوعية أمرا غير ذي بال، فإن أغلبية كبيرة تعتقد أن من تعاونوا مع الشرطة السرية يتعين ألا يشغلوا مناصب عامة.

وفي سياق التصورات الإيجابية لدى الجمهور حول الشيوعية، يتحول الرأي العام إلى مشكلة اجتماعية، مشكلة تتطلب تفسيرا: كيف تأتى للناس أن يتحسروا على النظام الشيوعي؟ كيف أمكن للناس أن يتجاهلوا موروثه الإجرامي والقمعي؟ في حدود التجربة الرومانية، يعد «الحنين» إلى الشيوعية والآراء المتناقضة والمتنوعة، (ويُفسّر)، باعتباره «هروبا من الحرية» (تيسمانينو، 2010، أ)، «شكاة تستدعى عند اللزوم»، فيما يتصل بـ «الإحباطات اليومية الراهنة» و«أزمات الهوية» (تيسمانينو، 2010، ب). وفي تجارب أخرى، يُنظر إلى الحنين للشيوعية وللآراء المتناقضة على أنها تنبع من غياب إدارة نخبوية للذاكرة الاجتماعية، وغياب المعلومات والرؤى الفردية، وسقطات الذاكرة والتشوش العميق في الأفكار، والقيم، والرؤى، وتفسر بهذا كله:

> يفتقر الجمهور إلى فهم ناضج لـ «المقاساة» التي وقعت في ظل النظام الشيوعي. ويحتاج المرء إلى أن يشرح، حتى يتوافر، لديه هو، فهم للطبيعة الإجرامية للديكتاتورية... فتصور المرء لنفسه ضحية لنظام شمولي، يسفر عن تفهم كامل للفاعليات الداخلية للنظام... وهناك خطر تخليق ذاكرة انتقائية عن الشيوعية، تقوم على الخبرة الشخصية، في المقام الأول، ولا تلقي بالا للطبيعة القمعية للنظام (ياكوب 2010).

الجديـــر بالاهتمام هو أن هذه التفاســير تضــع الالتباســات، والتناقضات، والمفارقات، تحت «ســيطرة» مفهوم معياري للمجتمع، والسياســات، والأخلاق (وتمثيــل معياري للماضي القريب)[14]. لكن هذه التفســيرات تشــير، ليس فقط إلى مفهــوم معياري للمجتمع، والسياســات، والأخلاق، بــل أيضا إلى مفهوم عن الشــخص، ذي الرأس الفــارغ، أو المرتبك الفكر، المشــوش، المفتقــد إلى قدرات مدنيــة وديموقراطية، وبذلك فهــي تزودنا بتقرير غير يقينــي، ولا يعتمد عليه، وغالبــا ما يكون مضلــلا (ويمكن أن يكون لاأخلاقيا)، حول مــا يمثل، في «الواقع الفعــلي» «حقيقة «الشــيوعية. ولا يبدو أن هذه التفاســير تأخــذ في اعتبارها حقيقة أن «الآراء حول القضايا المختلف عليها هي دائما ملتبســة... وتتميز بأنها سريعــة الزوال وعرضــة لأن تتغير مع ظهور مؤشرات جديــدة (إيدلمان، 2001، ص55). والتفســيرات تطمــس تعددية الأطر الاجتماعية للذاكــرة (آلبفاكس(*)، [1952] 1992)، وتعددية الواقع، والذكريات والدلالات التي تلحق بالشــيوعية باعتبارها «أيديولوجية معيشــة». ومثل هذه التفاســير تعجــز عن التوافق مع فكــرة أن الأيديولوجية تشــتمل على تيمات متناقضة (بيليــغ وآخرون، 1988). وعلى نحو أعم، فهذه التفاســير، على ما يبدو، تقلل من شــأن الفكرة القائلة إنه ليس كل أعضاء المجتمع يأخــذون القطاع/ الشريحة ذاتها من العالم الاجتماعي والســياسي كــشيء «ثابت» على نحو لا يحتمل التســاؤل. ويمكن لهذا أن يخفي تعددية «أسس الرأي» وتنوع تجمعات وشبكات هويات التفاسير(بوكور 2009؛ غالينات(**) 2009).

وتُطرح هذه التفاســير بروحية هي أقرب إلى أفــكار كونفيرس: أن بعض الناس يعجز عن تكوين معتقدات سياســية ذات مغزى، وأن معظم الناس «بريء» (حتى لا يقال جاهل) فيما يتصل بالمســائل السياسية والأيديولوجية، حتى أنهم يعجزون عــن «إدراك» ما يربط بين مختلف المســائل أو يعجزون عن «الربط» بينها، حيثما نشــأت الحاجة لذلك، ويعجزون عن التوصل إلى تصورات أيديولوجية ذات مغزى.

(*) Maurice Halbwachs: عالم اجتماع فرنسي من أتباع دوركايم.

(**) Maria Bucur: أســتاذة التاريخ الأوروبي بجامعة إلينوي وJürgen Gallinat أســتاذ الصحة النفسية بجامعة تشاريتي الألمانية.

ودور النخبــة، ودور التربية، هــو غرس القيم والفضائل المرغوبــة في رؤوس الناس العاديين/ المواطنين. فالجمهور «عبيط» و«قابل لأن يوحى إليه» و«يســهل التلاعب بــه»، ولا تتوافــر لديه القدرة على فهــم تعقيد الحياة السياســية. وهذا له دلالاته عند دراســة الرأي العام، والمعرفة السياسية، والاختيار السياسي. والقول إن المعرفة بالحيــاة السياســية أو بث المعلومات (في هذه الحالة الشــيوعية) يجري توزيعهما في المجتمــع، على نحو متفــاوت، قد يكون صحيحا. وعادة مــا يُدفع بأن المواطنين يتصرفــون في عالم من انعدام اليقين، حيث تغيــب «المعلومات الكاملة»: من يقرر ذلــك؟ ضد ماذا؟ ولتجــاوز هذا الإلغاز فــإن دالتون يميز بين الخيــارات العقلانية والخيــارات المعقولة («الجيدة بما يكفــي»). وبرأيه، فإن «الخيارات الجيدة إلى حد بعيد - ليســت الخيــارات الكاملة - هي أســاس الديموقراطيــة» (2008، ص27). والتصورات الإيجابية الشائعة بين الناس عن الشيوعية هي تخمينات جيدة إلى حد بعيد، وليســت تخمينات كاملة، ويمكن القول إنهــا لا تعكس إلا تناقضات واضحة وخبرات متنوعة.

والمواقف من الماضي القريب (وكذلك المعلومات السياســية) ليســت مواقف قائمة أو ســابقة الوجود، يجري بعد ذلك جمعها عبراســتطلاعات الرأي، بل الأرجح أنها دوارة أو يجري تدويرها من قبل فاعلين اجتماعيين ناشــطين، على مســتويات متباينــة من التنظيــم الاجتماعي، باســتخدام السرديــات، والســجلات المكتوبة، والمشــغولات المادية (فيرتش، 2007). وعلى رغم أن نتائج استطلاعات الرأي يمكن تفســيرها، على أسس نفسية، واجتماعية، وسياســية، فإن قلب هذه المواقف التي تبــدو متناقضــة، وطبيعتها، يبقيان بعيدين عن التناول. ويواجه مســتطلعو الرأي والمعلقون صعوبات تنشأ عن الرغبة في تحقيق «معرفة موضوعية وقابلة للبرهنة، ببنيــة دلاليــة ذاتيــة» (شــوتز، 1973، ص36). ولا يؤشر وجود مواقف ملتبســة ومتناقضة من الشيوعية، بالضرورة، إلى نقص في المعرفة أو الرؤية، نقص في القدرة أو في الكفــاءة الديموقراطية، أو إلى تدني التنظيم المفهومي، بقدر ما يكشــف عن خاصية أساســية في كيفية عمل المفهومات الشائعة، وكيفية إعادة إنتاجها من قبل الفاعلين الاجتماعيين في المجتمع (بيليغ، 1996؛ ويذريل وبوتر 1980). وهذا يؤشر إلى الطبيعة السجالية للحياة الاجتماعية، حيث اعتناق الرأي هو، في الأساس عملية

ناقصـة التجهيز تقوم على المجادلة والمناظـرة. (بيليغ 1996). والمواقف والدلالات التـي يربطها العامة بالماضي الشـيوعي القريب، بعيدة عن الاتسـاق، والتجانس، والتوقع. ولا بد للباحثين من النظر إلى ما هو أبعد من تفسـير نتائج اسـتطلاعات الرأي، وصولا إلى تحليل السـياق السـجالي الاجتماعي السـالف والراهن، المتصل بتكوين آراء ورؤى حول الشـيوعية، باعتبار هذا السـياق ظاهرة اجتماعية البنية، تكتسب دلالات وتفاسير تتنوع بتنوع الأشخاص.

وضع نموذج للتنوع: الرأي العام كممارسة

وصّـف هذا الفصل الافتراضات الأساسـية وراء البحث في الرأي العام والتركيب البلاغـي للمواقف من الماضي القريب (الحنين للشـيوعية) وفهمهما. وقد ركز هذا الفصل، بالأسـاس، على الكفـاءة الديموقراطية للمواطنين. ويسـحب الفصل التالي (الفصـل الثـاني) هذه المحاجة عـلى الكفـاءة الديموقراطية للأمم وانتشـار القيم الديموقراطية. وقد دفع هذا الفصل بأن المواقف تحوز تركيبا بلاغيا شديد الوضوح. والبحـث في المواقـف باعتبارها إنجازات بلاغية هو تكملـة مائزة وأصيلة تحتاجها بشـدة المقاربـات القائمة التي تزعم أن الناس يحملون في رؤوسـهم مواقف كاملة التكوين أو مُفعّلة. وينطوي هذا البحث على إمكان الانتقال بعلم النفس السـياسي المشتغل على الرأي العام، من تركيز، يكاد يكون حصريا، على معالجة المعلومات، إلى دراسة الكيفية والسببية اللتين تجعلان الآراء محط اهتمام الناس.

ولا ريب أنه يمكن الدفع بأن التحدي «الجديد» لعلم النفس السياسي المشتغل على المعتقـدات الجماهيرية وعلى الكتل الجماهيرية هو وضع نموذج لـ «التنوع»؛ أي طرح تفسير ممنهج لتنوع الآراء، والمواقف، والرؤى، والأطر التي تتألف منها المجالات العامة الوطنية والمتجاوزة للوطنية. وحتى الآن فقد جاء الرد على هذا التحدي في صورة تعقيد متزايـد في تقانات القيـاس ؛ وعلى رغم ذلك فالأحجيات باقيـة. وفيما يطلع الباحثون بمناهج متزايدة التعقيد لقياس آراء المواطنين، فهذه المناهج لا تفضي، على نحو آلي، إلى فهـم أكثر تركيبا لمُركّبات الآراء، والمواقـف، والأيديولوجية. وبين ما يترتب على هذا أن المشتغلين بعلم النفس السياسي يحيلون على فرد/ مواطن باعتباره «متوسطا إحصائيا» أكثر مما يحيلون على فرد راهن. وإذ يفعلون ذلك، فهم يقدمون «الوطني على المحلي،

والجمعي على الفـردي، والمعتاد على الفريد» (إيغـو[*]، 2007، ص282)[15]. وفي هذا السـياق تتزايد أهمية فهم الرأي العام وبحثه، من حيث هو أسـاس الحياة السياسية الديموقراطية «المثالية»، وأيضا باعتباره ممارسة.

ويسـتدعي فهم الرأي العام كممارسة الإحالة، ليس فقط على قياس «الذاتية الجماهيريـة» والكتل الجماهيريـة، لكن أيضا، وقد يكون هـذا أكثر أهمية، على تخليـق الذاتية الجماهيريـة والكتل الجماهيرية. وكما بينـا في هذا الفصل، فمن الممكن التفكير بالكتـل الجماهيرية وبالذاتية الجماهيرية أيضـا، باعتبارها نتاجا لمناهج العلوم الاجتماعية والإجراءات الإمبيريقية السائدة في زمن معين في المجتمع. وتنحت مناهج البحث المواطن «النمطي» أو الناخب «العادي» مستقطعة الاثنين من النسـيج الوطني أو المتجاوز للوطنية. وفي بحثهم عـن المواطن الديموقراطي «المثالي»، صاغ المشـتغلون بعلم النفس السـياسي ثقافة أكاديمية وسياسـية يقع في مركزها الفرد باعتباره «متوسـطا إحصائيا». والمشتغلون بعلم النفس السياسي بالغـو الانشـغال بالبحث عـن ذلك «المتغير» المـراوغ (أو عن حزمـة المتغيرات المراوغة) الذي يمكن له التنبؤ بالسلوك السياسي للفرد، بل حتى، بالسلوك السياسي للجمهـور. وبعملهم هذا فهم يشـظون الحياة الاجتماعية والسياسـية لتناسـب أغـراض بحثهم الموضوعي الإمبيريقي، عوضا عن تقصي الكيفية التي تُشـظي بها الحياة الاجتماعية والسياسـية نفسـها، وفقا لخطوط عريضة، ، ذاتوية، ونسـبية، وظرفيـة. ويمكن الدفع بأنهـم يهملون فكرة مؤداها أن ما نحيـل عليه، باعتباره «الرأي العام» هو، بدوره، طارئ على السياقات التاريخية، والسياسية، والمؤسسية، والتكنولوجية التي يتفاعل معها الفاعلون الاجتماعيون، والتي تسـمح لنا بالكلام على «رأي عام»، في المحل الأول.

وعادة ما تسترشد الطريقة التي تقوم عليها مقاربة علم النفس السياسي من الرأي العام وعلاقته بالسـلوك السـياسي برؤية معيارية للديموقراطية، والسياسة، والأخلاق. ويغلب على المشـتغلين بعلم النفس السـياسي الميل إلى اختبار نماذج رؤيوية للكيفية التـي يتعين أن يتمظهر بها الرأي العام، أكثر من الميل إلى اختبار نماذج رؤيوية للكيفية التـي يتمظهر بها، فعلا. ويتعين أن ينـصرف الجانب الأكبر من التركيز إلى الكيفية التي

(*) Sarah Igo: أستاذ التاريخ بجامعة فندربيلت.

يصطنع بها الناس فهما مشــتركا common sense لذواتهم وللسياسات التي يتبعونها، لا إلى ما يتعين أن تكون عليه هذه الكيفية (انظر لاكوف، 2002). وفوق ذلك، فعندما يعرب المشتغلون بعلم النفس السياسي عن توقعات متفائلة أو متشائمة حول «نوعية» الرأي العام، أو القدرة الديموقراطية أو المدنية، فهم يعبرون أيضا، وبشــكل ضمني، عن أحــكام قيمة بحق فئات من الناس هي «صالحــة» للديموقراطية. ولا بد من أن يتذكر المرء أن «مثال» المواطن الديموقراطي لا يشــمل الجميع، وفي أغلبية المجتمعات ما بعد الصناعية، فهذا المثال يستبعد الأقليات، والمهاجرين، وما إلى ذلك.

وقد جــرى العرف عــلى النظــر إلى التناقضات، وغيــاب الاتســاق، والازدواجية، والمعضــلات، باعتبارهــا دليلا على لاعقلانية الفهم المشــترك. وعــلى النقيض من ذلك، فيمكــن القول إن المظاهر المتضاربة للفهم المشــترك (للثقافة) تمثــل، تحديدا، الشرط المسبق للمداولة العقلانية داخل صفوف أعضاء مجتمع بعينه، وفيما بين هؤلاء الأعضاء. وتعني الطبيعة المعضلة للفهم المشترك أن المواقف والمحاجات السياسية يجري التعبير عنهــا، غالبا، على نحو متحفظ واحترازي («من ناحية... ومن الناحية الأخرى»)، ويمكن فهمها على أنها شــأن بلاغي غير مكتمــل التجهيز، فيما يتصل بأمور مختلف عليها. ولا يجــب أن يتخــلى المرء عن الفكرة القائلــة إن الحكومة الديموقراطيــة يمكن أن تكون التعبــير المباشر عن إرادة الناس. وكل ما يحتاجه المــرء هو أن يدرس العلاقة على نحو مختلف. ويجب أن يزيد بحث علم النفس الســياسي فيما يتوقعه المواطنون أنفســهم مــن الديموقراطيــة، وأن يقل بحثه فيما تتوقعه الديموقراطيــة من الناس. فلا يمكن أن يوجــد رأي عام مــن دون جماهير، ولا جماهــير من دون اتصال، ومــن دون تمثيلات مختلفة للمجتمع وللشــخصانية personhood تنشئ هذه الجماهير بنيتها وديمومتها (انظر الفصل الرابع عن الصلات بين المعتقدات والتمثيلات الاجتماعية والاتصال) ومن دون الإستراتيجيات الخطابية التي يوظفها الفاعلون الاجتماعيون والسياسيون لاصطناع فهم لذواتهم وللواقع الســياسي (انظر الفصلين السابع والثامن حول الخطاب والبلاغة السياســية). ويحتاج المرء إلى الانتقال من الفرد «كمتوســط تحصل بعملية إحصائية» (المنتوج الثانوي لعمليات مســح) باتجاه «الفرد المعضل» (الفرد الذي يكون اصطناعه لفهم ذاته ولسياساته عملية غير كاملة التجهيز من المحاجة والمناظرة)، وهو انتقال من معالجة المعلومات، للمضي باتجاه الخطاب والاتصال.

2

الذاتية الجماهيرية والقيم وتعزيز الديموقراطية

«غالبا يتوصل الناس إلى حلول وسط بين المُثل الأخلاقية والمعايير الصارمة والضغوط البراغماتية؛ فبوسعهم استخدام نُسخ من الأخلاق تناسب المقام لتبرير أفعالهم وأفعال الآخرين»

الذاتية الجماهيرية والكفاءة الديموقراطية للأمم

وفقا لما قلنا به في الفصل الأول، يسكن المواطنون والجماهير «بيئة سياسية يتواصل فيها تشجيعهم، من قبل فاعلين متنوعين، على التعبير عن آرائهم» (ستينر، 2007، ص157). وبعض الفاعلين الاجتماعيين الذين يحيل عليهم ستينر هم أكاديميون مشتغلون بعلم النفس، خبراء في استطلاع الرأي العام مهتمون بتوصيف وتوزيع الأبعاد المختلفة للسلوك الاجتماعي والسياسي الكلي: المواقف، والدوافع، والتفضيلات، والرغائب، والتوجهات القيمية، وما إلى ذلك. وقد تكون التوجهات القيمية هي الأكثر أهمية فيما يخص فهم قضايا تتعلق بالمواقف السياسية، والتحول الاجتماعي والسياسي، والمشاركة السياسية (إنغلهارت، 2009)(*).

(*) Ronald Inglehart أستاذ العلوم السياسية بجامعة ميتشيغان.

ويرسـم هـذا الفصل صـورة سريعـة لمختلف محـاولات توصيـف البنية السـيكولوجية الشـاملة للقيم والدلالات النفسـية لمثل هـذه المحاولات لفهم تعزيز الديموقراطية والدمقرطة. ويستكشـف الفصل التوتر بين النماذج الكلية والشـمولية، والتمظهرات الخصوصية، الشرطية والسـياقية، للسـلوك السياسي. وبالتركيـز على مسـألة تعزيـز الديموقراطية، فـإن هذا الفصل يبيـن كيف أن التوجهـات القيميـة لا يمكـن تصورها على نحو مُـرْضٍ، خارج إطـار «بَيْذاتي» inter-subjective وخـارج طرائـق اعتيادية للتدبـر في القيم. ولا يمكن لتعزيز «الديموقراطية الشكلية» أن يكون فعالا خارج إطار القيم الجماهيرية المطروحة مـن قبل الظرف الاجتماعي- السـياسي القائم. ويختتـم الفصل بالقول بضرورة معالجة القيم باعتبارها موارد سـجالية مشروطة بحـالات أيديولوجية وثقافية، وبأنه يتعين على الباحثين التأكيد، ليس فقط على ملامحها الشـمولية، بل وعلى ملامحها الخصوصية، ولاسيما الطبيعة المتشظية، والمتعددة، وغير كاملة التجهيز لبحوث القيمة، والتعبيرات القيمية، والتوجهات القيمية.

وتجري مسـاندة الفعل الاجتماعي والسـياسي، وتقويم السياسات الاجتماعية والحكم عليها، أو معارضتها، على أساس فهم يقول بأنها تعيد إنتاج قيم هي موضع اعتـزاز، وتعوق إعادة إنتاج قيم ضارة. وبالنسـبة إلى البعض، فتعزيز الديموقراطية والقيم الديموقراطية هو المثل الإنسـانوي الأعلى. ويستكشـف هذا الفصل حدود الفكرة القائلة بأن القوة الدافعة وراء فهم العملية الديموقراطية تتمثل في التجميع المحكـم للتفضيلات، والرغائب، والقيم الشـخصية، وما شـابه ذلـك من مكونات دراسة واسعة النطاق للذاتية الجماهيرية. وعلم النفس المعاصر المشتغل على القيم الإنسـانية هو تعبير مباشر عن هذا التوجه (إنغلهـارت وويلزل، 2005)(*). وصورة المجتمع التي تنشـأ عن هذه الانشغالات هي صورة كيان سياسي قادر على التعبير عـن قيم ديموقراطية، ويسـتند أداؤه إلى مجموعة واضحة مـن التوجهات القيمية (الديموقراطية) الجماهيرية.

وقـد دفع الفصل الأول بوجود توجه واسـع الانتشـار لاعتبار الناس عصيين على التنبؤ، وغير متسـقين مع أنفسهم، لدرجة تحول دون الإمساك بالتعقيدات

(*) Christian Welzel أستاذ العلوم السياسية بجامعة ليوفانا الألمانية.

الأيديولوجيـــة للحياة السياســـية. وغرس الــرؤى، والقيم، والتوجهــات القيمية المرغوبــة، في رؤوس الأفــراد، والجماعــات، والمجتمعــات، هي مهمــة النخب، والخبراء، وفي بعض الحالات الدولة. وبحســـب إنغلهارت (2003) يرتبط الانتصار للديموقراطيــة، برباط وثيــق، مع توجهات قيمية مثل التســامح مع الجماعات المغايرة، والثقة الشخصية، والمشــاركة السياسية، والشعور بالرفاه الذاتي. ويقال إن قياســات القيــم الكلية لمثــل هذه التوجهــات القيمية، توصِّــف التوجهات والمعتقدات السياسية الديموقراطية، في مجتمعات بالغة التباين ولدى مواطنيها، توصيفــا دقيقا. وعلى رغم ذلك، وكما ســيبين هذا الفصــل، فحقائق الدمقرطة بالغة التركيب، وتتطلب أطرا تفســيرية مركبة، وقد لا تتناســب، بشكل محكم، مع الارتباط (الشــامل) المتوقـع بين القيم الجمعية الكلية، والثقافة السياســية، والرؤيــة الديموقراطية. وقد تعجز بعض الكتــل الجماهيرية عن إظهار النموذج المعياري لـ «الديموقراطية».

ويذهب هذا الفصل إلى أن مسألة الذاتية الجماهيرية لا يتعين اختزالها في قياسات للأعــراض المواقفية، بل يجمُل الصعود بهــا لتصبح ناتجا لمقابلات اجتماعية - اتصالية، ودراســتها على هذا الأســاس. وإن صــح أن القيم يمكن تعريفها كمســتويات معيارية معممــة، كمقاييس يســتخدمها النــاس لاختيار الأفعــال وتبريرها، ولتقويم أنفســهم والآخرين، فيتعين، إذن، أن تدرس القيم باعتبارها، وبدرجة أكبر، موارد جدالية مشروطة بحــالات أيديولوجية وثقافية: طرائق للكلام عــن الناس، والمجتمع، والديموقراطية، وما شابه، وبدرجة أقل، باعتبارها ملامح نماذج إحصائية، تنبئية، عابرة للسياقات الاجتماعية والسياسية، ولخبرات الحياة.

البنية النفسية الشاملة للقيم الإنسانية

إلى جانب التصويت، والثقة، والنشاط الاجتماعي والعضوية في مجتمع ما، فإن القيم الاجتماعية هي بعض المقاييس الأكثر شيوعا للصحة المدنية (الديموقراطية). فالقيم والتوجهات القيمية لها أهميتها الخاصة في توصيف السياســات (والتنظيم السياسي) للمجتمعات. وعلى ســبيل المثال، يصف المعلقون السياسات الأمريكية المعــاصرة بأنها مزاج ثلاثة توجهات قيمية (وهي الفردانية، والمســاواتية، وما بعد

المادية)، في حين يغلب على من يصفون السياسات الأوروبية المعاصرة الميل إلى النظر فيها، في الغالب، على أساس المجتمعانية communitarianism. ومعظم القيم هي «رموز مركبة»، بما يعني أنها تشتمل، تحت «عنوان» معين، على توجهات وفرضيات مجتمعية وقيمية مختلفة أخرى. فالفردانية الأمريكية تشتمل على فرضيات وتوجهات تتصل بالحقوق الفردية المتساوية، وبتكافؤ الفرص، وبالحكومة المحدودة، وبسياسات دعه يعمل laissez – faire وما إلى ذلك. (ليوكس(*) 1973)، كما تتصل بالفضائل (العمل الدؤوب، والتضحية). أما «المجتمعانية» الأوروبية فتشتمل على فرضيات وتوجهات تتصل بدولة الرفاه وبالسياسات التي تقودها الدولة.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار تاريخ البحث في القيم الإنسانية، فسوف يكون بوسعنا أن نلاحظ الانتقال من النماذج القيمية الأحادية البعد إلى تلك المتعددة الأبعاد (في ما يخص الأسس النظرية والجذور التاريخية للبحوث حول القيمة، انظر تسيروجياني وغاسكيل، 2011)(**). وقد تكون المحاولة الأكثر تأثيرا بين المحاولات المبكرة لفهم الديناميـة الاجتماعية للقيمة الاجتماعية هي تلك التي طرحها روكيتش(***) (1968). وتقوم هذه المحاولة على تصور يعتبر القيم المبادئ المرشدة في حياة الناس[1]. وبالنسبة إلى روكيتش، يجري تشبيه القيم بالتصور عن الذات أو الشخصية وتحكمها علاقة الاعتماد المتبادل بين «المرغوب فيه» و«ما يستحق أن يكون مرغوبا فيه». وافترض روكيتش وجود علاقة بالغة القوة بين القيم، والمواقف، والسلوك، مع التنبيه إلى تمظهرات القيم، المعلنة والكامنة، كليهما.

وإذ يصعد من المستوى الفردي إلى مجال الأيديولوجيا السياسية، فإن روكيتش يطرح (1973) فكرة تقول بأن بوسع المرء التوصل إلى فهم أكثر تركيبا للأيديولوجيات السياسية، لو أن هذه الأيديولوجيات جرى تصورها باستخدام نموذج ذي بعد قيمي مزدوج: «المساواة» (فرص متساوية للجميع، رفاقية) و«الحرية» (الاختيار الحر،

(*) Steven Michael Lukes منظر سياسي واجتماعي أمريكي.

(**) Stavroula Tsirogianni وGeorge Gaskell من مدرسة لندن للاقتصاد.

(***) Milton Rokeach (1918-1988) أستاذ الاجتماع الأمريكي البولندي المولد.

الاســـتقلال). ووفقا لرؤية روكيتش، فإن تفاوت النسب (مرتفع مقابل منخفض) في المســـاواة والحرية يمكن اســـتخدامه لوصف جاذبية وطبيعة الأنساق الأيديولوجية والتوجهات السياســـية المختلفة: الرأسمالية (تدني المساواة وعلو الحرية)، الاشتراكية (علو المساواة والحرية)، والشـــيوعية (علو المساواة وتدني الحرية)، والفاشية (تدني المســـاواة والحرية). ولم يكن التنافس بين المساواة والحرية هو ما وصّف التوجهات السياســـية المختلفة، بقدر ما وصّفتها أولوية قيمـــة، وثباتها، ورجحانها على أخرى، بمرور الوقت[2].

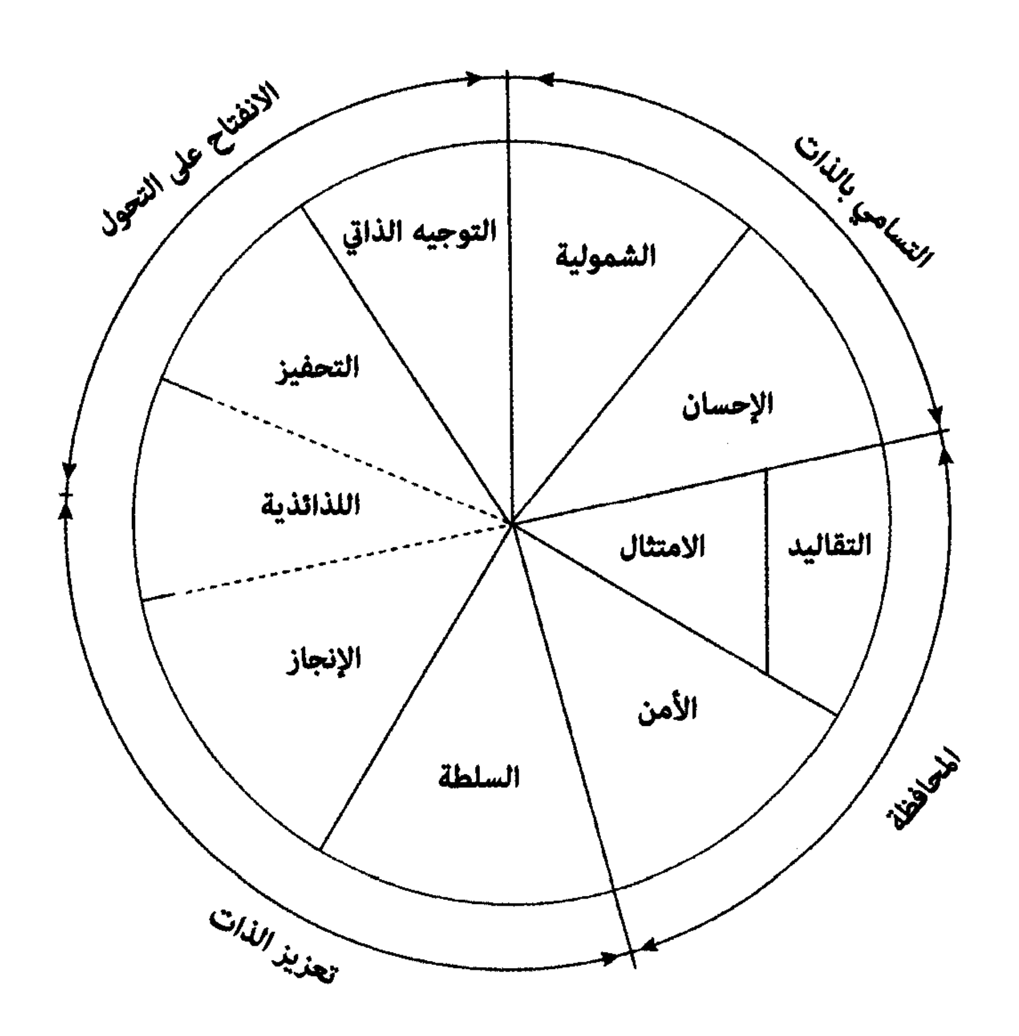
والمنظـــور الذي يتبنـــاه روكيتش تســـتكمله وتثريه المقاربات المعـــاصرة التي تركز على المبادلات بين القيم المتنافســـة، وهي المبادلات الضرورية لفهم المواقف السياســـية والســـلوك الســـياسي. وترصد البحوث المعاصرة في القيم الاجتماعية انزياحا عن ترتيب الأولويـــات ووضـــع أولويات لها، إلى التعـــرف على «المجالات القيميـــة» وفهم التمثيل البنيوي للقيم الإنسانية «الأساسية». وعلى سبيل المثال، فإن نظرية القيم عند شوارتز(*) تدفع (على ســـبيل المثال، في روكاس(**) وآخرين، 2010؛ شـــوارتز، 1992، 2006، 2009، وشوارتز وباردي، 2001) بأن القيم هي تمثيلات «معرفية واجتماعية للأهداف الأساسية الدافعة التي تقوم بدور المبادئ المرشـــدة، في حياة النـــاس». (روكاس وآخرون، 2010، ص 394). ويتشـــابه تعريفُ شـــوارتز، إلى حد ما، مع التعريف الذي يطرحه روكيتش، ويكمـــن الاختلاف في النظر إلى القيم باعتبارها «موجـــزات قيمية» ثنائية. وليس المهم هـــو حمولات القيم (مرتفع مقابل منخفـــض) بقدر ما هو التوافق والتنازع بينها، وهو ما يمكن خفضه، بحســـب شـــوارتز (1992) إلى «مجالين» عريضين للدوافع والتوجهات الغائية: حيث تسترشـــد الدوافع باحترام التقاليد وبالاهتمام بالأمن الشخصي والوطني، وحيث يغلب الامتثال من جهة، ومن جهة أخرى، تكون الدوافع للسعي وراء المكاسب الاجتماعية، والسيطرة والمهابة، كنقائض للعدل الاجتماعي والنزاهة.

وكما يقول شـــوارتز (1992) فهذه الأبعاد لها استقلالها النسبي، وإن برزت معا، في بعـــض المجتمعات، مبينة درجة نســـبية من الارتبـــاط. وتكمن الأهداف الدافعة

(*) Shalom H. Schwartz أستاذ علم الاجتماع بجامعة ويسكونسن - ماديسون والأستاذ الزائر بالجامعة العبرية.

(**) Sonia Roccas أســـتاذ علم الاجتماع بالجامعة المفتوحة في إسرائيـــل وAnat Brdi المحاضر في جامعة رويال هولواي البحثية التابعة لفدرالية جامعة لندن.

وراء القيـم الثقافية والشـخصية. والتصنيف النوعي للقيم عند شـوارتز يرتبها في عشرة أصناف، ويسـمح، نظريا، بتنوعات وتباينات لانهائية في القيم الفردية. وتمثل قيم شوارتز العشر «مركبا دائريا» circumplex دوافعيا (انظر الشكل: 2 - 1) يقوم على نموذج من التوافق والتنازع. والتقارب بين قيمتين، من حيث الموقع على المركب الدائري هو الأساس الذي يقوم عليه استخلاص التماثل بين الدوافع التي قاما عليها؛ فكلما اتسـعت المسافة المباعدة بينهما كلما زاد التفاوت «الدوافعي». وهذا يفضي إلى تخلق العديد من الثنائيات الدوافعية. وعلى سبيل المثال، فبوسع المرء أن يلاحظ كيـف أن الانفتاح على التحول (الذي يتألف مـن التحفيز والتوجيه الذاتي) مناقض للمحافظة (الأمن، والتقاليد، والامتثال)، في حين أن التسـامي بالنفس (الشـمولية، والإحسان) مناقض لتعزيز الذات (السلطة، الإنجاز، اللذائذية).



الشكل (2 - 1) المركب الدائري لنموذج القيم عند شوارتز

تفتح بنية الدوافع/القيم التي أرساها شوارتز الطريق إلى دراسة العلاقة بين القيم والسلوك السياسي. وعلى سبيل المثال، ففي شوارتز وآخرين (2010) طرح لنموذج سببي للقيم الشخصية الأساسية، ذات التأثير في القيم السياسية الجوهرية، ما يؤثر بدوره على السلوك السياسي[3]. وفي معرض النظر في السلوك التصويتي، يذهب شوارتز وزملاؤه إلى أن «قيم الناس هي اليوم المقررات الأكثر خطرا من مواقعهم الاجتماعية (العمرية، والتربوية، والطبقية) لاختيارهم السياسي» (2010، ص 446). وعلى سبيل المثال، فما يتأسس عليه احترام القيم السياسية الجوهرية، مثل القانون والنظام، هو التناقض الدوافعي بين مركب الأمن – الامتثال – التقليد وبين مركب الإرشاد الذاتي – اللذائذية – التحفيز.

والأعمال البحثية التي تسعى إلى الربط بين القيم والخصال والاختيار السياسي تظهر هي الأخرى أولوية القيم كمرشدات نقدية للسلوك السياسي. وعلى سبيل المثال، ففي دراسة كابرارا(*) وآخرين، حول الانتخابات الإيطالية في 2001 (2006)، يتبين كيف أن «القيم تندرج تحتها الخصال عند التنبؤ بالتوجهات السياسية»(ص 24). وتوصل كابرارا إلى أن قيم الأمن اتجهت إلى الارتباط أكثر بالتصويت ليمين الوسط، في حين أن قيم الإرشاد الذاتي كانت تتجه إلى الارتباط أكثر بالتصويت ليسار الوسط. وتخلص دراسات كابرارا إلى أن القيم، وبأكثر من الخصال الشخصية، هي ما يفسر «ارتفاع معدل الخطأ» في التنبؤ بالاتجاهات المستقبلية للتصويت ولتحولات الخيارات السياسية.

وما توصّفه نظرية شوارتز هي «عالميات» من حيث المحتوى، والبنية، والعلاقات بين القيم. والهدف النهائي هو توصيف «البنية النفسية العالمية للقيم الإنسانية» (انظر شوارتز وبيلسكي، 1978)(**). ويتناغم بحث شوارتز عن «العالميات» مع أعمال غيره من الباحثين الميالين إلى دراسة عالمية التوجهات النفسية، وبخاصة تلك المتصلة بالحداثة والتحديث، وعلاقتها بـ «متتالية النمو البشري» (مثلا، إنغلهارت، 2009؛ إنغلهارت وويلزل، 2005؛ ويلزيل 2009).

وتمثل البرامج البحثية الواسعة في «تقرير القيم الدولي»[4]. world Values Survey و«تقرير القيم الأوروبي» European Values Survey الصورة الأكثر تركيبا والمتعددة

(*) Gian Vittorio Caprara أستاذ علم النفس بجامعة سابلينزا الإيطالية.

(**) Prof. Dr. Wolfgang Bilsky أستاذ الدراسات عبر الثقافية بجامعة ويستفاليسك الألمانية.

الأبعاد للقيم الإنســانية. ومن أهم الخلاصات المنبثقة عن تقرير القيم الدولي أن توابع التحديــث يمكن ملاحظتها في انزياح واضح ومشــهود عن قيمة البقاء survival (وهو عَــرَض يتمثل بمواقف جماهيريــة تنبني على الاحتياجات والدوافع المادية والنفســية) باتجاه التعبير عن الذات والقيم الانعتاقية (وهو عرض يتمثل بمواقف جماهيرية تؤكد على الحرية، والقبول بالتعددية والمشــاركة) (إنغلهــارت وويلزل 2005). والتحول عن قيــم النجــاة إلى قيم التعبير عن الــذات هو القوة الدافعة وراء ظهور قضايا سياســية جديدة على الساحة السياسية والمحرك الرئيسي للحركات السياسية الجديدة.

وأثبت إنغلهارت وويلزل وجود انزياح باتجاه قيم متجاوزة للمادية بين جماهير تسعة مجتمعات أوروبية، في الفترة من 1970حتى 2000[5]، وتندرج تحت ما يدعوه إنغلهارت وويلزل «ما بعد المادية» اتجاهات مائزة – توجهات ليبرالية، إيكولوجية، مثالية، بحســب ويلزل (2009)، يحسن تسميتها «تطلعات للحرية». وتحتل القيم ما بعد المادية أو التطلعات للحرية موقعا مركزيا بالنســبة إلى ما يدعوه إنغلهارت وويلزل (2005) «قيم التعبير عن الذات» – وهي عرض يتمثل بقيم انعتاقية تشمل ما يلي: (أ) احترام الحرية الإنســانية؛ (ب) احترام التعبير السياسي؛ (ج) احترام عدم الامتثال؛ (د) احترام الناس الآخرين؛ (هـ) رضا بالغ عن الحياة.

ولقيم التعبير عن الــذات أهمية بالغة في فهم ديناميات الديموقراطيات الليبرالية، أو الدســتورية أو الانتخابية، والفعل الســياسي والاختيار السياسي. وترتبط هذه القيم، أوثــق الارتباط، بالتوجهــات والمؤسســات الديموقراطية. وفوق ذلــك، فهي المحركات الأساسية للسعي وراء (والحصول على) مختلف الحقوق المدنية والسياسية التي تحدد مواصفات الديموقراطية الليبرالية. والارتباط بين الديموقراطية «الحقيقية» وقيم التعبير عن الذات هو ارتباط بالغ قوة، في كل الأحوال. ويمكن لانتشــار قيم التعبير عن الذات والتوجهــات المنفتحــة عقليا (ويلــزل 2009) في مجتمع ما أن يفسر «مدى الممارســة الفعليــة للديموقراطية الليبرالية في مجتمع ما»، وأن يتنبأ به (إنغلهارت وويلزل 2005، ص 154)[6]. ويفــضي النمو الاجتماعــي- الاقتصادي إلى ارتفاع مســتويات التعبير عن الذات، ما يفضي بدوره إلى مستويات أعلى من الديموقراطية (إنغلهارت 2003).

ويتمثل جوهر مقاربــة إنغلهارت وويلزل في أن توجهات الناس تصوغها القوى الاجتماعية – الاقتصادية وأنه من المحتم أن تُســتبدل/ تنخلع القيم من المســتوى

المتدني (المادية والفسيولوجية) بقوة قيم من مستوى أعلى (تحقيق الذات نفسيا، على نحو متجاوز للماديات) (إنغلهارت 1977، 2009، 1990؛ انظر أيضا إنغلهارت وآبرامسون(*) 1999). وتجعل قيم التعبير عن الذات/القيم الانعتاقية الجماهير أكثر ثباتا في مواجهة السلطة وأكثر تحديا لها. وعلى سبيل المثال، فيمكن أن يكون للقيم الانعتاقية تأثير «رافع» أو «مضخم» على الاحتجاج (اللاعنفي) (ويلزل وديوتش(**) 2011). وتمارس هذه القيم أيضا «ضغوطا صحية للمحافظة على نزاهة النخب، وعلى قبولها بالمحاسبية وعلى استجابتها لما يريده الناس» (ص203).

وبوسع المرء أن يلحظ علاقة وثيقة بين دراسة القيم الإنسانية، وذاتية الجماهير، وبين دراسة «الجمهور» أو «الجماهير». وكان عالم الاجتماع الفرنسي غابرييل تارد(***) من أعلن، على نحو يناقض تأكيد لوبون(****) على الحشود، أن زمنه كان زمن «الجمهور أو الجماهير» ([1969] ، 2010 ص281)[7]. وفي معرض التعليق على انقسام المجتمع إلى جماهير، كتب تارد عن «اختلاف الحالات العقلية»(ص 284) أو عن تأثير ما لدى الناس من «غايات ومعتقدات»؛ ويكتب المشتغلون بعلم النفس السياسي المعاصرون عن الفروق الفردية في «الانتباه السياسي»، و«دوائر القيمة» والانزياحات في التوجهات القيمية[8]. وفيما كان تارد يحاول فهم ظاهرة اجتماعية وتوصيفها، وكيفية تكوّن «تيارات الرأي» عندما يتفرق الناس، بالنظر في ماهية «الرابطة» بين هؤلاء الناس، فإن المشتغلين بعلم النفس السياسي يفترضون، من البداية، وجود رابطة ويبدون اهتماما أكبر باستخراج المعدل المتوسط لآراء عينات كبيرة من الأفراد.

وما يمثل «الصلة الرابطة بين الشخص والمجموع هو «عضو الإدراك الإحصائي» المتمثل بالاستطلاع والتجميع (نويل - نيومان 1993، ص 115). وبالنسبة إلى المشتغلين بعلم النفس السياسي، فالتعبير الجماهيري الكمي المُجمّع، عن الدوافع، والتفضيلات، والرغائب، والتوجهات القيمية، وما شابه، هو ما يشهد بوجود رابطة اجتماعية. وفي البحث عن بيانات كمية وقابلة للتقدير الكمي يستخرج المشتغلون بعلم النفس

(*) Paul R. Abramson أستاذ العلوم السياسية بجامعة ولاية ميتشيغان.

(**) Franziska Deutsch المحاضر في مادة التحولات الاجتماعية الثقافية والفرد، بمدرسة الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، برنن، ألمانيا.

(***) Jean-Gabriel De Tarde (1843-1904) عالم اجتماع فرنسي.

(****) Gustave Le Bon (1938-1841) عالم فرنسي في الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا وفيزيائي هاو.

السياسي (وخصوصا الباحثين في الاستطلاعات) محتوى وتوزيع السلوك السياسي والقيم الوطنية ويوصّفونها، مستخدمين شرائح مقطعية للمجتمع الوطني (انظر روز، 2009). وتعمل القياسات الكلية على إضفاء الأهمية والطابع المحوري على توجهات قيمية معينة. وبمجرد تقرير قيمتها الكلية، فإن هذه التوجهات القيمية تؤدي، ثقافيا وسياسيا، دور اللغة المفسرة للغة metalanguage، مؤمّنة المساندة والتبرير لـ «ذات» جماهيرية يفهم عنها أنها تعتنق تلك التوجهات القيمية ذاتها. وتخبرنا القياسات الكلية للقيم أيضا بالقبول الشامل لنماذج محددة. وتمثل التوجهات القيمية، في صيغتها الكلية، بنية/ تنظيما يمكن القول بتطابقه مع تصور بنية نفسية شاملة للقيم الإنسانية ومع طبيعة التنظيم السياسي في سياق اجتماعي - ثقافي بعينه.

التساؤل حول تعزيز الديموقراطية: تحليل لأولويات قيمية؟

كما أوضحنا، فيما سلف، يقال إن التوجهات القيمية انعكاس لما تفكر فيه «الجماهير الوطنية»؛ فهي قيم ذات جماهيرية وطنية وليست قيم أفراد منفصلين. والذاتيات الفردية يجري تجميعها وتحويلها إلى ذاتية هي كتلة جماهيرية من دون وجه. ويعتمد الانشغال بالكفاءة الديموقراطية للدول الوطنية على افتراض وجود ذاتية جماهيرية وطنية يمكن الكشف عنها باستخدام تقانات صحيحة المعايرة، لكنه يتجاهل، في الوقت ذاته، التنوع فوق العادي الذي يميز الكتل الجماهيرية الوطنية.

وإحدى القواعد المركزية في نظرية القيم عند إنغلهارت وويزل هو القول بأن تصاعد مستويات قيم التعبير عن الذات هو من القوى المحركة الرئيسية لتعزيز الديموقراطية. والديموقراطية، هي ذاتها، يعاد تحديدها - فالديموقراطية «هي أكثر من مجرد نظام سياسي. إنها طريقة للحياة تقوم على رؤية انعتاقية للعالم» (ويلزل، 2009، ص203). لكن هذه الرؤية لـ «الديموقراطية» لا يبدو أنها تظهر عند كل الجماهير الوطنية وكل الأمم. ولا يؤدي مجرد التعرض لقيم التعبير عن الذات، أو مجرد تعزيز هذه القيم، ولا مجرد الخبرة بالمؤسسات الديموقراطية، على نحو يستحيل تجنبه، إلى القبول بالديموقراطية وشرعنتها (إنغلهارت، 2003). وأمريكا اللاتينية وبعض الدول الشيوعية السابقة هي أوضح الأمثلة على ذلك[9]. وعلى سبيل المثال، وبحسب إنغلهارت وويلزل، فإن بلغاريا، ورومانيا، والهند

هي حالات لديموقراطية شكلية formal democracy عالية المستوى، لا تقابلها مستويات عالية من قيم التعبير عن الذات. وفي حالات كهذه، تترجم المستويات العاليـة من الديموقراطية الشـكلية إلى مسـتويات متدنية، حقـا، من الفعالية الديموقراطية. ولا يثير الدهشة هنا، بحسب إنغلهارت وويلزل، أن ينبئ الضعف النسبي في قيم التعبير عن الذات بنواقص فعلية في الديموقراطية.

وتتصـل فكرة التحول القيمي مـن جيل إلى جيل، ارتباطا وثيقـا، بفهم التحولات الاجتماعية والسياسـية وبتأثير الشروط الاجتماعية - الاقتصادية. وكما يقول إنغلهارت، فـإن «التحول القيمي من جيل إلى جيل يحـدث إذا ربا الجيل الأحدث في ظل شروط تختلف عن تلك التي صاغت أجيالا سابقة - وهكذا فقيم المجتمع كله تتغير تدريجا عبر الإحلال الجيـلي»(2009 ص 225). ويكتب إنغلهارت عن «قيم المجتمع كله»، ويعالج المجتمع باعتباره معَايير قياسـية متجانسة تصوغ السلوك السياسي مفترضا أن اعتناقها شـامل وغير معرض لجدل، مـا يجعلها موزعة على نحو متسـاوٍ ومتماثل في المجتمع. وبالمثل فإن الكتابة عن «قيم المجتمع» كله تقلل من أهمية مشروعات وتمثيلات الهوية المرتبطة بمختلف التجمعات والطوائف داخل كل مجتمع. وقد برهن منظرو التمثيلات الاجتماعية على أنه لا وجـود للقيم من دون تمثيلات اجتماعية مختلفة تخص القضايا الاجتماعية والأهداف الاجتماعية. والقضايا المختلفة، من التحليل النفسي إلى الطماطم المعدلة جينيا، يجري «تنسيقها وضبطها في ضوء المشروعات المتباينة لمختلف الجماعات أو الأوسـاط الاجتماعية» (بـاور وغاسـكيل، 2008، ص 349) (لتفصيل الملامح العامة لنظرية التمثيلات الاجتماعية، انظر الفصل الرابع).

والتفسـير الأكثر شـيوعا لتدني مسـتوى التعبير عن الذات هـو أن الموروث الثقافي العريض لمجتمع ما يترك علامته على القيم الشـائعة المشـتركة، وهو ما يبقى على رغم التحول الاجتماعي والسـياسي (إنغلهارت وبيكر، 2000)[10]. وتركز تفاسير أخرى على ما دعاه شتومبكا، (2004)[*]، التحول الاجتماعي المؤلم traumatogenic social change، الذي يتميز بتبدل مفاجئ، شـامل، سريع، جذري، غير متوقـع، وصادم. ومجاز «الرضة الثقافيـة» (شـتومبكا 2004) هو واحد من طروحات عديدة حـول «حقيقة» و«تأثير» التحـول الاجتماعي السريع والمتطرف[11]. وأعراض «الرضـة الثقافية هي تداعي الثقة، والصورة المتشائمة للمستقبل، والصور النوستالجية للماضي (انظر شتومبكا، 2004)[12].

(*) Piotr Sztompka أستاذ علم الاجتماع بجامعة ياغييلونيان البولندية.

لكن تنوع والتباس التموضع الفردي لا يمكن تفسيرهما بالموروث الثقافي للمجتمع بحد ذاته، سواء اقترن أو لم يقترن بتحول اجتماعي سريع و بـ«الرضة». ويجدر التعويل على الأهمية والدلالة اللتين يوليهما الأفراد والجماعات للتحول، بأكثر من التعويل على المواقف والتوجهات المتصلة بالقيمة المطلقة (جيرفيس، 2004)[*].

ولكي يتيسر فهم الجاذبية الأصلية للشيوعية (وأيضا جاذبيتها بعد السقوط، انظر الفصل الأول لتفسيرات متنوعة للنوستالجيا للشيوعية)، فقد يحتاج المرء إلى تبني الفكرة القائلة بأنه وراء التوجهات القيمية «الشكلية» يدور «خطاب ثان»، توجه قيمي ثان. ويمسك ساتر (2012، ص79) بهذه الفكرة، على نحو باهر، عندما يكتب عن عجز المعلقين الغربيين عن إدراك جاذبية الشيوعية: «غالبا ما افترض الغربيون أن المواطنين السوفييت عانوا جراء افتقادهم الحرية وتاقوا إلى انهيار النظام الشيوعي. وهذا تصور غير دقيق. تولد عن الاتصال بأقلية من المواطنين السوفييت اعتنقت قيم الديموقراطية، وعن افتراض أن المواطنين السوفييت لم يكن بوسعهم إلا أن ينفروا من جرائم النظام».

وحقائق «الدمقرطة»، عبر سياقات اجتماعية - سياسية شديدة التباين، هي حقائق بالغة التركيب وتحتاج إلى أطر تفسير مركبة. وعلى سبيل المثال، يمكن للتعرف على الأسباب «الحقيقية للتحول الاجتماعي والسياسي أن يؤدي بالباحثين إلى تفسير الظاهرة ذاتها بطرائق بالغة الاختلاف. والمناظرة الراهنة حول «الثورات الملونة» في أوروبا الشرقية هي المثال على ذلك. وقد قوبلت إشارة واي[**] (2008) إلى أن الأسباب «الحقيقية» وراء «الثورات الملونة» تكمن في مستوى قدرة الدولة والحزب، بقدر ما تكمن في قوة أو ضعف الروابط مع الغرب بتفاسير بديلة تقوم على موجات الاحتجاج المترابطة، المواكبة لمحاولات الدمقرطة في أماكن أخرى من العالم (بايسنغر، 2009)[***]، أو على شعبية القيادات الاستبدادية أو بعد الاستبدادية القائمة (ديميتروف، 2009)[****]، أو على دور الفاعلين السياسيين الذين استحدثوا وطوروا نموذجا جديدا للتغيير (بنس وولتشيك، 2009)[†].

(*) Lori L. Jervis أستاذ الأنثروبولوجي بجامعة أوكلاهوما.

(**) Lucan Way الأستاذ المساعد للعلوم السياسية بجامعة تورنتو.

(***) Mark R. Beissinger أستاذ العلوم السياسية بجامعة برنستون.

(****) Martin K. Dimitrov أستاذ العلوم السياسية في دارتموث كوليدج الأمريكية.

(†) Valerie Bunce أستاذة العلاقات الدولية بجامعة ميتشيغان وSharon Wolchik أستاذة العلاقات الدولية بجامعة جورج واشنطن.

وتتميـز الدمقرطة بتوجهات قيمية تعبر عن قوى تقدميـة ومحافظة، في آن معا. وتُبيّن كالتفاسر(*) كيف أن الشعبوية يمكن أن تكون، في آن معا، «تصحيحا ديموقراطيا» (عـلى أسـاس التضمينيـة inclusiveness والعدالة الاجتماعية) بقـدر ما هي تهديد للديموقراطيـة (فيما يتصل بالخصومـة المعلنة). ويوضح جيك وسـيغرت(**)(2012) حدود الدمقرطة بعد اليوغسـلافية بالإشـارة إلى وجود شكل خاص من «الديموقراطية الانتخابية المحدودة»، التي يمكن توصيفها، باعتبارها «شـكلا هجينا مسـتقرا يشـمل عنـاصر ديموقراطية وتسـلطية» (ص 249). ويذهب جيك وسـيغرت إلى أنه مع تزايد البلدان التي تشـملها التحليـلات المقارنة لتعزيز وترسـيخ الديموقراطية، تصبح دلالة المقارنة أقل وضوحا، بالنسـبة إلى هذه الكيانات السياسية ذاتها. وتحلل ستان (2012) المناظرات البرلمانية القريبة العهد في رومانيا حول غسـل التاريخ، مبينة تعددية المواقع الخلقيـة والقيمية إزاء مسـار يمضي من «مطاردة السـاحرات» إلى «التجدد الخلقي». وبحسـب سـتان(***)، تراوح الدلالات القيميـة الملحقة بعمليـة الدمقرطة المتواصلة في رومانيـا بين التطهـير الخلقي (وقطيعة مـع الماضي)، وتأمين عدالـة تنتقم لضحايا الشـيوعية، وبين معاقبة أفراد صُوّروا بصورة مناهضي القيم الأوروبية، أو بوصفهم غير عمليين أو غير دستوريين.

وأكثر من ذلك، فإن كوروسـتيليفا، (2003)(****). تطرح محاجة راديكالية بالقول بأنـه قد تكون للديموقراطية أشـكال متنوعة، مادامت هنـاك دول مختلفة، وثقافات مختلفة. وهي تستخدم مثال البيلاروس لتبين كيف يمكن للمرء أن يتصور ويحدد ملامح أنماط مختلفة من الديموقراطية تكون، في بعض الأحيان، توصيفا أفضل لبيئات سياسية بالغـة التحديد. وعنـد إجرائها البحوث حول البيلاروس، فإنها تصفها باعتبارها شـكلا بالـغ الخصوصية من الديموقراطية، يشـتمل على عناصر من الديموقراطية التسـلطية،

(*) Cristóbal Rovira Kaltwasser الأستاذة بمدرسة العلوم السياسية في دييغو بورتاليس، تشيلي.

(**) Vedran Dzihic الباحث والمحاضر بمعهد العلاقات عبر الأطلسي و Dieter Segert أسـتاذ العلوم السياسـية بجامعة فيينا.

(***) Lavinia Stan أستاذ العلوم السياسية بجامعة سان فرانسيس خافيير الكندية.

(****) Elena Korosteleva أسـتاذ العلوم السياسـية بجامعة باث. - تتناغم محاجة كوروستيليفا مع ما تذهب إليه البحوث حول الأنظمة الهجين (ليفتسـكي وواي 2010؛ انظر أيضا ليفيتسـكي وواي 2002) حيث توصف النظم السياسـية (الديموقراطية) بأنها خليط من مؤسسـات ديموقراطية رسـمية (تشـتمل على انتخابـات حرة ونزيهة) ومؤسسات وترتيبات غير رسمية تعمل ضدها.

مـع ملامح أكثر بروزا، من ديموقراطية «ديماغوجية» (انظر أيضا كوروسـتيليفا، 2012، حول استجابة البيلاروس لـ «الثورات الملونة»)[13] وعند مناقشة تطبيق إطار الحوكمة الخارجية على سياسـة الجوار الأوروبي (ENP) في دول أقل حماسا لها، مثل البيلاروس، فإن كوروستيليفا (2009) تشير إلى حدود «تراتبية»/ رأسية الحوكمة في الاتحاد الأوروبي، كنقيض لبناء شبكات أفقية من التعاون، وإلى الغياب الافتراضي لبلاغيات الشراكة الذي يعطل تنفيذ الإستراتيجية. وتبين دراسات أخرى أنه على رغم ضعف مستمر في المجتمع المـدني في أوروبا الشرقيـة (والاس وآخرون، 2012) وغياب النشـاط المدني (موندداك(*) وغيرينـغ، 2003) لا توجد، على رغم هذا كلـه، اختلافات ذات مغزى بين البلدان التي انضمت إلى الاتحاد الأوروبي وتلك التي لم تنضم.

وما يظهره البحث هو أن هناك حدودا لتعزيز النمط الديموقراطي (الأوروبي والعالمـي). فالتوجهـات القيمية الشـاملة، مثـل التعبير عن الـذات أو القيم الانعتاقيـة، قد لا تكون التوجهات الوحيدة أو المقدمة على غيرها، بين تلك التي يختارها الناس أو يسـتخدمونها في تقويمهم للديموقراطيـة. ولا يتيسر للمرء أن يفهم هذه الحدود (أو الحواجز) ما لم يخْطُ خارجا من الإطار الذي يعتبر تعزيز الديموقراطية «واجبا»، تتعين معالجته عبر سياسـات التدخل أو الفرض الرأسي/ التراتبي، وما لم يأخذ المرء باعتباره، وبكل جدية، اختلاف المسارات باتجاه ثقافة الدمقرطـة (شـين(**)، 2009)[14]. ولا يتعين أن نُفاجَأ بـأن ولاء مواطني الدولة الوطنية في العالم للديموقراطية ولمحاولات تعزيز الديموقراطية ليس سـوى كلمة تقال (إنغلهارت، 2003). وبحسب ما يذهب إليه شين وويلز(***) فإن «أغلبيات كبيرة تفضـل الديموقراطية كنظـام»، لكنها «لم تعتنق، بعـد، مجموعة المعايير والعمليـات التي تمثل بنية النظـام الديموقراطي، اعتناقا كاملا» (2005، ص 99، التوكيد منقول عن الأصل)[15]. وعندما يكتب إنغلهارت وويلزل أن هناك «منطقا تطوريـا وراء فهـم التحول الثقافي، الذي يدفع بالنـاس إلى تبني تلك القيم التي تناسب ظروفا وجودية معينة (2005، ص 38)، فهما مُحقّان. والمشكلة الوحيدة

(*) Jeff Mondak الشاعر ومؤلف الأغنيات وأستاذ العلوم السياسية بجامعة إلينوي و Adam F. Gearing مدرس التاريخ بمدرسة سيتي أونورز بولاية نيويورك.

(**) Doh Chull Shin أستاذ العلوم السياسية بجامعة ميسوري.

(***) Jason Wells أستاذ العلوم السياسية بجامعة ميسوري- كولومبيا.

هي أن الواقع المركب للشروط الوجودية في بعض بلدان العالم يثبت لنا أن هذه القيم ليست دائما انعتاقية[16].

التعددية والسياق في التوجهات القيمية

كما أوضحنا من قبل، فما يمثل لب علم النفس السياسي المعاصر المعني بدراسة القيم هو افتراضات تتصل بثبات وأولية القيم، والاعتقاد الذي يكاد يكون إعجازيا في علاقة سببية بين التوجهات القيمية والسلوك السياسي. لكن كثرة وافرة من البحوث تثبت أن علاقات السببية، والثبات، والأولية هي علاقات إشكالية، وأنه بوسع المرء التعرف على مجموعة من الروابط الطارئة، والمتعددة، والمشروطة بالبيئة بين القيم والتوجهات القيمية والسلوك السياسي. وعلى سبيل المثال، فقد برهن الباحثون على قدرة الناس على اعتناق توجهات قيمية متعددة مرتبطة بهويات اجتماعية وثقافية متباينة. وقد استقصى ستيلزل وسيليغمان(*)، (2009)، حقيقة الرابط بين الأنساق القيمية والهويات الثقافية المختلطة لدى مجموعة من الكنديين الآسيويين. وقد توصلا إلى أنه عندما كانت استجابات المشاركين تقررها هويتهم ككنديين (عندما كانت هويتهم ككنديين تجد ما يبرزها)، كانوا يميلون إلى تأكيد توجهات قيمية مثل العالمية، والتوجيه الذاتي، واللذائذية hedonism، والتحفيز؛ فيما كانوا أميل إلى تأكيد الامتثال والمحافظة عندما كانت استجاباتهم تتقرر بكونهم آسيويين. وفي واحدة من دراساتهم حول تقرير هويات الروس المهاجرين حديثا إلى إسرائيل وجد روكاس وآخرون (2010) ارتباطا بين أولويات القيم الشخصية وبين الهوية الوطنية. وقد لاحظوا علاقة ارتباط بين ما شعر به المهاجرون من ضغوط تدفع بهم نحو الذوبان وبين اختلاف التوجهات القيمية. وقد هيمن على قوة هذه العلاقة سياق التماهي الاجتماعي: مع بلد المقر (إسرائيل) أو بلد المنشأ (روسيا). فعندما غلب التماهي مع إسرائيل عند بعض الناس كانوا أميل إلى اعتماد قيم المحافظة، وأظهروا قدرا أقل من الانفتاح على قيم التحول. وما تثبته هاتان الدراستان هو أنه بتغير سياق التماهي الاجتماعي، قد يجري تأكيد أو تثبيت توجهات قيمية مختلفة (ولبحوث مماثلة تركز على سياق التماهي الاجتماعي، انظر الفصل الخامس).

(*) Monika Stelzl أستاذ علم النفس بجامعة سان توماس الكندية و Clive Seligman أستاذ علم النفس بجامعة ويسترن أونتاريو الكندية.

وبحسب تسيروجياني وغاسكيل (2011) فإن نظرية القيم المعاصرة تعتمد بقوة على القدرة على توصيف ارتباطات القيمة وعلى التنبؤ بها، على أساس نماذج نظرية، ما يهدم احتمالية اعتناق الأفراد قيما متصارعة متناقضة. وهذا الاتجاه الراهن في نظرية القيم المعاصرة يقلل من أهمية تعددية المواقف والأدوار التي تحتل موقعا مركزيا في تحليلات الهوية الاجتماعية (انظر، مثلا، بحوث كريسب(*) وزملائه حول التصنيف المتعدد في الفصل الخامس). وما يتوصل إليه البحث، المرة تلو المرة (وما يظهره لنا الواقع السياسي) هو أن الأفراد يتشبثون، بالفعل، بقيم متعاكسة.

ويطرح علينا «نموذج التوازن القيمي» (بريذويت، 2009، أ و ب)(**). مثالا جديرا بالاهتمام، حيث يسود التصور بأن أغلبية الناس تمتلك توجهات قيمية متوازنة، ما يشمل توجهات قيمية تبدو متضاربة (انظر أيضا بريذويت 1994). ويقال إن مواطني دولة ما يمتلكون توازنات قيمية مختلفة (كلا من قيم المشاركة وقيم الحماية الذاتية؛ وقيم الأمن وقيم التناغم) ومهمة السياسي ذي الرؤية هي أن «يدمج القوى المختلفة في النسيج الوطني المؤلف من مواطنين لديهم توازنات قيمية مختلفة الأنواع» (بريذويت، 2009 أ، ص 95). وبحسب بريذويت، فبوسع المرء التمييز بين «الثنائيين»، (الناس الذين يتخذون مواقف تظهر التعاطف والشعور بالمسؤولية إزاء الآخرين، ومن الممكن أن يكونوا «بناة جسور»، وهم منخرطون في التدافع الديموقراطي على نحو بناء) وبين «النسبيين» (الناس المتشككين في الالتزام بمواقف قيمية والذين يواصلون البحث عن عوامل ظرفية لتوجه سلوكهم السياسي).

وفوق ذلك، وكما أثبت البحث في سيكولوجيا الأخلاق، فالناس مستعدون لإظهار المرونة مع قيمهم، بل وللتخلي عن قيم مهمة إن ظهرت الحاجة إلى ذلك. ولا يعمل الناس، طوال الوقت وفق معايير أخلاقية مطلقة و«مقدسة»، والأرجح أنهم، إستراتيجيا، يقومون بصوغ وتحويل الحدود الأخلاقية وفقا لما هو «قابل للتفكير به، مراوحين بين تصلب عقابي ومرونة متسامحة» (تيتلوك، 2003، ص320)(***). غالبا يتوصل الناس إلى حلول وسط بين المثل الأخلاقية والمعايير الصارمة والضغوط البراغماتية؛ فبوسعهم

(*) Richard J. Crisp أستاذ علم النفس بجامعة آستون البريطانية.

(**) Valerie Braithwaite أستاذ العلوم الاجتماعية بجامعة أستراليا الوطنية.

(***) Philip E. Tetlock أستاذ علم النفس، أستاذ الإدارة بجامعة بنسلفانيا.

استخدام نسخ من الأخلاق تناسب المقام لتبرير أفعالهم وأفعال الآخرين (تيليغا 2012). ولا يمكن للتصور السائد عن التوجهات القيمية أن يفسر هذا على نحو مُرْضٍ. والقيم محصورة في الفضاء الرمزي للدول الوطنية والجماهير الوطنية. وهناك افتراض لوجود توحد وطني شامل في التوجهات القيمية (أو، بالأحرى، انزياحات القيم). وهذا يعيد إنتاج فكرة جوهرية عن الثقافة والقيم الوطنية، لا تستوعب مسائل التنوع داخل النوع الواحد(*)، ولا السياقات المتعددة، والتأثيرات المتعددة، و«تركيب وظرفية السلوك الفردي وتنوعه الحالاتي» (ماكسويني، 2002، ص113)(**). وقد يكون الأجدى أن يُنْظر إلى التوجهات القيمية باعتبارها تمتد عبر مسيرة متواصلة، عبر مواقف متعددة، متنوعة أو تتبادل المساندة فيما بينها بالحوار (ماركوفا، 2000) عبر مختلف مجالات الحياة والعوالم الحية.

من التجميع إلى ألعاب اللغة

يشير قدر كبير من البحوث إلى أن التركيز الحصري على «الطبيعة الكمية الملحوظة لـ... الآمال والمخاوف (تارد[1969]، 2010، ص 201) قد يعجز عن استيعاب جوانب مهمة في التوجهات القيمية، وأنه يتجاهل تنوع مفهومات المواطنين عن القضايا السياسية والشؤون العامة. وقد جرى التدليل على أن اللاعبين الاجتماعيين والسياسيين يتبنون تماهيات/توجهات أيديولوجية وقيمية بالاعتماد على الموارد الرمزية، من قبيل المجازات، أو المفهومات الشعبية الرائجة، أو على معجم «مفردات الفضيلة» (ماكجي، 1980، ص6)، مثل «المجتمع» أو «التحول» أو «الاختيار» (إيدلمان، 2001) (انظر الفصلين السابع والثامن لبعض الأمثلة على دور معجم القيم في البلاغيات السياسية).

وقد يفرض اختلاف التوجهات القيمية ومعاجم «القيم»، اختلاف الدلالات على مجرى اليمين- اليسار (أو الليبرالي - المحافظ)(هوايت، 2011، أ و ب). وهذا يشير إلى أن دراسة القيم الإنسانية لا يمكن اختزالها في «قياسات» للقيم المُجمّعة بزعم أنها تمثل، على نحو دقيق، التوجهات والمعتقدات السياسية لمجتمعات ومواطنيها. ويميل علم النفس السياسي المشتغل على التوجهات القيمية الإنسانية إلى الاشتغال

(*) intra-variety ويمكن ترجمتها إلى تنوع التنوع.

(**) Bill McSweeney باحث بمعهد دراسات السلام الإيرلندي.

عـلى ما تتوقعـه الديموقراطية، بحسـبانها إطارا سياسـيا - أخلاقيـا معياريا، من المواطنين، أكثر من الاشـتغال على ما يتوقعه المواطنون أنفسـهم من الديموقراطية وكيفية تفسـير الإطار المعياري للديموقراطية، فعليا، مـن قبل الأفراد عبر تموقعات أيديولوجيـة ومواقف اجتماعية متباينة. وكما بينا في الفصل الأول، فإذا فُهم التعبير عن الرأي باعتباره عملية انحياز (مع أو ضد شـخص ما، أو فعل ما، أو خطاب ما)، فيمكـن، بالكيفية ذاتها، أن تُفهم القيم كانحيازات مـع أو ضد علاقات اجتماعية، وترتيبات اجتماعية، وخطابات متداولة في المجتمع.

وفي العالم المعاصر، تكون التوجهات القيمية نتائج لمناهج الاستقصاء التي يواصل الباحثـون ترقيتها، بقدر ما هي نتائـج لمواقف فردية. وفي عالم تتزايد عولمته، هناك شـعور بالثقة (بالطمأنينة) نابع من حقيقة أن قيم النيويوركيين يشاركهم فيها، إلى حد كبير، سـكان برلين[17]. لقد أنتج شوارتز وإنغلهارت وزملاؤهما، على نحو مؤثر، ظاهـرة من نوع جديد، «مجالا واقعيا» جديـدا (أوزبورن وروز، 1999، ص 386). وبالطبع، فلا مجال للشـك في أن القيـم والتوجهات القيمية «توجد» (بالمعنى ذاته الذي يقول بـ «وجود» الخصال الشـخصية) وأنه يمكن قياسها، قياسا محكما، وأنها مهمة بالنسبة إلى مختلف أنواع الفعل الاجتماعي والسياسي. والمشكلة الوحيدة هي أن وجودهـا ينبع ويتقرر عبر توظيف تقانات بحثية، بعينها، للقياس؛ وهي تقانات تتجاوز المواقف الاجتماعية الفردية وتعلو عليها. ووجود بنود في الاستبيان يُزعم أنها تقيـس توجهات البقاء أو تلك المتصلة بالتعبير عن الـذات، وبالفردية، والجماعية، والثقة، وما شـابه، يعزز فكرة وجود عناقيد من القيم، وإمكان قياسها «موضوعيا»، وأنهـا منظمة، وأنها تظهر على نحو تتنبأ به التراكيـب المفهومية والإمبيريقية التي يقيمها الباحثون.

ويمكن الدفع بأن التمييزات (بين قيم البقاء ونقيضها المتمثل بالقيم الانعتاقية، مثلا) التي يشتغل عليها الباحثون هي نتاج ما خرجت به تقانات القياس والتجميع من موقف فردي متشـظٍ، متعدد النماذج، وملغز إزاء مُدْرك (بما يشـمل الذات). وربما كان من السـهل نسـيان أن المصطلح «قيمة» هو ذاته «مفهومٌ موحٍ» (بقدر مـا أن «الـرأي العام» هو كذلـك أيضا)- وباسـتخدامه (وبتقييـده بالاعتماد على خصائص سيكولوجية متنوعة) يمكن للنخب السياسية، وكذلك للأكاديميين، تصنيف

المعتقــدات على نحو يطرح ويعزز رؤية للعالم، واهتماما، وما إلى ذلك مما يخصهم هم وليس بالضرورة الفاعلين العاديين.

وتُفهــم القيم على أنها انعكاس لما تفكر فيه «الجماهــير»، فهي تخص «جمهورا» (تخص أمما) أكثر مما تخص أفرادا. ولا يكتفي المســحان الأوروبي والدولي للقيم بقياس الذاتيــة الجماهيريــة - بل هما يكرســانها ويصوغانها. ويمكن لمســوح القيم أن تخبرنا بالكثــير عن توزيع أو انتشــار التوجهــات القيمية في مجتمع بعينه أو على المســتوى العابــر للقوميــات، لكنها أقل قدرة عــلى البيان فيما يتصل بالمصــدر الذي تنبثق عنه التوجهــات القيمية. فالتركيــز على التحديث، والتجميع، والبنية الشــاملة يعجزها عن التوصــل إلى المصدر المحلي البالغ الأهميــة للتوجهات القيمية، وهو الحس الشــعبي الخاص بالمجتمع، والذي يشمل تاريخ التخاليط القائم على طرائق بعينها في الكلام عن المجتمع، والأخلاق، والتحول الاجتماعي، وما شــابه (لكنه لا ينحصر فيه). ولا يمكن أن تقوم نظرية قيمية من دون الاعتراف بما يمكن أن يكون له أثر في عمليات مثل حجب، وتحديد، وتشويه نشوء القيم في المجتمع وإعادة إنتاجها (وعلى سبيل المثال، فإن بيليغ، 1998، وتيليغــا، 2012، بينــا الطبيعة الدينامية، والاســتطرادية discursive، والبلاغية للقيــم). وكما قال تونيــس(*) من الممكن تصور الرأي، أحيانــا، باعتباره «ملكية عامة» للجمهور الســياسي. (انظر هارت وسبليشــال، 2000)(**). ويمكن أن تُفهم القيم أيضا باعتبارها المعايير القياسية العامة، كملكية مشاع بين الأفراد والمجتمعات السياسية.

وكــما أوضحت، فالتعبير عن الــذات أو القيم الانعتاقية، بحســب إنغلهارت، هي القيم الســيدة حقا في المجتمعات بعد المادية؛ فهي تعكــس الإرادة المعلنة والجمعية لدى «الشعب»، لدى «مواطني» الديموقراطيات، «روحا» كوكبية ودافعا للديموقراطية. واســتطلاعات الرأي هي تدريبات على معايرة القيم الجماهيريةِ المُجمّعة، وكذلك على التنبؤ بها. وتصحب اســتطلاعات الرأي كثرة من الافتراضات حول الكيفية التي «يتعين» أن تتصرف الاستطلاعات وفقا لها، أو النتائج التي «يتعين» أن تسفر عنها[18]. وما يتكرر حدوثه عند تلقي مســوح القيم هو تشــيؤ «القيم» في البيانــات. و«يغرق» الباحثون والجمهور المســتقبل، معا، «في هذا التشــوش في الظاهرة، والمفهــوم، والقياس» (باور

(*) Ferdinand Tönnies (1855-1936) عالم الاجتماع والفيلسوف الألماني.

(**) Hanno Hardt (1968-2002) أستاذ علوم الاتصال بجامعة آيوا، عمل في جامعة لوبليانا، بسلوفينيا.

وغاسكيل 2008 ص 349). ويفوق ما هو معروف عن التوزيع الكمي والإحصائي للقيم ما هو معروف عن ارتفاعاتها أو أعماقها النوعية.

وعندما يموضع المرء نفسه على مدْرج هو جزء من المسح الأوروبي أو الدولي للقيـم، فهـل يُفهـم هـذا على أنه تقرير عن حالة عقلية؟ (انظر فتغنشـتاين، 1953)(*). هل القيم انعكاس لإدراك مُلحّ، ومستقر، وواع لشيء خارج الشخص؟ لا يمكـن تقرير هـذه الأمور، على نحو مجرد، ولكن يمكن تقريرها باستكشـاف الكيفية التي يجري بها التوجيه الفعلي للقيم، كمفهومات لغوية عادية، والإشارة إليها واستخدامها في حالات تواصل اجتماعي. وهناك معجم عادي شامل وكفء للقيـم، وكثرة وافرة مـن الألعاب اللغويـة الاعتيادية العامة التـي تدور حول الأشخاص، والفردية، والأخلاقيات، والسياسات، والعلاقات الاجتماعية، يستخدمها الفاعلـون الاجتماعيـون بكل نشـاط. وإذا حلـل المرء القيم باسـتخدام نماذج إحصائيـة، مجردة، سـابقة التجهيز، فمن المؤكد أن المرء سـوف تفوته الألعاب اللغوية الغفيرة التي تكتسب فيها معاجم القيم (وبينها معاجم الباحثين أنفسهم) أهميتها. ويسـتخدم الناس، على نحو روتيني وخال من المشـكلات، لغة التعبير عن الذات، والتراث، والبقاء، وما شـابه، كما يسـتخدمون ما يسميه جون كولتر، (2001)(**). «لغة المسـتوى العيـاني macro level (مثلا، «الجيش»، و«البنك»، و«الاقتصاد»). إنها لغة الحس الشـعبي التي تعمل باعتبارها «مشروع تفسـير وتعبير» (انظر شوتز، 1973)(***). ويتعين أن تُدْرس القيم كأيديولوجيات وموارد جدالية محكومة بحالات ثقافية: طرائق في الكلام عن الناس، وعن المجتمع، وعن الديموقراطية، بأكثر مما تدرس باعتبارها تنبؤات تتأسس على نماذج إحصائية، أو خواص طالعة عبر التجميع، عبر السياقات وخبرات الحياة.

وينشـئ التنظيـم الاجتماعي للقيـم مواقع جداليـة واجتماعية متنوعـة، لولاها لكانت تُحْجب بجماع الاسـتجابات الفردية. ومن شـأن التفاسـير المنبثقة عن التجميع والاهتمام بالتصنيفات أن تقلل من شـأن التنوع الاسـتثنائي المميـز للتعبير الجماهيري

(*) Ludwig Josef Johann Wittgenstein (1889-1951) أستاذ الفلسفة والرياضيات البريطاني النمسوي.

(**) Jeff Coulter أستاذ علم الاجتماع بجامعة بوسطن.

(***) Alfred Schütz (1889-1959) عالم اجتماع نمسوي.

عــن القيم أو أن تتجاهله (كايندر، 2006)(*). وتوصف القيم الإنســانية بأنها اجتماعية عيانية ومتغيرات «موضوعية» ذات قدرة تنبئية، متغيراتٍ تؤثر في الطبائع، والتوجهات، والأفعال السياسية، والتوجهات السياسية الفردية، وما إلى ذلك. وهناك اعتقاد راسخ بأن القيم الإنســانية، ما لم يتم تجميعها، هي مصادر مُخفاة تســتعصي على الملاحظة للفعل الاجتماعي، تســكن أدمغة الناس. ويعرّف علم النفس الســياسي القيمي المعاصر القيم، عموما، بأنها أبعاد رمزية كلية الحضور توصّف السلوك السياسي عبر حشد من السياقات الاجتماعية - السياسية المختلفة. لكن الواقع الاجتماعي والسياسي هو، على الأرجح، أكثر تعقيدا من التعليق الأكاديمي (أو الســياسي)؛ ويتعين أن يعكس الخطاب والنماذج التي يطرحها المشتغلون بعلم النفس السياسي هذا التعقيد. ومعاجم اللغة هي ألعاب لغوية مفتوحــة البنية. وهكذا، فالمهــم هو ألا يقف الأمر عند عرض توزيــع القيم، بل يتعين أيضا أن يمتد لأشــياء تصعب رؤيتهــا أو إدراكها بالحدس، وإلى الحالات، والأطر الدلالية، والمشاعر، والظروف التي تصعب الإحاطة بها، والتي تنشأ عنها القيم وينشأ عنها التعبير عن القيم، وإلى الكيفية التي تنتشر بها القيم عبر الزمن والفضاء الاجتماعي.

قيم من؟ الشمولية والخصوصية في بنية القيم الإنسانية

ينطلق علم النفس الســياسي للقيم الإنســانية من فرضية تقول بأهمية قياس المعايير والمحكات التي يســتخدمها الناس في تفســيرهم لذواتهــم، أو للآخرين، أو للفعــل الاجتماعــي والســياسي. وكما بين هذا الفصــل، فالمشــتغلون بعلم النفس الســياسي يحاولون العثور على تطابقات بين بيانات المســح والثقافة السياسية، بين نمــاذج في البيانات والرؤيــة الديموقراطية، بين التوجهات القيميــة المُجمّعة والقيم الجمعية. لكن الحقائق الاجتماعية - السياسية المركبة تؤشر إلى فجوة أونطولوجية بين النــماذج المجمعة والأكاديمية الشــاملة وبين التمظهرات الطارئــة أو الظرفية، الفردية أو الجماعية للسلوك السياسي. وتطرح مسوح القيم رؤية للسياسة والمجتمع منقسمة على شكل مركب دائري، أو أبعاد مستقلة وموزعة عليهما، ووفقا لما تقرره علاقات الارتباط الاحتمالي. وجدوى التمييز بين التوجهات القيمية، على أساس البنية الشــاملة تتوقف، هي ذاتها، عــلى أحكام القيمة والتوجهــات القيمية. وهذا قابل

(*) Donald R . Kinder أستاذ العلوم السياسية بجامعة ييل الأمريكية.

للجــدل، ويحتاج إلى قدر من النقاش تقرره القيم ذات الصلة أو التوجهات القيمية التي يحتويها أو التي يعكسها.

وقــد ذهب هذا الفصل إلى ضرورة معالجة القيم باعتبارها موارد ســجالية تغذي المنطــق التقديري للتوصيفات والأحكام الفردية والجماعية. ونحن نعلم أن كل مجتمع يبتكر المناهج الخاصة به ويتمســك بها، في اســتخداماته وفي تسوياته القيمية. والقيم، على العموم، تحيل على العلاقات بين الأفراد، وليس على التجميعات الإحصائية أو على «المواطنــين الإحصائيين» (إيغو، 2007)(*). وكما تبين من بعض ما عُرض من البحوث في هذا الفصل، فالقيم والتوجهات القيمية هي موارد اجتماعية وسياســية، ترتبط تقليديا بعضويــة الأفراد والجماعات في المجتمع، وبالعلاقات الاجتماعية، وبالخبرة الشــخصية، والمعرفة بالمجال العام، وعلاقات القوة، والفعل السياسي الأوسع. وهذا الربط المعياري هو ما يكتســب دلالته من الفاعلين الاجتماعيين أنفســهم، في ســياق مواجهة، وفهم، وتفسير الأوجه المختلفة لماضي مجتمعاتهم، وحاضرها، ومستقبلها.

والقضيــة الأكثر إلحاحا بين ما ينشــأ عن البحــث في القيم الإنســانية، الرابط بين قيــم التعبير عن الــذات وتعزيز الديموقراطية، هو قضية تتطلــب المزيد من التفكيك. هناك ســؤال جرت العادة على ألا يُسأل: قيم من تلك التي نعززها؟ وفوق ذلك، هناك من يؤكــد على وجود علاقة مباشرة بين التوجهات القيميــة والديموقراطية؛ في حين أن «حقيقة» الديموقراطية والسلوك الســياسي الديموقراطي أكثر تركيبا بكثير. إن الطبيعة المتشــظية، والمتعددة، وغير النهائية لبحــوث القيمة وللتوجهات القيمية هي ما يجب أن يركز عليه، بدرجة أكبر، المشتغلون بعلم النفس السياسي. وقد ذهب جون ستيوارت ميــل إلى أن (كل) مجتمع يتطلب «آراء مختلفة» و«تجــارب حياتية مختلفة» (طبعة 2008 ص30). ويتعين أن يسعى علم النفس السياسي إلى المزيد من استكشاف «تجارب الحيــاة المختلفة» التي ترســخها البيئات والمنظمات الاجتماعية والسياســية المختلفة، وكذلــك تلك التجارب الحياتية التــي ينتصر لها الناس أنفســهم، أو يتغلبون عليها، أو يخلقونها، وهلم جرا. وبهذه الكيفية، ســيكون بوســع المشتغلين بعلم النفس السياسي اكتشــاف مضامين أيديولوجية معلنة وأخــرى كامنة، وأن يدركوا، على نحو أفضل، بنية السلوك والفكر السياسيين، سواء في فرضياته أو في تطبيقاته على الحياة الواقعية.

(*) Sarah E. Igo أستاذة العلوم السياسية وعلم الاجتماع بجامعة فاندربيلت الأمريكية؟

3

علم النفس السياسي للاتسامح: التسلطية، والتطرف، والإقصاء المعنوي

الشخصية، والسلوك السياسي، والنزوع إلى اللاتسامح

عندما يوجه المشتغلون بعلم النفس السياسي عنايتهم إلى دراسة اللاتسامح، فإنهم يظهرون انشغالا، في معظم الأحوال، بما يدعوه أولبورت(*) «الأبعاد الأفقية التي تظهر عند كل الأفراد» (1962، ص409). وقد كان أولبورت يكتب عما اعتاد علماء النفس الإشارة إليه من خصال، وميول، ومدركات، ودوافع توصّف «شخصية» الفرد. وما وصفه أولبورت باستخدام مجاز فضائي هو ما يوصفه المعاصرون من المشتغلين بعلم النفس السياسي باستخدام مصطلحات لا تختلف كثيرا، باعتباره بنية

(*) Gordon Willard Allport (1897-1967) أحد رواد دراسة الشخصية في علم النفس الأمريكي.

«لكي يكون هناك علم نفس سياسي شامل للاتسامح، فلا بد من الاهتمام بعمومية وشمول يوازنهما ويكملهما الاهتمام بالثقافة، واللغة، والتفاعل الاجتماعي، والطرائق الفعلية التي يجري بها تفعيل اللاتسامح وإنجازه في الممارسات الاجتماعية»

متعـددة الأوجه، داخلية وباقية، أو سـيكولوجية (مونداك، 2010، ص6). ويذهب هذا الفصل إلى أن تأثيرات «الأبعاد الأفقية» عند أولبورت، وإن كانت بين التأثيرات الأكثر وضوحا ودلالة، فهي ليست وحدها التي تحدد اللاتسامح. ويدفع هذا الفصل بـأن طبيعة اللاتسـامح (وما يرتبط به مـن ظواهر من قبيـل العنصرية والإقصاء المعنوي) لا يمكن اختزالها في طبائع داخلية مسـتقرة نسـبيا أو في طبائع شـخصية قاعدية، وأن ميل المشـتغلين بعلم النفس السـياسي إلى توضيـح النمطيات العامة للسـلوك السـياسي يمكن أن تجري موازنته، واسـتكماله، على نحـو مفيد، بالانتباه إلى الثقافـة، واللغة، والتفاعل الاجتماعي، وإلى الطرائق التي يمارس بها اللاتسـامح ويوضع موضع التطبيق، عبر أساليب الكلام مع الآخرين والتصرف معهم.

وبهـدف تطويـر هذه الدفـوع يناقش هذا الفصـل جاذبية التطـرف اليميني وتمظهراته في أوروبا الغربية، والتحامل كأداء تشـاركي، والخطاب الأخلاقي المتطرف والإقصائي ضد أقلية الروما Roma(*) في أوروبا الشرقية. ولن يتسنى للمرء أن يكتمل فهمه للتمظهرات الجمعية والظرفية للاتسـامح إذا اقتصرت دراسته له على اعتباره قابلية تسـندها عقلية تسـلطية، فهناك حاجة إلى دراسـة اللاتسامح في ذاته - كما يتمظهر، وكما يجري تفسيره وتفعيله من قبل فاعلين اجتماعيين وسياسيين، في تفاعل اجتماعـي وفي ممارسـات اجتماعية، فاللاتسـامح مثقل بـدلالات اجتماعية ثقافية متنوعة؛ إنه أساس النشاطات الاجتماعية وهو أيضا نتاجها.

ولعلـم النفس السـياسي تراث ممتـد ومحترم مـن البحث حـول الرابط بين الشـخصية والسـلوك السـياسي (لعروض ذات صلة، انظر مونداك 2010؛ مونداك وهلبريـن 2008؛ وينـتر 2003). وقد اتخذ أشـكالا كثيرة واشـتمل على عديد من النـماذج والافتراضات النظرية. ومن أول ما انصب عليـه الاهتمام في هذا المضمار دراسـة شخصيات القادة السياسيين. فمن التراجم السيكولوجية المؤثرة القائمة على التحليل النفسي لسـير القادة السياسيين عند لاسويل(**)، وحتى الاهتمامات الأقرب

(*) شـعب الروما أو الروماني الذين يشـار إليهم بأسـماء عديدة، يوحي معظمها، وأكثرها نزوعا إلى الإقصاء، بأنهم غجـر. ولم يتقرر أصلهم العرقي حتى اليوم، ولا يمكن التقليل، عند تقويم الاضطهاد والاسـتبعاد الموجهين إليهم، من علاقـة ذلك بحرصهم على العزلة. ومشـكلتهم اليوم حاضرة ليسـت فقط في أوروبا الشرقيـة بل في بلاد غرب أوروبا أيضا، خاصة إيطاليا.

(**) Harold Dwight Lasswell (1902-1978) عالم سياسة ومنظر اتصالي أمريكي.

إلى زمننا بشـخصيات السياسـيين (مثلا، عند تويمز وكونواي[*] 2007؛ وينتر 2011) فُهمت الشـخصية باعتبارها جوهر فهم السـلوك السـياسي[1]. وتتصل الاهتمامات الأخرى، لدى المشـتغلين بعلم النفس الاجتماعي والسـياسي، بالربط بين الشخصية والأيديولوجية (على سـبيل المثال، ماكلوسـكي 1964) والتسامح السياسي (ماركوس وآخرون 1995، وروكيتش 1960) والنشـاط المدني (مثـلا، مونداك وغيرينغ 2003؛ مونداك وآخرون 2010) والمشـاركة السياسـية (مثلا، فيكيوني[**] وكابرارا 2009). وعلى سـبيل المثال، فإن مونداك (2010) يستعيد تراث النموذج الخماسي العناصر (الخمسـة الكبـار)، والتي توصف بأنها القابلية لاكتسـاب الخبرات، يقظة الضمير، الانبسـاطية، الاسـتعداد للتوافق، والاسـتقرار العاطفي، لدراسـة تأثير الشخصية على السـلوك السـياسي، وخصوصا فيما يتعلق بالإقبال على المشاركة في الانتخابات والمشاركة السياسية في حملات سياسية والانخراط في شؤون اجتماعية وسياسية.

وتوصل مونداك إلى وجود علاقة بين الشـخصية والمواقف السياسية، تشيع على نحو خـاص فيما يتصل بالقابلية لاكتسـاب الخبرات، ويقظة الضمير، والاسـتعداد للتوافق. وتسـهل الانبساطية المشاركة الاجتماعية والسياسية التي تقوم على تفاعل اجتماعي، ويمكن أن يعزز الاسـتعداد لاكتسـاب الخبرات الانخراط الفردي المعرفي والاجتماعـي. لكن يقظة الضمير لم يثبت أن لها ارتباطا إيجابيا بالاهتمام السـياسي والمشاركة السياسـية. ووجد مونداك أيضا أن الشخصية لا يبدو أن لها تأثيرا مباشرا على القرار بالتصويت (انظر الفصل السـابق أيضا من أجل بحوث تدفع بأن القيم مؤشرات تفضُل الخصال الشـخصية في التنبؤ بالسلوك الانتخابي). وعوضا عن ذلك، فالخصال الشـخصية تـؤدي دورا باعتبارها موارد لاسـتقرار «الأحكام السياسـية» (مونـداك، 2010، ص190). وعلى سـبيل المثال، فإن من المرجـح أن يرتبط ارتفاع مستوى يقظة الضمير بالأيديولوجيات المحافظة.

ومـن الاهتمامات البـارزة الأخـرى تقصي الارتباط بـين الشـخصية والالتزام بالقيـم الديموقراطية. ومن الفكرة التـي تجدها عند آدورنو وآخرين (1950) حول «الشـخصية التسلطية» إلى حزمة المواقف المترابطة التي ييسرها التعلم الاجتماعي،

(*) Felix Thoemmes أستاذ علم التنمية البشرية بجامعة كورنيل، وLucian Conway أستاذ علم النفس السياسي بجامعة مونتانا.

(**) Michele Vcchione أستاذ علم النفس بجامعة روما.

عنـد آلتماير (1981، 1996) والنموذج الأقرب عهدا للتفاعل بين الميل إلى التسـلط والتهديد عند سـتنر(*) (2005)، حاول المشتغلون بعلم النفس الاجتماعي والسياسي إقامة رابط واضح بين التسلطية والتحامل بإثبات وجود وانتشار الميل إلى اللاتسامح (داكيت، 2003). ونشأ ذلك عن الوعي بخطر استبدال «نمط الشخص الديموقراطي» عند أولبورت بـ «نمط الإنسـان المتسـلط» عند آدورنو. وعلى الرغم من أن دراسـة الشخصية التسلطية تعرضت لنقد شديد (انظر براون 1995؛ ومارتن 2001؛ ورويزر وويليغ، 2002) فقد وصفت أيضا بأنها «المسـاهمة التـي تنفرد بأنها الأكثر أهمية في دراسـة سيكولوجيا الفاشـية» وأنها «علامة رئيسية في تاريخ علم النفس (بيليغ، 1978، ص36)، ولاتزال تحوز إسنادا فكريا وإمبيريقيا لا بأس به (انظر وينتر، 2006، لدفاع عن وجاهة الاستمرار في تنمية متصلة للبحوث حول «التسلطية»).

العقلية التسلطية

«بعـض الناس لا يرتاحون إلى الحيـاة في ديموقراطية ليبرالية حديثة»، هكذا تفتتح عالمـة معاصرة مشـتغلة بعلم النفـس الاجتماعي كتابهـا حول ما تدعـوه «دينامية التسـلط» (سـتنر، 2005). وهـذه نقطة مماثلة لمـا يطرحه آدورنو وآخـرون (1950 [1982]) في الشخصية التسـلطية. وبتأثير من التراث السيكودينامي الفرويدي، جاءت النظرة إلى التحامل باعتبار أنه يتقرر بديناميات سيكولوجية باطنة intrapsychically determined. وعلى سبيل المثال، فمن ضمن ما اهتمت به الدراسة المؤثرة «الشخصية التسـلطية» التوثيق للكيفية التي قررت بها ديناميات الشخصية، والصراعات الداخلية التـي لم تصل إلى حل، المدى الذي مضى إليه اسـتخدام الصـور النمطية لتمييز الذات عـن الجماعات المخالفة out - groups (بجعل هذه الجماعات متجانسـة وسـلبية). وفي إطار «الشـخصية التسلطية» اعتُبرت الصور النمطية تجسيدا لاختلالات رئيسية في الإدراك الاجتماعي: وقد جرى التمسـك بها للاحتـماء من الازدواجية والالتباس، واعتُبر أنها، بالأساس، تعميمات خاطئة ومهينة حول جماعات من الناس.

وكما يشـير بيليـغ (1978) فإن «الأفـكار المنبثقة عن نظريـة التحليل النفسي، مباشرة، وجـدت طريقها إلى تقاليد النظرية الاجتماعيـة الإمبيريقية»[2] عند آدورنو

(*) Karen Stenner باحثة رئيسية، أسترالية الجنسية، في منظمة البحث العلمي والصناعي في الكومنولث.

وآخريــن ([1950]1982) (ص31) ومن مهدوا لهم، مثل فروم(*) (1942). وقد أظهر آدورنو وزملاؤه اهتماما برســم خريطة للأســاس الســيكولوجي لما انتهوا إلى توصيفه بأنه أشكال «تسلطية» من الأيديولوجيا السياسية. وانطلاقا من التساؤل البسيط نوعا حول الســبب في أن الأيديولوجيات السياســية المتنافســة تتفاوت جاذبيتها، كل هذا التفــاوت، مع اختلاف الأفــراد (آدورنو وآخرون، ص2 وما يليهــا)، فقد اهتموا بتتبع الاختلافــات الفردية في الانتماء الأيديولوجي. وكانت الفرضية الأساســية وراء ذلك أن هناك علاقة معقدة بين محتوى أيديولوجيا ما وعوامل الدينامية الســيكولوجية لبنية الشخصية. أما بالنسبة إلى آدورنو وزملائه، فالمواقف السياسية والاجتماعية لدى الفرد تتشــابك، وهي تعبير عن «توجهات عميقة الترسب في الشخصية» (آدورنو وآخرون، 1950، ص1). وقــد اهتــم آدورنو وزملاؤه بنوعية (نمط الشــخصية) الذي يولّد لدى الناس قابلية لأفكار عنصرية أو فاشــية. وقد اهتموا بتوصيف الشــخصية التســلطية للفاشي بالإمكانية. وقد نظروا إلى الشــخصية التسلطية كعرض مركب في السلوكيات، والمواقف والميول، يتألف من تسعة أبعاد، تشمل أسلوبا معرفيا بالغ التيبس، لا يسهل عليه اســتيعاب الازدواجية والالتباس، كما تشــمل التقليديــة، والانصياع والعدوانية التسلطيين، والرتابة والتدميرية (انظر آدورنو وآخرين [1950] 1982).

وما يرمي إليه آدورنو وزملاؤه هو تبيان ضرورة أن يكون من الممكن قياس التحامل بتوصيف الشخصية الفاشية (التسلطية) من دون إحالة دقيقة على جماعة إثنية بعينها - وكان أملهــم أن يتمكنــوا من طرح نظرية عامة عن التحامــل. وقد حولت تأويلات آدورنــو وزملائه المقياس - فــاء(**) إلى أداة معتمدة لقياس التســلطية (لوجهات نظر نقديــة حول الموضــوع، انظر: بيليــغ 1978، 1985، هيفن 2001؛ ســتنر 2005). لكن باحثــين آخرين (مثلا، ســييغمان(***) 1961) خلصوا إلى أنه وإن كانت أســس نظرية آدورنو وزملائه معتمدة، فليس كل تحامل متصلا بالشخصية التسلطية. وتؤمن البحوث التي أجراها بيتيغرو(****) في جنوب أفريقيا وجنوب الولايات المتحدة البرهان على أن

(*) Erich Seligmann Fromm العالم الألماني الشهير المشتغل بعلم النفس الاجتماعي.

(**) F-scale أداة معتمدة في دراسات الشخصية لقياس الاستعداد لتقبل الفاشية على المستوى الشخصي.

(***) Aaron W. Siegman (1930-2014) رئيس قسم علم النفس بجامعة ماريلاند، وهو حاخام وفقيه تلمودي، توفي في إسرائيل.

(****) Thomas F. Pettigrew أستاذ البحوث في علم النفس الاجتماعي بجامعة كاليفورنيا، سانتا كروز.

الضغوط من أجل الانصياع لوجهات النظر العنصرية، في ثقافات معينة، تبلغ من القوة درجة تجعلها ذات تأثير على وجهات النظر الشخصية. فالتسلطية لا تكفي، وحدها، لتفسير الاختلافات في التحامل وفي مستويات التأييد للتمييز العنصري.

وقد أظهرت البحوث أيضا عددا متنوعا من الثغرات المنهجية والنظرية في بحوث آدورنو وزملائه (براون 1965؛ كريستي وجاهودا 1954؛ روكيتش 1956، وانظر أيضا آلتماير 1981، وبيليغ 1978). وقد تبين وجود مشكلات في تصميم المقياس - فاء ومصداقيته، وخاصة ما يتصل بالارتباطات مع متغيرات مثل الذكاء، أو الطبقة الاجتماعية، أو مستوى التعليم، وهي متغيرات توحي، حال تفحصها على نحو دقيق، بتفاسير بديلة لأصول التسلطية. وقد وجه آلتماير (1981) انتقادات مهمة إلى المقياس - فاء. وهو يزعم أن المكونات التسعة، التي يقال إنها ما تتألف منه التسلطية، بالغة الغموض، ويقدم الدليل المؤيد لفكرة أن الدراسات التحليلية لعامل التتابع فشلت في الكشف عن الأبعاد التسعة، التي يقال إنها جوهر «التسلطية». وتتمثل الانتقادات الأكثر أهمية لبحوث آدورنو وزملائه في أنها لم تعالج سوى صنف واحد من التسلطية، وهو تسلطية اليمين. ومن هنا نشأ الرأي القائل إن الناس الذين لديهم وجهات نظر سياسية أخرى هم أيضا تسلطيون وبالتالي هم أيضا متحاملون، وتحول هذا الرأي إلى نظرية سيكولوجية عند روكيتش (1956، 1960)[3].

وقد أحيا آلتماير (1981، 1996) الاهتمام بالتسلطية والحرص على قياسها. وهو يقترح فكرة «التسلطية اليمينية» (RWA) التي تتألف من ثلاثة مكونات: الخضوع التسلطي للسلطة، والعدوان التسلطي، والمحافظة (التمسك بالتقاليد الاجتماعية). فآلتماير (1981، 1996) ينتقل بالتسلطية من كونها دينامية سيكولوجية إلى جعلها منظورا للتعلم الاجتماعي. ولم يكن مقياس التسلطية اليمينية (RWA)، الذي خلقه آلتماير، من الناحية التقنية، أداة لقياس الشخصية. ووفقا لما يقوله رينولدز[*] وتيرنر (2010) فإن مقياس التسلطية اليمينية يمكن اعتباره «قياسا لقيم مجتمعية وأيديولوجيات واسعة الانتشار بأكثر مما هو أداة لتقويم الشخصية الفردية»

(*) William M. Reynolds معالج نفسي أمريكي شهير وJohn Charles Turner عالم أمريكي اشتغل بعلم النفس الاجتماعي.

(ص177، وانظر أيضا بيليغ 1976). وقد أظهر آلتماير نفسه تحفظا حول ما إذا كان مقياس التسـلطية اليمينية مقياسا للشخصية، على أي نحو من الأنحاء. وعلى الرغم من الروابط البالغة الأهمية بين مقياس التسـلطية اليمينية والتحامل في عديد من الظروف ومع عينات متباينة من ثقافات مختلفة، فقد أظهرت البحوث المعملية أن مقياس التسـلط اليميني لا يتنبأ بالتحامل إلا تحـت شروط بعينها (لمطالعة تقرير أقرب عهدا، انظر كورس(*) وستيلزل 2010)[4].

ويذهب باحثون آخرون إلى أن إبراز الهوية الشخصية والاجتماعية مهم أيضا لفهـم التحامل(انظر رينولدز وتيرنر 2010؛ وانظر أيضا هاسـلام وويلسـون(**) 2000؛ وفيركيوتن وهاغندورن 1998). ويمكن لزيادة التركيز على الشـخصية أن يفـضي إلى التقليل من «قوة وأهمية» الوضـع الاجتماعي المباشر كعامل يصوغ توجهـات الناس(بـراون 1995 ص31؛ انظر أيضا أغوسـطينوس(***) ورينولدز 2010) ويرتبط هذا النقد بالتأثير الذي لم يجر تفسيره لتوجهات الناس الآخرين، ومعايـير العلاقات داخل الجماعة وبين جماعة وأخـرى. ويمكن التدليل على أن المعايـير الحالاتية والمجتمعيـة، والاتصالات بين جماعة وأخـرى، والعلاقات مع الآخريـن، والخصوصيـة التاريخية للتحامل لهـا تأثير تفـوق أهميته أي نزوع شـخصي (مثلا، داكيت 1988؛ بتيغرو 1958). ويذهب البعض إلى أن التسـلطية قد تكـون، بالحقيقة، نتيجة تترتـب على شروط اجتماعيـة - ثقافية وتاريخية أكـثر مما هي منبثقة عـن نزعات داخلية أو نماذج لتربيـة الأطفال[5]. وتحتفظ المقاربات المعاصرة من «التسلطية» بجوهر المحاجة المؤثرة عند آدورنو: أن بوسع المشتغلين بعلم النفس الاجتماعي والسـياسي التنبؤ بعديد متنوع من توجهات (مناهضة للديموقراطية)، ورؤى للعالم، وآراء، بمجرد افتراض وجود نزوع مشترك، على قدر من القوة، إلى اللاتسامح (مع الاختلاف). وفكرة «التسلطية» تحيل على أناس يتأثر سـلوكهم السـياسي (والاعتيادي) بـ «نزعات عميقة التجذر»، ترتبط

(*) J. Christopher Cohrs أستاذ علم النفس في جامعة جيكوبز الألمانية.

(**) S. Alexander (Alex) Haslam أستاذ علم النفس بجامعة كوينزلاند الأسترالية وHannah Wilson الأستاذة بجامعة فانكوفر آيلاند الكندية وMaykel Verkuyten الأستاذ بقسم العلوم الاجتماعية بجامعة يوتريكت الهولندية وLouk Hagendoorn بجامعة رادبود الهولندية.

(***) Martha Augoustinos أستاذة بجامعة آديليد الأسترالية.

بمواقـف (مناهضة للديموقراطية) معتدلة أو متطرفة. وعلى سـبيل المثال، ففي مسـح عبر قومي لتوجهات لدى طلاب الكليات والجامعات بالنسبة إلى السلطة، والديموقراطية، وخيارات السياسـات التربوية، يبـين فارنن وميلوين (2000) أن المسـتويات المرتفعة من التسلطية تميل إلى أن تكون مرتبطة بتدني عدد النقاط فيـما يتصل بالمواقف من الديموقراطية والأممية، وارتفاعها فيما يتصل بالوطنية والعسـكرية، وبمساندة الخيارات القائمة على وحدة الثقافة أكثر من قيامها على التعددية الثقافية في السياسات التربوية.

وبالنسبة إلى بعض المؤلفين، العقلية التسلطية ليست مميزة لأي مجتمع بعينه أو حقبة بعينها؛ إنها ظاهرة كونية (سـتنر، 2005). وتطرح سـتنر نموذجا «ديناميا» للتسلطية يزعم أنه تغلب على المشكلات في نموذجي آدورنو وآلتماير. فستنر تقترح نموذجا أبسـط، يقوم على متغيرين وصفيين وعلى التفاعل بينهما: النزوع التسلطي وحالـة التهديـد. ويجري اختبـار التفاعل بـين المتغيرين في نطاقـات متباينة من اللاتسامح - اللاتسامح العنصري، والسياسي، والأخلاقي، ويُستكشف عبر استجوابات معمقة مع مشـاركين «تسـلطيين» و«تحرريين». وتضفي سـتنر على حالات النزوع التسلطي وما يترتب عليها طابعا كونيا. وبحسب ستنر فنحن:

> لسـنا بحاجة إلى اللجوء لتفسـيرات تخصيصية... أو للميـول أو التقاليد الخاصة بشـعوب وثقافـات مختلفـة، أو للتوترات الجياشـة المحتدمة التي يحـول دون انفجارها قادة كاريزماتيون. الصرب غير متسـامحين مع الكروات للأسـباب ذاتها (أي ينبع اللاتسـامح من المصادر ذاتها) التي تجعل الكروات غير متسـامحين مع الصرب، وهي ذاتها التي جعلت الألمان غير متسامحين مع أولئـك الذين يطلبون اللجوء هربا من هذا الصراع الإبادي، وجعلت التشـيك غير متسامحين مع الروما، والفرنسيين غير متسامحين مع المهاجرين من شمال أفريقيا، وجعلت الكل غير متسامح مع المنشقين، والخوارج، والمجرمين (انظر ستنر، 2005، ص115).

ويوجز المقتطف السـابق موقف سـتنر. هي تشـير إلى مصدر مشـاع وإلى عملية كونية تطبق في مختلف أنحاء العالم وعبر الجماعات والبيئات الاجتماعية - السياسـية المختلفة. وتقدم الاسـتجوابات المعمقة التي أجرتها سـتنر مع من

وصفتهم بأنهم مشاركون «متطرفون في تسلطيتهم» و«متطرفون في تحرريتهم». وبالتلاعب بعرق المستجوِبين ونوع المستجوِب («أولي» و«شريك»)، أرادت ستنر أن ترى ما إذا كان من الممكن أن ينبئ النزوع التسلطي بالسلوك الفعلي إزاء الآخرين المختلفين. وتألفت الاستجوابات (التي أجراها مستجوِبان شريكان) من مناقشة عامة حول المجتمع الأمريكي، بما يشمل حوارا حول قضايا مثل العرق، وحقوق الأقليات، والحكومة، والتربية، وما شابه. وعلى سبيل المثال، أظهرت ستنر كيف كان المشاركون «التسلطيون» يظهرون قدرا من الترحيب بالاستجواب، عندما يتصل بهم مستجوِب أبيض، يفوق ما يظهرون من ترحيب عندما يتصل بهم مستجوِب أمريكي أفريقي الأصل. في المقابل، لم يظهر أي «تحرري» أي تردد حال اتصل به مستجوِب أمريكي أفريقي الأصل. وعندما كان المستجوِب الشريك أمريكيا أفريقي الأصل، كان «التسلطيون» يظهرون ميلا أكبر لإظهار «مزيد من العداوة» يفوق ما يظهر لدى «التحرريين» - وتأسس ذلك على الانطباعات والتقديرات التي وضعها المستجوب للمستجوِبين. وقد حكم المستجوِبون «الأوليون» والمستجوبون «الشركاء»، كلاهما، بأن التسلطيين «يقل ذكاؤهم كثيرا» عن ذكاء «التحرريين» (ستنر 2005، ص213). ووُصف «التسلطيون» أيضا، بشكل عام، بأنهم أظهروا اهتماما أقل بالمناقشة، وكانوا «أقل جاذبية، كأشخاص»، مقارنة بـ «التحرريين». وبدا، بدرجة أكبر، أن هذا هو الحال بالنسبة إلى المستجوبين «الأولين» و«الشركاء» الأمريكيين من أصل أفريقي. وبدا أن «التسلطيين» «غير مرتاحين للكلام عن العرق» (2005، ص227) في حضور شخص أمريكي من أصل أفريقي[6].

ولاحظ المستجوِبون الأمريكيون البيض والأفارقة، كلاهما، الانفتاح العقلي لدى «التحرريين»؛ ولوحظ أيضا، وبشكل عام، أنهم أشخاص أكثر سعادة ونشاطا وإقبالا على الناس.

وتختزل ستنر التوصيفات المبنية على «الدراسة العلمية للشخصيات» لمستجوِبيها إلى «خصال»، وهي الميزات المستقرة نسبيا لدى شخص ما. وتخرج علينا بعديد من الصفات، «ماهيات» جوانية تُوصّف بها «التسلطيين»، من جهة، و«التحرريين»، من جهة أخرى. «التسلطيون» و«التحرريون» هما «شخصيتان» مائزتان بوضوح،

تصوغــان كل شيء، من ســلوك فرد إزاء فرد إلى الاســتجابات المجتمعية، وصولا إلى مشــكلات مجتمعية. وقد أظهر تحليل للمحتوى الفعلي لهذه الاســتجوابات فارقا جليــا بين «التســلطيين» و«التحرريين». وقد أظهر «التســلطيون»، عموما، «عداوة عرقيــة، وتحاملا، وتمييزا، أكثر بكثير مما أظهره التحرريون» (2005، ص240). وعلى سبيل المثال، فعند مناقشة قضايا العرق، كان «التسلطيون» أكثر ميلا إلى الإشارة إلى أن الأمريكيين من أصل أفريقي لا يتعين أن يلوموا إلا أنفسهم على تدني مركزهم في المجتمع. أما «التحرريون» فكانوا أكثر ميلا إلى الدفع بالحاجة إلى اتصالات أوسع بين الأمريكيين من أصل أفريقي والبيض، ولم يعتبروا أن العلاقات العرقية «تتدهور».

وتصر ســتنر على أن نظريتهــا عامة بالكليــة، وعلى أن للظاهــرة وجودا عابرا للثقافات، مع تعديل طفيف، يتجاوز الإشارة إلى «نحن» و«هم» و(بدرجة أقل) إلى ما يعد صوابا وخطأ «(2005، ص9). وعند الكتابة عن «التسلطيين» و«التحرريين»، فإن ســتنر تشــير ضمنا إلى ما تدعوه تناقض «الديموقراطية الأمريكية». وعلى الرغم مــما في محاجاتها من مزاعم العمومية، العابــرة للبيئات، فهي محاجات متموضعة بقوة في تنظيم اجتماعي وسياسي شديد الخصوصية، هو التنظيم الأمريكي. والصورة التي تنقلها ستنر هي أيضا صورة لـ «تسلطية» لا تتحول. وهي تمضي إلى حد الإشارة، المثــيرة للقلق حقا، إلى اســتحالة أن نتوقع أن يتغير «التســلطيون»، بالنظر إلى أن لديهم نزوعا مسبقا إلى إظهار خصال وسلوكيات كهذه (انظر وينتر، 2006). وتقترب وجهة نظر ســتنر مع وجهات نظر باحثين آخرين يقولون بوجود رابط بين الخصال الشخصية والعوامل الجينية التي تقوم عليها (فيرهيلست[*] وآخرون 2012).

وســواء في تفســيراتها الســيكودينامية أو في نماذجها التفاعليــة المعاصرة، فإن البحوث حول «الشــخصية» تواجه صعوبات رئيسية، بينها ضرورة تنظيم تحد جاد للتحاملات المجتمعية، وتبعات التسلطية: العنصرية واللاتسامح. وتحتاج التفسيرات المســتندة إلى الشــخصية إلى أن تســتكمل برؤى تؤكد على تنوع ما ينتجه ويطبقه في الحيــاة الاجتماعية والسياســية الفاعلون الاجتماعيون، والخطابــات، والدوافع، والأســباب، وماشــابه. وعلى ســبيل المثال، فقد بينت البحوث أن تســاؤلات تتصل بأمــور مثــل ما يحفز الناس على الانضــمام إلى أحزاب يمينيــة، أو العوامل المتصلة

(*) Brad Verhulst باحث في جامعة فيرجينيا كومنولث الأمريكية.

بشعبية التطرف اليميني، يمكن الإجابة عليها بتقليل التركيز على الشخصيات «التسلطية»، وزيادة التركيز على الأسباب والحوافز الفردية، والسير الشخصية والبيئات الاجتماعية السياسية. ولا يكفي أن يقال إن الديموقراطية تتهددها النوازع التسلطية. فالمرء بحاجة، أيضا، إلى أن يفهم تمظهر وانكشاف التحاملات اليومية، والمواقف المتسامحة وغير المتسامحة، والنتائج المتنوعة المترتبة عليها، من شخصية، واجتماعية، وأيديولوجية.

الجوانب الاجتماعية النفسية للتطرف والحركية اليمينية

لا تمثل الشخصية «التسلطية»، إن شئنا الدقة، نقيض الشخصية «الديموقراطية». فالتحليلات المعاصرة للتطرف والحركية اليمينية تؤيد هذه الخلاصة وترسم صورة مركبة للاتسامح. ويبدو أن النقاشات الاجتماعية والسياسية المتباينة الدائرة حول ما يجذب الناس إلى التطرف - ما يدفعهم إلى «الراديكالية» - تتحرك بطيئا، مبتعدة عن فهم يقوم على بنى الشخصية والنزوع إلى اللاتسامح، باتجاه التماهي الاجتماعي ودور التصنيف الذاتي (بيرو وبوريس(*) 1999؛ رينولدز وآخرين 2007؛ فيركيوتن وهاغندورن 1998).

وقد استكشف فيركيوتن وهاغندورن (1998) مستوى التحامل على الأتراك المقيمين في هولندا. وعالجا تماهي المشاركين على نحو يبرز إما الهوية الشخصية (كأفراد) أو الهوية الوطنية (كأعضاء في الجماعة الوطنية، كهولنديين). وتعادلت التسلطية، على نحو ذي مغزى، مع التحامل في حالة الهوية - الشخصية، ولكن ليس في حالة الهوية - الوطنية. وما يثبته فيركيوتن وهاغندورن هو أن بروز الهوية (الشخصية مقابل الاجتماعية/ الوطنية) هو أمر له دلالته، ويؤثر على التعبير عن التحامل. وهكذا يمكن ربط وقائع التحامل بالنزعات التسلطية، في بعض الظروف، لكن ذلك غير ممكن في ظروف أخرى؛ وما يهم هو التصنيف الذاتي عند المشارك كما تبرزه الظروف (انظر أيضا الفصل الخامس لأمثلة أخرى تؤكد على دور وأهمية ظروف التصنيف الذاتي). وفي ظروف جمعية حدية، حاول بيرو وبوريس (1999)

(*) Stephane/Perreault أستاذ الاتصال الاجتماعي بجامعة كيبيك، كندا وRichard Y. Bourhis أستاذ علم النفس الاجتماعي بالجامعة ذاتها.

استكشاف دور متغيرات العلاقة الشخصية في التماهي بين أعضاء الجماعة الواحدة وفي التمييــز بينهم، وتأثيرها عليهــما. وقد أدخلت التســلطية (إلى جانب المركزية الإثنية والحاجة الشــخصية للبنية) في التحليل باعتبارهما متنبئين ممكنين للتماهي بــين أعضــاء الجماعة الواحــدة والتمييز ضد من لا ينتمون إليهــا. ثم جرى تخليق جماعات حدية بالتوزيع العشــوائي أو بالاختيار الشــخصي. ووجد بيرو وبوريس أن المركزيــة الإثنيــة (ولكن ليس التســلطية) تعادلت إيجابا مــع التماهي بين أعضاء الجماعــة، ومع التمييــز ضد الغريبين عنها. وفي الاتجاه ذاته، وباســتخدام منظومة الجماعة الحدية، أجرى رينولدز وآخرون (2007) سلســلة من التجارب ليروا ما إذا كانت الشــخصية يمكن أن تفسر التماهي بين أعضاء الجماعــة والتمييز بينهم. ولم يجدا دليلا على علاقة ذات مغزى بين قياســات الشــخصية التقليدية والتماهي بين أعضاء الجماعة أو التمييز بينهم.

ويمثل صعود اليمين وجاذبيته في السياســة الأوروبيــة ظاهرة محيرة. وبالتركيز عــلى العقلية التســلطية والمتمركزة عــلى الإثنية يضيق المرء نطاق الاستكشــافات النقديــة[7] ويزعم بعض الباحثين إمكانية فهم التطــرف بالإحالة إلى عملية اختزال اللايقين[*]. ويعم الاعتقاد بأن «الأيديولوجيات اليمينة أكثر ملاءمة لاختزال اللايقين من الأيديولوجيات اليســارية» (هــوغ وبلايلوك، 2012). وفي دراســة تحاول ربط اللايقين بالتهديد، يفحص دوســج وآخرون (تحت الطبع) اســتقصاء عملية التحول إلى الراديكالية بين الشــباب الهولندي المســلم. وقد توصــلا إلى أن أربعة متغيرات اجتماعية نفســية هي، على الأرجح، الأقدر على التنبؤ بـ «التحول إلى الراديكالية»: الــلا يقين الشــخصي، تصور غياب العدالــة، تصور خطر محدق بالجماعة وشــعور بالقطيعة الاجتماعية.

وهنا ميل (سواء داخل المجتمع الأكاديمي أو في المجال العام) إلى تصوير التطرف باعتباره الشر الســياسي المطلق. ووفقا للرؤية الأكثر شيوعا، فالتطرف «يعني تجاوز حــدود التدابير المعياريــة التي تحدد العملية السياســية الديموقراطية (كلاندرمانز ومايــر، 2006، ص4). لكن ما يجري تجاهله هو أن التطرف والاعتدال لهما دلالات تختلــف باختلاف الناس؛ فهما يكتســبان الدلالات من البيئات السياســية. ويطرح

(*) uncertainty reduction إحالة على نظرية اختزال اليقين عند تشارلز بيرغر وريتشارد كالابريز (1975).

هوبكنز وكاهاني - هوبكنز (2009) مثالا على ذلك، عندما يفحصان الدلالات المرتبطة بـ «التطرف» و الاعتدال» عند الفاعلين الاجتماعيين أنفسهم. فهما يحللان خطابات الجالية المسلمة ويبرزان تنوع بُنى الهوية الذاتية والاجتماعية، وبُنى «التطرف». ويبينان الكيفية التي ترتبط بها بُنى الهوية الذاتية والاجتماعية بمشروعات الفعل الجمعي، التي، بدورها، تدفع لمقدمة الصورة، علامات قياس اجتماعية - ثقافية مختلفة، وتبرز هذه العلامات التي في ضوئها «يكون الحكم على نسخ جانحة... من الهوية ويجري التعرف على التطرف» (ص111). ويحشد المتحدثون المسلمون الذين يخضعهم هوبكنز وكاهاني - هوبكنز للتحليل بُنى مختلفة من «التطرف» (مثلا، باعتبار التطرف مناقضا للإسلام) لمساندة مشروعات الهوية المسيسة ولتحريك المحاجات السياسية ضد البُنى الجوهرانية للهوية المسلمة (لمناقشة تفصيلية للهوية الجمعية والمسيسة، انظر الفصل الخامس). ويبرهن هوبكنز وكاهاني - هوبكنز على أنه لا يمكن مقاربة التطرف والاعتدال مقاربة مجردة، بل يجمل بالمقاربة أن تكون جزءا من نشاطات وتفاسير اجتماعية يمثلان جزءا منها، وبالتخديم على وظائف اجتماعية محددة.

وعلى الرغم من أن علم النفس السياسي حقق تقدما يعتد به في فهم الجوانب الأكثر شكلانية في التطرف (ارتباطه بالتسلطية، والمركزية الإثنية، والمكانة الاجتماعية - الاقتصادية)، فما نعرفه عن الكيفية التي يفسر بها الأفراد أنفسهم تطرفهم، وراديكاليتهم، واعتدالهم، هو أقل من ذلك. وقد سعت دراسات استكشافية إلى معالجة هذا الخلل في التوازن. خذ، على سبيل المثال، القضية النظرية حول الكيفية التي يقرر بها الناس أن ينضموا لمنظمات شبه عسكرية في أيرلندا الشمالية. وفي استجوابات مع أفراد استخدموا العنف في محاولة لتحقيق أهداف سياسية، إبان الصراع في أيرلندا الشمالية، يبين فيرغسون وزملاؤه (فيرغسون وآخرون، 2008) كيف أن الانضمام للتنظيمات شبه العسكرية ينطوي على عملية عقلانية لاتخاذ القرار كنقيض للاعقلانية الاستجابة التي يحركها نزوع عميق إلى العنف أو تحركها «البيئة». ويُظهر فيرغسون وزملاؤه كيف أن الأفراد يبادرون إلى اتخاذ قرار السعي إلى اكتساب عضوية جماعة مسلحة بعد شهودهم حادثة على جانب من الخطر. وفوق ذلك، فإن فيرغسون وزملاءه يبرهنون على وجود أكلاف

سيكولوجية تتصل باقتراف أعمال عنف (فيرغسون وآخرون 2010)، وعلى أن الناس واعون تماما بهذه الأكلاف. ويرتبط العنف (وفي هذه الحالة الراديكالية) بمشروعات الهوية الفردية والجماعية، ويجري تثبيته داخلها. وفي الاتجاه نفســه أجرى بيرغيس وآخرون (2007) استجوابات مع أعضاء سابقين في الجيش الجمهوري الأيرلندي وفي منظمات حقوق مدنية ســلمية. وتكشــف الاســتجوابات عن صورة مركبة للكيفية التي يخبُر بها الأفــراد الحياة اليومية في مجتمع يكون فيه احتمال التهديد بالعنف المســتقبلي كامنا تحت السطح. ويبين بيرغس وزملاؤه كيف يستخدم الناس معجم «الطائفية» لتفســير خبراتهم اليومية. وهم يلحظون توترا، «خوفا من الآخر» يجري التعبير عنه، في التفاسير الصادرة عن أعضاء سابقين في الجيش الجمهوري الإيرلندي. وهما يبينان أيضا كيف يرتبط إنهاء الارتباط بالجماعات شــبه العســكرية بالكبرياء والشعور بالذنب، في آن معا.

وفي دراســتهما الكاشفة عن حيوات الناشطين من أقصى اليمين في أوروبا، يعالج كلاندرمانــز ومايــر[*] (2006) التطرف اليميني كحركة اجتماعيــة. وقد أجريا 150 اســتجوابا معمقا مع مشــاركين نشــطين في منظمات يمينية في هولنــدا، وبلجيكا، وفرنســا، وإيطاليا، وألمانيا. ويزعم الكاتبان أن «صورة» المتطرفين اليمينيين تختلف عــن صور من يصوت لأحــزاب اليمين أو من لديهم تعاطف عــام معها. ولا يصور كلاندرمانز وماير التطرف باعتباره الشر الســياسي المطلق، ويتخذان موقفا معاكسا للرأي الذي يندفع إلى وصف التطرف على أســاس حزمة توجهات تشمل التسلطية، والعزلــة الاجتماعية، والافتقار إلى التعليم، وانعــدام الأمان الاقتصادي. وفي المقابل، ينطلــق كلاندرمانــز وماير من فكرة مؤداها أن المشــاركة في منظــمات أو حركات يمينية هي «عقلانية على نحو يماثل عقلانية الاشتراك في أي حركة أو منظمة أخرى» (ص7). وهــما يبينان كيــف أن كل منظمات اليمين متماثلة؛ ويبرهنان على اختلاف «الدوافع» و«المحفزات» التي تدفع إلى الاشــتراك وإلى الفعل الســياسي. على سبيل المثال، في إيطاليا تمثل «الاســتمرارية» التاريخية والتناغم الأسري ملمحين متكررين في الهوية الفاشية. وتقدم فرنسا نموذجا مختلفا تماما؛ إنها أكثر تنوعا، ولديها «تراث

(*) Bert Klandermans وNonna Mayer مؤلفا Extreme Right Activists in Europe: Through the Magnifying Glass.

يمكن البناء عليه هو الأقدم والأكثر تنوعا» (ص13). وفي بلجيكا، القومية الفلمنكية هي دافع أكثر قوة من الزينوفوبيا(*)، في حين يبني الناشطون الألمان هوياتهم حول القومية كهوية جمعية.

وتتضارب الصورة التي يرسمها كلاندرمانز وماير مع تفاسير الشخصية التسلطية. ولا يعني هذا أن التحامل أقل إثارة للخوف، لكنه يعني فقط أن مصدر هذا التحامل يتعين البحث عنه في موضع آخر. حتى عندما يتبين أن المتطرفين اليمينيين تسلطيون ولديهم مركزية إثنية، فهذه الملامح يكون ارتباطها بالشخصية أضعف من ارتباطها بالسيرة الذاتية، والتاريخ، وبالبيئة الشخصية والتنظيمية. والتفاسير المعتمدة على داخلية الفرد لا تقدم تقريرا مستوفيا لتنوع السلوكات السياسية، خاصة تلك المرتبطة بالتطرف، والحركية، والمشاركة، وما شابه. ومن الأهمية بمكان أن نتفهم فاعلية الأفراد: وقدرتهم على تفعيل ذواتهم وتفعيل الآخرين؛ قدرتهم على تحديد مواقعهم ومواقع الآخرين؛ وقدرتهم على أداء دور نشط في ترسيم الحدود لتمركزهم الأيديولوجي.

التحامل والإنجاز الاجتماعي

وكما بين القسم السالف، فإن شرعنة الوضع القائم والأيديولوجيات المتطرفة واليمينية ليست في كل الأحوال إعادة إنتاج لذاتها عبر الافتقار إلى المرونة لدى العقلية التسلطية. وتستكمل الدراسات التحليلية للخطاب العرقي هذه الملاحظة ببيان كيف أن الشرعنة العرقية للتشكيلات الاجتماعية ولعلاقات القوة غير المتكافئة يمكن أن تكون، في آن معا، ليبرالية وتسلطية، من حيث الشكل (انظر بيليغ 1991؛ وكوندور 2006؛ وفان ديجك 1984؛ وويذريل وبوتر 1992). فالخطاب العنصري مرن وليس خلاصة بُنى منيعة نسبيا لشخصية تسلطية أو دوغمائية. ويمثل التحامل جوانب بلاغية وأيديولوجية (بيليغ 1985، 2012).

وكما أسلفنا، فإن محاجة ستنر تقوم على فكرة مؤداها أن بعض مواطنينا هم «مواطنون ناقصو الديموقراطية» (2005، ص1). وهناك طائفة واسعة من المواقف التي تعد ضارة بالديموقراطية الليبرالية، ويمكن توصيف هذه المواقف بالالتفات إلى

(*) xenophobia كراهية المختلفين والغرباء.

الشخصية. ونحن لسنا بحاجة فقط إلى تفهم النزعات الجوانية «الأساسية» التي ربما كانــت كامنة «وراء» هذه المواقف، بل إلى تفهم الظروف الاجتماعية والممارســات الاجتماعيــة أيضا التي يجري فيها تفعيل هــذه المواقف، وأداؤها أداء قويا، وكيفية تحققها بالتعاون، وبالمساجلات، وفي إطار اجتماعي.

ويمكن للعرقية في الحياة اليومية أن تؤدي دورا محوريا في إنتاج التحامل واللاتسامح. وفي تحليلها للغة اليومية للعرقية البيضاء تثبت هيل(*) (2008) أن اللغة والثقافة هما المكونان الرئيســيان لطيف من الافتراضات المسبقة، ولأشــكال من التعبير عن العرقية ومن الممارســات اليومية لها. ويقال إن الدلالات الرائجة التي نلصقها بالعرق والعرقية، باللغــة والطريقة التي نســتخدم بها اللغة، جزء لا يتجزأ مــن الكيفية التي تعمل بها العرقيــة وتكرس بها نفســها في المجتمع. وتحيل هيل على دور الفهم الثقافي المشــترك وعلى التفاعل الإنســاني، وعــلى التضمينات، والافتراضات المســبّقة، «عــلى الدعوات، ومفاتيح الألغاز، ونوبات الصمت، والاســتنتاجات التي يدفع باتجاهها المحتوى الحرفي لنــص مــا» (2008، ص33). وهي تبين، على ســبيل المثال، كيف أن المجــازات العرقية والمحاكاة الهجائية للكنات الإسبانية والعربية ولهجات اللاتينو(**) في الخطاب الأمريكي اليومــي يصعب تحديها (وبعضها لا يُنظــر إليه حتى باعتباره تعبــيرا عن «العرقية») بســبب تجذرها في عادات خطابية طقســية راســخة وعادات اجتماعية، وفي نظريات شــعبية عن العــرق والعرقيــة. والأمثلة على «النســخ» اللغوية الخاصــة بالأمريكيين الأصليين، والأمريكيين من أصل أفريقي، من الإنجليزية والإســبانية الأمريكية (ومعظم هذه الأمثلة ســخرية مضمرة من لغة هؤلاء الناس ومن شــخصيتهم) تطرح باعتبارها أمثلة على عرقية بيضاء غير مرئية، وإن كانت «ضارة». وبحســب هيل، فهذه أشــكال مســتترة من العرقية التي لا يبدو أنها بحاجة إلى تفســير، باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الممارسة اللغوية الأمريكية الناطقة بالإنجليزية.

وما يتعرض للســخرية هنا ليس فقط لغة الأقليات الإثنية، بل شخصيتها وطابع وجودهــا أيضا. وفي الخطاب اليومــي الأقليات الإثنية «تجــري تنحيتها عن النمط المعتــاد» (فيركيوتن، 2001) واختزالها في «جواهر» جمعية. وربما كانت أيديولوجية

(*) Jane Hassler Hill أنثروبولوجية أمريكية مؤلفة كتاب «اللغة اليومية للعرقية البيضاء».

(**) هم الأمريكيون المتحدرون من أصول أمريكية لاتينية.

اليمين المتطرف إحدى البيئات الأكثر إنتاجية للتعبير عن التفكير التحاملي «الجوهري» بأولئك الذين يوصفون بأنهم الآخرون. ويحلل هولتز وفاغنر (2009) المشاركات في نقاش على الإنترنت بين أعضاء جماعة من اليمين المتطرف ويُظهران خطابا عرقيا مختلفا موجها إلى جماعات مستهدفة «مفضلة»: اليهود والأفارقة/السود. وفي أسلوب ينتمي إلى تراث التآمرية يُنظر إلى اليهود باعتبارهم فاعلين «فوق بشريين» في مجال التحكم والسيطرة على العالم. أما «السود» فيُنظر إليهم باعتبارهم خطرا على «نقاء» العرق الألماني.

ويذهب هولتز وفاغنر(*) إلى أن الخطابات التحاملية تركز على «جواهر» الجماعات المحددة، ناسبة إليها صفات خاصة بالجماعة، غير قابلة للتحول، وثابتة. ويُفهم ضمنا أن «النزعة الجوهرية» لا يمكن أن يكون لها سوى تأثيرات سالبة وقمعية. وفي دراسة بالغة التميز يبين فيركيوتن كيف أن حديث النزعة الجوهرية يمكن أن تكون له آثار قمعية وتقدمية، في آن معا. ففي نقاشات جمعية حول المجتمع الهولندي يظهر أعضاء منتمون إلى الإثنية الهولندية وأعضاء منتمون إلى أقليات إثنية، قدرا من المرونة في تعريف أفكار النزعة الجوهرية، وفي تطبيقها على الجماعات الإثنية. ويذهب فيركيوتن إلى أن النزعة الجوهرية ليست بالضرورة قمعية، بل إنها، بالأحرى، «مورد سجالي مرن يتنوع تعريفه واستخدامه وفقا للمهمة التفاعلية المطروحة» (ص374). ويبرهن فيركيوتن على أن أعضاء الجماعة الرئيسية وأعضاء الأقليات العرقية بوسعهم، جميعا، استخدام الكلام الجوهري، غير أنهم يخضعونه لاستخدامات مختلفة. وعلى سبيل المثال، فمن الممكن أن يمثل «نزع الجوهر» الثقافي استراتيجية نافعة للأقليات الإثنية لتحدي التمثيلات والتوصيفات التصنيفية السالبة من جانب الجماعة الرئيسية ومقاومتها (ليودار(**) ونيكفابيل 2000).

وفي نقاش مائز حول الخطابات العامة المتصلة باللجوء وطالبيه (رسائل موجهة إلى الصحف القومية البريطانية من أفراد من الجمهور) يبيّن لين ولي(***) (2003)

(*) Peter Holtz وWolfgang Wagner أستاذا علم النفس الاجتماعي بجامعة يوهانس كيبلر النمسوية.

(**) Ivan Leudar أستاذ علم النفس البريطاني من أصل تشيكي وهو متقاعد كأكاديمي لكنه باحث في علم النفس وممارس للفنون البصرية، وقد شارك JirČí Nekvapil وآخرون في بحث حول «فضاءات ووجوه في الدراسات النقدية للإرهاب».

(***) Nick Lynn و Susan J. Lea باحثان في قضايا اللجوء بجامعة بلايموث البريطانية.

كيـف أن طالبي اللجوء يُكتب عنهـم بطريقة تبرر معاملتهم على نحو مختلف ولا إنســاني. ويلاحظ لين ولي الاستخدام الموسع لصياغات تســتند إلى حالات استثنائية وإلى تســاؤلات بلاغية بدفوع تســاند معاملة طالبي اللجوء باعتبارهم «مشكلة». وقد جــرى ربط قضية أخلاقية هي النزاهة (نزاهة طالبــي اللجوء ونزاهة الدولة) بالتمييــز بين طالبي اللجــوء «الزائفين» و«الحقيقيين». ويســتخدم خطاب النزوع الأصــلي لشرعنة خطابات عرقية، ووظيفته هي جوهــرة الخواص المميزة لجماعات اجتماعيــة، ولـ«التمييــز» بين الذات والآخر، بين المنتمــين إلى الجماعة والخارجيين. وجــرى تخليــق بنية لطالبــي اللجوء باعتبارهــم نزاعين إلى «الانصيــاع إلى طبيعة إجراميــة موروثة، شرهة ومراوغة» (ص447). ويلاحــظ لين ولي كيف أن «النزوع» ليس بنية بالغة الرسوخ، بل إنه، بالأحرى، بنية خطابية وإنجاز. وباستخدام إحالات وصفات معينة لنزعة جوانية للفعل أو الســلوك، على نحو معين، يبين لين ولي كيف أن كاتبي الرســائل يؤسسون بنية «شخصية» خصوصا لأناس يُنظر إليهم باعتبارهم غير جديرين بالعيش في المجتمع البريطاني.

وفي الاتجــاه ذاتــه، وبالتركيز على خطابــات الهجرة في هولنــدا، يثبت فيركيوتن (2005) أن الفاعلين الاجتماعيين لديهم ميل إلى استخدام صور مجازية مألوفة، وطرائق متاحــة ثقافيا للحديث حول الخيار، والجــدارة والتعددية الثقافية، للتمييز بين فئات المهاجرين: المهاجرين «الحقيقيين» كنقيض للمهاجرين «الاقتصاديين»، و«الباحثين عن فرصــة» و«العمالة المهاجرة». وهــو يبين أيضا كيف أن الحكم الاجتماعي- الســالب والموجب معــا- على التعددية الثقافيــة تصوغه الطريقة التي «تعــرّف» بها أصناف المهاجرين، على أساس «نزعات» معينة للتصرف على نحو خاص.

وإنــكار التحيز في الحوار أحد أكثر الإجراءات شــيوعا في إدارة التحيز في الكلام (كوندور وآخرون 2006؛ فان ديجك 1992). وعندما يدرس المرء الانحياز باستخدام منهجيات تعتمد على المقابلات الاجتماعية (مثلا، اســتجوابات شبه مرتبة(*) semi-structured أو ذات نهايــة مفتوحة، فئــات تمثيلية) فإنه يتعين عليه معالجة هذه المقابــلات باعتبارهــا تفاعلات اجتماعية قائمة بذاتها. وهــذا أمر تترتب عليه نتائج معينــة في البحث والتعبير، وفي إنــكار الانحياز أو التخفيف مــن حدته، في الحوار

(*) استجوابات غير كاملة التجهيز، بحيث يتسنى للمستجوِب إضافة بعض الأسئلة في أثناء الاستجواب.

الاجتماعي. وعلى سبيل المثـال، في المحادثـات المتعددة الأطراف (الاسـتجوابات أو الجماعات الممثلة) قد يمارس المشـاركون أنفسـهم «ضبطيـة» التعبير أو القمع إزاء الـكلام المتحامل (انظر كوندور وآخريـن، 2006). ويمكن معالجة معظم هذه المقابلات الاجتماعيـة كمقابلات حوارية حيث يجري غرس الـكلام المتحامل، بكل أمان، داخل «التصميم المرهف لرقصات الإيلاف اليومي» (كوندور، 2006، ص15).

وفي سلسـلة من الدراسات (كوندور، 2006؛ كوندور وآخرون، 2006) يبين كوندور وزمـلاؤه كيف يتصور المرء الـكلام المتحامل كإنجاز تواطـؤي[8] وهم يبينون كيف أن التعليقات الإشـكالية (الزينوفوبية) المتداولة شـفاهة يجري «الدفـاع» عنها أو التنكر لها، ليس فقط من جانب منتجيها، بل من جانب المشـاركين الآخرين في المحادثة أيضا. وتعامل الاتهامات المحتملة والفعلية بالتحامل، حواريا، فيما قد تسعى نماذج المحادثات إلى «التهـرب» من الاتهامات بالتحامل. ويتحقق ذلك عبر إزاحات لضمائر المتكلم (من «أنا» إلى «نحن» أو من «أنت» إلى «نحن»)، أو عبر تصحيحات وجبورات، أو عبر تفعيل مواجهة بلاغية ضد فكرة مؤداها أن شريك المحادثة هو من النوع المتحامل، والذي يعد سـلوكه نتاج «نزعة» لديه. وتعتمد التقارير المنطوية على تحامل من جانب المشاركين على تعزيز المشـاركين الآخرين في المحادثة لمواقفهـم، أو للنزول بها إلى الحد الأدنى، أو لتلوينها، وفي أحيان أخرى على تزويدها بمفتتح محادثاتي مناسـب، أو على السـماح لها بأخـذ الكلمة و/أو الاحتفاظ بهـا. وما يثبته كوندور هو أن الخطـاب التحاملي يتولد عن مناسـبة في التفاعل الاجتماعي[9]. ولا تكمن المسـؤولية عـن الجهر بالنفور الإثني والعرقي في شخصيات الناس. فالجهر بالتحامل لا يمثل التعبير المرصود على نحو متصل للمدركات، والمشاعر، والتوجهات الداخلية، وما شابه. والتحامل العام هو بالأحرى فعل تواطؤي وإستراتيجي.

الإقصاء المعنوي والتعصب: نزع الشرعية ونزع البشرية

كما سـبق أن قلنا، فإن سـتنر تسـتخدم الاسـتجوابات المعمقة مع أشـخاص «تسـلطيين للغاية» و«تحرريـين للغاية» لتعطي نظريتها ملامح مميزة، اسـتكمالا للنتائـج التجريبية. وهـي تزعم أنه بالتركيز على «الخصـال» يكون المرء قادرا على التمييز بين توجهات الأفراد «التسلطيين» و«التحرريين». وعلى الرغم من أن التمييز

قـد يبقى قائمـا في بعض الظروف، فإن حالة التحامل البالـغ والإقصاء المعنوي تعد مثالا جديرا بالاهتمام على إعادة صوغ هذه الخلاصة.

وقـد صـدرت، في عهد قريـب، نداءات تدعـو إلى تحرك «متجـاوز للتحامل» (ديكسـون[*] ولافـين، 2012) ومتجاوز للتمييـز التقليدي بـين العرقية «القديمة» و«الجديدة» (بيهرسون[**] وليتش 2012). وهذا التحرك يترتب عليه بالأساس الأخذ بعـين الاعتبار وجود أنماط مختلفة من التحامل وفكرة أن ظواهر التحامل ليسـت كلا متماثلا (وليست الجماعات المستهدفة بدورها متماثلة). فالكلمات ليست مجرد كلمات، الكلمات «تجرح» (ماتسـودا[***] وآخرون) وتترتب عليها آثار أيديولوجية تتصل ببنية تضع الناس خارج النظام الأخلاقي المتحضر.

وخطاب الإقصاء المعنوي الموجه إلى شـعب الرومـا أو الغجر في أوروبا هو حالة لها علاقة بموضوعنا. وعلى سبيل المثال، فإن تيليغا (2005، 2006، 2007) يبين كيف أنه فيما يتصل بالروما كلا المؤيدين والمعارضين للسياسات اليمينية يعبرون عن آراء بالغة التحامل. وهو يشـير إلى «توافـق» حول خطاب إقصاء خلقي ضد الرومـا في أوروبا (وهو خطاب يختلف عن الخطابات التحاملية ضد الأقليات الأخرى) حيث ينكر إنسـانيتهم، ويضعهم خارج حدود تطبيق القيم، والقواعد، والاعتبارات الخلقية (أوبوتو[****] 1990).

وهنـاك رابطة مؤكـدة بين التحامل ونـزع الشرعية ونزع البشرية، من دراسـات تاجفل[†] الأقدم عهدا (مثلا، تاجفل 1969) وحتى التحليلات الاجتماعية السـيكولوجية الأقرب عهدا (مثلا، باسشـيان وهاسلام 2011؛ هاسـلام ولونان[‡] 2012؛ ليينز وآخرون 2003، موسـكوفيسي وبيريز 2005). وعلى سبيل المثال، استخدم تاجفل مصطلح «نزع الشـخصية» للإحالة على شكل «أكثر اعتدالا» من أشكال نزع البشرية عن غير المنتمين للجماعـة (تاجفـل 1981، أ) من دون تفصيـل فيما يتصل بالمتتاليـة الرابطة بين نزع الشـخصية ونـزع البشرية. وقد انحصر نزع الشـخصية، في الغالب، في نزع شـخصية

(*) John Dixon من الجامعة المفتوحة، ميلتون كينز، وMark Levine من جامعة إكستر، بريطانيا.

(**) Samuel Pehrson أسـتاذ علم النفس في جامعة سانت آندروس الإسكتلندية وColin Wayne Leach أستاذ علم النفس في جامعة كونيتيكت الأمريكية.

(***) Mari J. Matsuda أستاذ العلوم السياسية بجامعة هاواي.

(****) Susan Opotow أستاذة علم النفس الاجتماعي بجامعة نيويورك.

(†) Henri Tajfel (1982-1919) أستاذ علم النفس الاجتماعي البريطاني البولندي المولد.

(‡) Steve Loughnan أستاذ علم النفس الاجتماعي بجامعة ملبورن الأسترالية.

الذات (كــما في نظرية التصنيف الذاتي، مثلا) وفُهم على أنه «عملية إدراكية تقع، على نحــو ما، خارج نطاق اللغــة» (بيليغ، 2002، ص184). وما لايقر به المشــتغلون بعلم النفــس الاجتماعي والســياسي صراحة، في بعــض الأحيان، أنه «في المقــام الأول، وعلى نحو حصري أحيانا، نحن نستخدم الخطاب الخلقي للانفصال عن الآخرين ولإقصائهم» (غراومــان(*)، 1998، ص47). ولا بد للمرء من تقصي الكيفية التي قد تميل بها الطرائق الخاصة في الكلام إلى نزع الشــخصية (وأحيانا نــزع البشرية) عن «الآخر، وكيف يُنجز نزع الشــخصية ونزع البشرية، فعليا، في التفاعل والــكلام على «الآخرين». وما يدعوه علماء النفس الاجتماعيون التجريبيون «الإنســانوية» Humanness ليس مجرد «بعد أساسي في الإدراك الاجتماعي» (هاسلام ولونان، 2012، ص91) لكنه أيضا إنجاز خطابي. فليس هناك وجود لبعد واحد للإنســانية يمكــن تفعيله، لكن المحللين، بالأحرى، يجدر بهم أن يوضحوا «المتتالية الرابطة بين التحامل والتعصب أو بين نزع الشــخصية ونزع البشرية» (انظر بيليغ، 2002، ص183). وعوضا عن تصور الاشــتغال على نزع الشرعية ونزع البشرية، باعتبارهما انعكاسين لما يحمله الناس داخل رؤوسهم، فيمكن إثبات أن الناس يستخدمون طرائق في الكلام تنزع الشخصية، وتنزع الشرعية، وتنزع البشرية عن جماعة معينة، لتكييف وصوغ طبيعة الأفعال، والأحداث، ولتكييف وصوغ مسؤوليتهم ومسؤولية الناس عنها.

وكــما أوضح تيليغــا (2005، 2007) فنزع البشريــة Dehumanisation يمثل شــكلا متطرفا من نزع الشــخصية، وهي عملية تقع في اللغة وعبرها، هي مســألة «تطبيق» سياقي وخطابي لنظام خلقي، بما هو مناقض للنظام النفسي - الجواني. وفي تحليله لاستجوابات شــبه مرتبة مع مهنيين من الطبقة الوسطى من الروما، تناقش قضايــا يثور حولها «جدل» عام يتصل بالتحامــل والقضايا ذات الصلة بالتحامل في مجتمــع الروما، بيّن تيليغــا أن الخطاب المتحامل والتمييــزي الموجه ضد الروما لا يصدر عن المتطرفين سياسيا فحسب، بل يأتي من كل ألوان الطيف المدني والسياسي الرومــاني. فكل من السياســيين «المناصرين» للسياســات المتطرفــة و«المعارضين» لهــا يصفون الروما بأنهــم موجودون حيــث لا ينبغي لهم، ومتجاوزون للســلوك

(*) Graumann Carl-Friedrich (1923-2007) أستاذ علم النفس الاجتماعي والرئيس السابق لاتحاد علم النفس الألماني (DGPs).

المتحـضر، متدنّـون، منفّرون (أو مثيرون للنفور) (انظـر تيليغا، 2006 للاطلاع على مثـال). وهذه التوصيفات تمثل مـوارد رمزية لإعادة إنتاج نزع الشرعية عنهم، نزع الشخصية (وبالنهاية نزع البشرية). ويجري تكريس إشكالية سلوك الروما و«طريقة حياتهم» بالإشـارة إلى حالات متطرفة وسـلوك اسـتثنائي. فهم يصورون بصورة من يتجاوزالحدود الخلقية(والفضائية)، وكنتيجة ترتبت على ذلك، فهم يصنفون، نمطيا، باعتبارهم «مادة موجـودة حيث لاينبغي لها». ويُنظر إليهـم باعتبارهم منتهكين للأعراف الاجتماعية والخلقية، بما يضعهم خارج ما يعتبر مقبولا.

وبتكرارية تفـوق المعتاد، يجري تصوير الروما باعتبارهم «مشـكلة» من دون «حل». وتقدم الأدلة أيضا على أن الحلول العقلانية لـ «المشـكلة» لم تُجْدِ. والرسالة الضمنيـة هنا هي أنه لا وجود لحل عقـلاني للتعامل معهم «هم». ومع تصويرهم بصورة «المشكلة» التي تطالب بحل، فلم يعد يُنظر إلى الروما ككيانات ذات أخلاق، وحرموا من أن يكون لهم موقعهم المعنوي المسـتقل في العالم، وبالنسـبة إلى بعض الناس هم «حثالة المجتمع»، وبالنسـبة إلى آخرين هم ليسـوا فقط أقذارا، بل هم «القذارة» ذاتها. وتسـتخدم مجازات متباينة تتصل بالفضـلات (قذارة، حثالة، وما شـابه) للإشـارة إلى البقايا البشرية. وتصنيف الروما باعتبارهم فضلات، باعتبارهم متدنين، يعني تجاهل خصالهم البشرية المنظورة والإشـارة إلى خلاصة ذات دلالات اسـتئصالية. ويبين تيليغا كيف أن الخطاب التحاملي المتطرف تجري إدارته بعناية: فالفرضيات المنطوية على الاسـتئصال موجودة فيه، ومعلنة، لكن الخلاصة ليسـت كذلـك. فالخلاصة شيء لا يمكـن تقريره مباشرة، والرغبـات اللاأخلاقية والمحظورة اجتماعيا تكمن تحت سطح أيديولوجيات الإقصاء المعنوي.

وعندما يفكر المرء في نزع الشرعية، ونزع الشخصية، ونزع الإنسانية كممارسات خطابية، فربما يتعين عليه أن يأخذ في اعتباره أن الحوار بين المُستجوِب والمستجوَب قد يخلق الأمور المسـكوت عنها الخاصة به. وكما قال بيليغ (1999)، الحوار يؤمن المـوارد لعمليـة «قمع اجتماعي» بالنسـبة إلى طائفة محددة مـن الناس، نصنفها «نحن» المسـتقرين، المتحضرين، وما شـابه، باعتبارها موجودة حيث لا ينبغي لها، باعتبارها متدنية، وبشـعة ومثيرة للرثاء، ونحاول وضعها وراء حدود المعقول ووراء «الوجود» المعنوي في العالم.

ويمكـــن النظر إلى التحامل البالـــغ باعتباره إنجازا تفاعليا، أكـــثر مما هو تعبير عن نزوع عرقي جواني. ويحتاج المرء إلى أن يأخذ بعين الاعتبار المحيط الاجتماعي (وفي هذه الحالة، الاستجواب البحثي الاجتماعي) الذي يجري فيه التعبير عن المواقف (العنصرية أو غيرها). ويمكن للمرء أيضا أن يمضي بالتحليل إلى ماوراء حدود الأنشطة المشمولة في الاســـتجواب - المحادثة (كوندور 2006؛ ويذرويل 1998، 2003) ليضعها ضمن التاريخ الخطابي، البيئة الاجتماعية، السياسية الأيديولوجية. والتفاسير التي حللها تيليغا (2007) ليست، في بنيتها الداخلية نازعة للشخصية، أو نازعة للشرعية، أونازعة للإنسانية. وعلى ســـبيل المثال، في بعض الظروف لم يكن هناك إنكار مباشر لإنسانية الروما، لكنهم كانوا على الرغم من ذلـــك يقدمون باعتبارهم «الصنف غير الصحيح» من الكائنات البشرية (رورتي، 1989) وفي «المـــكان غـــير الصحيـــح». وفي حين اعتُبروا متدنـــين، واعتبروا مادة «في غـــير مكانها»، فإن الروما لا يصورون باعتبارهم منتســـبين إلى «المجتمع» الأخلاقي ذاته الذي يضم الجماعات الأخرى (الرومانيين، والهنغاريين، وجماعات الأقليات الإثنية الأخـــرى). وتتميز خطابات التحامل والاختلاف البالغ بنـــوع من الغياب: فليس للروما وطن قومي كغيرهم من الأمم. وبهذه الكيفية، فإن التحامل البالغ يحتوي على «القوة التمييزية» المتصلة بغياب فضاء قومي، ويشير إليها ضمنا.

توسعة مجال علم النفس السياسي للاتسامح

ذهب هذا الفصل إلى أنه لكي يتيسر فهم طبيعة اللاتسامح، والتحامل، والعرقية، فـــلا بد للمـــرء من توجيه عناية فائقة إلى ما يقوله الناس، إلى الكيفية التي يمكن أن تجعل من التحامل أو اللاتســـامح، في بعض المناســـبات، إنجـــازا خطابيا تواطؤيا أو قضيـــة توصيفات نازعة لشرعية الناس ونازعة لإنســـانيتهم. وكان من آمال أولبورت (1954) أن يتيـــسر «تحرير» الشـــخص من نـــير التحامل الإثني والســـياسي، والأمل بالنهاية هو جوهر الليبرالية.

وقد يظن بعض المشـــتغلين بعلم النفس الســـياسي أن أولبورت كان من الممكن أن يغبط المشتغلين بعلم النفس الاجتماعي والسياسي المعاصرين على ما لديهم من تقانات متعددة المســـتويات وتنبؤية، وهذا ما لن نعرفـــه أبدا، أما ما نعرفه (أو ما يمكننا اســـتنتاجه، على الأقل، من كتابات أولبورت) فهو دراســـة «طبيعة التحامل»،

بالنسبة إلى أولبورت، تضمنت دراسة قائمة بذاتها، بالأساس، للبيئة الاجتماعية - الثقافية التي تنمو فيها التوجهات التحاملية، والتي يجري فيها إنتاجها وإعادة إنتاجها. وهذه البيئة هي ما تهمله التقانات المتعددة المستويات والتنبؤية لدى المشتغلين بعلم النفس الاجتماعي والسياسي المعاصرين.

وقد ذهب هذا الفصل إلى أن الملامح السيكولوجية المحددة للاتسامح والإقصاء المعنوي لا يمكن اختزالها في نوازع عقلية جوانية أو في طبائع أساسية في الشخصية. ولا يمكن للمرء أن يستوفي فهم تمظهرات التطرف، أو جاذبية التطرف اليميني وتمظهراته في أوروبا الغربية أو خطاب الإقصاء المعنوي البالغ ضد الروما في أوروبا الشرقية، إذا درس اللاتسامح باعتباره نزوعا أو عقلية تسلطية. فلا بد من أخذ اللاتسامح مأخذ الجد ودراسته في ذاته باعتباره أمرا يجري إظهاره على نحو نشط، وتفسيره، والدفاع عنه، وما إلى ذلك، ضمن أنشطة اجتماعية متنوعة، وكجزء منها. ولكي يكون هناك علم نفس سياسي شامل للاتسامح فلا بد من الاهتمام بعمومية وشمول يوازنهما ويكملهما الاهتمام بالثقافة، واللغة، والتفاعل الاجتماعي، والطرائق الفعلية التي يجري بها تفعيل اللاتسامح وإنجازه في الممارسات الاجتماعية.

وتميل البحوث حول «العقلية التسلطية» إلى التركيز على نمط اجتماعي ما، على نمط معين من الأشخاص، يكون، كما تقول ستنر، «غير قادر على التعامل ببساطة طبيعية أو بكرم مع أولئك الذين ليسوا من قرابته أو من نحلته» (2005، ص1). لكن ما تهمله هذه المقاربة هو أن كل مجتمع ينتج، على نحو متصل، مخزونا من التحاملات، والخبرات والمعارف البدهية التي يستخدمها الناس العاديون لتفعيل التمايزات بين «نحن» و«هم». ولايمكن استنباط هذا المخزون من التحاملات ببساطة من «الشخصية» أو من التنظيم الجواني لعمليات عقلية. وعوضا عن ذلك، فلا بد أن ينظر المرء في المحل الذي تتموضع فيه هذه التحاملات، وأين يوجد «بيتها»، إذ إن «بيتها» هو التنظيم الاعتيادي للممارسات الاجتماعية واللغوية. فالتسامح واللاتسامح ليسا مجرد ملحقين للشخص المنفتح العقل كنقيض كامل للشخص المنغلق العقل، بل هما أقرب إلى أن يكونا موتيفتين تقليديتين topoi حواريتين تغطيان كامل الطيف السياسي والأيديولوجي، من اليسار إلى اليمين، من الليبرالية إلى المحافظة.

4

التمثيلات الاجتماعية للشؤون والمعتقدات السياسية

«يمكن لنظرية التمثيل الاجتماعي أن تساعد علم النفس السياسي على تحرك يتجاوز المناظرات (الثنائية) حول التنظيم النخبوي مقابل التنظيم الجماهيري للمعرفة، وحول البنية مقابل الوظيفة في الممارسات الاجتماعية، والشكل مقابل المضمون في التمثيلات الاجتماعية، باتجاه تحليل دينامي وتكاملي لهذه المسائل، تحليل لا ينكر علاقتها بالمعرفة المشتركة»

من النظم العقدية للتمثيلات الاجتماعية

هناك توافق معلن، في علم النفس السياسي، على أن أداء مجتمع سياسي لوظائفه مرتبط بأنواع وتباين المعتقدات التي ينميها الفاعلون الاجتماعيون (النخبة والكتل الجماهيرية)، فيما يتصل بالأمور السياسية ذات المغزى، أو بالأيديولوجيات، وبكيفية تنظيم هذه المعتقدات بالنسبة إلى الآخرين. وكما يقول دواز وستايركليه(*) فإن «أداء مجتمع سياسي لوظائفه الديموقراطية يتسم باتخاذ مواقف مجابهة إزاء موضوعات ذات أهمية اجتماعية» (2002، ص 153). ويرسم هذا الفصل الخطوط العريضة لبعض القضايا التي تنشأ عن محاولات توصيف

(*) William Doise أستاذ علم النفس الاجتماعي بجامعة جنيف وChristian Staerklé أستاذ علم النفس الاجتماعي بجامعة لوزان.

التنظيم الاجتماعي للمعتقدات، مع تأكيد على الروابط بين الاتصال، والهوية والمجتمع، والبُنى الشائعة للتصنيفات السياسية.

وإذ يفعــل ذلك، فهــذا الفصل يعــرض المنطلقات الرئيســية لنظريــة التمثيلات الاجتماعية، كنظرية للاتصال الاجتماعي والمعرفة الاجتماعية. وفكرة سيرج موسكوفيسي عن «التمثيل الاجتماعي» واحد من المفهومات التي اســتُخدمت لبلورة فكرة المجتمع كـ«نظام للمعرفة» ولـ «التفكُر». وينتهي الفصل بمناقشــة المســاهمة الأصلية لنظرية التمثيلات الاجتماعية في تفسير تباين وتنوع المعرفة الاجتماعية والسياسية، والتوترات، والتغيرات والتحولات في الحياة الاجتماعية والسياسية الحديثة.

وعندمــا يلتفت المرء إلى الدراســة العلميــة للمعتقدات، يجد نفســه في مواجهة الســؤال: كيف لنا أن نتفكر في المعتقدات بطريقة يمكن أن تفسر التموقع العدائي إزاء موضوعات ذات أهمية اجتماعية؟

وقــد كان فيليــب كونفــيرس واحدا مــن أوائل الباحثــين الذين أظهــروا اهتماما بالتوصيــف المنهجي لمــا دعاه «النظــم العقديــة». وورقة كونفــيرس «طبيعة النظم العقديــة» التي نشرت في ماس بوبليكس Mass Publics (1964) هي الورقة التي قد يُعــزى إليها التأثير الأكــبر في الطريقة التي تطور بها علم النفس الســياسي، كفرع من فروع الدراســة الأكاديمية في الخمسين ســنة الأخيرة. فقد أثرت في المشتغلين على الرأي العام والأيديولوجيا السياســية، لكن تركيزها الأصلي بقي تركيزا تطبيقيا: تقويم الكفاءة المعرفية / السياسية للمواطنين العاديين.

ووفق كونفيرس، فالنظام العقدي يعرّف باعتباره «تهايؤ الأفكار والتوجهات التي تترابــط فيها العناصر معا بنوع مــن الانحصار أو الاســتقلال الوظيفي» (كونفيرس، 2006، ص 3). وتتألــف النظــم العقديــة من «عناصر – أفــكار» «تتنوع من حيث الخاصيــة التي ندعوها المركزيــة، محكومة بالدور الذي تمارســه في النظام العقدي ككل» (كونفــيرس، 2006، أ، ص 4 - 5). و«العنــاصر - الأفــكار» المتعددة، في نظام عقدي ما منتشرة اجتماعيا... وتميل إلى الانتشــار في «مضمومات» درج المستهلكون عــلى النظر إلى كل واحدة منهــا كوحدة «طبيعية»، لأنها تقدم على أنها كذلك («إذا آمنت بهذا، فســوف تؤمن أيضــا بذاك، لأن الارتباط قائم على هــذا النحو وذاك») (2006، أ، ص 8 - 9).

وهو يكتب عن «الشـخص المطلع على الأمور» وعن «المواطن المنخرط حقا»، ذلك الذي يستوعب معلومات ظرفية ليفك تعقيد الصلات بين مناطق مختلفة من السياسة والسـلوك السياسي[1]. ويتقرر ما هو معروف أو غير معروف، وما يمثل جزءا من النظم العقدية وما ليس جزءا منها وفق تدفق المعلومات التي تتقرر إتاحتها، في وقت بعينه، باتجاه الشـخص. وانطلاقا من فرضية أن المعلومات المتصلة بالسياسـة يجري توزيعها بين الجمهور العام بالقدر نفسـه من التفاوت الذي يتصف به توزيع الثروة (كونفيرس، 1962، ص 582)، فهو يمضي لافتراض أن تنظيم المواقف الأكثر تحديدا على نحو يجعلها نظما عقدية واسـعة الانتشار سوف يكون أقل حضورا مع تحرك المرء «من القلة الأكثر تعقيدا باتجاه القواعد الشـعبية» (ص 30). والجغرافيا السياسـية عند كونفيرس هي جغرافيا «سلسـلة الجبال»، أو جغرافيا «العنقود المشـوش من الأهرامات» التي تظهر «حفـرا تحديديا حادا وتمييزا بين العقائد، من قمة نخبوية لقمة نخبوية، وإن بقيت القواعـد الجماهيرية متشـابكة، بدرجة من الاسـتفاضة تجعل من المسـتحيل تحديد النقطة التي ينتهي عندها هرم ويبدأ الآخر (ص 66).

وتعكس مقاربة كونفيرس اتجاها عميق الجذور بين المشتغلين بعلم النفس السياسي إلى البحث عن نماذج قابلة للتوضيح، وللتمييز، من التفكير والسلوك السياسيَين (يسهل قياسـها، وعقد المقارنات والمقابلات بينها، على سبيل المثال) وتحديدها، وتوصيفها، في إطار الوظائف المعرفية للفرد، مع تنحية النماذج الملتبسة، الأقل تحديدا، والأقل تمايزا، الناشـئة عن العمليات الاجتماعية [2]. وتعبر منطقة قمـة النخبة عن اهتمام (عميق) بالنظام، والتنبؤية، والقياس الدقيق، للتفكّر السياسي والسلوك السياسي؛ أما «القاعدة» فمتروكة للخطل، والتشوش، والتحيز، والالتباس.

وفي السـعي وراء العموميـة، ووراء «خريطـة» عادلة لتوزيع المعرفة السياسـية والانخراط السياسي، فإن رؤية كونفيرس لا تترك مساحة واسعة لفكرة أن المعرفة السياسية (المعرفـة الثقافية والاجتماعية) ترتبط بسـياق إنتاجها، وتحتـاج إلى أن يجري تمثيلها، وبناؤهـا، ونقلها، حتى تؤدي وظيفتها باعتبارها معرفة «مشـتركة». ويمكن اسـتكمال رؤية كونفيرس، على نحو مجد، بمقاربات سـيكولوجية اجتماعية تتقاسـم الاهتمامات ذاتها إزاء تنظيم وتوزيع المعرفة الاجتماعية والسياسية. ويمكن أن تمتد فكرة كونفيرس عن النظم العقدية حتى تتصل بفكرة سيرج موسكوفيسي عن «التمثيلات الاجتماعية»

(SRs)، التي تُفهم على أنها بُنى معرفية مشتركة حول قضايا يجري حولها الجدل في المجتمع، وهي توجه تموقع الفرد والجماعة، والمجتمع عند الحكم على جوانب ذات أهمية من تلك القضايا الاجتماعية[3].

العالم السياسي باعتباره نسق «تفكُّر» و«معرفة»

وفي مناسبات عديدة يقول المشتغلون بعلم النفس السياسي من الأوربيين بالطبيعة الاجتماعية للتفكر، وبأهمية التفكر في الحياة الاجتماعية والسياسية، ويبرهنون على ذلك. ويُنْظر إلى المجتمع على أنه يفكر مع نفسه، والأكثر أهمية أنه يفكر بنفسه. ويحيل سيرج موسكوفيسي إلى هذه الظاهرة باعتبارها «المجتمع المفكر» (موسكوفيسي، 1961، 1984). فالتفكر ليس مجرد خاصية جوانية للكائنات البشرية، بل هو بعد تكويني في المجتمع. وبمعالجة التفكير والاتصال باعتبارهما تناقضا بين صحيحين وباعتبارهما حواريين (مثلا، بيليغ، 1996؛ ماركوفا، 2006؛ موسكوفيسي، 1984)، نجح المشتغلون بعلم النفس السياسي الأوروبيون في تبيان الكيفية التي يكتسب بها أداء المجتمع السياسي والتاريخي لوظيفته سمة التموقع السجالي والحواري المتواصل، إزاء أهداف ودلالات اجتماعية لها قيمتها الاجتماعية. فالناس يتفكرون، إبان سجالاتهم مع آخرين، أو مع أنفسهم. والتفكر الاجتماعي «جهد مشترك»، يجري فيه إخضاع قضايا الساعة، والعلاقات الاجتماعية، والمعرفة الاجتماعية، لرصد علائقي دقيق.

ومجاز «المجتمع المتفكر» يطرح إزاحة رؤيوية، من الأيديولوجيات والنظم العقدية التي أقام بناها أفراد إلى معتقدات اجتماعية، «آراء مذرورة»«tomized opinions» (بيليغ، 2008)، ومعرفة تقوم على فهم مشترك. وهذا يطرح نقلة في الرؤية حول دراسة الفهم المشترك في ذاته، دراسة المنطقة الأقل تنوعا عند القواعد الجماهيرية لأهرامات كونفيرس التي تتداخل عند القاع. وعندما يفعل ذلك فهو يضع التفكر الاجتماعي في لب رؤية جديدة لعملية الاتصال (بيليغ، 1987؛ موسكوفيسي، 1961؛ رومتفايت، 1968). وفكرة موسكوفيسي عن «المجتمع المتفكر» هي حركة ضد فكرة أن «أغلبية المجتمع لا تعدو أنها تعيد إنتاج أفكار نخبه، وطلائعه، وتقلدها ولا شيء غير ذلك» (موسكوفيسي، 1988، ص 224). وتؤشر فكرة المجتمع المتفكر إلى تنوع طرائق إنتاج المعرفة في المجتمع، وتوصيلها، وبثها، والسجال بينها. وهي تكرس

انتقــالا من «التفكير حول العالم إلى التفكر في العــالم» (1988، ص230). والعلاقة بين النخب والكتــل الجماهيرية هي مجرد طريقة واحدة بين كثرة من الطرائق التي تدار بها المعرفة في المجتمع.

وكما قال موسكوفيسي فإن «حياتنا العامة تعج بانفجارات الأوهام، وبأيديولوجيات تخليطيــة، ومعتقــدات شــجرية» arborescent beliefs (1988، ص242). فالمعرفة الاجتماعية ليســت مركزة أو موزعة «عند القمة» فقط، فهي، بالأحرى، تمثل شبكة من العلاقات الاجتماعية، والممارســات، والمؤسســات، والجماعات المتشابكة، وتقوم عليها. وهــي تمتد عــبر متتالية تمضي من الحقائــق العلمية عند العلماء، والمعرفة السياســية المحددة عند النخب السياســية، إلى الكيفية التــي تنتج بها جماعات أخرى (من صناع الدلالات) معرفتها وتمثيلاتها (الخاصة بها).

ولا يأخذ موســكوفيسي «المجتمع المتفكر» كشيء مســلم بــه. فهو يحثنا على التفكر في طبيعة المجتمع المتفكر، وعلى استكشــاف التضمينات الإبســتمولوجية، والنظريــة، والمنهجية للتعامل مع المجتمــع باعتباره نظاما للتفكــر. فـ «المجتمع المتفكر هو المشهد الذي تتشكل فيه التمثيلات الاجتماعية، وتتأكد، وتنتشر ويجري تدويرها، والتنازع حولها، والذي تكتســب فيه التمثيلات الاجتماعية استقلالا ذاتيا، داخــل العملية. وما تشــير إليه فكرة «المجتمع المتفكر»، ضمنيــا، هو الانتقال من معالجة المعلومات إلى تخليق وإنشاء الدلالات الاجتماعية. ويُدْرس الإدراك والتفكر الاجتماعيــان، تقليديا، على أســاس التحيز، وأخطاء المحاجة، وما شــابه. ويُنظر إلى التفكر الطبيعي اليومي على أنه يعكس رؤى ســاذجة، وارتباطات موهومة، وصورا مقولبة، وخطأ، وتشوشــا، وانحيازا. وببساطة فهو يُنظر إليه على أنه لاعقلاني. هناك اســتخفاف خطير بالتفكــر الطبيعي كظاهرة جديرة بالدراســة بذاتها. وتعبر إيفانا ماركوفا (2008، ص477) عن الطبيعة المهمة والبناءة للتفكر الطبيعي بالنســبة إلى الحياة الاجتماعية:

> التفكــر الطبيعي هو التفكر في الحياة اليومية التــي تهيأ لها كل البشر. إنه التفكر الذي يســتخدم المعرفة التي تتقاســمها الجماعات الاجتماعية؛ وهو يركز على التفاعلات والعلاقات البشرية، وبالتالي فهو يتخذ أشــكالا متباينة. ولأســباب

> تعـود إلى ظـروف اجتماعية، فهو يرغـم البشر على أن يتخـذوا المواقع الخاصة بهـم ويدافعوا عنها؛ إنه التفكر الذي يقاضي الفعـل، ويقوّمه، وينتقده، ويطرح مقترحات بشأنه. ويستخدم التفكر الطبيعي المعرفة والمعتقدات التي تولدت عن خبرات ثقافية وتاريخية راسخة، ويستنبط ويستنتج بناء عليها.

ففـي أي نوع من «العوالم» نعمل نحن البشر؟ وفق موسـكوفيسي، فبوسـع المرء أن يميز بين عوالم توافقية وأخرى متجسـدة. ويماهي موسـكوفيسي (1981) العلم مع المعرفة المتجسـدة، والحيـاة اليومية مع المعرفة التوافقية[4]. وفي عالم توافقي تسـمح الوظيفـة الاتصاليـة للفكر بـ «تدفـق متواصل للمداولات بين الأشـخاص الذين تبقى آراؤهـم وأمزجتهم في انثيال دائم» (موسـكوفيسي، 1988، ص233). وتعيد المحادثات اليومية، ومجموعات التركيز التي ينشـئها السياسـيون، إنتاج عـالم توافقي. وهذا عالم يعمل بقوة الثقة، الثقة في المعلومات المتداولة وفي الناس الذين يطرحونها للتداول.

وفي المقابـل، ففي العالم المتجسـد توجد بنية ويوجد اتسـاق جرى التيقن منه في المعرفة الاجتماعية (خاصة ما يتصل بالناس، والأحداث، وما شابه). فالمعلومات تنظم في شـكل إطار تمثيلي «موحد». والقواعد التقليدية لإنتاج المعلومات وتداولها هي قواعد موثـوق بها، وما ينبثق عن العـوالم المحققة يتعين أن ينصاع لمـا اتُّفق عليه من طرق تقليدية، وتدابير مقررة ومقولات معرفية[5].

التمثيلات الاجتماعية: نظرية عن الاتصال الاجتماعي والمعرفة الاجتماعية

صاغت نظرية التمثيلات الاجتماعية (SRT)[*]، على مدى السنوات الخمسين الأخيرة، وغالبـا في أوروبا، نظرية لعمليات الاتصال الاجتماعـي، والمعرفة الاجتماعية، والتحول الاجتماعي (جوفتشـيلوفيتش، 2007؛ ماركوفـا، 2000). ونظرية التمثيلات الاجتماعية هي مقاربة بنيوية تبدأ مع، ومن «العلاقة بين الإدراك الفردي، والإدراك «الاجتماعي»، (أي المشـترك على المسـتوى الاجتماعي من معرفة، وأيديولوجية، ومعتقدات، وخلافه) وموضـوع للمعرفة الاجتماعية (ماركوفـا، 2000، ص 433 - 434). ومن منظور كهذا، فإن «التمثيل» ليس مرآة أو انعكاسـا لموضوع اجتماعي، بل هو بالأحرى عملية إعادة

(*) Social Representation Theory.

بنــاء وخلق. وهو يتضمن كلا من إعادة بناء معرفة يجري اقتســامها اجتماعيا (ثقافيا، وتاريخيا) وتخليقها وابتكارها في نشاط الفرد (2000 ص433 - 434).

وتتجــاوز نظريــة التمثيــلات الاجتماعيــة في حركتهــا نوعين من الإبســتمولوجيا الإســتاتية، باقتراح إبستمولوجيا دينامية وحوارية: الإبســتمولوجيات الفردانية، حيث يُعــوّل على العلاقة بــين العارف (من حيــث التمثيلات الجوانيــة للظاهرة) وموضوع المعرفة؛ وثانيا، إبستمولوجيات جمعية تهتم بالعلاقة بين التمثيلات الجمعية، باعتبارها حقائق اجتماعية، وموضوع المعرفة. وعلى رغم أن أفكار موسكوفيسي الأولى استلهمت فكــرة دوركايم عــن «التمثيلات الجمعيــة»، فنظرية التمثيــلات الاجتماعية المعاصرة تعمل وفق افتراض يقوم على دراسة الفهم المشترك بذاته، والعلاقات بين ثالوث نظرية المعرفة (الأنا – البديل – الموضوع) (انظر أيضا ماركوفا، 2000). وقد روج موسكوفيسي للانتقال من «التمثلات كوسيلة للتعرف على الأشياء إلى التمثيلات كوسيلة لتشييد بنية الواقع». وتتطلب دراسة مناظرات، واختلافات، وحوارات الحياة الاجتماعية والسياسية، واستكشاف التشظي المتفاقم للمعرفة و«الذات» العارفة جهازا إبستمولوجيا، ونظريا، وإمبيريقيا جديدا. وفي قلب هذا الجهاز فكرة التمثيلات الاجتماعية.

ويتصــف تاريخ مفهــوم «التمثيــلات الاجتماعية» وتحولاتها بتعقيــد يحول دون اختزالها في تعريف واحد. ووفق موسكوفيسي، فنظرية التمثيلات الاجتماعية تستهدف كشــف الغطاء عن الروابط الحميمة التي «توحد الســيكولوجيا البشرية مع المســائل الاجتماعية والثقافية المعاصرة» (موســكوفيسي، 1998، ص 241). ولا تختلف صياغات موســكوفيسي عن تعريفات أخرى يستخدمها المشتغلون بعلم النفس السياسي لدراسة الميكانيزمــات التــي «توحــد» علم النفس مــع القضايــا والعمليات السياســية. لكن موســكوفيسي لا يتوقف عند العلاقة. فهو يتساءل: هل يكون وصفنا لهذه العلاقة نقدا أم مجرد إعادة إنتاج للنظام العلمي، الاجتماعي، السياسي القائم؟ وسؤال موسكوفيسي هو ســؤال عميق، ســؤال لا يحتاج مجرد إجابة، بل هو، بالأحرى، يحتاج تدبرا عميقا: يتعين أن نتساءل عن هدف المجتمع العلمي، ما هو، هل هو مساندة النظام الاجتماعي أم نقده؟ هل هو تأمله أم تغييره؟ (موسكوفيسي، 1972، ص 23).

وقد سعت نظرية التمثيلات الاجتماعية إلى أن تكون انعكاسا لبعض ما وقع تحديده والاتفاق عليه من وظائف اجتماعية للتمثيلات المتصلة بممارسات وخطابات اجتماعية:

«تأسيس واقع اجتماعي ونظم اجتماعية، مُشغّل التحولات السياسية والاجتماعية، والتوسط الرمزي لتحقيق استدامة الهوية الاجتماعية والرابطة الاجتماعية، وصوغ الحساسيات والممارسات في الثقافة الجماهيرية (جودوليه 2008، ص 415)[*]. وقد استُخدمت نظرية التمثيلات الاجتماعية في دراسة عدد من الظواهر الاجتماعية: الموقف العام من التحليل النفسي في فرنسا في خمسينيات القرن العشرين (موسكوفيسي، 1961، 2008)، فهم الجمهور للعلم (باور وغاسكيل، 1999)، تفاسير الصحة والمرض وفق المفهومات المشتركة (هيرزليتش، 1973؛ جودوليه [1989] 1991، جُوف، 2002)[**]، المخاطرة (جوف، 2003)، المعرفة والمجالات العامة (جوفتشيلوفيتش، 2007)، البيولوجيا الحيوية الحديثة (باور وغاسكيل، 2008)، الهويات الاجتماعية والتمثيلات الاجتماعية للجندر (دوفين، 2001)[***]، المجتمع والتمثيلات الاجتماعية (هووارث 2006)[****]، حقوق الإنسان (دوازوستايركليه، 2002؛ دواز وآخرون 1993؛ دواز وآخرون 1999).

ومع الوقت، صارت التمثيلات الاجتماعية يُنْظر إليها باعتبارها «تنظيما عقلانيا وديناميا للمعرفة واللغة القائمتين على «فهم» مشترك» (ماركوفا، 2000، ص430). وبالنسبة إلى موسكوفيسي، فالتمثيلات الاجتماعية هي تفاسير صيغت على نحو جمعي لظواهر غير مألوفة ومركبة، لتحول هذه الظواهر إلى شكل مألوف وبسيط (موسكوفيسي، 1988)، وهي تخص «محتوى التفكر اليومي ومخزون الأفكار الذي يسبغ التساوق على معتقداتنا الدينية، وعلى أفكارنا السياسية، والصلات التي نخلقها، على نحو تلقائي ونحن نتنفس (1988، ص 214). وبالنسبة إلى باور وغاسكيل (1999) فهي فضاء بيني، وسيط يربط بين الأشياء، والذوات، والأنشطة (ص 167)[6].

وفي إطار نظرية التمثيلات الاجتماعية، فإن فكرة «التمثيلات» لها توجه مزدوج: فردي واجتماعي - ثقافي. لكن هذا لا يعني أن التمثيلات الاجتماعية هي مجرد ظاهرة إدراكية (تشبه إلى حد ما رسوما بيانية أو سيناريوهات) بل بالأحرى

(*) Denise Jodelet أستاذة علم النفس الاجتماعي بمعهد الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة بباريس.

(**) Claudine Herzlich مؤلفة فرنسية في موضوعات «الصحة والذات من منظور علم الاجتماع» وRosalind Joffe رئيسة ومؤسسة سيكوتش للتدريب على التعايش المثمر مع مرض مزمن.

(***) Gerard Duveen (1951 - 2008) أستاذ علم الاجتماع بجامعة كيمبردج.

(****) Howarth Caroline أستاذة بمعهد علم النفس الاجتماعي بجامعة لندن.

لها دور تؤديه، وهو دور إدراكي - واقعي - مؤسس لممارسات. وكما أثبت الباحثون في التمثيلات الاجتماعية، فـ«التمثيلات حاضرة بقوة في ممارسات اجتماعية معينة، عند تأسيس الهويات والدفاع عنها ضد خطر «الآخر» « (هووارث، 2006، ص73). ويظهر تحليل جودوليه ([1989]1991) للتصورات وردود الفعل إزاء «الجنون» في المجتمع الفرنسي، وتحليل جوف (2002) للمخاطر والتمثيلات الاجتماعية حول الإيدز كيف أن التهميش والإقصاء هما نواتج لممارسات اجتماعية، تستند إلى تمثيلات اجتماعية للآخر («المجنون» و«مريض الإيدز»)، وتبين دراسة جودوليه كيف أن التمثيلات الاجتماعية للجنون، باعتباره معديا، تحكم الممارسات الاجتماعية: الأكل، والاغتسال، والتلامس الجسدي. وفي موقف أكثر راديكالية يقال إن التمثيلات الاجتماعية لا تؤثر فقط في الفعل الاجتماعي والممارسات الاجتماعية، بل هي بالأحرى بانية ومؤسسة لممارسات اجتماعية، تستخدم كأدوات توجيه للفعل في العالم وإزاء العالم (هووارث، 2006)[7].

الاتصال والهوية والمجتمع

كيف تأتى أن تتركز المعاني المتعددة للحياة الاجتماعية في صور ندعوها التمثيلات الاجتماعية؟ لكي يفهم المرء هذه العملية فهو بحاجة إلى أن يبدأ بمفهوم للحياة الاجتماعية يعتبر أنها نُظّمت كحوار جدالي مع النفس ومع الآخرين، مع مركزية الاتصال والعلاقات الاجتماعية (بيليغ 1996؛ غيلسبي وآخرون، 2008؛ هووارث 2010؛ جوفتشيلوفيتش، 2008، 2010). فالحقيقة الاجتماعية والسياسية لا بد من إنتاجها كبنية ولا بد من نقلها بالاتصال. واللغة مهيمنة على الحياة الاجتماعية، وهي الوسيط الذي تتشكل به وعبره العلاقات الاجتماعية، والدلالات الاجتماعية، والتمثيلات الاجتماعية. والمقابلات الاتصالية، والإستراتيجيات والأنماط الاتصالية تتبادل الاعتماد مع التفكر الاجتماعي. فهي تتكون عبر التفكر الاجتماعي وهي ذاتها تحوّل التفكر الاجتماعي (ماركوفا، 2000، ص 451).

و«الكيفية التي تنتج بها الأنماط الاتصالية المختلفة نظما تمثيلية مختلفة» لها أهمية مركزية بالنسبة إلى نظرية التمثيلات الاجتماعية (جوفتشيلوفيتش، 2007، ص46). وقد كان هذا هو التوجه البذري عند موسكوفيسي (1961، 2008) في

La Psychoanalyse: son image et son public[*]. وقــد حــاول أن يبين كيف نظرت الجماعات الاجتماعية/ الأوســاط الاجتماعية المختلفة (الكاثوليك والشيوعيون) إلى التحليل النفسي، وكيف تعاملت معه صحافة الطبقة المتوسطة الحضرية في فرنسا في خمسينيات القرن العشرين. وكانت الرؤى الرئيسية عند موسكوفيسي تشير إلى أنه لكي يُفهــم التحليل النفسي فقد تعين عليه أن يتحول من شيء غير مألوف إلى شيء مألوف. وقد أحال موسكوفيسي إلى الربط anchoring والتجسيد objectification باعتبارهما العمليتــين الإدراكيتين اللتــين أُنجز عبرهما ترويــض علم النفس. وعلى ســبيل المثال، فالصــورة المجــردة والغريبة لـ «المحلــل النفسي» جرى النزول بها إلى مســتوى الفئات والصــور المعتادة للكاهن والطبيب، التــي قامت بدور الرابط. وباســتخدام المجازات وغيرها مــن الخصوصيات اللغوية للتحليل النفسي جرى تجســيد التحليل النفسي؛ أي جرى تحويله من مجموعة تصورات مجردة (ليبيدو، كبت) إلى خبرات ملموسة.

وفي عملية التمثيل، اســتوعب «الفهم المشترك» دلالات العلم المجرد وامتلكها. وقد أثبت موســكوفيسي أن العمليات الاتصالية مثل الذيوع diffusion، والترويج، والبروباغاندا هي أمور بالغة الأهمية بالنســبة إلى الاســتجابات الشديدة الاختلاف للتحليــل النفسي. وقد وُصف الذيوع بأنه إســتراتيجية اتصاليــة تناط الأهمية فيها بالآراء والــدلالات التي لدى جمهور المتلقين (وكانت هذه هي الحال بالنســبة إلى التوزيع الواســع النطاق للصحف التي طرحت وجهات نظر الطبقات الوســطى في الحــضر). وكان الهدف هو مجــرد الإبلاغ، وكانت المحصلة صــورة للتحليل النفسي تتسم بالتعاطف، مصدرها وسط اجتماعي مطلع على التطورات الجديدة في العلم. أما الترويج فكان الإســتراتيجية الاتصالية المستخدمة أساسا في الكنيسة الكاثوليكية التــي كانت ترمي إلى الترويــج لرؤيتها للعالم ومناهضة كل رؤية للعالم من شــأنها تحدي النظام العقدي الخاص بها. وكانت مهمة الترويج هي احتواء النظم المعرفية البديلة. وأعيد تقديم التحليل النفسي على أســاس مــن المعتقدات الدينية والصور الدينية التي لا تتصادم مع الدوغما المقبولة لدى الكنيســة. وتمثلت البروباغاندا في الإســتراتيجية الاتصالية التي تبناها الوسط الاجتماعي الشيوعي لطرح صورة للعالم ترفــض التحليل النفسي باعتباره منافســا مشروعا للنظام العقدي. وعبر اســتخدام

(*) التحليل النفسي: صورته وجمهوره (1961).

عبارات وشعارات وغير ذلك من المخزون جرى اعتبار التحليل النفسي «علما أمريكيا إمبرياليا» وغريبا على القيم الفرنسية[8].

والتمثيلات الاجتماعية تنشأ في عمليات الاتصال وفي الوقت ذاته فهي تنتقل كنص وكحديث. ويمكن استخدامها كوسيلة اتصال، وكذلك كموضوعات للمحادثة، والمناظرة، وما شابه (غيلسبي، 2008). وعلى سبيل المثال، فقد أظهرت دراسات تمثيلات جماعات الأقلية كيف أن التمثيلات، السالبة غالبا، تستخدم وسيلة للاتصال وكذلك كموضوعات للنقاش، والمناظرة والمحاجة.

ويمكـــن فهـــم العرقيـــة والتحامل البالـــغ، باعتبارهـــما «نظامين تمثيليـــين» يجري فيهـــما تفعيل الســـيطرة وعلاقات القوة غـــير المتكافئة، عبر عدد متنـــوع من بُنى عن الناس، والنوازع، والممارســـات، وما شـــابه (هووارث(*)، 2006؛ تيليغا، 2005). والغرض التمثيـــلي الرئيـــسي، والتأثير الأيديولوجـــي للعرقية هو فصل الآخـــر، وإقصاؤه معنويا، ونزع الشـــخصية، وفي الحالات القصوى، نـــزع البشرية عنه (تيليغا، 2007). وكما يقول موســـكوفيسي (2011) فإن «أوضح الملامـــح المميزة للأقلية هو لب تمثيلها» (ص 454). وفي حالة شـــعب الغجر/ الروما، وهو إحدى أكبر جماعات الأقلية في أوروبا، فإن «اللب المجـــازي»، أي لب صورتهـــم لدى الآخرين، جرى تضبيطه على أســـاس تيمة المرتحل / المقيم (موســـكوفيسي، 2011). وتؤدي تيمـــة المرتحل / المقيم دور إطار منظم للتمثيل الاجتماعي لشـــعب الروما، والتفكر اليومي حول من هم الروما، وكيف يتصرفون، وما شـــابه. فتيمة المرتحل / المقيم هي، في آن معا، «نواة اللب» لتمثيل اجتماعي ســـالب، وهي أيضا دليل إرشادي نافع، أداة توجيهية للإبحار عبر الجغرافيا الاجتماعية للعلاقات بـــين الجماعـــات. ويكثف البعد المرتحـــل / المقيم وفرة من المعـــارف الاجتماعية حول الروما. وفي التفكر اليومي فإن التيمة الأساســـية للمرتحل مقابل المقيم ترتبط بدلالات اجتماعيـــة أخرى: النظافة مقابل القذارة، أســـلوب عيش في العالم، نزوع (مســـبق) إلى التصرف على نحو معين، وهلم جرا.

وتعمل كل هذه العناصر معا، لتصوغ تمثيلا اجتماعيا بالغ التحديد والســـلبية عن الروما (موســـكوفيسي، وبيريـــز، 1997، 2005؛ تيليغـــا، 2005). ودور هذا التمثيل هو تشويه وحجب الحيوات الحقيقية والتحديات التي تواجه بها الروما. ودورها هو زيادة

(*) Caroline Howarth أستاذة علم النفس الاجتماعي بمدرسة لندن للاقتصاد.

السيطرة على الروما من قبل جماعات الأغلبية. وعندما تؤدي التمثيلات هذه الوظائف فإنهـا «تصبـح أيديولوجيـة» (جوفتشـيلوفيتش، 2007، ص 114). والعرقية، كتمثيل اجتماعي، تصور التفاوت في مسـتويات القوة باعتبـاره «طبيعيا»، وتعمل على حجب «الواقع» الفعلي للعرقية وما يترتب عليها.

وتبين أعمال كارولين هووارث (2004، 2006) حول التمثيلات والاختلافات المعرقنة، كما يجري تفعيلها بالنسبة إلى قضايا الإقصاء في المدارس، كيف أن صغار التلاميذ السود في المدارس البريطانية يمكنهم تأسـيس التمثيلات الخاصة بهم لما تعتبره المدرسة سلوكا، «مثيرا للمتاعب»، خصوصا ذلك الذي ينشـأ عن التصنيف العرقي «أسـود». فبوسـع التلاميذ ذكر هذه التمثيلات بالوصف، أو اسـتخدام هذه التمثيلات، تحديدا، على نحو نشـط لمقاومة محاولات إقصائهم من قبل المدرسة. وبوسـعهم أن يخبروا الباحث، أو مدرسـيهم، أو آباءهم في البيت بأن «التمثيـلات المعرقنة» لما هم عليه ولما هو متوقع (أحيانا) منهم عمله، هي، تحديدا، ما يحكم الطريقة التي يعاملون بها في المدرسة.

وتشـير هووارث إلى إدراك سـياسي معين لدى السـود الصغار. فهم يظهرون وعيا بوجود التمثيلات المعرقنة ولدورها كأدوات مؤسسية ورمزية لدى المدرسة. وهذا الوعي بالعمليات السياسية في المدرسة هو الذي يسمح لهم بأن يتبينوا ما يترتب على أفعالهم وأفعال الآخريـن، وأن يفهموه، ويتكيفـوا معه. وحجة هـووارث مقنعة. فالتمثيلات الاجتماعيـة (المعرقنة) هي أدوات خطابية ورمزية في أيدي المدارس والتلاميذ السـود الصغار، في آن معا. فهي ليسـت أشـياء سـاكنة (هووارث، 2006)، بل هي، بالأحرى، وسـائل سياسية يمكن بها للمرء أن يقاوم، أو يرفض مجموعة من الممارسات المؤسسية التي يمكن أن تسـفر عن صور مختلفة للذات، أو معاملة غير عادلة، أو الأسـوأ من كل هذا، عن إقصاء مؤقت أو دائم. فالتمثيلات المعرقنة تفعل الاعتراف بالبيئة الاجتماعية والسياسية (وهو في هذه الحالة متصل بالإقصاء المدرسي)، وتسهّل التوصل لفهم أعمق للبيئة باعتبارها «نظاما معرفيا، يشـتمل على الهويـة الذاتية، وتمثيل الذات، والكيفية التي تمضي بها عملية الإقصاء، وكيف يمكن لها أن تؤثر في الأشخاص ذوي الصلة.

التمثيـلات الاجتماعيـة هـي قضايـا اتصـال حيـة، بالنسـبة إلى الفاعلين الاجتماعيين، وللمؤسسات، والمجتمعات. وهي تنقل وتكرس الهويات الاجتماعية واهتمامات المجتمع.

وتبين الدراسة البذرية عند جودوليه ([1989]1991) عن التمثيلات الاجتماعية للجنون، في المجتمع الريفي الصغير في إيناي لوشاتو Ainay - le – Chateau الفرنسية، كيف أن الانتماء والمعرفة وجهان للعملة ذاتها؛ فليس بوسع المرء أن يفهم أحدهما بمعزل عن الآخر. وقد وثّقت جودوليه بعض القضايا التي تنشأ عندما يواجه مجتمع ما برنامجا لـ «الاحتواء الاجتماعي» للأشخاص المختلين عقليا في المجتمع. ومن خلال هذا العمل بينت كيف أن الصحة والمرض هما نظام تأويلي، وبينت أهمية وجود إطار تأويلي عام تتأسس عليه معرفتنا الثقافية المكتسبة اجتماعيا وممارسات المجتمعات (جوف، 2002). وحتى يتسنى للمجتمع قبول «الاختلاف»، فإن «غير المألوف» (المرض العقلي) يتطلب شرحا ويحتاج إلى أن يجري تحويله إلى شيء «مألوف». وقد أوضحت جودوليه كيف يؤثر تمثيل اجتماعي للجنون، يحتوي أفكارا عن العدوى، والصحة العامة، والمرض، والآخرية otherness، والنظريات الشائعة بين العامة عن أصول الخبال، وتمثيلات لعناصر مختلفة داخل الشخص (المخ، الجسد، الأعصاب)، في الطريقة التي يتصرف بها المجتمع (احتواء وإقصاء) إزاء المريض عقليا.

وفي دراسة لها، عن التمثيلات الاجتماعية لجماعة من المحرومين في لندن، تبين هووارث كيف أن التمثيلات المختلفة للذات وللجماعة (أي تلك التمثيلات التي تصور الناس من ذلك الحي باعتبارهم مجرمين، وجانحين، ومصدر تهديد، مقابل تلك التمثيلات التي تصورهم بصور أفضل؛ تلك التمثيلات التي تنشأ خارج المجتمع، مقابل التصورات الذاتية عن الذات والجماعة) يمكن أن تتنافس وتتطور في فضاء جدالي (هووارث، 2006، وانظر أيضا هووارث، 2002). والقضايا التي اشتبكت معها هووارث تجد تعبيرا واضحا عنها عند جوفتشيلوفيتش، عندما تذهب إلى أنه «قبل أن يتيسر لنا أن نفكر في أننا نمتلك معرفة نكون قد انتمينا، بالفعل: فالانتماء، لا المعرفة، هو مبدأ كل شيء» (2007 ص48).

وبفضل رؤى جودوليه وهووارث فهناك الآن اتفاق راسخ على أن التمثيلات لا وجود لها خارج «مشروع، أو سياق براغماتي، لجماعة اجتماعية تكون التمثيلات فيها مفهومة» (باور وغاسكيل، 1999، ص168). وبالتركيز على الاتصال والهوية تتضح مرونة المعرفة الاجتماعية وارتباطاتها بالهوية الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي. ويمكن لمجموعة متنوعة من السلوكيات الاجتماعية والسياسية التي توجهها ديناميات متنوعة

(التعاون مقابل الـصراع، علاقات القوة المتماثلة مقابل علاقات القوة غير المتماثلة) أن تسـفر عن تكوُّن أنماط مختلفة من المعرفة الاجتماعية والسياسـية، كما يمكن أن تؤكد عددا متنوعا من الهويات الاجتماعية (انظر أيضا الفصل الخامس).

البحث في المعرفة السياسية في الحياة اليومية

كيف للناس أن يفهموا أشياء لا يملكون خبرة مباشرة بها وأشياء أو ظواهر مجردة، وغريبة، وغير مألوفة لهم؟ يفعلون ذلك بتكوين تمثيلات اجتماعية للاسـتخدام اليومي. فالمجازات، والنظريات، والدلالات الرمزيـة، التي تلحق بأحدث تطورات العلم، والمخ، والاقتصاد، والحواسـيب «يجري دمجها في طرائق الحياة اليومية لفعل الأشياء [وللكلام عن الأشـياء] وهي تشكل المحيط الاجتماعي الذي نتفاعل في إطاره» (1988، ص216). لكن ما الذي يجعل نظرية التمثيلات الاجتماعية نظرية في المعرفة الاجتماعية؟ بالنسبة إلى جوفتيلوفيتـش (2007) فإن ما يجعلها كذلك هو تصور المعرفة باعتبارها «جمعية وتشـكيلية، دينامية ودائمة التجلي كشـكل قادر على إظهـار عقلانيات تتعدد وفقا لما يتطلبه تنوع لا ينتهي من الحالات المميزة للخبرة الإنسانية» (ص70).

وتطـرح نظرية التمثيلات الاجتماعية إطارا لفهم حشـد وتنظيم المعرفة في الحيـاة اليومية. وهذا الحشـد والتنظيم ترفده «مـوارد متنوعة، وينطوي على اهتمامـات متعددة، ويوضح أن لا أحد يفكر وحده» (باور وغاسـكيل، 2008، 344). وتقوم عمليات الحشـد والتنظيم على سلسـلة من المبـادئ الأولية، إن شـئت تسـميتها كذلك. أولها، أن المعرفة نوع من الفعـل الاجتماعي. وثانيها، أن كل معرفـة اجتماعية (وبالتالي سياسـية) هي تعبير عن عـوالم حياة ذاتية، وليسـت انعكاسـا أو تصويرا لها. فالتمثيلات الاجتماعية ليسـت نسخا عقلية لميكانيزمات جوانية مـا أو لواقع خارجي. وثالثها، أن المعرفة الاجتماعية وثيقة الارتبـاط بالعلاقات بين الناس، والمجتمعات، والممارسـات. ورابعها، أن أشـكالا مختلفة من المعرفة الاجتماعية (عند النخب وعند الكتل الجماهيرية، والعلمية منها والقائمة على مفاهيم شـائعة، وما شـابه) يصوغ بعضهـا بعضا، مع أدائها لوظائـف اجتماعية مختلفة واسـتجابتها لمشروعات هويـة فردية ومجتمعية مختلفة، وصوغها لهذه المشروعات[9].

وأكثر ما يهتم به المشتغلون بعلم النفس السياسي المعنيون بالمعرفة الاجتماعية، وبالمعرفة السياسية بالخصوص، هو كيفية قياس هذه المعرفة، وكيفية تفسير وجودها أو عدم وجودها، موضوعيا. ويسود الاعتقاد بأن الطريقة الوحيدة لذلك هي بنزع المعرفة الاجتماعية والسياسية من محيطها الاتصالي الاجتماعي. وعلى سبيل المثال، فإن زوللر يذهب إلى أنه «مع التسليم بأن المعرفة السياسية هي أفضل مقياس متاح للوعي السياسي، تبقى هناك أسئلة عديدة حول كيفية القياس الأفضل للمعرفة ذاتها» ([1992] 2005، ص 336). وبالنسبة إلى المشتغلين بعلم النفس السياسي المهتمين بـ «قياس» التوجهات السياسية والمعرفة السياسية، فهناك منهج جرى تجريبه واختباره. خذ على سبيل المثال وصفة كونفيرس (2006، ب ص 304):

> خذ نصف دزينة من بنود كهذه، ويستحسن أن تكون معها خلطة طيبة من الأسئلة السهلة والصعبة، وسوف يكون بوسعك الاطمئنان إلى أن لديك قياسا بالغ الإحكام، من النوع الذي يضمن أن يجعل أولئك الذين يحصلون على درجات ممتازة مختلفين تماما عن أصحاب الرصيد المتدني. وسوف يكونون أقرب كثيرا إلى احتمال تفهم الإحالات الأيديولوجية، وإلى الربط الذكي بين الحقائق السياسية، وإظهار توجهات سياسية أكثر استقرارا. وطبيعي أنك إن استطعت أن تؤمن من عشرة إلى عشرين من هذه البنود فسوف يكون هذا أفضل، لجهة إحكام القياس.

وإن اتُّبعت «الوصفة» حرفيا، فسوف تكون النتيجة مُحْكمة وسوف تسمح بعقد مقارنات، والتوصل لخلاصات سببية. و«وصفة» كونفيرس هي أقرب إلى أن تكون وصفة لدراسة (وتخليق) عالم سياسي غير مجسد وطريقة فريدة، أحادية التوجه، في المعرفة. وإذا افترضنا وجود طريقة واحدة فقط للمعرفة، وهي طريقة ستكون، في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة المعاصرة، معرفة مرتبطة بالعلم، ومتخصصة وتقنية، معرفة نخبوية، فإن الدراسة الاستقصائية للمعرفة السياسية وللتمثيلات السياسية تصبح تدريبا على إعادة إنتاج النظام (النخبوي) القائم، أو مقارنة الجديد والطارئ، بالمعياري، بالنموذجي، الذي لا يرقى إليه الجدال. وبمجرد اتباع «وصفات» القياس فإن المرء يخاطر بالتقليل من قدر التركيب المميز للمعرفة السياسية والتمثيلات السياسية، وكذلك الإمكانات السجالية الثرية والمتعددة المسالك الضاربة بجذورها في النشاطات

الاجتماعيــة، والثقافية، والخطابية، التــي يفعّلها الناس العاديون إبــان تفاعلاتهم مع بيئاتهم الاجتماعية والسياسية.

والمناظــرات حول أفضــل الطرق لقيــاس المعرفة السياســية (على ســبيل المثال، الاختبــارات العامة للمعرفة السياســية مقابل الإجراءات الأكثر تحديــدا) تغيب عنها طبيعة المعرفة السياســية، وأصولها، وارتباطاتها بالمجتمع، والتاريخ والهوية الاجتماعية، والعمليات الاجتماعية والسياســية الأوســع. وتســتتبع دراســة المعرفة السياسية فهم «كيفية إنتاج معرفة جديدة وكيفية إدخالها في النســيج الاجتماعي» (جوفتشيلوفيتش، 2007، ص 44) وكيفية الاســتمرار في إنتاجها، وتحويلها في العلاقات الاجتماعية وكجزء منها. وليست دراسة المعرفة الاجتماعية والسياسية هي وضع قوائم بالأشياء التي تتألف منها، ولا هي توصيف العمليات الإدراكية والعاطفية التي تكمن وراءها، ولا هي نتاج تنظيم دقيق للأســئلة في عمليات المســح. فهي، بالأحرى، تشــتمل على دراســة كيفية التعبير عن العوالم المعيشــة الذاتية والبَيْذاتية في تفاعلات اجتماعية وعلاقات اجتماعية هي أساس إنتاج المعرفة، وإعادة إنتاجها، وتحويلها، وكيف تصوغ هذه العوالم المعيشة الهويات، للذات، وللآخر، وللمجتمع، وكيف تستخدم للفعل في العالم وبالعالم.

وما يحتاج إلى أن يُدرس ليس المعرفة السياسية في ذاتها بل نظم المعرفة، والتمثيلات الاجتماعيــة للمعرفة، وهي التي تتغير، وتتحــول، وهي تنتقل من محيط إنتاجها لتعُمّ بيئــات مختلفة. ويتعين أن تتركز الدراســة على الكيفية التي يفكــر بها أفراد معينون ومجتمعات معينة حول العالم الســياسي الخاص بهم، وكيــف يكون للتفكر ذاته إطار من «الأفــكار، والتمثيلات، والمعتقدات الجمعية التي ترســم آفاق جماعة من الناس» (جوفتشيلوفيتش، 2007، ص 41).

والمعرفة السياســية ليســت، ببســاطة، مســتقرة في عقول المواطنــين، والناخبين العاديين، وما شــابه، جاهزة للتحصيل عبر استطلاعات الرأي. فالصورة الضمنية للعارف المدرك (المنعزل) تعيد إنتاج بحث المشــتغلين بعلم النفس الســياسي عن صنف مثالي من المعرفة السياســية. ويكشــف الوعي السياسي الراقي عن التطابق بين حقائق وقيم السياســة، والمدركات والمعتقدات الفردية. ويكشف الوعي السياسي المتدني عن غياب هذا التطابق. وهذه رؤية تفصل الفاعل الســياسي عــن محيطه، أو محيطها فلا يجب التهوين من شــأن المعرفة المحليــة والمتمركزة على ذاتها الفرديــة بالقضايا الاجتماعية

والسياسية، ببساطة، أو تصنيفها باعتبارها جهلا، أو تشويها، أو خطأ أو افتقارا للعمق، أو افتقـارا للتبصر فيما يخص «الإحالات الأيديولوجية» والمشـهد السـياسي[10]. وليس الأفـراد، والجماعات الاجتماعيـة، والمجتمعات، مجرد أوان «تترقـب أن يملأها الخبراء بالمعرفة والممارسـات الراقية»: إنهم الذوات الأيديولوجية النشطة (بيليغ، 1991)؛ فهم يفكرون لأنفسـهم ومع الآخرين. وإذا تصادف أن أشـكال التفكر عندهم لا تناسـب مشروعات ونماذج المشتغلين بعلم النفس السياسي أو النخب السياسية المحركة للقضايا السياسـية، فلا يعني هذا أن استنتاجاتهم وتفكرهم غير صحيحين في ذاتهما. وبالنسبة إلى أغلبيـة الفاعلين السياسـيين، أولئـك الذين يموقعهم كونفـيرس باعتبارهم القواعد الشعبية «المشوشة»، فإن المجتمع، والسياسة، والدلالات السياسية هي، بالحقيقة، نظم «معرفة» و«تفكر»، مستقرة، ومتنقلة، مركز وهامش، في آن معا.

تمثيلات الشأن السياسي: بُنى المقولات السياسية

إحدى طرائق فهم الأفراد، والجماعات، والمجتمعات لثقافتهم السياسـية ودراستها تكون عبر إقامة الروابط بين المعرفة السياسية وبين دلالة المقولات/ المفهومات السياسية. وتقرير دلالات المقولات السياسـية له القدرة على تَقْنِية «الفكر والفعل السياسـيين في اتجاهات معينة» (كونوللي، 1993، ص1).

ولكي يدرس المرء المعرفة السياسية والثقافة والممارسات السياسية لمجتمع معين يتعين عليه أن يعرف أو «يعيد طرح» المقولات السياسية، وأن يربطها بشبكة أوسع من المفهومات والممارسـات السياسـية، وبلغة وثقافة ذلـك المجتمع. وفوق ذلك، فالمـرء بحاجة إلى أن يفهم ما تعنيه المقولات السياسـية للناس العاديين. فمقولات سياسـية مثل «الثورة»، و«الحرب»، و«الديموقراطيـة»، و«الديكتاتورية» و«حقوق الإنسـان»، و«الثقة» وما شابه، تنطوي على ثروة من الدلالات الرمزية والاجتماعية، وتكثفها. فهذه المقولات لا تطلع علينا بلافتات معلقة على ظهورها، ولا هي موضع تعريف مقبول عالميا.

وعلى سـبيل المثال، فمن الطرق التي شاعت بين النخب والناس العاديين في أوروبا الشرقية عندما حاولوا تفهم ثورات 1989 إعادة تمثل الأحداث باسـتخدام سلسـلة من التداعيات المرتبطة بعناصر مألوفة («الثورة»، كرمز سـياسي مجرد، له تاريخه الخاص)

وغير مألوفة (ما «وقع» بالفعل في 1989). وبالإحالة إلى المفهوم الاجتماعي والسـياسي للثورة، يلاحظ بيوتر شتومبكا (1994) أن المفهوم ينتمي إلى خطاب مجتمعي، وكذلك، وفي الوقت ذاته، إلى خطاب سوسـيولوجي. وعلى مستوى الخطاب المجتمعي، فالفهم المشترك يتشبع به: فهو «يتطور ليصبح صورة مركبة مثقلة بتقويمات والتزامات عاطفية، يمكن تسـميتها «خرافة الثورة» (ص 302). وعلى مستوى الخطاب السوسيولوجي، فهو «يتطور ليصبح بنية نظرية مركبة، تؤسس افتراضات تفسيرية. وعادة ما تسمى «نظرية الثورة» (شتومبكا، 1994، ص 302). وكلا المعنيين، المجتمعي والعلمي، معتمدان لدى أعضاء المجتمع بوصفهما موارد لربط وتجسيد دلالة المقولات الاجتماعية والسياسية.

ويجدر بنا أن نشـير هنا إلى أنـه في التقارير التي نقلت أحـداث الأيام الأولى من موجـات الاحتجاج الثوريـة في العالم العـربي في 2010، لم يكن خارجـا على المألـوف، بالنسـبة إلى الصحافيين البريطانيـين، أن يقارنوا مـا كـان يحـدث في ميـدان التحـرير في القاهـرة بما حـدث في 1989 في ميـدان الجامعة في بوخارسـت. فأدت الثورة المألوفة (الرومانية) دور الروابط لفهم النضال من أجل الحرية في العالم العربي.

وتطرح بيئات سياسـية أخرى أمثلة يمكن فيها للارتـدادات إلى الدلالات المألوفة جعل غـير المألوف مألوفا. خذ، مثـلا، الحرب، الظاهرة السياسـية المعاصرة الكونية الانتشـار. إن محتوى التمثيـلات المتصلة بالحرب في العراق وبصدام كشـف/ كثف في تيمات «الحرب على الإرهاب» و«أسـلحة الدمار الشـامل» مجموعة الممارسـات المطلوبـة للحد من خطرٍ تَمَثّل في عدو «متخيـل». فالعودة إلى دلالات مألوفة وصور مألوفة من حروب أمريكية وصراعات سابقة في المنطقة سهلت تأسيس حالة توصف بالمشروعيـة لحـرب أخرى. وبالكلام على «صدام المتسـلط» جرى ربط «الحرب على صدام» بمشروع الولايات المتحدة لحماية حقوق الإنسان في الخارج، وبأفكار ومشاعر تتصل بذلك. والكيفية التي تتخلق بها التمثيلات السياسـية هي أمر ذو شأن عظيم. ففـي كل موضـوع تمثيلي «هناك واقع كامـل يتعين تفكيكه؛ وهـو واقع تألف من معارف، وأناس، وممارسـات ظهرت مـن قبل، وراحت تعزز وجودهـا، تدريجيا، في نسـيج الموضـوع وفي واقعيته (جوفتشـيلوفيتش 2007 ص 111). وعبر «تبسـيط» علاقات القوة ذات الصلة بأفكار جديدة مثل «الحرب على الإرهاب» والمختزلة فيها، أنجزت الإدارة الأمريكية تطبيع الحرب.

وقـد مرت فكـرة «الديموقراطية» في أوروبـا الشرقية والغربيـة (ماركوفا، 2001، 2004) بعملية دقيقة مشـابهة للربط والتجسـيد (انظر أيضا الفصـل الثاني للبحوث حـول الدمقرطة). وقد بينت ماركوفا وزملاؤهـا أن الاختلاف في تمثيلات الديموقراطية ينشـأ عن اختلاف الحقائـق الاجتماعية والخبرات الجمعية. وقـد بينوا كيف أن ربط الديموقراطية بالبيئة السياسـية المحلية وبالخبرات الديموقراطية السـابقة هو، أكثر من أي شيء آخر، تحرك موجه نحو تثبيت تمثيل اجتماعي للديموقراطية، في حين أن تجسيد الديموقراطية - عبر تخليق دلالة جديدة - يكون موجها نحو التحول.

ومـا بينته كل هذه الأمثلة، حتى الآن، هو أن تمثيلات المقولات السياسـية تنطوي على إمكان مسـاندة النظام الاجتماعي/ السـياسي، وإعادة إنتاجـه، وتحديه، ونقده؛ وفوق ذلك، فهي تنطوي على إمكان ترسيخه أو تحويله. ومن حيث الجوهر، فهي تعبر عن العلاقة المتبادلة بين الظروف الاجتماعية والبنية الاجتماعية للواقع.

وقـد أظهر باحثـون آخرون اهتماما بالتنظيم المعرفي الشـائع/ المشـترك للمقولات السياسية. ففي مشروع بحثي موسع درس ويليم دواز وزملاؤه حقوق الإنسان باعتبارها تمثيـلات اجتماعيـة (دواز 2002؛ دواز وسـتايركليه، 2002، دواز وآخـرون، 1999)[11]. وباسـتخدام تحليل إحصائي متعدد المسـتويات، أراد دواز وزمـلاؤه أن يبينوا كيف تجد المبادئ المنصوص عليها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسـان (المسـاواة، الحرية، الكرامة، الأمـن، الحماية المتكافئـة في ظل القانون، حرية الحركة، حريـة التعبير، الحق في الراحة والفراغ، الواجبات نحو المجتمع) طريقها إلى مدركات الناس وتمثيلاتهم للحياة الاجتماعية.

هل هناك فهم مشترك للإعلان يتحصل من مستجوَبين متباينين في أصولهم الثقافية؟ ما توصل إليه دواز وزملاؤه هو أن التعريفات الرسمية واليومية لحقوق الإنسان تنظم على نحو شـائع في البلدان المختلفة، على رغم أن الفهم الشـائع لم يحل دون اختلاف التموضع الفردي بالنسـبة إلى حقوق الإنسـان. وعلى رغم الاتسـاق العام في المواقف من حقوق الإنسـان، فإن قوة هذه المواقف قد تتباين. ولا يتبنى الأفراد المشـتركون في المرجعيـات، بالضرورة، المواقـف ذاتها. وقد يختلف الأفراد وفقا لقوة تمسـكهم بآراء، وتوجهات، وصور مقولبة متباينة (دواز وسـتايركليه، 2002). ومن أهم ما توصلوا إليه أن حقوق الإنسان ترتبط بالقيم. وقد ارتبطت المساندة القوية لمبادئ العالمية والتناغم الاجتماعي، على نحو منتظم، بمواقف أكثر انحيازا لحقوق الإنسان.

ولم يكــن ما حــاول دواز وزملاؤه أن يوصّفــوه مجموعة من التوجهــات الفردية المتباعدة التي قد تتباين قوتها وتترابط فيما بينها (كما يمكن أن يكون متوقعا أو يمكن التنبؤ به من جانب منظري التوجهات) بل، بالأحرى، تمثيلات اجتماعية، «نماذج عقدية جــرى ربطها مجتمعيا» (دواز وســتايركليه، 2002)، وتترتب عليها نتائج بالغة الأهمية بالنســبة إلى الطريقة التي يدرك بها الأفراد، والجماعات، والمجتمعات العالم الســياسي. وكانت الملامح المركزية للتنظيم المشــترك للتمثيلات الاجتماعية لحقوق الإنســان هي التيــمات المتصلة بالفعالية السياســية للحكومــات والأحزاب السياســية، وبالخيارات القيميــة والمدركات/ الخبرات بالصراع الســياسي (دواز وآخرون 1999). وما أثبته دواز وزمــلاؤه هو أن التمثيــلات الاجتماعية لحقوق الإنســان تميــل إلى أن يكون تنظيمها متمحورا على مرجعيات مشــتركة، معرفة مشــتركة داخل مجتمــع، من قبيل بدهيات الفهم المشترك، أو الشعارات السياسية الواسعة الانتشار، أو القواعد القانونية الأساسية (إلتشيروث وآخرون، 2011، ص 744)(*).

وفي دراســة للتمثيــلات الاجتماعية حول حقوق الإنســان (دواز وآخــرون، 1998) أجريــت على 849 من الناشــئة في جنيف، تتراوح أعمارهم بــين الثالثة عشرة والحادية والعشرين من العمر، وجه دواز وزملاؤه إلى المشــاركين سؤالا بسيطا ذا نهايــة مفتوحــة كـ «منذ عدة ســنوات وحقوق الإنســان موضوع يتكرر طرحه للنقاش. فماهي، برأيك، هــذه الحقوق؟»، وقــد ميزوا أربع فئــات من الأفــراد/ أربعة أنماط مــن التموقعات الاجتماعية إزاء حقوق الإنسان: عمومية، وتحررية، ومحددة، ومساواتية. 23.5 في المائة من المشــاركين صنفوها كحقوق عمومية (مثلا، حرية العبــادة، حرية المعتقد والديانة؛ حريــة التعبير؛ حريــة الرأي؛ حرية الحركة) ؛ 14.5 في المائــة صنفوها باعتبارها تحررية (مثــلا، أن يفكر المرء فيما يريد ويمضي إلى حيث يريد، وأن يخرج عندما يريد)، 36.5 في المائة اعتبروها محددة (مثلا، الحق في الســكن، الحق في حيازة ملكية، الحق في امتلاك ثياب، الحق في الطعام والشراب، الحق في عدم النوم في العراء)، و25.7 في المائة اعتبروها مســاواتية (مثلا، يتعــين أن يتمتع الجميع بالحقوق ذاتهــا، كل الناس يولدون ويموتون متســاوين؛ يتعين التعامل مع الرجل والمرأة بالتســاوي). ومع تقدم المراهقين في السن والخبرة المدرسية يجري الانتقال، وفقا لما خلص إليه المؤلفون، من التعريفات الشخصية

(*) Guy Elcheroth محاضر بجامعة جنيف.

والأكثر تركيزا على الذات لحقوق الإنسـان، إلى التعريفات المأسسـة لحقوق الإنسان. وقد ارتبط التوجه الاتصالي السياسي بتعريف موسع وأكثر مبدئية لحقوق الإنسان[12].

وفي دراسـتهما للجـدل في فرنسـا حـول حجـاب المسـلمات يسـاند جيلي[*] وسانشـيز - مـازاس (2006) (جزئيا) فكـرة دواز، بالقـول إن التمثيلات الاجتماعية المشـتركة هي جزء أساسي في الدمقرطة. وقد بينا الكيفية التي يمكن بها للناس حشد نسـخ متباينة من التمثيلات المتصلة بحقوق الإنسـان. فبعـض الفاعلين الاجتماعيين لجأوا إلى حقوق الإنسان بهدف تبرير إجراءات تهدف إلى تعزيز حماية الأفراد ضد أي شكل من أشكال السـيطرة المجتمعية، في حين لجأ آخرون إلى حقوق الإنسان لتأكيد الحقـوق الأصلية للأفـراد للتعبير عن هويتهم الثقافيـة والدينية» (ص 388 - 389). ومثل جماع الانفعالات المتشـابكة النمط المعيـاري، على رغم أن ذلك لم يترتب عليه أن التمثيلات الاجتماعية لحقوق الإنسـان، لدى المشـاركين لم تكـن متمحورة حول مرجعيات مشتركة. ووفق المؤلفيْن، فدراسة حقوق الإنسان يرتبط بها بعد أخلاقي: إذ يتعين أن تكون المناظرات حول حقوق بعينها من حقوق الإنسـان قادرة على تأسيس «مجتمع بوسـعه أن يعيش انقسـاماته الخاصة، على نحـو ديموقراطي، من دون أن يلغيها أو يضفي عليها طابعا راديكاليا» (ص 408)، ورسالة جيلي وسانشيز مازاس هي رسالة متفائلة. لكن الواقع السياسي أكثر راديكالية ولا يأبه دائما للمناظرات الدائرة في أوساط النخبة أو في أوساط القواعد الشعبية، حول حقوق الإنسان.

وقد استقصى باور وغاسكيل (2008) وجهة نظر الجمهور الأوروبي حول التكنولوجيا الحيوية. وتركز أبحاثهما على الاتصال الرسـمي (تحليل مضمون للصحف وعينة بيانات من مسـح أجري على المسـتوى القُطْري) وغير الرسـمي (محادثات عامة، مجموعات تمثيليـة). وأثبتا أن تمثيـلات التكنولوجيـا الحيوية الحديثة تقوم عـلى تمثيلات العلم والتكنولوجيا[13]. والطرح الذي تجده عندهما يتصل، في جوهره، بالتمثيلات الاجتماعية للمسـائل الاجتماعية الجديدة (أي الأغذية والمحصولات المسـتحدثة، والاستنساخ، وما شابه) باعتبارها أساسا لنشوء مواقف إزاء التكنولوجيات الجديدة.

ويبين باور وغاسكيل (2008) كيف أفضت النقاشات حول محاولات تخليق بندورة معدلـة جينيا إلى اسـتحداث «نظرة غير مألوفة إلى هذه النبتـة المعتادة» (ص 341).

(*) Gély من جامعة لوفان الكاثوليكية البلجيكية وMargarita Sanchez - Mazas من الجامعة الحرة في بلجيكا.

ويشــير باور وغاسكيل إلى أنه لكي يتسنى للمرء اســتيعاب النقاشات يتعين عليه، أولا، أن يفهــم كيف جرى تمثيل موضوع المناقشــة، أولا (هل البنــدورة خضار أم فاكهة؟)، وأســس التكنولوجيا الجينية والمناقشــة حول الإنتاجية مقابل ســلامة الغذاء/ الصحة العامــة. فالبنــدورة المعدلة جينيا، كموضوع لم يكن له وجود ســابق، تتقرر محددات وجودهــا، وتُفهم، وتوضع في ســياقات دلالية متنوعة وذات صلــة بعلم الوراثة، وعلم الزراعة، والتصورات اليومية (المسلم بها). فتكتسب البندورة المألوفة والواسعة الانتشار «كــثرة من الهويات والتمثيلات الممكنة، وبهذه الكيفية فهي تصبح قضية دخول جديد واكتســاب صورة عامة جديدة» (باور وغاسكيل 2008 ص 342). ويبين باور وغاسكيل كيــف أن الجدال حــول البندورة المعدلة جينيــا ينتقل من تمثيــل موضوع اجتماعي محايــد، ومألوف إلى تمثيل موضوع جديد وغريب. وتصبح البندورة موضوعا سياســيا عندما تتحول المناقشــة إلى أولئك الذين تخدم مصالحهم الهندسة، والحقوق، والمخاطر الصحية المرتبطة بالموضوع، أو مسؤوليات جميع أطراف العملية.

التمثيلات الاجتماعية وعلم النفس السياسي

حــاول هذا الفصــل أن يبين كيف يمكن أن تصبح دراســة التمثيــلات الاجتماعية موضوعــا جديــدا وملائما للاهتمام من قبل علم النفس الســياسي. وتكمن المســاهمة المائزة لنظرية التمثيل الاجتماعي في علم النفس السياسي في التحفيز على إعادة تحديد بعــض الجوانب التي تتصل بعلم النفس الســياسي المعاصر: طبيعة المعرفة الاجتماعية والسياســية وعمليات الاتصال. ويحتاج علم النفس الســياسي إلى أن يفعل المزيد لفهم العلاقــة بين العمليــات الاجتماعية والممارســات الاجتماعية. ويمكــن أن تؤمن نظرية التمثيــلات الاجتماعية لعلم النفس الســياسي مــا يحتاجه مــن أدوات نظرية لتحليل الروابــط بين الوظائف الإدراكية الفردية والعنــاصر الاجتماعية العامة التي قد تؤثر في الطريقة التي يفكر بها الناس والتي يدركون بها التفاعل بين المجتمع والسياسية.

وكــما بين هذا الفصــل، فالتمثيــلات الاجتماعية ليســت مجرد انعــكاس لواقعنا الاجتماعي أو الســياسي، فهي تؤســس واقعا اجتماعيا وسياسيا هو محل اتفاق بَيْذاتي. فالعالم الاجتماعي والســياسي ينشــئ بنية الأفراد، والجماعــات، والمجتمعات، بقدر ما ينشــئون هم بنية العالم. والتمثيلات الاجتماعية هي أحجار البناء لمثل هذا التشــييد.

والتمثيلات الاجتماعية، بحد ذاتها، هي أنواع من الفعل الاجتماعي، وهي تنشئ العلاقات بين الأفـراد، والجماعات، والمجتمعات، وتهدمها، بمثل ما تؤســس ماهية «الاجتماعي» و«السـياسي» لدينا، وتقرر المســارات الممكنة والقائمة للتفاعــل الاجتماعي وللهويات الاجتماعية. والتمثيلات الاجتماعية، وخصوصا تلك المتصلة بالمقولات السياسية، تجسد وتحدد الخبرة بالواقع السـياسي والممارســات السياســية، مقررة حدودهــا، ودلالاتها بالنسبة إلى الأفراد، والجماعات، والمجتمعات، وعلاقتها بالممارسات الاجتماعية الأخرى.

وعبر تركيزها على «الوحدة» الدينامية بين العمليات السـيكولوجية والممارســات الاجتماعيــة، تبدو نظرية التمثيلات الاجتماعية مناســبة لتفســير تباين وتنوع المعرفة الاجتماعية والسياســية، وتوترات الحيــاة الاجتماعية والسياســية الحديثة وتدفقاتها. وهذه هي بعض المســائل التي ســعى موســكوفيسي لاستكشــافها في كتاب «التحليل النفــسي» La Psychoanalyse. ومواصلة الســير على الدرب ذاتــه، وإن بطرح مدارك جديدة، هو طريق علم النفس الســياسي لإظهار أهميته المتزايدة في دراســة المســائل الاجتماعية والسياســية. ويمكــن لنظرية التمثيــل الاجتماعي أن تســاعد علم النفس الســياسي على تحرك يتجاوز المناظرات (الثنائية) حول التنظيم النخبوي مقابل التنظيم الجماهيري للمعرفة، وحول البنية مقابل الوظيفة في الممارســات الاجتماعية، والشــكل مقابل المضمون في التمثيلات الاجتماعية، باتجاه تحليل دينامي وتكاملي لهذه المسائل، تحليل لا ينكر علاقتها بالمعرفة المشتركة.

وبلفــت الانتباه إلى الثبــات والتحول، وإلى التعاون والــصراع، والابتكار والمقاومة، يمكن لنظرية التمثيلات الاجتماعية أن تســاعد المشتغلين بعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلماء السياسة على فهم الحياة الاجتماعية والسياسية باعتبارها موضوع خبرة بَيْذاتية. ويمكن لعلم النفس السياسي أن يستفيد من تركيز على أشكال التفكر التي تكرس الواقع الخاص بها، والتي يجري تحويلها وبثها في الاتصال الاجتماعي.

وقد لا تتطابــق نظرية التماثل الاجتماعي مع النموذج والممارســة في علم النفس الســياسي الآن، خصوصا في أمريكا الشمالية. ويحتاج علم النفس السياسي نظرية عامة حول المعرفــة الاجتماعية. ونظريــة التمثيلات الاجتماعية قادرة عــلى تأمينها. ويمكن دراسة قضايا التخليق السياسي لتواصل العملية الاجتماعية، ونمو معرفة سياسية وإدراك سياسي، على نحو مجز، اعتمادا على علم نفس سياسي للمعرفة الاجتماعية مستلهم من

نظرية التمثيلات الاجتماعية. والمعول عليه في السياسة ليس وظيفية الإدراك الفردي، أو صنع القرار على أسس عقلانية، فقط، ولكن أيضا المعرفة الاجتماعية والسياسية التي ينميها الأفراد، والجماعات، والمجتمعات، ويتملكونها ويبثونها؛ المعول عليه ليس فقط مفهومات النخبة بل أيضا مفهومات العامة عن السياسة.

وأي «قراءة» للعالم السياسي تنطوي على أمور عديدة: العلاقات الاجتماعية والممارسات السياسية، عادات وتقاليد الثقافات (الوطنية)، والهويات الاجتماعية، والعاطفة والتأثير. وعلم النفس السياسي بحاجة إلى أن يكون قادرا على صوغ تفاسير نقدية ومنطوية على إمكانات تحويلية للروابط بين النظم النفسية والسياسية. والمشتغلون بعلم النفس السياسي بحاجة إلى فتح مناقشة نقدية حول جدوى نظرية التمثيلات الاجتماعية وأهميتها بالنسبة إلى دراسة السلوك السياسي والتأثيرات المتباينة لمسائل التخليق السياسي لتواصل العملية الاجتماعية، والانخراط السياسي، ودمقرطة السياسة. ولأن هذا هو ما جرت عليه الأمور بالنسبة إلى علم النفس السياسي الأوروبي، فمن المرجح أن تثبت نظرية التمثيلات الاجتماعية أنها برنامج بحثي تقدمي ومبتكر لعلم النفس السياسي في مختلف أنحاء العالم.

5

من الهوية الاجتماعية إلى الهوية السياسية: فهم الذات، والعلاقات بين الجماعات والفعل الجماعي

فهم السلوك السياسي: من التراتبية الاجتماعية إلى التصنيف الاجتماعي

منذ مولده كفرع من فروع الدراسة الأكاديمية، وعلم النفس السياسي معني بتطوير نماذج سيكولوجية (واجتماعية) لفهم السلوك السياسي. ومن الكتابات المبكرة والكلاسيكية وصولا إلى المقاربات المعاصرة، طور علم النفس السياسي نظرياته وروج لها وأدخل عليها تحويلات، ليوصّف الكيفية التي تنظم بها المجتمعات، اجتماعيا وسياسيا. ويرسم هذا الفصل الخطوط العامة للعلاقة بين التصنيف الاجتماعي والتعبئة الاجتماعية، وكذلك العلاقة بين الهويات الجمعية

«إذا كان علم النفس السياسي يدّعي الاهتمام بدراسة العملية السياسية الديموقراطية، فيتعين عليه، إذن، أن يدرس، بمزيد من الاهتمام، الكيفية التي تُنْتَج بها الهويات الاجتماعية والجمعية في سياقات من الفعل الاجتماعي والسياسي»

والفعل الجمعي. ويذهب هذا الفصل إلى أنه باستكشاف الرابط الذي يقيمه الفاعلون الاجتماعيون والسياسيون بين الهويات والفعل الاجتماعي، يمكن للمرء أن يتوصل إلى فهم أفضل للسلوك السياسي كشكل مركب من الممارسة الاجتماعية. وباستخدام أمثلة من بيئات وسياقات اجتماعية متنوعة، يبين هذا الفصل الكيفية التي تنشأ بها بُنى الهويات (يعاد إنشاؤها) في سياق ممارسات اجتماعية ويعاد تخليقها لإدارة حالات اجتماعية وتنظيم فعل اجتماعي (جمعي).

تتطلب الرغبة المتزايدة في الحصول على اعتراف من المجتمع، وعلى شرعية، وعلى تحول اجتماعي، وعلى تأكيد للهوية والقدرة على الاختيار، فهما سيكولوجيا اجتماعيا ديناميا لهذه العمليات. ويطرح الفصل تعليقا على الطبيعة التمثيلية الجامعة (cross-sectional) للهوية، وعلى تعددية التماهيات والتموقعات الاجتماعية، كاستجابة للتصنيف الاجتماعي، أو كأثر ترتب عليه. وينتهي الفصل بمناقشة موجزة للحاجة إلى وضع فكرة الهوية في مركز اللغة النظرية والإمبيريقية لعلم النفس السياسي.

وينتصر هذا الفصل لدور التصنيف الاجتماعي، ويبين أهميته، لجهة فهم السلوك السياسي كبديل أكثر دينامية لنماذج السلوك السياسي التي تجد لها أصولا في المبادئ السيكولوجية والاجتماعية المتصلة بالسلطة، والسيطرة، والتراتبية الاجتماعية. ونظرية السيطرة الاجتماعية (SDT) هي واحدة من أكثر النظريات تمثيلا لهذا التوجه، ومن أكثرها تأثيرا على النظريات الاجتماعية. ووفقا لهذه النظرية، فمن الصعب فهم السلوك الاجتماعي والسياسي من دون تبين مدى قبول الأفراد بأن ينشئوا تراتبيات اجتماعية أو أن يحافظوا على تلك التراتبيات ومدى رغبتهم في ذلك.

ووفقا لما يذهب إليه أنصار هذه النظرية فإن «جميع المجتمعات المعروفة المنتجة لفائض اقتصادي مستقر.. تميل إلى أن تكون منظمة باعتبارها تراتبيات اجتماعية تقوم على جماعات» (سيدانيوس وبراتو(*)، 2003، ص 207). وتتساءل نظرية السيطرة الاجتماعية «لماذا تميل المجتمعات الإنسانية إلى أن تكون منظمة كتراتبيات تقوم على جماعات» (سيدانيوس وآخرون 2004 ص 847) وكيف يجري إنتاج القمع الاجتماعي، وكيف تبقى التصورات المتصلة بالتفاوت الاجتماعي القائم

(*) jim sindanius أستاذ علم النفس بجامعة هارفارد، درّس في جامعات أمريكية وأوروبية أخرى، وFelicia Pratto أستاذة علم النفس بجامعة كونيتيكت.

على جماعات وتديم بقاءها (براتو وآخرون، 2006؛ سـيدانيوس، 1993؛ سيدانيوس وبراتـو، 1999، 2003؛ سـيدانيوس وآخـرون، 2004). وتطـرح نظرية السـيطرة الاجتماعيـة رأيا مـؤداه أن الأفراد الذين يظهرون تفضيلا عامـا للبُنى التراتبية على البُنـى الديموقراطية يعيدون إنتاج التراتبيات القائمة على مجموعات. وتؤشر نظرية السـيطرة الاجتماعية إلى وجود ميل «ارتقـائي» إلى تكوين تراتبيات اجتماعية تقوم على الجماعات والسـلطة (سـيدانيوس وبراتـو، 1999). وتتقدم نظرية السـلطة الاجتماعية بطرح مفاده وجود دفع شامل ومنتشر للتراتبية الاجتماعية، بغض النظر عن موقع الجماعة (تيرنر ورينولدز[*]، 2003)[1].

وعـلى رغم ما يقـال من أن التركيز هـو على تحليل «التفاعـلات بين مختلف مسـتويات التحليـل - أي عـلى الطريقة التي تسـهم بهـا القوى السـيكولوجية، والاجتماعية - الثقافية، والمؤسسية، معا، في إنتاج القمع الاجتماعي وإعادة إنتاجه» (سـيدانيوس وآخـرون، 2004، ص 846)، فـإن تركيز نظرية السـيطرة الاجتماعية ينصب، إمبيريقيا وبشـكل أسـاسي، على ما يشـار إليه باعتباره «الميل إلى السيطرة الاجتماعيـة»[**] (SDO) (هـنري[***] وآخـرون، 2005؛ سـيبلي[****] وداكيت، 2010؛ سيبلي وليو،[†] 2010). وبالنسبة إلى نظرية السيطرة الاجتماعية فإن الأشكال المتنوعة من إدراك وفهم تراتبيات السيطرة والتفاوت بين الجماعات ليست مرتبطة بهويـة الجماعة عند الفرد، ومصالحها وموقعها في البنيـة الاجتماعية بقدر ما هي نتيجـة دافع ارتقائي وخصلة/توجه فردي. وتضـع باريتو وزملاؤها (1994) معالجة نظريـة للميل إلى السـيطرة الاجتماعية باعتبارها درجـة تفضيل المرء للتفاوت بين الجماعـات الاجتماعية، باعتبارها من «متغيرات الشـخصية» التـي يمكن أن تنبئ بتوجهـات اجتماعية وسياسـية. ولبعض الفروق الفردية في هـذا التوجه جذور في عوامل الانتخاب الارتقائي القائم على الجماعة (سيدانيوس وكيرزبان، 2003)[‡].

(*) John C. Turner وKatherine J. Reynolds أسـتاذان بمدرسـة علم النفس، الجامعة الوطنية الأسـترالية في كانبيرا .

(**) Social Dominance Oricntation.

(***) PJ Henry أستاذ علم النفس الاجتماعي بجامعة نيويورك، أبوظبي.

(****) Chris G. Sibley أستاذ بمدرسة علم النفس بجامعة أوكلاند.

(†) James H. Liu أستاذ صيني - أمريكي - نيوزيلاندي في علم النفس بجامعة فيكتوريا بنيوزيلاندا.

(‡) Robert Kurzban أستاذ علم النفس بجامعة بنسلفانيا.

ويمثل الميل إلى السيطرة الاجتماعية الأساس الذي تقوم عليه سيطرة جماعة الأغلبية والسلوك التمييزي، وهو وثيق الارتباط بالعرقية. ويستخدم الميل إلى السيطرة الاجتماعية لتفسير عديد متنوع من الظواهر الاجتماعية والسياسية: فقضايا وديناميات التعددية العرقية الإثنية يقع إدراكها على أساس السيطرة الإثنية (سيدانيوس وآخرون، 1997) أو على أساس التفاوت الإثني بين الأقلية والأغلبية في التوجهات القومية (ستايركليه وزملاؤه، 2010). وفوق ذلك، فتنظيم السيطرة الاجتماعية يصوغ دينامية التحيز بين الجماعات (لافين وآخرون، 2002). وعلى سبيل المثال، فباستخدام مدرج تنظيم السيطرة الاجتماعية يثبت جوست وطومسون(*) (2000) أن «السيطرة المستندة إلى جماعة» و«معارضة المساواة» تلعبان دور المنبئ المستقل بالمركزية الإثنية وبتوجهات السياسة الاجتماعية بين كل من الأمريكيين الأفارقة والأمريكيين الأوروبيين. وعوضا عن ذلك فإن عرضا أعلى(**) قريب العهد، حول السيطرة الاجتماعية والانتصار للتراتبية القائمة على أساس الجماعة (لي وآخرون، 2011)، يقرر أن تنظيم السيطرة الاجتماعية هو «بنية موحدة» (ص 1046).

ويمكن الدفع بأنه سواء كان تنظيم السيطرة الاجتماعية أو لم يكن بنية ثنائية العنصر أو موحدة، فهذا الأمر أقل أهمية من فهم ما يعكسه التنظيم: الشكل الشامل للتفاوت القائم على الجماعة. ويزعم لي وزملاؤه أن صلاحية تنظيم السيطرة الاجتماعية عابرة للثقافات، وأن «التفاوت بين الجماعات في التوجه نحو السيطرة الاجتماعية ليس بدعة مصدرها المجتمعات الفردانية» (2011، ص 1050). وعلى الرغم من ذلك، فإن تيرنر ورينولدز يذهبان إلى أن تنظيم السيطرة الاجتماعية لا يتعين تصوره باعتباره «متغيرا فرديا ثابتا يخص الاختلاف ويتمتع باستقرار نسبي، ولكنه يعكس أشكالا محددة من التفاوت على أساس الجماعة. والأفضل أن يُفهم باعتباره توجها جماعيا، يتنوع وفقا للتصنيف الذاتي في سياقات معاصرة، باعتباره دلالة الانتماء لعضوية الجماعة، دلالة موقع الجماعة والعلاقات بين جماعة وأخرى»

(*) Eric P. Thompson الأستاذ بجامعة واشنطن.

(**) meta-review هو العرض الذي يستفيد من عروض وأبحاث أخرى في الفرع المعرفي ذاته ويصدر عن جهة بحثية أرقى.

(2003، ص 202؛ وانظر أيضا شميدت وآخرين، 2003). ويمكن للتركيز على «الفروق الفردية» في التوجه إلى السيطرة الاجتماعية أن يحجب التفاوض الفردي والقائم على الجماعة حول الواقع الاجتماعي والخصوصية الحالّة للسوابق والنتائج المترتبة على سياسة العلاقات بين الجماعات (هَدي(*)، 2004؛ رايشر، 2004).

ما أهمية الفروق عبر المجتمعية في فهم ومساندة التفاوتات والأوضاع القائمة، المستندة إلى الجماعة، وتفسير التحول المجتمعي عبر الزمن؟ تحت أي ظروف تترجم العضوية في جماعة إلى تمييز، أو توافق، أو صراع؟ تحت أي شروط تفضي الهويات الجماعية إلى الفعل الجمعي أو تحول دونه؟ ما دور التصنيف الاجتماعي والذاتي والسياق الاجتماعي في هذه العملية؟ متى وكيف تسعى جماعة مُسْتَتْبَعَة إلى تمايز «إيجابي» في العلاقة مع الجماعات المسيطرة؟

هذه أسئلة لا يمكن لنظرية السيطرة الاجتماعية، وحدها، أن تقدم عنها إجابات شافية. فنظرية السيطرة الاجتماعية تختزل فهم السلوك السياسي في توجهات شاملة /دوافع سيكولوجية، طارحة رؤية للسلوك الاجتماعي والسياسي، حيث يكون الصراع بين الجماعات، وتوجهات الجماعات بعضها إزاء بعض، وما شابه، وعلى نحو غريب، سابقة على (بأكثر مما هي نابعة من) طبيعة التصنيف الاجتماعي والذاتي والعلاقات الاجتماعية مع الآخرين (تيرنر ورينولدز، 2003)[2]. ولا تبدو النظرية آخذة بنظر الاعتبار، على نحو كامل، أن توجهات الجماعات شأنها شأن هويات الجماعات، تصوغ البُنية الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي بمثل ما يصوغانها، وبالتالي فلا يقف الأمر عند حدود أنها مشتقة منهما. (رايشر وآخرون، 2010).

فالناس ينشئون توجهاتهم ويعيدون إنتاج التوجهات إزاء الذات والآخرين، وإزاء مسائل اجتماعية (مثل انعدام المساواة أو سيطرة الجماعة) بالاعتماد على التصنيف الاجتماعي واهتمامات التماهي الاجتماعي التي تنشأ في سياق العلاقات بين الجماعات (تايفيل وتيرنر، 1979). وتعالج نظرية السيطرة الاجتماعية الهويات الاجتماعية وعملية التصنيف الاجتماعي باعتبارها من

(*) Leonie Huddy أستاذ العلوم السياسية بجامعة ستوني بروك بنيويورك وStephen D Reicher (Steve) Reicher أستاذ علم النفس الاجتماعي بجامعة سانت آندروز الاسكتلندية.

ملامح «العالم الموضوعي» (آنتاكي(*) وآخرون 1969) بأقل مما تعالجها باعتبارها من ملامح الفعل الإنساني، وكيفية تصنيف الناس لذواتهم وللآخرين.

التصنيف الاجتماعي والهوية الاجتماعية

ولا يعود تركيب السلوك السياسي، والسلوك بين الجماعات، وتوجهات الجماعات والتوجهات البَيْجماعية إلى تركيب توجهاتنا السيكولوجية (وأسسها «البيولوجية») بقدر ما يعود إلى تركيب، وطارئية الحياة الاجتماعية والسياسية وبنيويتها وديناميتها. وهذا القول هو تبصر ينبع من أفكار أصبحت أساسا لعلم نفس أوروبي متميز وأصيل (مثلا، إسرائيل وتايفل، 1972؛ موسكوفيسي، 1972؛ موسكوفيسي، وماركوفا 2006؛ وتايفل 1972) جزءا من رغبة أوسع وتحرك باتجاه تحول مجتمعي وسياسي داخل علم النفس الاجتماعي. وقد يكون واضحا الآن، وأكثر من أي وقت مضى، مغزى الاهتمام الملهِم عند هنري تايفل بفكرة أنه «لا وجود لشيء يدعى فراغا اجتماعيا في الشؤون الإنسانية» (1972، ص 81)، خاصة عندما يكون المرء مهتما بدراسة العلاقات البيْجماعية والتحول الاجتماعي من زاوية رؤية علم النفس الاجتماعي حقا.

وقد كان تايفل أول من تبين التأثيرات (المثيرة للدهشة) للتصنيف الاجتماعي البسيط ورسم خريطتها. وكانت «الخبرات الدنيا للجماعة، كما صار يشار إليها، هي الخطوة الأولى لتأسيس فهم، يقوم على علم النفس الاجتماعي، لعمليات الفرز والإدماج، وتخليق تمايز سيكولوجي بين الجماعات. وقد كان «الباعث» على تفضيل الزملاء من المنتمين إلى الجماعة (من داخل الجماعة) والانحياز لهم والتمييز ضد أولئك الذي اعتبروا من الآخرين (من خارج الجماعة) هو التصنيف التعسفي للجماعات. وظهر الانحياز لمن هم من داخل الجماعة في جماعات تكاد تكون بلا قيمة (انظر تايفل وآخرين، 1971، مثلا). وعلى سبيل المثال، فقد أثبتت التجارب أنه في مهمة تقرير نقطة (point allocation) ينحاز المشاركون لجماعتهم ويمارسون «التمييز» ضد الجماعة التي لا ينتمون إليها. وهكذا فقد ظهر برهان قوي على أن مجرد شعور المرء بالعضوية في جماعة تقف موقف النقيض من جماعة أخرى يمكن أن يترتب عليه تمييز بَيْجماعي.

(*) Charles Antaki أستاذ اللغة وعلم النفس الاجتماعي بجامعة لوفبره البريطانية.

وقد بدأ الاشـتغال على عمليـات الفرز والإدماج مع كامبـل[*] (1956). الذي لاحـظ أن تعزيز التناقض بين الجماعات كان من أهم مظاهر إنتاج الصور المقولبة. وقـد مضى تايفل وويلكـس بهذه الفكرة إلى مدى أبعد ليسـتخلصا منها مجموعة مـن النتائـج الاجتماعية المترتبة عليهـا. وقد لاحظا أنه عنـد الحكم على مجموعة من المحفزات المادية (مجموعة خطوط) كان المشـاركون عرضة لأن يقعوا في أنواع بعينهـا من «الأخطاء»: الإدماج داخل الجماعة والفرز بين الفئات. وتوصلت تجارب لاحقة إلى النتائج ذاتها (دواز وآخرون، 1978؛ إيزر، 1971[**]؛ ماغارتي[***] وبيني، 1988). وقـد طرحت تفاسـير عديدة على امتـداد الطريق إلى ديناميـة الهويات الاجتماعيـة في السـياقات البيجماعية. وعلى سـبيل المثال، فقد ثبـت بالتجربة أن الأخطـار التي تتهدد الهويات الاجتماعية للنـاس تقابل بمحاولات لفرز المنتمين إلى الجماعـة، على نحـو إيجابي، عن غير المنتمين إليها (مثـلا، بورهيس وجايلز، 1977؛ بريكويل، 1978). وعلى رغم ذلك فقد يحدث أن يتبين أن التماثل (سواء في المكانة او التوجهـات) يعزز التجاذب بين الجماعات (بـروور وكامبل، 1976). وجرت أيضا مقاربات لقضايا تتصل بديناميات الهويات الاجتماعية لدى الجماعات الأدنى مكانة، الجماعات المُسـتَتْبعة. وعلى سـبيل المثال، فإن تايفل وتيرنر (1986) يشيران إلى أن التخلي عن الهوية الاجتماعيّة الراهنة أو العثور على أبعاد مختلفة للمقارنة وتعزيز هـذه الأبعاد (انظر لومان، 1966، كمثال كلاسـيكي) قد يكون اسـتجابة ممكنة في حالات تدني الاحترام للذات لدى التابعين لجماعة مستَتْبَعة.

وقد زادت أهمية عمليات التصنيف الاجتماعي عندما خطت بها نظرية الهوية الاجتماعيـة (براون، 1995؛ تايفل، 1981 ب؛ تايفل وتيرنر) والتصنيف الذاتي (تيرنر، 1999 ب؛ تيرنـر وآخرون، 1987) خطوة إلى الأمام. وتجاوزت تلك خطوة إلى الأمام، تجاوزت جوانب القصور الإدراكية في البحوث السـابقة إلى تأكيد أكبر على السـياق الاجتماعـي للتفاعـل الجماعي والمسـائل المرتبطة به المتصلة بالسـلطة، والمكانة، والفرز بين الجماعات الاجتماعية (بيليغ، 1976؛ تايفل، 1978).

(*) Donald Campbell (1916-1996) الاستاذ الأمريكي لعلم النفس الاجتماعي.

(**) J. Richard Eiser أستاذ علم النفس الاجتماعي بجامعة شيفيلد البريطانية.

(***) Craig McGarty أستاذ علم النفس الاجتماعي بجامعة ويسترن سيدني الأسترالية.

وقد وجدت نظرية الســيطرة الاجتماعية ونظرية التصنيف الاجتماعي نفسيهما ناشــطتين على جبهتين مترابطتين. الأولى، جبهة إدراكية، حافظت على تماســك جميع الفرضيات المتصلة بالعمليات الأساسية للتصنيف والفئوية. وكانت الفكرة وراء ذلك هي أن العالم بيئة بلغ تعقيدها درجة تُعْجِز الأفراد عن فهمها من دون آلية لتبسيطها وترتيبها (هاملتون وترويلر، 1986). ووفقا لهذا الرأي، فالتصنيف يمثل عملية تكيف أساســية (أولبورت، 1954؛ برونر، 1957). والثانية، جبهة «دوافعية»، بدأت كنظرية للدوافــع تتصل باحترام الذات، نشــأت عن فكــرة أن تقدير المــرء لذاته يتقرر عبر المقارنات داخل الجماعة. ووفقا لهذا الرأي، عُرِّفت الهوية الاجتماعية باعتبارها «تلك الجوانب من الصورة الذاتية لــدى المرء المنبثقة عن الفئات الاجتماعية التي يتصور أنه ينتمي إليها» (تايفل وتيرنر، 1986، ص 16). وسوف تتخلق لدى أعضاء الجماعة حوافــز لتعظيم الفروق بين الجماعات بتفضيل المنتمين إلى الجماعة، ولتأكيد التمايز الإيجابي لجماعتهم، على أساس من أي بعد ذي قيمة[3].

وينعكس الانزياح عن الهوية الشــخصية إلى الهوية الاجتماعية في انزياح سلوكي من الفعــل البَيْفردي إلى الفعــل البَيْجماعي (تايفل وتيرنــر، 1979). ويفرض بروز الهوية الاجتماعية من يعامل باعتباره من الجماعة ومن يعامل باعتباره من خارجها. وتمضي نظرية السيطرة الاجتماعية إلى حد الإشارة إلى أنه من دون التصنيف الذاتي، فإن الســلوك الجماعي لا يكون ممكنا. فالســلوك الجماعــي يعتمد على عمل من أعمال تعريف الذات. وســوف يقرر التصنيف الذاتي غــير الموضوعي الكيفية التي يرى بها الفرد الآخرين، من حيث الهويات الاجتماعية المتاحة والبارزة.

وقد نقلت التطورات المعاصرة/الحديثة المتصلة بنظرية الهوية الذاتية والتصنيف الذاتي التركيز من الإدراكية التي ميزت النسخ السابقة إلى تعزيز فهم هوياتي الأساس للســلوك الســياسي وللفعل الإنســاني، مع تركيز على العلاقة التبادليــة بين الفئات الاجتماعيــة، والواقع الاجتماعي، والفعل الاجتماعي والســياسي (انظر، بين آخرين، كريسب وهيوستون، 2007؛ أونوراتو وتيرنر، 2004؛ رايشر، 2004؛ رايشر وهوبكنز، 2001؛ رايشر وآخرين، 2010). والفرضية الأساســية في دافع كهذا أن أشكال الهوية الاجتماعية وأشــكال الفعل الاجتماعي تشــترك في الســياق والحدود والدلالة. وكما يقــول رايشر وهوبكنز فإن «التصــورات حول الفئة هي انعكاس حســاس ومتغير

للعلاقـات المتحولة بين الجماعات في عالمنا الاجتماعي» (2001، ص396). وأهم من ذلك أن الهوية الاجتماعية يجري صوغها كمفهوم «يتوسـط بين السياق الاجتماعي والفعل الذي تقوم به الذوات البشرية» وليس باعتبارها «حقيقة سيكولوجية تقرر الحقيقـة الاجتماعية» (رايشر 2004، ص933)[4]. وتحاول نظرية الهوية الاجتماعية الإبقاء، ليس على تركيز تايفل، قبل كل شيء، على التمييز، بل بالأحرى على المقاومة. ووفقـا لرايشر، فاهتمام تايفل «لم ينصب على حتمية السـيطرة بـل على إمكانية التحول» (رايشر، 2004، ص 931؛ انظر أيضا بيليغ، 2002).

وقـد وجهـت التطورات الحديثة في نظريـة الهوية والتصنيف الـذاتي اهتمامها إلى الكيفية التي نصف بها أنفسـنا والآخرين، إلى كيفيـة تأثير هذه التصنيفات على الأحـكام والأفعال، والكيفيـة التي نطور بها الهويات الاجتماعية والسياسـية الملائمة لعضوية الجماعات، وبنوع التبعات التي يرتبها التصنيف الذاتي على الفعل الاجتماعي والسـياسي. وتقوم دراسـة هذه الاهتمامـات على فكرة أن العـالم الاجتماعي هو في حال سـيولة دائمة، وأسـاس التصنيف الاجتماعي يكمن، تحديدا، في الحركة المتصلة وإدراك الذات هو «عملية مشروطة بالسياق» ومتغيرة بدرجة كبيرة» (أونوراتو وتيرنر 2004). وبحسب رايشر «لا وجود لَشكل مُسلّم به للتصنيف الاجتماعي أو للعلاقات بين الفئات، يظهر في جميع السـياقات، ولا لسـياق بعينه، يجـري ترتيب فئاته، على الـدوام، إلى الفئات ذاتها والعلاقـات الفئوية ذاتها (رايـشر، 2004، ص 924-925). وفي عالم من الأيديولوجيات المتصارعة، والضغوط المؤسسـية والسياسية، والتفاوتات البنيوية والاجتماعية فإن عملية التصنيف هي عملية دائمة الانزياح. وتشير الإحالات العامية والأكاديمية إلى الاسـتيعاب/الإقصاء الاجتماعي، والسيطرة الاجتماعية، والفرز والدمـج، وتفهرس عـددا متنوعا من الأفعال الاجتماعية المحـددة. ولكي يتفهم المرء هـذه الأفعال، فلا بد له من استكشـاف «كيفية انتاج تعريفات الذات في السـياق» (رايشر، 2011، ص 391). ويحضنا تراث الهوية الاجتماعية على التركيز على خصوصية العالم الاجتماعي والسـلوك الاجتماعي وتعددية التصنيفات الاجتماعية والتعريفات الاجتماعيـة (وارتباطهـا بسـياق اجتماعـي). فالـذات، والجماعات، وكذلـك العالم الاجتماعي، ليست مفهومات واحدية أو ثابتة بقدر ما هي نظم علائقية مركبة يمكن تعريفها (ودراستها) على مستويات متنوعة من التعميم.

التصنيف الاجتماعي المتعدد والهويات المتعددة

يبرز البحث في قضايا التنوع الاجتماعي والثقافي، والتعددية الثقافية، وقضايا التمييز والتسامح، للعيان تنوع المواقع، والهويات، والعوالم الاجتماعية التي يسكنها الناس. فالخبرة بالمجتمع، والانتماء للجماعة، والتماهي الاجتماعي، تُفْهم على أنها تتصل، بالأساس، بما يتعرض له الفاعلون الاجتماعيون من «تعدد في الاستنهاض، والتصنيف، والترتيب، والتسجيل، والتقييد، والتجنيد، وغالبا ما يكون ذلك بطرائق بالغة التناقض والتضارب» (ويذريل، 2009، أ ص4). ولا يمكن للمرء أن يفهم التنوع الاجتماعي والثقافي والتعددية الثقافية، وقضايا التمييز والتسامح من دون أن يأخذ في اعتباره المظاهرات والتفاعلات المتنوعة بين الأفراد وما يترتب عليها بالنسبة إلى إدراك الذات والآخر، من دون تساؤل حول الكيفية التي تكون بها الهوية فاعلة (at play) أو داخلة في اللعبة (in play) بالنسبة إلى الفاعلين الاجتماعيين (ميرينو(*) وتيليغا، 2011).

والهويات لا تنشأ خارج السياقات الاجتماعية. فالعلاقات البَيْجماعية، والبَيْثقافية، والبَيْإثنية (وما يتصل بها من قضايا تعريف الذات والجماعة) ليست في موقع علاقة جوهرية مع المنتمين إلى الجماعة، كنقيض للتمييزات الموجهة إلى غير المنتمين، لتعريف الذات وللتماهي الاجتماعي المقررين بالفعل. وكما يذكرنا رايشر (2004، ص934) فإن «أحد المنطلقات الأساسية لتراث الهوية الاجتماعية أننا نملك قدرا متنوعا من الهويات الاجتماعية الممكنة، وأننا حين نتصرف على أساس أي من الهويات الاجتماعية المكرسة، فنحن نتصرف على أساس المعتقدات، والمعايير والقيم المرتبطة بتلك الهوية»[5]. والمهم هو أن يتفهم المرء كيف تقوم البُنى الاجتماعية للفئات الاجتماعية/العُضْوَوِيّة، وكيف أن العالم الذي غالبا ما يعد حقيقة مسلما بها من التصنيف الاجتماعي والإثني هو عالم متعدد، بأكثر مما هو مفرد، وأنه يتواصل إنتاجه، والتفاوض حوله، والتنازع عليه، عبر أفعال متعددة من التصنيف الاجتماعي. وعندما يفعل المرء ذلك فيتعين أن يكون قادرا على أن يوصف، ليس فقط الكيفية التي بها تدخل الهويات الاجتماعية نسيج العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات وتخرج منها، ولكن أيضا الكيفية التي يموقع بها الفاعلون الاجتماعيون

(*) María-Eugenia Merino الجامعة الكاثوليكية في تيموكو، تشيلي.

أنفسهم والآخرين، وما هي الأفعال الاجتماعية والتبعات الاجتماعية التي تترتب على ذلك. ولاتزال الدراسات التي تشتغل على الطرائق التي تُعَرِّف بها الأقليات الإثنية هويتها وتفسرها (خاصة أعضاء الجماعة الخاصة بها) نادرة، نسبيا، في علم النفس الاجتماعي والسياسي (ولكن انظر ليودار ونيكفابل[*]، 2000؛ ميرينو وتيليغا، 2011؛ فيركيوتن، 1997، 2003، 2004، 2005؛ فيركيوتن ودي وولف 2002). وعلى سبيل المثال، فإن فيركيوتن ودي وولف، (2002) يبينان كيف أن أعضاء الأقليات الإثنية (الصينيين المقيمين في هولندا) ينشئون نسخا مختلفة من الهوية في تفاعلات مع أعضاء جماعتهم هم، بحشد موارد خطابية وثقافية متنوعة، وبطرح تفاسير تعتمد، في آن معا، الحتمية (دلالة المظهر، امتلاك صفات إثنية حاسمة أو الافتقار إليها، وأهمية الإيلاف[**] المبكر) والفاعلية[***] فيما يتصل بهويتهم كأعضاء في جماعة أقلية (الدور النشيط والبناء للذات الشخصية في بنية الشخصية).

وتبين ميرينو وتيليغا (2011) كيف أن فئة الأقلية الإثنية المابوتشي[****] في تشيلي لا يشار إليها، فقط، إشارة إثنية معيارية، بقدر ما تكون الإشارة إليها تأسيسا نشيطا لها عبر استخدامها في سياقات تفاعلية. ويدير البالغون من المابوتشي قضايا التعريف بالذات والتماهي الجماعاتي باستخدام مرن لما يفهمونه من معارف مرتبطة بالفئة، وخصائص، وأنشطة ترتبط بـ «كون» المرء مابوتشيا وبـ «شعوره» بذلك. ويبين فالنتاين[†] وسبورتن (2009)، في دراسة عن إنهاء التماهي والتنكر للهوية عند شباب اللاجئين الصوماليين في المملكة المتحدة، كيف يمكن أن تتوسط السياقات الفضائية والاجتماعية المختلفة، والمؤشرات الإثنية المختلفة، مثل لون البشرة، أو اللكنة أو الملبس في تقرير الثقل المقرر لما يجري تصوره من «أهمية

(*) الأستاذ Dr Jirî Nekvapil بجامعة تشارلز التشيكية وAngela de Wolf من جامعة أوترخت الهولندية.

(**) socialization، كما جاء في قوله تعالى «لإيلاف قريش» وفسره القرطبي بقوله «لتأتلف» قريش، أي تتوحد وتجتمع على ممارسات بعينها. والمقصود في النص الأصلي «العملية التي بها يتعلم شخص ما، وخاصة الطفل، السلوك بطريقة مقبولة في مجتمعه - أكسفورد أدفانسد ليرنرز».

(***) agentic هو المنظور المشتق من نظرية المعرفة التي ترى الناس ينظمون أنفسهم ويفكرون لأنفسهم بأنفسهم وليسوا مجرد كائنات عضوية يحكمها رد الفعل وتصوغها قوى البيئة أو الدوافع الداخلية.

(****) Mapuche جماعة من السكان الأصليين في جنوب وسط التشيلي وجنوب غرب الأرجنتين.

(†) Tim Valentine أستاذ علم النفس بجامعة غولدسميثس البريطانية وDeborah Sporton الأستاذة بجامعة شيفيلد.

ومتاحية لهويات بعينها، لدرجة تبرزها أو تطمسـها، على نحو خاص، في فضاءات بعينها» (ص 171). وما عند المسلمين من «حديث عن هوياتهم الدينية والوطنية يكشـف أيضا عـن صورة مركبة مـن التماهـي الاجتماعي» (هوبكينـز، 2011؛ هوبكينـز وكاهـاني هوبكينـز، 2004، 2006؛ هوبكينز وآخرون، 2007). ويشـير هوبكينز وكاهاني هوبكينز (2004) إلى أبعاد متنازع عليها واسـتراتيجية لتأسيس الهوية بالإحالة إلى الكيفية التي يجري بها الكلام عن الهوية المسـلمة في بريطانيا بطرائق مختلفة «بحيث يتيسر الترويج لمفهومات مختلفة عن المصالح الجمعية» (ص 339). ويمكن بناء نسخ من الهوية المسلمة حول فهم لمشترك متسام، وكذلك حول شـعور بتميـز جماعة فرعية. ويبـين هوبكينز وكاهـاني هوبكينز كيف أن الهويات يجري بناؤها، دائما، في سياق من التبرير والنقد وكيف أنها تخدم المصالح الاستراتيجية لتمثيل الذات.

وفي جميـع هذه الدراسـات، تُفهم قضايـا التعريف الإثني للـذات والتماهي الاجتماعي الإثني كنتيجة لعدد متنوع من العمليات البناءة التي تعبر عن تعريفات سائلة وسياقية للذات وللجماعة. وما تبينه هذه الدراسات، ليس فقط الكيفية التي يتحدث بها المشاركون عن هوياتهم الإثنية كأقلية والتي بها ينشئون هذه الهويات، ولكنهـا تبين أيضـا كيف أن التصنيف الاجتماعي الإثني بعيـد عن أن يكون عملية مفـردة، بل هو أقرب إلى أن يكون عملية متعددة وعقلانية. وأعضاء جماعة الأقلية هم أنفسـهم مدركون إلى حد كبير لما تنطوي عليه بُنى الهوية من دلالات بالنسـبة إلى تعريف الذات والآخر وهم أنفسـهم منتجوها، والمتنازعون حولها، ومن يبثونها، على نحو نشيط.

ويؤيد البحث التجريبي الاجتماعي النفـسي داخل تراث الهوية الاجتماعية والتصنيـف الذاتي أيضا الفكرة القائلـة بأن العلاقات البَيْجماعيـة، والبَيْثقافية، والبَيْإثنيـة (ومـا يتصل بها من قضايـا تعريف الذات والجماعـة) تعتمد على تصـور التصنيـف الاجتماعي كسـياق متعدد عابـر للفئات. وبحسـب برُووَر (2010) فالأفـراد في مجتمعات متنوعة ومركبة «لديهم عضويات انتماء متعددة بَيْجماعيـة، هي، موضوعيا، فئات متقاطعة» (بـروور، 2010، ص12؛ انظر أيضا روكاس وبروور، 2002)[6].

ودراسة التنوع الاجتماعي والثقافي أمر يعنينا. فالتنوع ينطوي على اعتراف بأن الأشخاص يجري فرزهم وفقا لأبعاد اجتماعية كثيرة لها دلالاتها (بروور، 2010، ص11؛ وانظر أيضا عزي(*) وآخرين 2011). وتطرح الحياة الاجتماعية علينا أمثلة بالغة الكثرة حول تشابك العضويات المتصورة وحول التصنيف عبر فئات عديدة. وقد أثبت علم النفس الاجتماعي التجريبي أيضا وجود مثل هذه الظاهرة في المختبر. وعلى سبيل المثال، فإن هول وكريسب يبينان (2005) كيف يمكن لطرح معايير متعددة للتصنيف الاجتماعي أن يخفف التحيزات البَيْجماعية (كريسب وآخرون، 2001؛ كريسب وهيوستون، 2000، 2006، 20007)[7]. وقد أفضى النظر في الطرائق البديلة التي يمكن بها تصنيف الناس إلى تخفيف التحيز، وارتبط ذلك النظر بتقويم أكثر إيجابية لغير المنتمين إلى الجماعة (قارن شميدت وهيوستون، 2010). وقد تبين، على سبيل المثال، أن التعرض للتنوع يشجع على التماهي مع الفئات السائدة. وفي دراسة أجريت في إيرلندا الشمالية أثبت شميدت وآخرون (2010) أن من يعيشون في أحياء مختلطة كانوا أكثر قابلية للتصنيف الذاتي على أساس فئة مشتركة داخل الجماعة (إيرلندي شمالي) من أولئك الذين يعيشون في أحياء تقوم على الفصل.

ويمكن أيضا أن يفضي تحسين المواقف من المنتمين إلى جماعات أخرى (ما يدعى «إعادة التصنيف») إلى تخفيف التحيز (غايرتنر(**) ودوفيديو، 2000). وقد كشف البحث التجريبي عن أشكال/استراتيجيات متباينة لإعادة التصنيف: تمثيل الهوية المزدوجة والجماعة الواحدة (دوفيديو وآخرون 2007، 2009؛ هوبكنز 2011). وبالنسبة إلى دوفيديو وزملائه (2007) فإن جماعات الأغلبية وجماعات الأقلية تظهر تفضيلات مختلفة بالنسبة إلى هذه الاستراتيجيات. فأعضاء جماعات الأغلبية أكثر ميلا إلى «اعتماد إعادة التصنيف باعتبارهم جماعة غالبة» (دوفيديو وآخرون، 2007، ص 305). في حين قد يختار أعضاء جماعة الأقلية هوية مزدوجة و«بالتحديد تلك التي قد تعكس هوية الجماعة الفرعية لديهم كما تعكس الصلة بالجماعة المشتركة، في آن معا» (ص 312). ومما يترتب على التصنيفات الاجتماعية المتعددة أن التسامح مع الجماعات الأخرى

(*) Assaad E. Azzi أستاذ علم النفس والاتصال البيشخصي بجامعة بروكسيل الحرة.

(**) Samuel Gaertner أستاذ علم النفس الاجتماعي، جامعة نيويورك وJohn Dovidio بجامعة ييل.

تكـون له مظاهر متباينة كثيرة. وقد أثبتـت رايجفاغ [*] وآخرون (2009) كيف يمكن أن يؤثر السياق الاجتماعي والتصنيف الاجتماعي على مدركات المهاجرين. فحيثما كانت كاثوليكية المهاجرين البولنديين بارزة، أظهر الأيرلنديون الشماليون البروتسـتانت توجهات أقل ترحيبـا إزاء المهاجرين البولنديين. وتذهب فان دير نول [**] وآخرون (2010) أيضا إلى أن التسـامح مرتبط بالسياق. وقد بينوا كيف مال من شـملهم بحثهم من الهولنديين إلى أن يأخذوا بعـين الاعتبار «الجوانب المختلفـة لما طُلب منهم أن يتسـامحوا معـه والمعنى المقصود بالتسـامح المتوقع منهم» (فيركيوتن، 2010، ص 151). وقد توصلت فان دير نول وزملاؤها إلى أن من شـملهم بحثهم عبروا عن توجهات منحازة تجاه المسلمين، وإن أظهروا قبولا لبعض نشـاطات بعض أعضاء تلـك الجماعة، في بعض الحالات. وبوسـع المرء أن يميز بين التحيز ضد المسلمين وكذلك اللاتسامح إزاء نشاطات عامة من قِبَل أعضاء الجماعة ذاتها كبعدين منفصلين.

الهويات الاجتماعية والحشد والتضامن الاجتماعي

وكما يتبين من كثرة من الأمثلة من البحث النفسي الاجتماعي والسـياسي اليوم فالتنظـير والتحليل المتصـلان بالهوية، كموضوع ثابت، كشيء هو ببسـاطة موضع اتفـاق، يتزايد تعقيدهـما (بونويل وسـتوكوي، 2006؛ رايـشر وهوبكينز، 2001؛ ويذريل، 2009، أ وب). وهناك تحرك ابتكاري اشـتدت الحاجة إليه، باتجاه «كيفية تجميـع الأفراد، وتعريفهم، وموضعتهم... والكيفية التـي بها تجيز الهويات الفعل الاجتماعي، وتنبئ به، وتوجهه» (ويذريل، 2009، أ ص 1). نحن نعيش في عالم يمثل فيـه التعبير عن الهوية وتعقيد الهوية ملمحـا للحيوات والحكايا في الحياة العادية وفي الميديا، في آن معا. ومن الجدل حول مسقط رأس الرئيس الأمريكي باراك أوباما، أو اعتناق السـياسي الأمريكي ميت رومني عقيدة المورمون، إلى أعمال الشـغب في أغسطس 2011 في لندن أو الأزمة المالية الراهنة في أوروبا، يجري النظر إلى الهوية، وتأسيسـها، وتأسُّسُـها ذاتيا، باعتبار ذلك «طارئا وإن كان منظـما، ومفتوحا وقابلا

(*) Wendy van Rijswijk باحثة في مصلحة السجون البريطانية.

(**) Jolanda van der Noll أستاذة علم النفس المجتمعي بجامعة فيرن، لاهاي.

للتنبؤ به، في آن معا» (ويذريل، 2009 ب، ص4 - 5). هناك رابط حميم بين إنشاء الهويات والفعل الاجتماعي. وقد تكون إعادة الإنتاج التلقائية للهوية الوطنية، والحشد الجمعي، والسلوك المساعد ذو التوجه الاجتماعي وسلوك الحشود هي الأمثلة الأوضح على مثل هذا الرابط.

وبشكل يومي، يعاد إنتاج الدول الوطنية كأمم، ويعاد إنتاج مواطنيها كمواطنين، بطرائق باهتة على نحو ممل. وقد دعيت هذه الظاهرة «الوطنية المملة» (بيليغ، 1995)، وهي فكرة تبدأ بافتراض أن السيادة الوطنية ليست شيئا بعيدا في الحياة المعاصرة، بل هي حاضرة في كلماتنا البسيطة، في الخطابات المألوفة التي نأخذها كأمور مسلم بها (بيليغ، 1995، ص 126). وعادة ما يقال إن الرمزية الوطنية تستثير الرابطة السيكولوجية بالأمة ككيان مجرد (شاتز ولوفين، 2007) وأن بوسع المرء التمييز بين نوعيات مختلفة من الانتماء الوطني (شاتز وآخرون، 1999). لكن ما يشهده المرء هو الكيفية التي تتمظهر بها الوطنية في الممارسات الخطابية والاجتماعية التي يأخذها المرء كأمور مسلم بها (ووداك وآخرون، 1999)(*). وينشئ المجتمع ويجسد ممارسات روتينية تعيد إنتاج الأمة باعتبارها أمرا مسلما به. ويمثل علم الولايات المتحدة أو الاتحاد الأوروبي المرفوع فوق الساري، وإن لم يلحظه أو يبالي به معظمنا، تذكرة دائمة بالسيادة الوطنية والهوية الجمعية. والممارسات الروتينية في الميديا، وصياغات الأخبار الوطنية، وتقرير الطقس الشائع، والعناوين الرئيسية عن الرياضة هي كلها مواقع خطابية لإعادة إنتاج تلقائية للأمة. فالكلمات الروتينية («نحن»، «لنا»، «هنا») والتمثيلات البصرية، والرموز، والمجازات الفضائية، هي «راية «تعلن عن الوطن (آبيل وآخرون، 2006؛ وولوورك، وديكسون، 2004؛ يومول وأوزكيريملي، 2000)(**).

وتعتمد فعالية البلاغة الوطنية على بنية الأمة باعتبارها أمرا لا يمكن المساس به. والسياسيون شديدو البراعة في تجسيد الهويات الوطنية، مقدمين إياها باعتبارها طبيعية أو مسبغين عليها السرمدية عبر إحالات إلى التاريخ (أودوهارتي

(*) Ruth Wodak أستاذة دراسات الخطاب بجامعة لانكاستر البريطانية.

(**) Jacqueline (Jackie) Abell المحاضرة في علم النفس بجامعة كوفنتري البريطانية وErnest Wallwork من جامعة سيراكوز الأمريكية وUmut Özkirimli أستاذ العلوم السياسية بجامعة لوند السويدية.

وأوغسـطينوس، 2008؛ تيليغـا، 2008). ويمكن لتعريفات الفئـات الوطنية وبُناها أن تصوغ الفعل السـياسي. وعلى سبيل المثال، ففي أعمالهما المتصلة ببناء المصلحة الوطنية في اسكتلندا، لاحظ رايشر وهوبكنز (2001) كيف أن السياسيين استخدموا الهوية الوطنية لتأمين القيم التي يمكن أن تتأسـس عليها المصالح الوطنية وتُرتجى. وعـلى رغـم أن كل السياسـيين اسـتدعوا الهوية الاسـكتلندية، فلـم يجمع الكل عـلى الفهم ذاته لمعنى أن يكون المرء اسـكتلنديا. وعلى سـبيل المثـال، فإن صورة الاسكتلنديين باعتبارهم صامتين ومستذلين جرى ربطها بمساندة مشروعات سياسية تتصل بالاسـتقلال وبأن يكون لاسـكتلندا صـوت. وكان هناك اتفـاق ظاهر حول الصفات الوطنية المرتبطة بكون المرء اسـكتلنديا (واستخدم هذه الصفات الأعضاء الاسـكتلنديون في كل مـن حزبي العمال والمحافظين). لكن هـذه المحاجّة الظاهرة كانـت تخفي أيضا، كما قال رايشر وهوبكنز، «خلافـا عميقا حول طبيعة العلاقات الاجتماعية التي تميز المجتمع الاسكتلندي (ص 389)»[8].

وتعتمد فعالية البلاغة الوطنية أيضا على الخطابيات المستخدمة لتوسعة حدود الجماعة الأم. والعلاقة بين الحشد الجمعي (السياسي) ومقولات سياسية مثل الهوية الوطنية هو مسـألة تتصل بموضوعنا. يطرح رايشر وزملاؤه (2006) تفسيرا للهوية الاجتماعية في سلوكيات المساعدة في حالة محددة، هي تعبئة البلغاريين ضد ترحيل اليهـود في الحرب العالمية الثانية. وبالتركيز على تحليل وثائق جرى الاستشـهاد بها في «هشاشـة الخـير» لتودوروف(*) للاعـتراض على قانون الدفاع عـن الأمة (الذي صيغ وفق نموذج قوانين نورمبورغ السـيئة السمعة)، يكشف رايشر وآخرون الدور المحوري لثلاثة أنماط من الحجج (التي تتدرج من القومية إلى العالمية). أولا، حجج مقولة الاسـتيعاب التي تموضع اليهود كجـزء من الجماعة الأم أكثر مما هم جماعة خارجية منفصلة (اليهود بلغار؛ اليهود زملاؤنا المهنيون؛ اليهود إخواننا في الإنسانية). وثانيا، حجج فئة المعايير التي تطرح فكرة مفادها أن سلوكيات المساعدة هي جانب أسـاسي في هوية الجماعة الأم (البلغار إنسـانيون؛ يتعين على السياسيين أن يعتنقوا القيم المكرسـة في الدسـتور البلغاري؛ يتعين أن تتصرف الكائنات البشرية بطريقة

(*) Tzvetan Todorov مثقف فرنسي من أصول بلغارية كتب عن مأساة اليهود تحت ضغط النازيين على حكومة بلغاريا إبان الحرب العالمية الثانية.

متحضرة وإنسـانية). وثالثا، حجج مقولة المصلحة التي تذهب إلى أن الجماعة الأم سـوف تنزل بها نتائج سلبية إذا اضطهد اليهود (سـوف تتأذى بلغاريا والبلغار إذا اختاروا إقرار تدابير معادية للسامية؛ سوف تعجز الكنيسة عن إقناع يهود بالتحول إلى المسيحية).

وبحسب رايشر وزملائه، فالتوجه السائد (وليس الحصري) في المحاجة يقوم على اسـتنفار الهوية الوطنية («نحن البلغاريين»). وتؤمن الأيديولوجية المملة للسيادة الوطنيـة (بيليغ، 1995) للمتحـثـين موارد خطابية وجدالية قوية لتبرير اسـتيعاب اليهود في الهيئة السياسـية الوطنية. وقد أثبت رايشر وزملاؤه وجودَ علاقةٍ مراوغة بين امتلاك هوية وطنية (وامتلاك طرائق للكلام على السيادة الوطنية) وبينَ التعبئة والتضامـن الاجتماعي. وقد توسـط الكلام على السـيادة الوطنية، وإنشـاء حدود المقولات (الاسـتيعابية) الوطنية وتوسعتها في تحقق الحشد الجماهيري الفاعل ضد ترحيل اليهود في بلغاريا في أربعينيات القرن العشرين.

وقد أثبتت معالجات تعريفات المقولات في الدراسات التجريبية كيفية الارتباط الإيجابي بين اسـتيعاب المقولة وترسيم حدود الجماعة الأم وبين سلوكيات المساعدة ومداخـلات المُشـاهد. وعلى سـبيل المثال، بيّن لافـين وآخـرون (2002) كيف أن المُشـاهدين أميل إلى مساعدة الضحايا الذين يوصفون باعتبارهم من الجماعة الأم. ووثـق لافين وزمـلاؤه (2005) الرابط بين المداخلة في الطـوارئ والهوية. فالغريب الجريـح اللابـس قميص كرة القـدم الذي تشـجعه الجماعة الأم أقـرب إلى تلقي المساعدة من واحد يرتدي قميص فريق جماعة غريبة /فريق منافس أو قميصا من دون علامة[9]. وكما قال لافين وزملاؤه فإن «استكشـاف الدلالات الاجتماعية لحالة التدخل، على أسـاس الطريقة التي يتفهم بها المشـاهدون العلاقات بين الفئات في السـياقات الاجتماعية هو الذي يساعد على ظهور فهم جديد لسلوكيات المساعد» (2005، ص 452).

وقد وسع لافين وطومسون (2004) فهم الهوية الاجتماعية ليشمل دور المقولات الاجتماعية في ترجيح المسـاعدة عقب كوارث طبيعيـة. وتعتمد احتمالات التدخل عـلى «ما إذا كانت الكوارث، أيا كانت بشـاعتها، تبـدو باعتبارها أحداثا وقعت في مناطق الجماعة الأم ولأناس ينتمون إليها» (ص241). وفي دراسة أخرى (سوباشيتش

وآخـرون، 2011)(*) بدا أن التضامن مع الجماعات المحرومة (العاملين المسـتَغلّين) متصل بالتماهي مع الضحايا وبالهوية الاجتماعية الاستيعابية[10]. ويثير تفهم قضايا الحشـد والتضامن الاجتماعي مسـائل التماهي الاجتماعي مع الجماعة الأم. وكلما كان التماهـي مع الجماعة واضحا ومباشرا، وكلما روعي التوسـع في ترسـيم حدود الجماعة الأم، زاد ميل الناس إلى المساعدة.

وتبين أعمال دروري ورايشر (2000)(**) حول علم النفس الاجتماعي المتصل بسـلوك الجموع كيـف يتصرف أفراد الجموع على أسـاس الهويات الاجتماعية الرئيسـية. ويجري تحليل الأحداث التي انخرط فيها الدهماء باعتبارها مقابلات بَيْجماعيـة. فهي تبين أهميـة فهم طبيعة الجماعيـات والهويات الجمعية على أساس المراحل المختلفة من الأحداث الجماهيرية والتصنيف الاجتماعي الدينامي. ويذهب سـتوت وآخـرون (2001)(***) إلى أن «الزعارة/ الشـغب» في نهائيات كأس العالم في 1998 كانت تفسـيرا ضيقا للمشـاركة في اضطراب جمعي. وبأخذ التوجهات الفضائية والزمانية وتفسـيرات المشاركين، أثبت ستوت وزملاؤه كيف أن «عملية متواصلة من التفاعل بين الجماعات والتفاعل داخل الجماعة الواحدة قامـت بوظيفة توليد ثـم تحويل طبيعة» الهوية الجمعية «للمشـجعين» (ص 367) وكيف، وهو أمـر ينطوي على تناقض، «أصبح الفعل العنيف بحق أعضاء الجماعـة الغريبة يُفهم باعتباره مشروعا، بل في بعض الأحيان ضروريا، بالنسـبة إلى أولئك الذين سـبق لهم اعتباره غير لائق» (ص376). وفي دراسـة إثنوغرافية حول أعمال الشـغب التي ثارت احتجاجا على ضريبة الرأس في المملكة المتحدة في 1990 يقدم ستوت ودروري (2000) تفسيرا لدور عمليات التصنيف الدينامية في مراحـل مختلفة من الأحـداث المتتالية. ويقول المؤلفـان إنه «في كل مرحلة من الحدث، عكسـت إحداثيات فعل الدهماء تطبيقا عقلانيا للأبعاد التعريفية للهوية الجمعية (بالنسـبة إلى ضريبة الرأس Poll tax، أولا؛ وبعد ذلك، بالنسبة إلى الفعل غير المشروع من جانب الشرطة» (ص 266). وما تثبته الدراسة هو أنه

(*) Emina Subašić الجامعة الوطنية الاسترالية، كانبيرا.

(**) John Drury محاضر في علم النفس الاجتماعي في جامعة ساسيكس البريطانية

(**) Clifford Stott من جامعة آبرتاي البريطانية.

عندما يتغير سياق التفاعل الاجتماعي يتغير أيضا التصنيف الذاتي: ففي المراحل المبكرة من الحدث كانت الهويات الاجتماعية للمشاركين تتحدد على أساس اعتراض ضد الحكومة؛ وفي مرحلة لاحقة تحددت هذه الهويات في ضوء الأفعال غير المشروعة من جانب الشرطة.

الهويات الجمعية والمشاركة والفعل الجمعي

نحن نعيش في زمن تثير فيه صور المحتجين في ميدان التحرير، وفي حركة «احتلوا»(*)، وفي حركة «الغاضبون»(**) الإسبانية وما شابه عديدا متنوعا من الصور والتمظهرات لنوع من الهوية الجمعية. وقد أُعلن المحتج الكلي الحضور، في ديسمبر 2011، «رجل العام» في مجلة تايم الأمريكية التي كتبت ما يلي: «لم يكن بوسع أحد أن يعرف أنه عندما يشعل بائع فاكهة تونسي جوال في نفسه النار في ميدان عام، فإن ذلك سيثير احتجاجات تسقط ديكتاتوريين وتبدأ موجة تمرد عالمية. وفي 2012، لم يقف الأمر عند حدود جهر المحتجين بشكاواهم؛ لقد غيروا العالم».

و«الثوار» في ميدان التحرير، و«المحتلون» في وول ستريت، و«الغاضبون» في مدريد هم هويات جمعية مُفَعّلة أصبحت موضوعا لجدل وتعليق في المجتمع والميديا. وهم يبينون كيف يتأتى للأفراد أن يعبروا عن الفاعلية، والطاقات السياسية، والنضال من أجل التحول الاجتماعي ويسيطروا عليها. وتتخلق الهويات الجمعية (السياسية) ويجري تأكيدها باشتراك المرء في أفعال سياسية وبأدائه لها، وبإظهار المرء مواقف لفظية، وثقافية، وسياسية مرتبطة بذلك[11].

ونحن نعيش أيضا في زمن تتعرض فيه أفعال الجماعات والمجتمعات للتسفيه أو يُنْظر إليها، من جانب صناع السياسات أو السياسيين، باعتبارها أعمالا خطيرة. وفيما يلي مقتطف من بيان الموقف الذي اتخذه رئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير، الذي كتب في قسم «التعليقات الحرة»[12] من الغارديان الإليكترونية يقول:

(*) Occupy الفرع الدولي لحركة احتلوا وول ستريت.

(**) indignados حركة الاحتجاج التي فجرتها الأزمة المالية في إسبانيا في 2008.

> القضية الكبرى هي جماعة الشباب المُسْتبعد، الساخط، الواقف خارج التيار الاجتماعي الرئيسي والذي يعيش في ثقافة اختلاف مع أي قوانين أو سلوكيات لائقة.. وبحسب خبرتي فإنهم يمثلون مشكلة محددة تماما تتطلب حلا محددا وعميقا.. وهذا أمر يصعب قوله، وأنا مدرك بالطبع أن هذا هو أيضا تعميم. لكن الحقيقة هي أن كثرة من هؤلاء الناس جاءوا من عائلات نزل بها اختلال وظيفي عميق، وتعمل وفق شروط كاملة الاختلاف عن بقية المجتمع، سواء من الطبقة المتوسطة أو الفقيرة.

ويرسم تعليق بلير صورة عالم اجتماعي تقوم بين جماعاته حدود غير قابلة للاختراق، وتحكم مجتمعه تقسيمات صارمة؛ إنه مجتمع التناقض بين «نحن» (المواطنين المستقيمين المتحضرين) و«هم» (الأفراد والعائلات من المشوشين). ويمكن اعتبار دعوة بلير تعبيرا مميزا عن رؤية للمجتمع وللعلاقات الاجتماعية لا تأخذ باعتبارها الفكرة القائلة بأن الفاعلين الاجتماعيين والسياسيين ينشئون، على نحو نشط، هويات شخصية وجمعية بأكثر مما يطبقون، على نحو سالب، بعض التوصيفات الثقافية أو السياسية للهوية. ويبدو أنه عجز عن إدراك الطبيعة المتعددة للهوية والانتماءات المركبة التي يعبر عنها الناس ويلحقونها بالعلاقات الاجتماعية.

وقد كان أحد الأسئلة المركزية حول أعمال الشغب في أغسطس 2011 في المملكة المتحدة هو: من هم المشاغبون؟ وهذا هو السؤال الذي حاول توني بلير الإجابة عنه. وكان الافتراض السياسي المبدئي المنتشر أن المشاغبين كانوا، إلى حد بعيد، من الأعضاء الشبان في العصابات السوداء (ممن لهم صحيفة جنائية). وقد تحدى بحث بعنوان «قراءة أعمال الشغب» أجرته صحيفة الغارديان (بالتعاون مع مدرسة لندن للعلوم السياسية والاقتصادية) هذه الرؤية بإظهار تنوع المشاركين في الشغب[13].

وبينت الدراسة أنه على رغم زيادة عدد المشاركين السود[14]، عموما، فقد تباينت الإثنية على نحو ملموس من حي إلى الآخر. وعلى سبيل المثال، فالأشخاص الذين أجريت معهم استجوابات في سالفورد ومانشستر كانوا، غالبا، من البيض، في حين كانت هناك نسبة أكبر من الأقلية الإثنية (السود والآسيويين) أو من الخلاسيين،

في مناطق أخرى. وكذلك فقد أعلن 32 في المائة ممن جرى استجوابهم أنهم لم يسبق أن صدرت بحقهم أحكام إدانة.

ويؤيد التقرير الذي أدى مهمة مستقلة (2011)، والذي دبجته لجنة المجتمعات والضحايا المعنية بالشغب (خمسة أيام في أغسطس) التي حققت في أسباب الشغب، وجهة النظر القائلة بأن مثيري الشـغب لم يمثلوا جماعة متجانسة من الأفراد نبعت أفعالهم من الأسباب ذاتها. وخلصت اللجنة إلى أنه «ما من جماعة واحدة مسؤولة» (ص13). ووفقا للتقرير، فإن 42 في المائة من المشاركين في الشغب كانوا من البيض، و46 في المائة كانوا من السـود، و7 في المائة من الآسيويين، و5 في المائة صنفوا تحت بند إثنيات أخرى. وحدد التقرير خمس فئات: أعضاء في الجريمة المنظمة، معتدون عنيفون ارتبطوا بإشـعال الحرائق وبالهجمات العنيفة ضـد الشرطة، و«نهّابو آخر الليـل»، وانتهازيون («أناس تفاعلوا مع اللحظـة»)، و«متفرجون» (وأناس تصادف وجودهـم). وجدير بالاهتمام أن الإثنيـة تراجعت مكانتها هنا، إبان رسـم الإطار الاجتماعي للمشاغبين. ويزعم التقرير أن هذه لم تكن اضطرابات عرقية وأن غالبية المشاغبين الذين جرت إدانتهم، لاحقا، لم يكونوا أعضاء عصابات.

والتفـت تقرير «قراءة أعمال الشـغب»، أيضا، إلى تناقض بـين ما كان يقوله «المشاغبون» وبين ما اعتبرته الحكومة السبب الرئيسي في الشغب: ثقافة العصابات. وبدلا من شـغب أثارته العصابات، التفتت الدراسـة إلى ظهور شـعور بالمعيّة بين أناس صنفوا باعتبارهم «أعضاء عصابات»: «شـعور بعدو مشـترك، قضية مشتركة، هـو الذي جاء بأعضـاء عصابات من مختلـف الرُّبُوع - عصابـات تُعَرّف، جزئيا، بالدفاع عن الرَّبْع وبالعداء لأولئك المنتمين إلى مناطق أخرى - للتعاون طوال مدة استمرار الاضطرابات»[15].

ولا يمكن فهم طبيعة هذه الأحداث خارج إطار سـيكولوجي اجتماعي يبرز الاستنهاض(*) المتبادل للهوية الجمعية والفعل الجمعي. ويدور الصراع السياسي، وكذلك التوافق السياسي، حول مقولات الهوية والمشاركة. وكما يقول كلاندرمانز

(*) interpellation يمكن ترجمتها إلى التداعي، وهذا مصطلح صكه الفيلسوف الماركسي الفرنسي آلتوسير ليشير به إلى قدرة الأيديولوجية المهيمنة على توجيه الفرد، عندما تتحول إلى قوة داخلية مضمرة يسـتنهضها النداء ممن هم رموزها المعترف بهم، كأشخاص أو مؤسسات.

(2003) فقد «أصبحت مشـاركة الحركات طريقة شـائعة في العمل السـياسي» (ص 670). وقد جرى تخليق الحركات الاجتماعية والسياسـية الكبرى وتوجيهها وقيادتها عبر إنشاء وتكريس المقولات. ويعيد التركيز على الهوية الجمعية تأكيد دور ودلالة الفاعلية عند الفاعلين الاجتماعيين.

ويعـبر رايشر عن هذه الفكرة تعبـيرا صحيحا عندما يكتـب قائلا إنه «قد يكـون من الأفضل النظر إلى الهويـات باعتبارها مشروعات» (رايشر، 2004، ص 935). وإظهار الهوية الجمعية، وتوصيف المقولات، والاستشـهاد بها في التعليق الاجتماعـي والإعلامـي (عندما يقال، مثـلا، «ثوريون»، «سـاخطون»، «عائلات مضطربة»، «أعضاء عصابات»، وما شابه) هما لحمة السياسة وسداها. فالسياسة هي تخليق الهويات، والجماهير، والولاءات، وحشد أشكال من التفاعل السياسي الخـلاق، وصوغ هويات جمعيـة جديدة. ويمكن للمنتمـين إلى جماعات عالية المكانة أو متدنية المكانة، أو لخليط من الفريقين، أن يقدموا على الفعل الجمعي (فـان زوميرين وأير2009؛ فان زوميرين وكلاندرمانز، 2011)(*). والناس تشـارك لأسباب متباينة (كلاندرمانز، 2003).

ومن أهم ما قيل في اسـتبانة العلاقة بين الهويـة الجمعية والفعل الجمعي أن الاسـتعداد للانخراط في فعل جمعي يتعاظم عندما تصبح الهوية الجمعية مسيسة (سـايمون وكلاندرمانز، 2001). وعلى سـبيل المثال، ففي دراسـة عـن التأييد الذي يلقاه الإسـلام السـياسي والفعل السـياسي بين الجيـل الثاني من الأتـراك والمغاربة المقيمـين في أوروبا توضح فلايشـمان وآخرون (2011)(**) كيـف تؤدي التصورات حول التمييز إلى تسـييس شـباب المسـلمين الأتراك والمغاربة بزيادة استعدادهم للانخراط في فعل سـياسي. ولا يوجد «شـكل إجمالي» واحد للمسـلمين السياسيين. فما يعد مسلما سياسـيا هو «نتاج مستويات التفاضل في المساندة للإسلام السياسي و/أو الفاعلية السياسـية» (ص 645). وبالتركيز عـلى الأطر المفهومية لدى الفاعلين الاجتماعيين بالنسـبة إلى «الاعتدال» و«التطرف»، يبـين هوبكنز وكاهاني هوبكينز (2009) كيف أن توصيفات المسـلمين للهوية، في كلمات تلقى في أوساط الجاليات،

(*) Martijn van Zomeren مـن جامعـة VU أو Vrije Universiteit الهولنديـة وAarti Iyer مـن جامعـة كوينزلاند الاسترالية.

(**) Fenella Fleischmann من مركز البحوث الاجتماعية في برلين.

«تعكس مشروعات الهوية الخاصة بهم وأشكال الفعل الجمعي التي يرغبون في تنظيمها» (ص 111). وتبدو البُنى المختلفة لـ «التطرف» (مثلا، باعتباره منافيا للإسلام) باعتبارها دافعة لمجادلات اجتماعية وسياسية ضد تأسيس «معيار يمكن به الحكم على الصور الجانحة أو المشوهة من الهوية والتعرف على التطرف» (ص 111) وضد البُنى الجوهرانية للهوية المسلمة.

وبينت دراسة أجرتها وِلْز (2009)(*) حول حملة أجور المعيشة لمواطني لندن(**) كيف أن الفعل السياسي ومساندة التغيير يمكن أن يغذوهما تخليق هويات متسامية، وكذلك إدارة التنوع في عاصمة متعددة الثقافات. ووفقا لما قالته ولز فإن الأشكال المختلفة من «ترقية الهوية» وإدارة الفعل السياسي قد جرى استخدامها. وشمل ذلك إحلال التماهيات الجديدة محل الانقسامات، وتعزيز التعايش بين التماهيات المتعددة الطبقات، عبر مقولات متسامية («المجتمع الأوسع» أو الجماعة القومية المتخيلة). وترى ولز أن مسائل السياسة، والحشد، والتمكين الفردي والجمعي، والتحول الاجتماعي يمكن إدارتها عبر إدارة الهوية الاجتماعية. ويعتمد الفعل السياسي من أجل التحول الاجتماعي على إدارة التماهي الاجتماعي عبر اختلافات الخبرة.

والتعريفات التي تبدو مختلفة للهوية تنطوي على مؤثرات على أشكال وتمظهرات الحشد والفعل الجمعيين[16]. ويطرح علم النفس الاجتماعي المشتغل على الاحتجاج (كلاندرمانز، 1997؛ كلاندرمانز وآخرون، 2008) مزيدا من الرؤى الكاشفة للعلاقة بين الهوية الجمعية، والتماهي الاجتماعي، والفعل الجماعي. وعلى سبيل المثال، فإن سايمون وآخرين(***) (1998؛ انظر أيضا دي ويرد وكلاندرمانز، 1999)(****) يرون أن التماهي مع أعضاء في منظمة حركية هو أمر بالغ الأهمية. ويؤدي التماهي القوي مع جماعة ما إلى ترجيح المشاركة.

(*) Jane Wells من مدرسة الجغرافيا بجامعة كوين ماري، لندن.

(**) London Citizens Living Wage Campaign حركة أسسها أرباب عائلات في شرق لندن في 2001 بهدف تحسين الظروف المعيشية للعاملين وتعزيز مؤسسة الأسرة.

(***) Bernd Simon أستاذ علم النفس الاجتماعي بجامعة آلبرشتس المسيحية في كييل بألمانيا.

(****) Marga De Weerd باحثة هولندية.

وبحسب سايمون وكلاندرمانز (2001) فهناك رابط بين ما يدعوانه «هوية جمعية مسيسة» والنضال من أجل السلطة عبر الفعل السياسي. وطبقا لما تجده عنهما فلا بد من فهم الهوية الجمعية المسيسة باعتبارها «شكلا من الهوية الجمعية التي تستند إليها المحفزات المعلنة لدى أعضاء الجماعة للانخراط في مثل هذا النضال من أجل السلطة» (ص 323)[17]. والغضب واحد من المحفزات المنصوص عليها عادة للمشاركة في الفعل الجمعي. وعلى رغم ذلك، فوفقا لما يقوله ستيرمر وسايمون (2009)(*) فدور الغضب والمشاركة هو دور محدود في الاحتجاج. ولا يفعل الغضب فعله إلا بالنسبة إلى «الاحتجاج العدائي» (لتقليص السلبية في وضع الفرد) ولكن لا دور له في الاحتجاج الوظيفي (لإنجاز أهداف جمعية). وكما يقول المؤلفان، فالأهم هو ترجمة الغضب (إزاء الظلم الجمعي، مثلا) إلى هوية جمعية مسيّسة.

وتترتب على تأكيد الهوية الجمعية المسيّسة أمور كثيرة. فالهوية الجمعية المسّيسة تؤمّن لـ «أعضاء الجماعة منظورا ذا دلالة بالنسبة إلى العالم الاجتماعي ومكانهم فيه» (سايمون وكلاندرمانز، 2001، ص 327). وعلى سبيل المثال، فوفقا لما يقوله كلاندرمانز وآخرون (2008) فالفعل الجمعي والمشاركة من جانب المهاجرين (وهم يحولون السخط إلى فعل) يمكن إشعالهما بشعور بالاندماج في المجتمع، وبإنشاء هوية جمعية مسيسة ترتبط بالقدرة على الفعل في مواجهة المظلوميات (انظر أيضا سايمون وغرابو، 2010 حول تسييس المهاجرين الروس في ألمانيا). وقد تبين أيضا أن المشاركة في الاحتجاج تعمق التماهي وتدفع باتجاه التمكين الجمعي (دروري ورايشر، 2009). وقد أثبت كلاندرمانز وآخرون (2002) كيف أمكن لشعور بالهوية الجمعية لدى مزارعين من إسبانيا وهولندا أن يحفز على الاستعداد للمشاركة في احتجاج للمزارعين ويتنبأ به. وقد استكشف فان ستكلنبورغ وآخرون (2009) ما إذا كانت الديناميات التحفيزية لدى المحتجين الأفراد قد خففها السياق الاجتماعي للحركة. وأشارت النتائج إلى إجابة بالإيجاب. وبحسب ستكلنبورغ وزملائه فإن «الرغبة في التعبير عن وجهة النظر الفردية، عندما تتعرض قيم المرء للانتهاك، تؤثر على الحوافز التي تدفعه للاشتراك في الاحتجاج» (2009، ص 831).

(*) Stefan Stürmer باحث في الجمعية الألمانية لعلم النفس.

وتتوقف قوة «تسييس» أو «حشد» الهوية الاجتماعية (أو «دفعها للتطرف»، بالنسبة إلى البعض) على الطرائق التي تنشأ بها الهويات الجمعية، وعلى السياق الاجتماعي الذي تظهر فيه أو يجري العمل بمقتضاها فيه. وهذه عملية تتأدى على مستويين: على مستوى الأفراد المشاركين في فعل جماعي (أناس، ناشطين في حركات اجتماعية) وعلى مستوى أولئك الذي يرغبون (وهم عادة السياسيون، وجماعات الضغط، وما شابه) في التأثير على الفعل الجمعي لأغراض سياسية. وفي ساحة السياسة، تلتقي المصالح السياسية (انظر هَدي، 2003) مع الهويات والمصالح الجمعية. والتسييس نتيجة للتفاعل بين الاثنين. وعلى سبيل المثال، فيمكن أن يفضي تسييس «جريمة من جرائم الكراهية» إلى تغير أو تحول في تصورات أعضاء الجماعة عن التمييز. وتشير إحدى النتائج الجديدة بالاهتمام إلى فكرة مؤداها أن بعض التعبيرات عن التحيز يصعب إرجاعها إلى تفاوتات بين الجماعات وبالتالي فهي تثير قدرا أقل من الشعور بالغضب، ومن الاحتجاج، والفعل الجمعي (انظر إليمرز(*) وباريتو، 2009).

استكشاف الهويات والفعل الاجتماعي

دفع هذا الفصل بأن الهوية الاجتماعية والجمعية هي الفيصل في كثرة من الطرائق التي ينشأ بها الفعل الإنساني. والهويات تُنتج بالتفاعل مع الآخرين، في إطار علاقات بين جماعة وأخرى وعلاقات داخل الجماعة. والفعل الاجتماعي هو من «وظائف السياق لأن تفعيل العمليات الاجتماعية يتوقف على متغيرات اجتماعية» (رايشر، 2004، ص921). وعوضا عن الادعاء بأن السلوك البيجماعي يتقرر، في كليته، بتوجهات التراتبية الاجتماعية وتوجهات السيطرة الاجتماعية، فلا بد من أن تكون لدى المشتغلين بعلم النفس السياسي القدرة على بيان الشروط التي تفضي إلى تخليق الهويات الاجتماعية والجمعية وتأكيدها، وبيان الكيفية التي تتبادل بها الهويات الاحتواء والتيسير. والرؤية التي تحتوي تراتبية اجتماعية وسيطرة اجتماعية هي التي تُعرّف

(*) Naomi Ellemers أستاذة علم النفس الاجتماعي والمنظمات في جامعة ليدن وManuela Barreto أستاذة علم النفس التنظيمي بجامعة بورتو البرتغالية.

فكرة الهوية وتعمل معهــا، باعتبارها نتاجا للســيكولوجية الفردية، والتقييد المجتمعي والســياسي. ولكن الحياة الاجتماعية والسياســية تعكس مواقع كل من الهوية المستقرة والسائلة. وأساس السلوك الاجتماعي والسياسي هو الجهد المتواصــل لتكوين مواقع الهوية، والدفاع عنهــا، ورفضها، وتأكيدها؛ وفي قلبه تكمن عمليات التصنيــف الاجتماعي والتماهي الاجتماعي. وتعكس الهويات الاجتماعيــة وارتباطها الدقيق بالفعل الاجتماعي والبنية الاجتماعية، والتنظيم الاجتماعي، والثقافة التي هي جزء منها.

وإنشــاء الهويات وإعادة إنشــائها يحدثان في ســياق ممارســات اجتماعية ويجــري إنتاجهما لإدارة حــالات اجتماعية، ولتنظيم فعل «جمعي». ويجســد الفاعلــون الاجتماعيون بأفعالهــم ويطورون مفهومات عن علاقــات بَيْجماعية (تشمل السيطرة، والتفاوت، والاســتيعاب، والإقصاء، وما شابه). وتصادق البُنى المختلفة للهوية على مسارات معينة للفعل وتيسرها. ولا بد لبحوث علم النفس الســياسي من أن تكون قــادرة على توصيف وفهم العلاقة الاجتماعية النفســية بــين الكيفية التي يجري بها تخيل وتنظيــم الجماعات الاجتماعية والمجتمعات، وأنماط، وأشــكال الأفعال الجمعية السياسية والاجتماعية، التي تترتب على ذلك. ولا بد لبحوث علم النفس الســياسي من أن تكون قادرة على أن تشــمل وتطور رؤى للســلوك الاجتماعي والسياسي، لا تكون فيها الأســبقية للصراع البَيْجمعي، والمواقــف البَيْجمعية، ومــا يماثلها، على طبيعة التماهــي الاجتماعي والعلاقات الاجتماعيــة، بل تكون نابعة منها ومؤسِّسَــة لها. والمهمــة الأولية لعلم النفس الاجتماعي المشــتغل على الهوية هي طرح فهم لـ «الكيفيــة التي يتوصل إليها الناس للتشــارك في فهم العالم وللعمل فيه» (رايشر، 2011، ص 392؛ وانظر أيضا هوبكنــز، 2011). وكثــيرا ما يُفترض أن «المجتمع منقســم عــلى نحو واضح إلى ثقافات، ومجتمعات وجماعات متجانسة، لها حدود خارجية ذات علامات خارجية واضحة، حيث تتميز هذه المجتمعات بعدد كبير من الخواص المشــتركة والأساسية والتقاليــد الثقافيــة ذات العلامات الواضحة» (ويذريــل، 2009 ب، ص 9). ولا بد للمشــتغلين بعلم النفس الســياسي من مقاومة إغراء عزل المقولات الاجتماعية والسياســية ومعالجتها باعتبارهــا مقولات متمايزة، ومســتقرة، وأحادية البعد.

وهذه رؤية مهمة يمكن لها أن تسهم، على نحو يعتد به، في البحوث حول الأسس السيكولوجية لسياسات الهوية.

وتعتمد الديموقراطية الصحيحة على التساؤل حول الكيفية التي تُنْتِج بها المقولات المتصلة بالذات والآخر، والانقسمات السياسية، والمقولات السياسية، والهويات الاجتماعية والسياسية، ذات الصلة بالأنشطة السياسية، والحشد والفعل الجمعيين، وتُعيد إنتاجها. وهذا هو الشغل الشاغل لدى الفاعلين الاجتماعيين من النخبة ومن العامة، في آن معا. وإذا كان علم النفس السياسي يدّعي الاهتمام بدراسة العملية السياسية الديموقراطية، فيتعين عليه، إذن، أن يدرس، بمزيد من الاهتمام، الكيفية التي تُنْتَج بها الهويات الاجتماعية والجمعية في سياقات من الفعل الاجتماعي والسياسي. وتعيد الهويات الاجتماعية والجمعية، والمقولات السياسية، إنتاج القيود الخارجية (الاجتماعية والسياسية)، وكذلك فهي تنظم الفعل الاجتماعي والسياسي من الداخل. وإذا أخذ المرء المقولات والهويات السياسية كأمور مسلم بها فهو يخاطر بالانزلاق إلى سياسات محافظة وغير ديموقراطية. وإذا اعتبر المرء أنها ذات نهايات مفتوحة وتنطوي على دينامية للانزياح فهو يفتح الطريق لسياسات ليبرالية وتقدمية.

ويمكن للرؤى الكلاسيكية عند تايفل وتيرنر، والتطورات الحديثة في الهوية الاجتماعية، ونظرية التصنيف الذاتي، وعلم النفس الاجتماعي المعني بالفعل الجمعي، أن تزود علم النفس السياسي بحافز متحول في البحث في العلاقات البَيْجماعية، وفي تكوّن الهويات الاجتماعية والسياسية، والفعل الجمعي. ويتعين أن يعتمد هذا الحافز الجديد على جانبين مهمين: (أ) طريقة ابتكارية للتفكير في الجماعات ودورها في البنية والتظيم الاجتماعيين، والرابط بين سلوك الجماعة والهوية الاجتماعية المشتركة؛ (ب) أسلوب جديد في التفكير في العلاقات البَيْجماعية، باعتبارها حقائق سيكولوجية، «تعبيرا عن الكيفية التي يعرّف بها الناس أنفسهم اجتماعيا وتعبيرا عن فهمهم لحقيقة العلاقات البَيْجماعية القائمة بينهم» (تيرنر، 1999 ب، ص19).

ويستتبع هذا الحافز الجديد فهما للطبيعة المقطعية للهوية؛ والشبكات المعقدة للتماهيات الاجتماعية التي يصوغها الأفراد داخل مقولات الهوية وعبرها،

وتعددية التموقعات اســتجابة للتصنيفات داخل الجماعة والتصنيفات البَيْجماعية. وإذا كان لعلــم النفس الســياسي أن ينجز دراســة مُرْضية للكيفيــة التي يمكن بها للسلوك السياسي (والسلوك الاجتماعي، بشكل أعم) أن يصبح أداة لإنتاج، وتحويل، وتغيير، العلاقات الاجتماعية، ففكرة الهوية، بالتالي، يتعين أن تكون جزءا مركزيا من لغته النظرية والإمبيريقية.

6

الذاكرة الجمعية والسرديات السياسية

من نموذج الذاكرة الأرشيفية إلى الخبرة المعيشة

تقع الذاكرة في مركز الخبرة الإنسانية. الذاكرة هي ما يجعلنا بشرا. الماضي هو موقع للمعنى الاجتماعي. هذه مقولات يتفق معها معظم علماء النفس. وتستند صدقية هذه المقولات إلى سؤالين أساسيين: (أ) كيف تُدرس الذاكرة على نحو يجمع بين التناقض والتفاعل، بين الحفظ والفقد، بين التذكر والنسيان، ويشمل العلاقة بين الذاكرة، والهوية، والسردية؟ و(ب) كيف يكون التوفيق في التمييز بين الذاكرة كمَلَكة فردية، والذاكرة كظاهرة جمعية أو اجتماعية. ويرسم هذا الفصل صورة عامة لبعض القضايا التي تنشأ عن محاولات متباينة للتوصل إلى إجابات عن هذين السؤالين، وخاصة الإجابات التي لها اتصال خاص بعلم

«لكي يتيسر التغلب، بنجاح، على الازدواجية بين الذاكرتين الفردية والاجتماعية، يحتاج المرء إلى أن يعتبر الذاكرة نتاجا اجتماعيا وثقافيا، وأن يعتبر التذكر/النسيان ممارسات اجتماعية وثقافية»

النفس السياسي. ويطرح هذا الفصل المبادئ الرئيسية لمقاربة اجتماعية - ثقافية للبحث حول الذاكرة الاجتماعية، مع تركيز على السرديات السياسية، والتذاكُر، والذاكرة الوطنية المتصلة بأحداث اجتماعية - سياسية وبالتوافق مع الماضي. وينتهي الفصل بصورة عامة موجزة للنتائج المتضمنة (والتوصيات) لعلم نفس سياسي معني بالذاكرة الجمعية.

وفي كتابه «دلالة النهاية» يكتب الروائي البريطاني جوليان بارنز: «مع تضاؤل عدد الشهود على حياتك، تتضاءل إمكانية الإسناد، وبالتالي يتضاءل اليقين بالنسبة إلى ما أنت عليه أو ما كنت عليه». ويعبر هذا المقتطف، في إيجاز، عن عارضية الذاتية. وما يُلمح إليه هو أن الزمن البيوغرافي(*) لا يتطابق تماما مع الحقيقة البيوغرافية، لكنه يتطابق مع إعادة الإنشاء، على نحو تعددي، للماضي/ للزمن الذي يتكشف للناس. وما وجده بارنز، كما وجدته كثرة منا، هو أن ما ندعوه «الذاكرة الفردية» المتصلة بحياة المرء تبدو، ظاهريا فحسب، «ملكية» تخص الذات. وبدلا من ذلك، فنحن نجدها موزعة على نحو يتجاوز شخص الواحد منا، وربما «يتجاوز رأس المرء» (برونر، 2001)، وتتوسط فيها العلاقات الشخصية والاجتماعية، والبيئة المادية. وعلاقتنا بالماضي وبالآخرين هي أمر غير مكتمل. وذكرياتنا (وهوياتنا) ليست الجوهر الكامن داخلنا، بل هي أقرب إلى أن تكون نتيجة تخليقات وزملات للذات بالنسبة إلى شبكات من أنشطة موزعة ومُوَسّطة. ذكرياتنا تتموقع داخل فضاءات عقلية، ومادية، وثقافية. وتاريخنا الشخصي والجماعي، وتعريفنا لذواتنا وللآخرين، والمشغولات والموضوعات التي نقابلها أو ننتجها، والنسق الثقافي الذي نأتلف داخله، وما إلى ذلك، هي كلها أمور تشير إلى الذاكرة باعتبارها عملية علائقية عند التقاطع بين الأطر الفردية والاجتماعية للمعنى.

وعندما يلتفت المرء إلى الدراسة الأكاديمية والعلمية للذاكرة، تواجهه مشكلة مفهومية وإبستمولوجية: كيف للمرء أن يبدأ بالتفكر في الذاكرة، وكما يقول براون فهذه «ليست مجرد مسألة إقرار بالتعريفات والمفهومات التي وقع الاتفاق عليها، بل هي تساؤل حول الكينونة التي تحيل عليها الكلمة» (2008، ص262؛ انظر أيضا دانزيغر، 2008). ومن الطرائق الأكثر رسوخا للتفكر حول الذاكرة طريقة تقوم

(*) biographical المتصل بسيرة شخص ما.

على فكرة أن الذاكرة هي تشــفير، وتخزين، واســتعادة المعلومات، فكرة الذاكرة باعتبارها أرشيفا. وبحســب بروكماير (2010) فإن «الفهم الغربي، سواء في الحياة اليوميــة أو في العلم، يفترض وجود مادة معينة، حقيقة بيولوجية، نيورولوجية(*)، وفضائية(**) للذاكــرة - شيء ظاهر - في العالم»(ص6). ويُنظر إلى الذاكرة باعتبار أن محلهــا العقل، «في الرأس» وفي مخ الفرد. ولها تخطيط دقيق نتج عن التفاعل الصارم، الذي لا يهدأ، لعمليات التشــفير والاستعادة، والتنشيط والمتاحية، وتتابع حالات عقلية مختلفة. والأرشــيف واحد من مجازات «نعيش بها»، إن كان لنا أن نستخدم كلمات لاكوف وجونسون (1980)، مجاز مؤسس لدلالات يومية وعلمية للذاكرة تدور حول اســتمرارية ورســوخ الذاكرة. ويمكن لعلــم الأعصاب المعاصر (بتقانات التصوير لديه) أن يطرح علينا «صورا» فعلية لكيفية عمل العقل. ومجاز تشــفير - تخزين - استعادة الذاكرة للمعلومات، مقرونا بالقدرة الإيحائية للصورة هو الأكثر قوة (وإيحاء) بين كل ما لدينا.

ويطرح نموذج «تشــفير- تخزين - اســتعادة» المعلومات عدة مشــكلات حول إدراك مفهومات الذاكرة. وهناك اتجاه لاختزال الذاكرة في كيان «فيه من الصلاحية والجاذبية مقدار ما فيه من القوة، وهو قوي بحسب قدرته على تخزين («ادخار») المعلومات في غرفة تخزين هيّ بالنهاية تحتوي كل شيء»(بروكماير، 2002، ص16). وهناك اتجاه أيضا لاختزال الذاكرة في مشــكلات الخبرة والاســترجاع. والمهم بالنسبة إلى العلــوم الإدراكية العصبية هو «التطابق» بين الخــبرة والتمثيل، أي «التخزين» وما يليه من «استرجاع» الخبرة في الفُرُج المادية للمخ، ومنها. ويحتل الوعي الفردي (ونشــاط المخ) مركز الصورة؛ وكل شيء آخر هو ظاهرة ثانوية. و«الاســترجاع» هو عادةً المتغير التابع، في حين تنشط العوامل الأخرى كمتغيرات مستقلة.

وإحدى أهم النتائج المترتبة على هذا أن السياقات الاجتماعية للخبرة تبقى، ليس فقط من دون تفسير، بل وأيضا من دون مصادقة (أوليك، 1999، ص34). فلا وجود لفهم يثبّت الناس في ســياقات اجتماعية وهم يتذكرون وينســون. ولا وجود لفهم يكون الناس فيه هم من يفعلون التذكر والنسيان، وليست عمليات آلية أو إنشائية

(*) Neurological عصبية.

(**) spatial باعتبار أنها تشغل فضاء أو مساحة ما.

في الأمخاخ. ولا تلقى الخبرات المعيشية - الأطر والممارسات الثقافية والمشغولات المفتوحة، العابرة، المشبعة اجتماعيا وثقافيا، التي يتفكر الناس، ويُنشئون علاقاتهم مع الآخرين بها وعبرها - اهتماما في ذاتها. فنموذج الأرشيف مغروس في ثبات، في رؤية فردانية ووضعية للطبيعة الإنسانية. وكما يقول بروكماير، فما ينقص نموذج الأرشيف هو رؤية «الكائنات البشرية باعتبارهم أشخاصا يتذكرون وينسون، منغرسين في سياقات مادية، وثقافية، وتاريخية من الفعل والتفاعل»(2010، ص9).

وقد انتهت التوجهات الخطابية (هاريه وجيليت، 1994)، والسردية (برونر، 1986)، والاجتماعية الثقافية (فالزينر وفان دير فير، 2000)إلى خطوات مهمة خطاها الباحثون باتجاه دراسة الذاكرة المنغرسة في أطر ثقافية (مشغولات، علامات، ونظم رمزية - لغة وسردية)(انظر أيضا هاماك وبيلسكي، 2012). وأقرب إحياء لثقافة الاحتفال، الاستخدامات العامة للمتاحف والنُّصُب التذكارية، وتضخم الاعتذارات السياسية عن أخطاء سابقة تتحدى هي الأخرى فكرة الذاكرة باعتبارها أرشيفا للماضي. ولكن، على رغم كل الرؤى النقدية التي تطرحها المقاربة السردية، والخطابية، والاجتماعية الثقافية، فرؤى كهذه غائبة على نحو ملحوظ عن أجندة علم النفس السياسي. فالتركيز منصب على الذاكرة الفردية وعلى نماذج الرؤية المنغرسة في نموذج الأرشيف، على نحو راسخ: فالذاكرة تُدرس، إما باعتبارها ملحقا لصنع القرار العقلاني (هاستي وداوز، 2010؛ راو وريدلوسك، 2001)، أو باعتبارها موردا للإدراك المحفِّز (تابر، 2003)، أو كنتيجة لـ «نماذج أونلاين» لمعالجة المعلومات (لافين، 2002).

وأحد الأمثلة على ذلك هو الإيلاف السياسي، حيث يتباطأ المشتغلون بعلم النفس السياسي في التعرف على ظاهرة الإيلاف الاستذكاري[1] واستيعابه باعتباره جزءا لا يتجزأ من الإيلاف السياسي (ولكن انظر أيضا سابيرو، 2004). وتنشأ عن الإيلاف الاستذكاري «مجتمعات استذكارية» (آندروز، 2007؛ زيروبافل، 2004) ويكون وسيطها «ممارسات استذكارية» (أوليك وروبنز، 1998) على مستويات مختلفة من التنظيم الاجتماعي[2].

والعائلات تندرج ضمن أطر الإيلاف الاستذكاري. فيمكن للإيلاف السياسي المبكر أن يتحقق، كإطار للذاكرة الاجتماعية، عبر العائلة. فأعضاء العائلات الأصغر

سـنا يتعلمون، ليس فقط كيف يكون التذكار والنسيان، ولكن أيضا ما يتعين تذكره أو نسـيانه. ويتعلم الناشـئة أو البالغون الأكثر شبابا التعبير، وكذلك الكبت، التذكر وكذلك النسيان، ويدركون ما يمكن وما لا يمكن التفوه به في صحبة المهذبين، داخل العائلـة وخارجها (بيليـغ، 1999). وكذلك يجري إدخالهم وإشراكهم في النقاشـات حول القضايا السياسـية الراهنة، أو حول تاريخ مضى. والاسـتعادة العائلية للماضي والمحادثات التي تدور حوله هي أدوات وآليات التثاقف والإيلاف السياسي للأطفال والعائلات (فيفوش، 2008؛ وانظر أيضا ريغني، 2008). وبالمثل، يثبت بايز وآخرون (1997) أهمية أن تكون المعرفة والمواقف مشتركة، خاصة داخل العائلة، فيما يخص الحرب الأهلية الإسـبانية. وقد بيّن بايـز وزملاؤه كيف يمكن لوجود مناخ اجتماعي يتآلـف فيه الناس أن يعزز إعادة التقويـم أو التفكر القصدي والملتزم حول حدث اجتماعي - سياسي.

وتبين دراسـة بيليغ (1998)، لحديث العائـلات البريطانية حول العائلة المالكة البريطانية، كيف يكون الحديث عن واقعة بعينها في تاريخ الأمة (التتويج، مثلا) هو أيضا فرصة لربطه بتاريخ العائلة ذاتها. وقد بين بيليغ أنه عندما يجري سرد الأحداث التاريخية أو عندما تتموقع العائلات إزاء أعضاء الأسرة المالكة، فإن العائلات يسردون تاريخهم هم، ونتيجة لذلك فهم يمارسون الإيلاف السياسي كعائلات.

وقد بينت دراسـة قام بها غوردون (2004) كيف نشـأت «هوية سياسـية عائليـة» - «ديموقراطية» و«مؤيدة لآل غور» - إبان محادثة عائلية في أسـبوع الانتخابـات الرئاسـية الأمريكية في العـام 2000. وتحقق ذلـك بتخليق تقارب أو تباعـد خطابي مع المرشـحَين (جـي. دبليو. بوش وآل غور) («ذلك الشـخص دبليو W» ضد «آل«AL»، كإشـارة إلى أعضاء العائلة باعتبارهم «ديموقراطيين»، باسـتخدام أوصاف سـلبية لجـورج دبليو بوش والمحيطين به، مـع التأكيد على حوادث مذلـة ومحرجة (مثل اعتقـال جورج دبليو بوش بتهمـة القيادة أثناء السـكر). وتبين هذه الدراسات أن الإيلاف السـياسي يمارس عندما نؤدي أفعالا اجتماعية ونكشـف عن مواقف لفظية، وثقافية، وسياسية مرتبطة بها. والإيلاف السـياسي عمليـة متواصلة يجري إنتاجهـا عبر الإيلاف الاسـتذكاري، إبان حكي القصص وبالتفاعل مع الآخرين.

والمثال الآخر هو ذلك المتصل بدراسة الاستذكار الجمعي لأحداث اجتماعية - سياسية. وهنا يجد المشتغلون بعلم النفس السياسي الكثير مما يمكن قوله، على رغم أنهم عالجوا الذاكرة الجمعية باعتبارها الذاكرات الفردية المُجَمَّعة لأعضاء جماعة ما، وهو ما يدعوه أوليك (1999) «الذاكرة المُحَصَّلة»[3]. ويركز القسم الأعظم من البحث على قابلية «أحداث تثير الشجون» لأن تبقى في الذاكرة، ولأن تُسْترجع (فينكناور وآخرون، 1997). وعادة ما يقال إنه لكي يكون حدث سياسي ما قابلا للبقاء في الذاكرة، ويكون له أثر باق، يتعين أن يثير خبرة عاطفية يعتد بها(مثلا، اغتيال جون إف. كنيدي، الحادي عشر من سبتمبر، موت الليدي ديانا).

ويزودنا بينيبيكر وآخرون (1997) بمثال آخر على الكيفية التي حاول بها المشتغلون بعلم النفس السياسي مقاربة الذكرى الجمعية للأحداث الاجتماعية - السياسية. وفي كتابهم، تعالج الطبيعة الاجتماعية لتخليق وصيانة ذكريات جمعة عن أحداث اجتماعية - سياسية بعديد من الطرائق. وعلى سبيل المثال، فإن كونواي (1997) يدرس الذاكرة الجمعية على أساس الذاكرة الأوتوبيوغرافية(*). فالإنشاء، والتشويه، والنسيان (مثلا، بومايستر وهاستينغز، 1997) أو الإنشاء والانتقال للذكريات الجماعية (مثلا، إيغارتوا وبايز، 1997؛ إينيغويز وآخرون، 1997) هي قضايا أخرى جديرة باهتمام دارسي الذاكرة. وهذا التراث من الدراسة القائمة على علم النفس الاجتماعي لأحداث اجتماعية - سياسية يميل إلى التركيز على عوامل فردية أو اجتماعية، يُنْظر إليها باعتبارها ذات تأثير في عملية تكون الذاكرة الفردية. وتبدو هذه الرؤى الخاصة، وهي تفعل ذلك، متجاهلة لأهمية التركيز على حالات فعلية تنشأ فيها ذكريات عن أحداث اجتماعية - سياسية ذات شأن ويجري تثبيتها داخل الأطر الجمعية للمعنى.

وفي بعض الأحيان لا يكفي أن يقال إن الذاكرة الاجتماعية تعكس تأثير العوامل الاجتماعية في الذاكرة الفردية، كما يقول بينيبيكر وزملاؤه (1997). فالدلالات التي يلحقها الناس بالماضي والطرائق التي يستخدمها الناس وينشئون بها نسخا معينة من الماضي، في سياقات جدالية متنوعة، يمكن القول إنها أكثر تركيبا مما تسمح به المواقف السابق ذكرها. ولا تتمثل المسألة، ببساطة، في كيفية توسط الذاكرة، أو

(*) autobiographical المتصلة بالسيرة الذاتية.

العاطفة، أو الإدراك للماضي (على المستوى الفردي والجماعي/ الجيلي، معا). ويجوز أيضا التركيز على استكشــاف الســياقات الســجالية التي يجري فيها التفاوض حول تمثيلات الماضي، والموارد الخطابية والثقافية التي تســتخلص لمصلحة الصوغ الفردي والعــام لمعنى الأحداث الاجتماعية - السياســية. ولا يجوز أن يكون الهدف، فقط، توصيف وظيفة الذكريات الجمعية على أســاس عمليات ســيكولوجية داخلية. ولا يتعين تفســير الذكريات الجمعية عن أحداث اجتماعية - سياسية باستخدام نماذج مجردة مكرسة سلفا للكيفية التي يتفاعل بها الإدراك، والعاطفة، والتمثيل، والخبرة ويقرر بعضها بعضا، بقدر ما يتعين توصيفها في صياغتها الفعلية العامة، وبما تنطوي عليه من آثار بالنسبة إلى الاهتمامات السياسية والأيديولوجية.

مقاربة اجتماعية ثقافية من البحث في الذاكرة الجمعية

كــما بيّن الفصــل الأول، فالرأي العام لا يســكن رؤوس أفــراد جاهزا لتحصيله عبر اســتطلاعات الرأي، بل هو، بالأحرى، يتخذ شــكله من «الإطار الاجتماعي الذي يتحــرك فيه ومن العمليات الاجتماعية الفاعلة داخــل هذا الإطار» (بلومر، 1948، ص 543). ولرؤيــة بلومر جــذور في فكرة عبّر عنها، في وقت أســبق، عالم الاجتماع الدوركايمــي موريس آلبفاكس، حول الكيفية التي يكتســب بهــا الناس ذكرياتهم. وقــد كان آلبفاكــس يؤمن بأنه في المجتمع يكتســب النــاس ذكرياتهم، في الأحوال العاديــة. وفي المجتمع أيضا يســترجعون، ذكرياتهم ويدركونهــا ويحددون موضعها (آلفباكــس [1952]، 1992، ص 38). وما يلمح إليه آلفباكس هو وجود نظام فردي طبيعــي «مدرك» للأحداث، والناس، والعلاقات الاجتماعية، والعواطف، والمدركات، يمكن للعامة من أعضاء المجتمع أن يدركوه بشــكل كامــل وأن يجعلوه متاحا لهم وللآخريــن[4]، ونظام اجتماعي وجمعي: معتقدات، وتمثيلات، وممارســات جماعية ومؤسسية تنتجها وتعيد إنتاجها اللغة، والعادات، والطقوس الاجتماعية، لمجتمع ما.

ولم يكن آلفباكس الوحيد الذي اهتم بتبيان الكيفية التي تُشَكِّل وتكتسب بها الأطر الفردية والاجتماعية الذكريات، والكيفية التي تنشــأ بها الدلالات الاجتماعية والثقافية. وفي «التذكــر» درس فريدريــك بارتليت ([1932] 1995) أيضا كيــف تتألف الدلالات الثقافية واهتم بـ «مشكلات التذكر وتقريرها الفردي والاجتماعي» (ص 314)[5].

ويســاند كل من آلفباكس وبارتلت الرؤية الحاضرية للتذكر، حيث يصبح حفظ الذكريات وفقدها تشييدا وإعادة تشييد نشيطين للماضي من زاوية رؤية حاضرية. ويعامــل الاثنان الذاكرة الاجتماعية كمقبس لزوايــا الرؤية الاجتماعية، وللتمثيلات الاجتماعية وللهويات الاجتماعية/ الثقافية. وقد فتحا الطريق لزوايا رؤية اجتماعية ثقافية، وتأويلية حول الذاكرة الجمعية تبســط رؤية للحياة الاجتماعية يخلّق فيها الأفراد عوالم حياة ويســتخدمون، بنشــاط، ألعابا لغوية «مشــبعة» بحضور مضمر وظاهــر للآخريــن، وموارد علائقيــة، وخطابيــة، وحواريــة، وأدوات سردية، وأطر اجتماعية أرحب لصنع الدلالة ولتأويل الدلالة.

ومثــل هذه الرؤية ينطوي على أمور ثلاثة. أولها، أن المرء يتعين عليه أن يكون قادرا على توصيف الظروف (السياســية، والاجتماعية الثقافيــة، والخطابية) التي تصبح الذاكرة الجمعية في إطارها شــأنا عاما: بأي كيفية تصبح «الذاكرة»، بالفعل، «أمرا ذا بال» بالنســبة إلى النــاس (براون 2008؛ كامبــل 2008؛ ميدلتون وبراون 2007). وهذا يســتدعي معالجة الذاكرة الجمعيــة باعتبارها «عملية علائقية عند تقاطــع مديات مختلفة للعيــش» (ميدلتون وبــراون 2005 ص7). وأفضل تقويم للذاكــرة الجمعية هو ذلك الذي يقوم على أســاس التفاعــل بين مواقع اجتماعية، ورؤى، ومصالــح متعددة الأوجه. وأفضل فهم للذاكرة الجمعية يكون ضمن تدرج يمتــد من تخليق، وتداول، وتوزيع/ إعادة توزيع الدلالات الشــخصية والمجتمعية، مــن تفاعــلاتٍ وجها لوجه وفي جماعات صغــيرة، إلى اســتخدام «أدوات الذاكرة» الرســمية (أوليك 2007؛ فيرتــش 2007). وإن صح أن الذكريــات تنتمي إلى ماض «بَيْــذاتي (مــاض «يَخْبُرُه» المرء و«يعيشــه» مع الآخرين وفي علاقــة معهم) فمن القبول أن تدرس الذاكرة الجمعية من منظور الدلالة التي تأسست على نحو بَيْذاتي وممارسات صنع الدلالة.

وثانيا، فإن تأويلات الماضي القريب وأشكال فهمه هي موضع اهتمام الأكاديميين المحترفين، بقدر ما هي موضع اهتمام الناس العاديين. وفي ممارســات اللغة وعبرها يسبغ كل من الخبراء الأكاديميين وعامة الناس معنى على الذاكرة الجمعية وينشئون تمثيلات للتاريــخ القريب (المضطرب). ويســتخدم الأكاديميــون المحترفون والناس العاديون مشروعات تأويلية (عامة وخاصة، عالموية وفَرْدَوية) ويطبقونها على فهم

الماضي القريب وعلى تأويله. والمهمة الرئيسية لمقاربة اجتماعية ثقافية للذاكرة هي توصيف تنوع الممارسات التأويلية ودراسة الطبيعة الإشكالية، والمتناقضة في الغالب، لعملية اتخاذ مواقف (بيليغ 1996).

وثالثا، فالذاكرة الجمعية لا تعكس، ببساطة، ولا تعبر عن «نظام مغلق للكلام على العالم» بل بالأحرى، «تيمات معاكسة، تنشأ عنها النقاشات، والمجادلات، والمعضلات، على نحو متواصل» (بيليغ وآخرون، 1988، ص6). وقد قارب المشتغلون بعلم النفس السياسي الذاكرة الجمعية بالاهتمام بتوثيق العمليات الإدراكية والعاطفية الفردية، واستقرارها ودوامها، لكنهم عجزوا عن تفسير ظرفيتها، وظهورها المرتبط بالسياق والمعتمد على السياق. فالذاكرة الجمعية ظرفية، وبَيْذاتية وبَيْنصية. وبوسع المشتغلين بعلم النفس السياسي أن يتعلموا من الأنثروبولوجيين، والإثنوغرافيين، وبعض مؤرخي الثقافة ممن أشاروا إلى الالتباسات الخلقية والأهواء المتصلة بالذاكرة (الجمعية) والتي غالبا ما تنبع من فكرة أن الذكريات (الجمعية) المتصلة بـ «حقائق» اجتماعية وتاريخية يمكن أن يرسيها أكاديميون وسياسيون، ومواطنون عاديون، وما شابه، داخل أطر اجتماعية وشبكات تأويلية مختلفة (بوكور، 2009؛ غالينات، 2009). وتصدر الطبيعة «الجمعية» الأصيلة للذاكرة الجمعية من كونها صيغت باللغة (السردية والمحادثاتية) وعبرها. فالسردية ممارسة بشرية، وأداة اجتماعية، و«ممارسة ثقافية فريدة» (بروكماير، 2010، ص 22) للتموضع الاجتماعي والزمني للأفراد، والجماعات، والأمم، واستجابة لتحدٍّ كهذا (فيرتش، 2011).

ويمكن أن تصبح أهمية المنظور الاجتماعي للثقافة في فهم الذاكرة الجمعية أكثر وضوحا إذا نظرنا بعين الاعتبار إلى بعض الاهتمامات المركزية في البحوث الحديثة في علم النفس السياسي حول الذاكرة الجمعية: دراسة السرديات السياسية كمشروعات للذاكرة والهوية، الاحتفال والذاكرة الجمعية المتصلة بأحداث سياسية، والتوافق مع الماضي.

السرديات السياسية باعتبارها ذاكرةً ومشروعاتِ هوية

على أي نحو يهتم الناس، حقيقة، بالذاكرة هو السؤال المركزي لفهم السرديات السياسية. وكما يقول كامبل (2008) الذاكرة مهمة لأنها الأساس الذي يقوم عليه

(وعبْره) شعورنا بهوية سياسية. ووفقا لهذا الرأي، فالهوية السياسية تصاغ على نحو عقلاني، ويعني إنجاز هوية سياسـية البحث عن (والامتياح من) ماضٍ قابل للسرد. وغالبـا (وعـلى نحو متسرع) ما يُفترض أنه أمر طبيعي تمامـا أن يكون لدى الأفراد والجماعات هويـة (هويات) أو ذاكرة (ذاكرات)، وغالبا ما يُنسى أنه عبر الإنشـاء، أو التفـاوض، أو مقاومة الهويات يتيسر للأفراد اكتسـاب ذكرياتهم، أو جعلها ذات معنى، أو استدعاؤها.

أما بالنسـبة إلى الأفراد والمجتمعات معا فالذاكرة الجمعية هي «الماضي النشط الـذي يُكوّن هوياتنا» (أوليـك، 1999، ص335). وتنطبق هـذه الفكرة، بقدر أكثر صرامـة، على البحـث في الذاكرات الجمعيـة للأمم. فالأمم يتعـين عليها أن تخلق التواريخ الخاصة بها وتأويلاتها لذواتها - فالأمم ليسـت «مُتَخيّلة» فحسب بل هي أيضـا مجتمعات تأويلية (بيليغ، 1995). ويتعـين أن تعيد سرد ماضيها، وحاضرها، ومسـتقبلها، من دون انقطاع، وأن تواصل إعادة إنتاج نفسـها كدول وطنية في عالم دولي مـن الأمـم. والديموقراطيات المعاصرة تتعرض، وبانتظـام، لما يدعوه بيير نورا «موجات مد الذاكرة» (نورا، 1998): رجعات لماض مكبوت (مثلا، الماضي الكولونيالي، الماضي الشـيوعي)؛ البحث المتكرر عن الجذور والموروث الوطني؛ الأهمية المتزايدة للاحتفالات التذكارية وللمتاحف. فللذاكرة الجمعية وظيفة إيجابية مهمة للمجتمع الديموقراطي: «ضـمان العدالة، وتحقُّـق إمكانات المجتمـع الديموقراطي، وتأمين استمراره» (ميستال، 2005، ص 1،320).

ولكي يتيسر أداء هذه الوظيفة يتعين أن تتخذ شكل سردية تخدم مشروع هوية ما. ويمكن للذاكرة الجمعية، باعتبارها سردية، أن تؤدي وظيفة «ممارسـات ثقافية منظّمة ومتناغمة orchestrated لضمان إعادة إنتاج نظام سـياسي بعينه (ميستال، 2005، ص 1،332). لكن الذاكرة، والأشـكال المختلفة لسردها، يمكن أن تمثل تهديدا للتماسـك والتوافق الاجتماعيين. فالسرديات السياسـية تُثبّـت الوظائف التقدمية والمحافظة، معا، للذاكرة الجمعية للمجتمعات الديموقراطية.

ويمكـن أن تنضوي الوظائف السـالبة والموجبة، معا، للذاكـرة الجمعية تحت العبارة العامة «سياسات الذاكرة». وعبارة «سياسات الذاكرة» كمصطلح هي مظلة لتمظهرات وتمثُّلات مختلفة للذاكرة، سـواء تلك المتجذرة في خبرة معيشة أو الرموز

والتمثيلات الأكثر رسمية (آسمان، 2008؛ حسين، 2003؛ أوليك، 2007). وغالبا ما يُستخدم المصطلح كاسم مميز لعمليات العدالة الانتقالية في مجتمعات تتحول إلى الديموقراطية (مثلا، دي بريتو وآخرون، 2001)، لصدامات سردية حول صروح الذاكرة ومواقعها وللدلالات الجمعية الملحقة بها (مثلا، فيرتش، 2008)، والصراعات حول الدلالات التي تطرحها «مجتمعات استذكارية» لأحداث ذات أهمية وطنية (مثلا، فيرتش 2002؛ فيرتش وكاروميدزه، 2009)، والمقاومة الاستذكارية من جانب الأقلية أو الجماعة المقموعة أو العداوات بين خطابات تاريخية رسمية وطرائق عامية لتوليد المعنى ولتمثيل الحقيقة (مثلا، آندروز، 2007).

ومن جنوب أفريقيا ما بعد الأبارتايد(*) إلى أوروبا الشرقية ما بعد الشيوعية وسّطت السرديات الوطنية/ السياسية تمثيلات تمكينية وتقدمية للتاريخ القريب، ولمشروعات الهوية، وللفعل السياسي، وكذلك مُقيّدة ومحافظة، في آن معا. وعملية تخليق سرديات سياسية رسمية عادة ما توجه أو تصحب العملية السياسية وتساند مشروعات الهوية الوطنية (أوليك، 2007). وإذا كانت الأمم «مجتمعات متخيلة» من ذاكرة ونسيان (بيليغ، 1995) فيتعين علينا أن نأخذ فكرة «الجمهور» أو «الذاكرة الوطنية» مأخذ الجد. وليس هذا مجرد شيء تمتلكه الدول الوطنية بل هو، بالأحرى، شيء تخلقه الدول الوطنية من «السرديات الكبرى» التاريخية عن الجماعة الوطنية ومن «السرديات الصغيرة» للأفراد (راو وآخرون، 2002). وتتشارك الذاكرة الوطنية والسرديات السياسية المحيطة بها في المشروع المتواصل غير المكتمل لهوية الجمع الوطني. وتوسط منابر عامة متنوعة، مثل الاحتفالات التذكارية العامة، والمتاحف، والنُّصُب، ولجان الحقيقة، وما شابه، الصراع حول الذاكرة الوطنية والتفاوض بشأنها للمساعدة على تأمين ماض قابل للاستعمال يخدم مشروعا للهوية (فيرتش، 2007، ص 650).

الاحتفالات التذكارية والذاكرة الوطنية المتصلة بأحداث اجتماعية سياسية

ولكي يدرس المرء تكوُّن الذاكرة الجمعية، يتعين عليه أن يدرس ممارسات الاتصال، ونقل الدلالات المجتمعية التي تيسر التذكر المشترك (كونرتن، 1989). وكثرة من الممارسات من هذا القبيل، التي يُنظر إليها عادة باعتبارها تقليدية، هي

(*) apartheid الفصل العنصري.

بالحقيقة اختراعات تخدم غايات سياسـية وأيديولوجية معينة (هوبزبوم ورينجر، 1992). فاحتفالات اليوبيل الملكي، ويوم سـقوط الباسـتيل، والألعاب الأولمبية هي كلها اختراعات قريبة العهد تحاول أن تسبك وتسهّل تخليق هويات جمعية لتثبت وتعزز دلالة اجتماعية وسياسية. وكما يقول كونرتن فمقصدها هو الطمأنة ومزاجها نوستالجي (1989، ص 64).

ووفقا لنورا (1998) يشـهد المـرء انتقالا غير ملحوظ «مـن التأريخ إلى التذكُّر ومـن التذكر إلى الاحتفال»(626). ومن أكثر الممارسـات الاجتماعية انتشـارا وقوة الاحتفالات التذكارية.

فالاحتفالات التذكارية واحدة من وسـائل توجيه الانتبـاه العام لحدث ما عبر إنشـاء خبرة أو عاطفة جمعية. وكما لاحظ بينيبيكر وباناسيك فإن «تخليق وصيانة ذاكـرة جمعية أو تاريخية... يشـمل الـكلام والتفكر المتواصلـين حول الحدث من جانـب الأعضاء المتأثريـن في المجتمع أو الثقافـة» (1997، ص4)[6]. وعلى رغم أن العبارة الطقسية «نحتفل اليوم بذكرى + حدث» قد لا تبدو أكثر من تكرار لطقوس مشـابهة سـبق أداؤها، فيمكن أن يُنظر إلى الاحتفالات باعتبارها شاهدا دائما على حقيقة أن «الحدث كان حدثا حقيقيا، بشـحنة عاطفية حقيقية وأهمية حقيقية» (فريجـدا، 1997، ص111). فهي تضـع الحدث وتأويلاته فـوق التأويلات الذاتية، لتكرسه «كحقيقة موضوعية في العالم»(1997، ص 111).

وبالنسـبة إلى الاحتفـالات الوطنية، ومصدرها، بالأسـاس، أفـراد ذوو واجبات تمثيلية، فبوسع المرء أن يتبين محاولة طرح رؤية «تمثيلية» (إنسينك، 1996)، تكون أحيانا غير مختلف عليها.

ويشـمل الغـرض الرئيسي مـن الاحتفـالات التذكارية بناء نسـخة «توحيدية ومتماسـكة للماضي» (ميسـتال، 2003، ص127). ويمكن أن تسـتخدم الاحتفالات التذكارية أيضا كفرص للرد على النقد، ولبناء (إعادة بناء) مواقع للشرعية والتمثيلية المشروعـة، لـ «المصادقة» على نسـخة مفضلة من الأحـداث ومن التاريخ. وطقس الاحتفـالات التذكاريـة جـزء لا يتجزأ من تأسـيس «حقيقة» سياسـية وتاريخية. فالأحداث الاجتماعية السياسـية، مثل الثورات، أو سقوط الشيوعية، لا تتحدث عن نفسـها؛ هـي في حاجة إلى أن تُكرّس كموضوعات للاحتفـال، حقيقية وذات دلالة.

وقد يوضع معنى ما يجري الاحتفال بشأنه في سياق سجالي، سياق تبرير ونقد (بيليغ 1996؛ تيليغا 2008)[7]. وخطابات الاحتفالات التذكارية تتواصل مع مختلف أصناف الخطاب السياسي (الخطابات الاقتصادية النيوليبرالية، الخطابات الفردانية والجمعانية عن العدالة، خطاب الأولويات الوطنية، وما إلى ذلك).

ولا تسمح خطابات الاحتفالات التذكارية بتعددية الرؤية حول الأحداث، بل هي أميل إلى تشجيع «الالتزام الدوغمائي بتفسير واحد - واحد لاغير، للماضي» (فيرتش، 2002، ص125). وعلى سبيل المثال، فقد أنتجت طقوس الاحتفالات التذكارية المتصلة بالحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة الحدث باعتباره «دالا» يوحد «حقلا سياسيا - أيديولوجيا» مستقرا، غير مختلف عليه (انظر لاكلاو، 1993). وقد أصبحت أحداث الحادي عشر من سبتمبر بديهية غير قابلة للتساؤل. وهذه عملية مشابهة لتلك التي حددها بارت(*) ([1957]، 1993، ص143) عندما كتب عن «الخرافة». وعند «الانتقال من التاريخ للطبيعة»، تكتسب الأحداث السياسية «بساطة الجواهر» essences؛ فالخرافة «تنظم عالما يكون بغير عمق، عالما منفتحا على اتساعه ويتمرغ في الحدث، فهي تؤسس وضوحا مغتبطا: تبدو الأشياء كأنها تعني شيئا في ذاتها».

وفي أوروبا الشرقية ما بعد الشيوعية، للاحتفالات التذكارية وسرد الأحداث المتصلة بأحداث سياسية ذات دلالة وطنية (خصوصا تلك المرتبطة بانهيار النظام الشيوعي) دور مركزي في إنشاء السرديات السياسية التأسيسية والهوية الوطنية. وعلى سبيل المثال، فقد تسبب الاحتفال بذكرى الثورة الرومانية في برلمان رومانيا بصراع حول المغزى المنسوب إلى الأحداث (ثورة حقيقية؟ انقلاب؟). وواحدة من الطرائق التي تفاوض بها الرئيس السابق إيون إيليسكو (شخصية دار حولها الجدل في ديسمبر 1989) حول هذا الأمر في سلسلة من خطابات الاحتفال تمثلت بالقول إن «الحدث» ينتمي إلى فئة «الثورة» السياسية، التي لها «وجود» تاريخي لا يمكن إنكاره، ولها خواص أو ملامح بالغة الخصوصية. ويوجه الأفراد والمجتمعات أنفسهم إزاء الذاكرة الاجتماعية عبر تأسيس المعنى النوعي لحدث اجتماعي سياسي ما، بجعله «بارزا» كحدث «قابل للاستعادة» و«قابل للحكي» وبالاشتباك مع آخرين

(*) Roland Barthes (1915-1980) مُنظر أدبي وفيلسوف فرنسي.

في... المناظرة» (ميدلتون وبراون، 2005، ص2). وفي المقتطفين (1) و(2) يرد إيليسكو على انتقاد متصاعد من المجال العام الليبرالي حول التوصل إلى حقيقة الأحداث (لمزيد من التفصيل انظر تيليغا 2008).

المقتطف (1)

الثورة الرومانية أنجزها الشعب الروماني، وهي ملك للشعب الروماني. لم تكن الثورة الرومانية فعلا مصطنعا، تقرر في ما لا أعرفه من المكاتب، من قبل ما لا أعرفه من منظمات تخريبية. الثورة الرومانية، شأنها شأن كل الثورات، عموما، وكما في كل البلدان، كانت في العام 1989 نتيجة أزمة عميقة للنظام القديم ولاستحالة أن تطرح الحكومة حلولا واقعية ومقبولة للمشكلات التي كان يواجهها الشعب الروماني (18 ديسمبر 2003).

المقتطف (2)

تغير الثورة، على نحو جذري، النظام السياسي والاجتماعي وتكرس استحالة العودة عن التحولات الأساسية في المجتمع، وغني عن القول أنها لا تحل، من لحظة البداية وعلى نحو نهائي، كل المشكلات. فهي تفتح باب التطور وتؤمن المقدمات لطرح الحلول (21 ديسمبر 2000).

وفي حالة إيليسكو، فإن تأسيس الدلالة التصنيفية لأحداث ديسمبر باعتبارها «ثورة» يساعد على التغاضي عن المساءلة السياسية عن أفعال سابقة، وعن معرفة الحقيقة، وينزع الشرعية عن الأصوات الناقدة. وكما قال إيلدمان فـ«التصنيفات تسبغ المعنى على ما هو ملحوظ وماهو مفترض... وتصوغ ما نرى وما لا نرى في العالم السياسي» (إيلدمان 1977، ص23). وبحسب إيليسكو، فإن «الطبيعة» والسمة الاستثنائية لـ «الأحداث» هما ما يتعين أن يشير إلى الكيفية التي يمكن بها للأمة أن تتذكر وتعيد بناء الماضي القريب، على نحو جمعي. وإذ يفعل ذلك، فهو يفصل الثورة الرومانية عن خصائصها المختلف حولها، ما يسمح بإعادة صوغ التأويلات العامة المتنوعة للأحداث والسيطرة عليها. وفي سياق كهذا، فالتوصل إلى الحقيقة بشأن الماضي هو مقولة تنتمي إلى المعرفة الخاصة: الحقيقة لايمكن إلا أن تكون إمكانية لا واقعا حالاً. وكما بين تيليغا (2008، 2010)، فالصراع حول «قواعد»

مفهومات الخطاب السياسي «المختلف عليها أساسا» (كونوللي، 1993) هو ما يؤدي دورا محوريا في فهم الكيفية التي تنشئ بها المجتمعات ذاكراتها والتي بها يجري تكوين «مجتمعات الذاكرة»، ويعاد إنتاجها وبثها.

التوافق مع الماضي: موروث النظم السلطوية السابقة

وضع سقوط الشيوعية والانتقال إلى الديموقراطية مجتمعات أوروبا الشرقية في موضع الحاجة إلى صوغ ذواتهم وإعطاء تفسير لها وللتحول القريب، الصاخب غالبا، الذي مروا به. وتشير التمظهرات المتنوعة (بين نجاحات وخيبات) لسياسة الذاكرة في أوروبا الشرقية (مواقف ومناظرات حول طبيعة ووظائف الديموقراطية، والعدالة، والتصالح مع الماضي، والمحاكمات، وقرارات العفو، وقوانين الإدانة، وما شابه) إلى ما اكتنف القطيعة النظيفة والنهائية مع الماضي الشيوعي القريب من نزوات وصعوبات (غالاسينسكا 2010؛ ستان 2006؛ تيليغا 2009 ب. فاسكييفيتش 2010).

وتمثلت إحدى الطرائق التي جرى بها فهم موروث التحول الاجتماعي والسياسي (سقوط الشيوعية) وما ترتب عليه في تحقق هذا الفهم عبر تخليق صور وتمثيلات مُقْنعة للماضي الشيوعي القريب. وبين المقولات المقترحة حول الحقيقة كانت محاولات المسؤولين/ النخبة «الإمساك» بالماضي الشيوعي و«التوافق معه» وتفسير موروث النظام الشيوعي وطبيعته (مثلا تيسمانينو 2008)(8). وأقصى ما طمحت إليه المحاولات الرسمية بتمثيل الماضي القريب كان تأمين ذاكرة جمعية، عقلانية وتوليفية، فريدة وموحدة، لتوليد معرفة (تاريخية) لا سجالية ورؤى منظورات للكشف عن الحقيقة قادرة على اجتياح الخبرات أو الرؤى الفردية، العامية (تيسمانينو، 2007).

وفي أغلب الدول الشيوعية السابقة أفضت محاسبة ماض شيوعي شرير ومؤلم إلى بعد بالغ القوة في استعادة العافية وإعادة كتابة الذكريات والتاريخ الشيوعي عبر أصوات الضحايا، والكشف عن الجلادين وفضح طبيعة ومدى ما جرى اقترافه من جرائم (انظر ستان، 2007؛ تيسمانينو، 2008). وكان ذلك يعني أيضا طرح السؤال: هل ينطوي الماضي الشيوعي القريب على أي نوع من الحبكة؟ أم هل ينتمي إلى فئة خاصة من الأحداث تجعل من الضروري النظر فيه «باعتباره يتجلى

في قصة واحدة فقط، وباعتباره غير قابل إلا للحبك بطريقة واحدة فقط، وباعتبار أنه لا ينطوي إلا على نوع واحد من الدلالة؟» (هوايت، 1992، ص38). وتقرير اللجنة الرئاسية لتحليل الديكتاتورية الشيوعية في رومانيا (يعرف أيضا باسم «تقرير تيسمانينو»)- نشير إليه فيما يلي باسم «التقرير» - الذي يدين الجرائم والانتهاكات الشيوعية في رومانيا (1945- 1989) كان محاولة من هذا القبيل[9].

وكان المؤلف الرئيسي للتقرير هو البروفيسور فلاديمير تيسمانينو، وهو خبير ذو مكانة دولية (عالم سياسة ومؤرخ) في شؤون الشيوعية. وتألف التقرير، بالأساس، من تقرير عن المناهج السياسية للشيوعية ومؤسساتها. وكان هدفه تصوير الطبيعة القمعية والإجرامية للمجتمع الشمولي وتقديم تقرير شامل عن الشيوعية كنظام سياسي يعمل على استدامة وجوده. وفي ديسمبر 2006، وأمام البرلمان الروماني، أدان الرئيس الروماني ترايان باسيسكو، رسميا، جرائم النظام الشيوعي وانتهاكاته، معلنا أن الشيوعية غير مشروعة وإجرامية (انظر المقتطفات من 3 إلى 5 لمطالعة نبذات من التقرير):

المقتطف (3)

إدانة الشيوعية هي اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، واجب/ التزام أخلاقي، وثقافي، وسياسي، واجتماعي. وتستطيع الدولة الديموقراطية والتعددية في رومانيا، ويتعين عليها، أن تفعل ذلك. ومعرفة هذه الصفحات المظلمة والمحزنة من تاريخ رومانيا في القرن العشرين هو أيضا أمر لا بد منه للأجيال الشابة التي لها الحق في أن تعرف العالم الذي عاش فيه آباؤهم.

المقتطف (4)

وبالنظر إلى الحقائق التي كشف عنها هذا التقرير، فمن المؤكد أن جرائم إبادة للنوع وقعت بين 1945 و1989، وهكذا يمكن وصف النظام الشيوعي بأنه أجرم في حق شعبه.

المقتطف (5)

بناء على ما توصل إليه هذا التقرير يمكن لرئيس الجمهورية أن يقول ويده على قلبه(*): كان النظام الشيوعي في رومانيا غير شرعي وإجراميا.

(*) دليل الإخلاص. [المترجم].

وَصِفتا «غير شرعي» و«إجرامي» اللتان أُلحقتا بالشــيوعية انطوتا على ما يفوق توصيف الشــيوعية، فهما «تضعانها في فئة من الموضوعات... وتقرران زاوية النظر إليها وتقويمها» (إيدلمان، 1967، ص131). وبالتأكيد على إجرامية الشــيوعية ولاشرعيتها، يخلّق التقرير، ويقــرر، و«يشرعن» سردية لأخلاقيات الذاكــرة: فالتذكر (الجمعي) يبث المســؤوليات (بــول، 2008). وكما قلنا من قبــل، فالعلامة المميزة لتخليــق الذاكرة الجمعية وإعــادة إنتاجها في المجال العــام تتمثل في التزام دوغمائي بتقريــر عن الماضي، أحادي وغير قابل للجدل (انظر فيرتــش، 2002). وتتطلب عملية «تكريــس» تمثيل فريد لماض قريب المبادرة النشطة إلى «قمع وتهوين بالغ» للخبرات، والرؤى، والتأويلات البديلة (لاكابرا، 1994، ص 6).

وكما قال تيليغا (200، أ)، فمن بداية التقرير إلى نهايته توصف الشيوعية، بتعبيرات عموميــة، باعتبارها «نظاما» و«أيديولوجيــة» و«مفهوما طوباويا» و«عدوا للنوع البشري» تؤســس لـ «الاغتيال الجسدي والمعنوي»، ولا تتمكن مــن البقاء إلا «عبر القمع»، لكنها توصــف أيضا بتعبيرات وطنية، حيث يُنْظر إلى الشــيوعية باعتبارها «نظــام احتلال (أجنبي)»، قد «أجرم» بحق شــعبه، نظامــا «معاديا للوطنية» وما شــابه. والحديث عن الشــيوعية والكتابة عنها يعني الحديث والكتابة عن الهوية الوطنية، عن سرد الأمة، ماضيها ومستقبلها. ويطرح التقرير منهجا محــددا للتَدَبُّر حول المجتمع، والتاريخ، والذاكرة، على نحو يكرس الشيوعية باعتبارها «الآخر» لا «نحن». وسردية الشيوعية لا تقوم عــلى إدانة للذات أو لوم للذات، بل هي أقــرب إلى ابتعاد بالذات (الوطنية) عن الشيوعية.

المقتطف(6)

فرض الطابع الســوفييتي، بالقوة، على رومانيا، خاصة في الفترة من العام 1945 وحتى العام 1956، وفرض نظام ســياسي اســتبدادي، تحكمه نخبة من المتربحين (الطبقة الجديدة Nomenklatura)، متحدة على نحو محكم حول قائدها الأعلى، تحت اسم «ديكتاتورية البروليتاريا».

المقتطف (7)

وبزعم تحقيق أهداف الماركسية، عامل النظام مجمل السكان باعتبارهم فئران مختبر في تجربة كابوسية للهندسة الاجتماعية.

المقتطف (8)

... فرض نظام ديكتاتوري مستسلم تماما لموسكو ومعادٍ للقيم الوطنية السياسية والثقافية.

المقتطف (9)

وترمز جمهورية رومانيا الشعبية التي ولدت عبر الإملاء، أو إن شئنا الدقة بانقلاب، إلى خديعة ثلاثية، فهي لم تكن حتى جمهورية (بالمعنى الكامل للتعبير)، ولم تكن شعبية، وبكل يقين، لم تكن رومانية.

في المقتطفات من 6 إلى 9 يمكن للمرء أن يتبين كيف أن شرعنة وجود الشيوعية، وأشكالها، وخبراتها يجري تصويرها باعتبارها نتيجة فعل من طرف آخر: «فرضُ الطابع السوفييتي، بالقوة، على رومانيا» و«فرضُ نظام سياسي استبدادي» [6]، و«نظام ديكتاتوري» [8] وتحقيق «أهداف الماركسية» [7]. وتعامل الشيوعية وما ترتب عليها، ليس باعتبارها شيئا من صنعنا «نحن» (أعاد الرومانيون إنتاجه وحافظوا عليه بأنفسهم)، بل باعتبارها طارئا، نتيجة لرغبات وأفعال أناس آخرين، معادين للقيم الوطنية («السوفييت» و«موسكو»). وتشير تصنيفات مثل «النظام السياسي الاستبدادي» [6] و«النظام الديكتاتوري» [8] إلى أن الشيوعية ظاهرة يمكن تعريفها بوضوح، شكل وأيديولوجية سياسيان يتعين، بالنهاية «النظر إليهما على أنهما يظهران للجميع بطريقة لا تتغير» (سميث 1978، ص35). ويقال هنا إن قيام «جمهورية رومانيا الشعبية» هو نتيجة لقوى وتأثيرات خارجية («إملاء»، «انقلاب») [9][10]. وتبين أيضا أن الشيوعية «مسؤولة» عن جرائم ضد «البنية البيولوجية للأمة». وعبر إحالات إلى تأثيرات مادية وسيكولوجية (مثلا، «إضعاف السكان سيكولوجيا والفت في عزائمهم»، «تراجع القدرة على الجهد الجسدي والذهني») يجري تحويل الشيوعية إلى

حالـة خارجية وموضوعية (فان ليووين، 1995) باعتبارها أيديولوجية سياسـية قائمة بذاتها المتفردة عملت ضد الأمة الرومانية.

وعلى رغـم محاولة التقرير بناء ذكرى سياسـية عن الشـيوعية تتمحور حول اللاشرعيـة، والإجـرام، والآخرية، لا تزال قائمة مسـألة الكيفية التـي خبر بها الناس الشيوعية وعاشوها. وتعبر بوكور(*) عن هذه الفكرة عندما تكتب: «إذا كانت صورة الشـيوعية الرومانية، كما تبدو من الحرم الداخلي للمكتب السـياسي في بوخارست هي صورة سـلطوية لا تتغير، بعناصر مثيرة للسـخرية من عناصر الشخصية، فهذه الزاويـة لا تؤمن إلا رؤية محدودة للغاية للكيفية التي عاش الناس بها الشـيوعية في رومانيـا» (2009، ص13). فالشـيوعية لم تكن مجرد نظـام أيديولوجي خارجي يحكم أو يؤثر في سـلوك النخب والسكان. فقد كانت الشيوعية، بالنسبة إلى غالبية الناس، «واقعا معيشـا» (بوكور 2009؛ غالينات 2009؛ مارك 2010)، وهو، بالأساس «غير قابل للنقل» لمن لم يعيشـوه. وعندما يصف المؤرخ الرسـمي لأوروبا الشرقية أو عالم الاجتماع المشـتغل على فترة الانتقال النظام الشيوعي الاجتماعي والسياسي فهو أو هي يصفان موضوعا اجتماعيا وسياسـيا «جرى وصفه بالفعل، من قبل من يُدْعَوْن أعضاء المجتمع العاديين أنفسهم» (واطسون، 2009، ص1). فبنية الشيوعية جرى تكريسـها وتوزيعها وتدويرها اجتماعيا، في شكل «وثائقي» (سميث، 1974). الشـيوعية هي معرفة تأسسـت بنيتهـا إداريا وأدخلت ضمن تسـجيلات، وأفلام، وغير ذلك من أشـكال الجمع المنهجي لـ «المعلومات» (سـميث، 1974، ص261). والشـيوعية أيضـا هي معرفة تأسسـت بالاعتراف وأدخلت ضمـن أصناف وأنواع مختلفة من الشهادات والإقرارات، وغير ذلك من المصادر العامة للذاكرة.

ولـن يروي أعضاء جماعة وطنية القصة ذاتها. والأمل بسرديات وطنية خطية وتوافقيـة تضعفه الطبيعة غير المنتظمة، والمزدوجة، والمتناقضة للتموضع الفردي بالنسـبة إلى الماضي، ومحاولات الأفراد تحدي «السرديات الكبرى» العامة، والرؤى الرسـمية للماضي (آنـدروز، 2007)[11]، وهنـاك توتر ضمني بـين إضفاء الطابع الرسـمي والتقليـدي على الذاكـرة (الجمعية) وبـين التنوع الطبيعـي الحدوث للخبرات، والـرؤى، والتأويلات. ولا يتعين أن يفترض تفحص السرديات السياسـية

(*) Maria Bucur أستاذة التاريخ بجامعة إلينوي الأمريكية.

باعتبارها مشروعات ذاكرة وهوية، آليا وبشكل مسبق، بحثا عن «سرديات كبرى» وحقيقة نهائية، بقدر ما يفترض اشتباكا من قُرب مع تعقيدات وخصوصيات العوالم المعيشة المختلفة، ومع حشد من الأصوات المحلية، ووسائل متنوعة في التعبير وفي الصلة مع الهيئة السياسية.

والتوتر بين إسباغ الطابع الرسمي على الذاكرة (الجمعية) والتنوع الطبيعي الحدوث للخبرات، والرؤى، والتأويلات هو توتر حاضر في دراسات تنظر في الكيفية التي يفهم بها الأفراد أنفسُهم العهودَ السياسية المختلف حولها، التي عاشوا فيها، والكيفية التي يختارون بها أحيانا أن يتخذوا مواقف ومواقع لأنفسهم. وفي دراسة عن مذاكرات الحرب في أوروبا، تبين بوكور (2009) كيف «يُفْسِد» التنوع الواسع للملامح الجهوية، والدينية، والإثنية، و«الجندرية» التي تشير إلى الحرب (والموت)، ذلك التنوع الذي يمكن فهمه في ضوء النواتج والممارسات المختلفة الشفاهية، والتحريرية، والفضائية من «الناس العاديين على المستوى المحلي»، السردياتِ الكبرى المهيمنةَ عن الحرب (خاصة الحرب العالمية الثانية) (بوكور، 2009، ص2). وهي تشير إلى الكيفية التي حاولت بها «الروزنامات الاستذكارية الرسمية» الشيوعية وما بعد الشيوعية للدولة الرومانية أن تخلّق طقوس احتفالات وطنية (تتمحور حول عقيدة الأبطال والمواقع الاستذكارية مثل قبر الجندي المجهول وضريح ماراشيشتي)[*]، وهو ما يتصادم، صراحة أو ضمنا، مع الطرائق الخاصة بالمجتمعات المحلية للتذكر ولبناء الذكريات.

والتاريخ المضطرب للمصالحة في جنوب أفريقيا هو مثال آخر ذو صلة بموضوعنا. ويبين آندروز (2007) كيف أن الفاعلين الاجتماعيين لم يستخدموا نموذجا سرديا فريدا أو جمعيا، في سياق الإدلاء بشهاداتهم وإجاباتهم أمام لجنة الحقيقة والمصالحة (TRC)[**]. وعلى رغم أن سرد المواطنين لحكايا المعاناة كان، في حقيقته، نموذجا فريدا (وناجحا) لإعادة بناء أمة «منهارة»، فقد بقي أبعد ما يكون عن حكاية موحدة، إذ كانت تُحْكى حكايا مختلفة، ونشأ ذلك، في بعض الأحيان، عن ضغوط الضحايا بهدف سرد أنواع بعينها من القصص إبان الإدلاء بالشهادة، أو

(*) موقع تذكاري يحوي رفات 5073 جنديا وضابطا رومانيا ممن قُتلوا في الحرب العالمية الأولى. [المحررة].

(**) Truth and Reconciliation Commission.

كنتيجة لاختلاف خبرات ورؤى الضحايا والمذنبين، وأفراد وجماعات مختلفة أخرى ممن يتحدّوْن النسخ الرسمية عن الماضي ويطالبون بالإنصاف. وكما يقول آندروز فجُلّ اهتمام لجنة الحقيقة والمصالحة اتجه إلى تخليق نسخ براغماتية، مقبولة، ويمكن تصديقها من الذاكرة، أكثر مما اتجه إلى ذاكرة جمعية صادقة، ذاكرة تطور صورا واقعية وقابلة للاستخدام عن التاريخ السابق للعلاقات العرقية، أكثر مما تنتج صورا صادقة. وعلى نحو مماثل، يلاحظ أوليك (2003، 2007) كيف أن الذاكرة الرسمية عن السياسات الألمانية منذ العام 1989 صارت تعاني انزياحا أدى إلى «التطبيع» مع الماضي النازي. ويكشف أوليك عن نَقْلة لا تكاد تبين، من مشكلات إبادة العرق والمسؤولية الألمانية عن «الهولوكوست»، إلى مشكلات تتصل بعنف الدولة، فجّرها سقوط حائط برلين، وتفكيكه، ومجابهة موروث الستازي(*). وقد بين كيف أن أحداثا أقدم وأكثر تقليدية للمذاكرة والاعتراف بالجرائم الألمانية(**) قد حلت محلها مذاكرات لسقوط حائط برلين والوحدة الألمانية. وتحتل مناظرات عامة جديدة، حول الماضي الأقرب للبلاد، وتوحيدها، وموروث النظام الاشتراكي مركز المشهد، وتصوغ نسخة مختلفة من الذاكرة الجمعية للأجيال الجديدة.

وتحلل بربارا ميللر (1999، 2003) سرديات «الذنب والتواطؤ» لدى المتعاونين مع جهاز الاستخبارات السابق الستازي في ألمانيا الشرقية وتطرح إطارا اجتماعيا نفسيا لتوصيف وشرح محاولات «التوافق مع الماضي». وتُفَسّر قضايا الندم، والذنب، والتواطؤ باستخدام مقولات ونظريات سيكولوجية من قبيل التنافر المعرفي(***)، والذاكرة الانتقائية، والتفسيرات الشائعة في إطار الإيلاف، والازدواجية الخلقية، وازدواجية المعايير، والقبول بأكاذيب سياسية.

وإذا كانت الذاكرة لدى ميللر هي ببساطة قضية اختيار، وتخزين، واستعادة لتفصيلات ذات دلالة، تتصل بسرد القصص وموضعة الذات، فبالنسبة إلى غالينات (2009) لا يمكن الفصل بين الذاكرة الفردية والاجتماعية، إذ هي موقع يجري التعبير فيه عن الالتباسات الخلقية وإدارتها. وفي الدراسات الإثنوغرافية عن البُنى

(*) Stasi استخبارات ألمانيا الشرقية.

(**) قد يكون التعبير «جرائم النازي» هو الأدق.

(***) Cognitive dissonance حالة من المواقف والمعتقدات والسلوكيات المتضاربة.

الاجتماعية للماضي الاشـتراكي في ألمانيا الشرقية، تبين ميللر كيف أنه لا توجد إجابة صريحة للعديد من الأسئلة الخلقية التي زاد بها الأمر تعقيدا عندما طرحتها دراسة الذاكـرة الفرديـة والجمعية والهوية. مـن كان كذا آنذاك؟ ماذا كنـت أنا؟ من أنا الآن؟ مـن يملك الحق في إصدار الأحكام؟ كيف لك أن تقارب مسـألة خيانة الثقة؟ وهي تبرهن على وجود تناقض بين النسـخ العامة والخاصة للأخلاق، كما تبدو حية في تقاريـر النـاس حول أحداث الماضي، وحـول الذات والآخريـن، وحول الحقائق الاجتماعية والسياسية. ووفقا لما تطرحه فإن «الذكريات التي تخلفها هذه الحيوات تواصل صوغ علاقات الناس في الماضي والحاضر والمستقبل، وهذه العلاقات هي على درجة مكافئة من التعقيد وهي، في بعض الأحيان، متناقضة» (ص197).

وفي دراسة أخرى، تركز غالينات (2006) على العمل السردي لجماعة من المسجونين السياسـيين السـابقين في محاولتهم لنقل خبراتهم بالماضي. وهي تلاحظ أن المشـاركين، في أغلـب الحـالات لم يمكنهم التحرك بقصصهم إلى ما يتجـاوز عبارات عامة من قبيل «مرعـب»، أو «فظيع»، أو «لا يحتمل». ولم تُذكر حـالات انتهاك بالغة الخصوصية في سـجون السـتازي، على رغم أن جوانب أخرى ذُكرت (الافتقار لشروط الصحة العامة، وللخصوصيـة، والحرمان من النوم... إلـخ). وقد اعترضت سردياتهم أيضا فترات صمت ثقيل وصعوبات في العثور على الكلمات المناسـبة. وبالنسبة إلى غالينات فهذا كله يبين التوتر بين الرغبة في نقل استثنائية الحادثة والشعور بالعجز عن ذلك (ص354)[12].

ولم يجد من اسـتجوبتهم غالينات أن من السـهل عليهم أن يكونوا أنفسـهم، لقد كانوا يتسـابقون على المواقع وهم يكِدّون للعثور على هويات مقبولة (عقلانية وخلقية) اجتماعيا وفرديا، في آن معا. ويرتبط فهم عملية حكي الماضي ما بعد الشمولي والكشف عن الدلالات الضمنية لعملية كهذه بالنسبة إلى الذاكرة الاجتماعية، بقدر متسـاوٍ، بكل مـن الموهبة التأويلية للباحث، وبـ «حقيقـة» ذكريات عن الماضي لا يمكـن فصلها عـن النصوص - عن «الإفـادة»، و«الأرشـيف» و«الوثيقة» - من أي نوع كانـت. والنضال من أجل العثور على هويات مقبولة فرديا واجتماعيا، مقبولة وأخلاقية، هو نضال لا يمكن فصله عن حقيقة نصية (الملف، المذكرات الشـخصية... إلخ) (تيليغا 2009 ب، 2011 أ؛ انظر أيضا سكولتانز، 2001) والنشاطات والعلاقات المختلفة التي يمثل الناس جزءا منها.

نحو علم نفس سياسي جديد للذاكرة الجمعية

حاول هذا الفصل أن يبين أن الذاكرة الجمعية يمكن تقديمها كموضوع جدير باهتمام علم النفس السياسي، بربطها بأفكار مثل الخبرة، والسردية، والأطر الاجتماعية وبالتغلب على الازدواجية بين الذاكرة الفردية والجمعية. وتتمظهر الذاكرة وتتخذ أشكالا متنوعة على مستويات مختلفة من التنظيم الاجتماعي والسياسي، في الفضاءين العام والخاص، في خطاب النخبة وفي المعاني عند العامة، باعتبارها تذكرا فرديا، وكذلك باعتبارها مذاكرة. وكل شكل من هذه الأشكال له أهميته ويحتاج إلى أن يدرس، بشكل مستقل. وبتفهم الكيفية التي تعمل بها الذاكرات الفردية والاجتماعية بالمجانبة juxtaposition(*) يمكن للمرء أيضا أن يفهم كيف تنشأ مخزونات المعرفة السياسية، والمعتقدات السياسية، والهويات السياسية. ولكي يتيسر التغلب على الازدواجية بين الذاكرة الفردية والاجتماعية، يحتاج المرء إلى أن يعتبر الذاكرة نتاجا اجتماعيا وثقافيا، وأن يعتبر التذكر/ النسيان ممارسات اجتماعية وثقافية.

وقد يجد المشتغلون بعلم النفس السياسي أن إدراج بعض رؤى هالبفاكس المهمة ضمن الطبيعة الاجتماعية للذاكرة هو أمر بالغ الجدوى. ومساهمات هالبفاكس تتجاوز مقاربته الحاضرية بكثير. وقد اهتم هالبفاكس بمختلف تموقعات الذاكرة (من المشهد الديني إلى العائلة) واهتم، أساسا، بالذاكرة باعتبارها متجذرة في ممارسات وعلاقات اجتماعية. وكما بين هذا الفصل، يغلب على المشتغلين بعلم النفس السياسي الميل إلى دراسة الذاكرات الجمعية والتاريخية للأفراد والجماعات عبر الكشف عن الآليات المعرفية والعاطفية للتشفير، والتخزين، والاستعادة للمعلومات. ويحد نموذج الأرشيف للذاكرة من رؤية الكيفية التي تتشكل بها الذاكرة الفردية والجمعية، وكيف تتأكد وكيف تتعرض للمقاومة أو التحويل. وليست الاستعادة (الحَرْفية) أو التمثيل الدقيق هما اللذين يعوَّل عليهما دائما، فالكيفية التي تتجسد وتتموضع بها الذاكرة الفردية والجمعية داخل الفضاءات العقلية والمادية للمجتمع لها أهميتها أيضا. وعندما يوسع علم النفس السياسي المقاربة من الذاكرة لتشمل جوانب اجتماعية ثقافية وتأويلية، فهو يقلل المخاطر التي قد تكتنف طرح نوع

(*) Juxtaposition التجاور بين أمرين يعطيان تأثيرين متقابلين.

من العلم الســيكولوجي أو السياسي لا يتعامل فيه المرء مع الخبرة المعيشة، وعوالم الحياة المتصلة بالعلاقات الاجتماعية والدلالات الاجتماعية، من كثب وبمنهجية.

وينطوي التحرك بعيدا عن نموذج الأرشــيف على رفض الفكرة الســاذجة التي تقول إن «الماضي»، الذاكرة، محفوظ في أرشيف عقلي (أو مادي). ويتعين أن يدرس المشــتغلون بعلم النفس الســياسي الذاكرة، مــن أجل الوظائــف الاجتماعية التي تؤديها، والكيفية التي تكتسب بها أهمية جمعية، في الشبكة الثقافية، والاجتماعية، والسياسية التي احتبُلت فيها. وهم في حاجة إلى دراسة المصادر الاجتماعية المتنوعة للذاكرة، وكذلك الناس، باعتبارهم «مستهلكي الذاكرة» (كانستاينر، 2002، ص180). وليســت الذاكرة الفردية أو الجمعية ثابتة أو بديهية على نحو لا يتغير، ولكن يمكن المضي بها نحو أشكال معينة، بضوابط ثقافية، ومجتمعية، وسياسية؛ ويمكن أن تصبح الذاكرة الفردية والجمعية أساســا لأنواع معينة من الحكايا، المشــبعة بأيديولوجية الوســط الاجتماعي/ الســياسي وبالخبرات الفرديــة. والذاكرة الفرديــة والجماعية (والهويــات التي تُبنى عبرهما وتتمحور حولهما) هما مصادر نزاع وتأويلات خلقية. وكما ألمــح هذا الفصل، فتكوين الحجــج، أو التمثيــلات، أو التوجهات إزاء الماضي القريب يفترض مســبقا أن الحجج المضــادة، أو التمثيلات المضــادة، أو التوجهات المضادة ليســت ممكنة فحســب، بل هي قوام عملية تخليق الدلالات، واستدامتها وتدويرها في المجتمع.

7

السياسة والخطاب

رؤى حول السياسة والخطاب

في كتابه «الاستخدامات الرمزية للسياسة» يطرح عالم السياسة الأمريكي موراي إيدلمان توصيفه الخاص للسياسة. فهو يذهب إلى أنه «لأن السياسة، كما هو واضح، تجلب الثروة، وتأخذ الحياة، وتسجن الناس وتطلق سراحهم، وتطرح تمثيلا للتاريخ له تداعيات عاطفية وأيديولوجية قوية، فإن عملياتها تصبح موضوعا يسهل أن تعلق عليه العواطف الخاصة، وبخاصة المخاوف والآمال القوية» (1967، ص5). ويطرح «تعريف» إيدلمان للسياسة رؤية تمثل السياسة فيها الفاعل والمحرك لتحول نظام مجتمع ما: سياسة تفعل فعلها بالناس. وهذه رؤية للسياسة تشاركه فيها كثرة من علماء السياسة ومن المشتغلين

«بوسع كل من التحليل النقدي للخطاب وسيكولوجيا الخطاب، مع تركيزهما المستدام على الصوغ والتأسيس المتبادلين بين اللغة والسياسة، أن يؤمن بديلا مبتكرا لتوصيف وفهم العلاقة بين الممارسات اللغوية، والفعل السياسي، والواقع»

بعلم النفس السياسي. وقوة رمزيتها هي التي تجعل معظم الباحثين يركزون على السياسة باعتبارها عملية(*)، أكثر مما يركزون عليها باعتبارها فعلا اجتماعيا، فهم يركزون على ما تفعله السياسة بالناس، أكثر مما يركزون على الكيفية التي تُفعل بها، في الممارسات الخطابية والاجتماعية وعبرها. وهذا الفصل هو محاولة لإظهار الكيفية التي يمكن من خلالها تحقيق تحول مُجْزٍ باتجاه فهم السياسة والخطاب السياسي كشكل مركب للنشاط الاجتماعي. ويرسم هذا الفصل الخطوط العامة للعلاقة بين السياسة واللغة. وهو يذهب إلى أن اللغة السياسية هي شكل متعدد الأوجه للنشاط الاجتماعي، ما يبرر، بذاته، الدراسة المُتَمعنة. ويتوسع الفصل الثامن في معالجة بعض الفرضيات المبينة هنا، باستخدام تحليلات إمبيريقية للبلاغيات السياسية.

أما بالنسبة إلى المشتغلين بتحليل الخطاب، فاللغة لها موقع مركزي بالنسبة إلى (ممارسة) السياسة. وكما يقول تشيلتون وشافنر(**) فإنه «من المؤكد أن السياسة تستحيل ممارستها من دون اللغة، وقد يكون استعمال اللغة في تأسيس جماعات اجتماعية هو ما يفضي إلى ما ندعوه «سياسة» بالمعنى الواسع» (1997، ص 206). أما بالنسبة إلى الباحثين المعنيين بإثنوغرافيا العمليات السياسية، فإن السياسة «الحقيقية» هي ما يحدث بعيدا عن العيون وراء «كواليس» السياسة (ووداك، 2011)[1]. وبوسع المرء أن يضيف إلى تعريف إيدلمان للسياسة المقابلة (المجازية) الأكثر رواجا بين من يحاولون تعريف السياسة، وهي المقابلة بين الصراع والتعاون (تيللي، 2002؛ تيللي، وتارو، 2006)(***). ويمكن القول إن الرؤى المتصلة بالسياسة، سواء نشأت عن علم السياسة أو عن الألسنيات، تهتم على نحو ما باللغة والاتصال، وكيفية مشاركتهما في العمليات السياسية أو تكاملهما معها. والمشكلة الوحيدة هي أن بعض هذه الرؤى أكثر ميلا إلى الاعتماد على نظرية مرجعية للغة، ترى اللغة كوسيط محايد وسلبي بين الأفكار والأفعال.

(*) Process : تشير هذه الكلمة إلى سلسلة من أعمال قصدية تستهدف تحقيق غاية محددة، أو إلى سلسلة تحولات تحدث بشكل طبيعي، أو إلى منهج لإنتاج البضائع في مصنع بمعالجة مواد معينة.

(**) Paul Chilton أستاذ الألسنيات بجامعة لانكستر البريطانية، وChristina Schäffner رئيسة قسم دراسات الترجمة بجامعة آستون البريطانية.

(***) Charles Tilly (1929 - 2008) عالم الاجتماع وعالم السياسة الأمريكي وSidney G. Tarrow أستاذ العلوم السياسية وعلم الاجتماع بجامعة كورنيل الأمريكية.

ومـن الملامح المميـزة للمقاربات الأوروبية القريبة العهـد إلينا في علم النفس الاجتماعي والسـياسي أنها تدرك أهمية تحليل الخطاب لفهم السياسة والتوجهات السياسية (بيليغ، 1996؛ كوندور، 2000؛ بوتر، 1998). وبحسب فان ديجك (1997، ص 2، والتوكيد منقول عن الأصل) الخطاب يُعَرّف على أنه:

> ظاهرة **عملية**، **واجتماعية**، **وثقافية**... وينجز مستخدمو اللغة المنخرطـون في الخطاب **أفعـالا اجتماعية** ويشـاركون في **التفاعل الاجتماعي**، وبخاصة في **المحادثة** وغيرها من أشـكال **الحوار**. ومثل هـذا التفاعـل، بـدوره، منغرس في عديـد متنوع من **السـياقات** الاجتماعية والثقافية، مثل التجمعات غير الرسمية مع الأصدقاء أو المقابلات المهنية والمؤسسية.

والخطاب هو الموقع الذي تتلاقى فيه التمثيلات السياسية، والمعرفة السياسية، والمخزونـات التأويلية وغيرها من الموارد الاجتماعية والخطابية لبناء رؤى سياسـية وحياتيـة عن التعاون أو الخصومة، وعن التوزيع العادل أو غير المتكافئ للسـلطة والموارد، والأخلاقية واللاأخلاقية، والأمن وانعدام الأمن، وما شابه ذلك.

وإذا تبين للمرء أن السياسـة تعمل عبر اللغة، وأن اللغة مؤسسـة للنشـاطات الاجتماعية، فإنه يتعين عليه بالتالي أن يدرك أن السياسـة ليسـت صورة بديلة عن العـالم الاجتماعي، بل جزء لا يتجزأ من ذلك العالم، وعنصر منتج وتأسـيسي للحياة الاجتماعية والأنشـطة الاجتماعية. ويمكن المضي إلى حد القول إن السياسة تتأسس في أفعال الناس، وأنشـطتهم، وأفعالهم، إبان تنظيـم هذا كله في علاقات اجتماعية وممارسات اجتماعية (انظر سميث، 2005)[2]. والشخص العادي ليس مغفلا تواصل قـوى اجتماعية وسياسـية من خارج ذاته ملء عقلـه، في حين يأتي رد فعله هو من دون تفكـر. فـ«الذات» في السياسـة هي كائن خطابي يتفكر ويجادل في السياسـة (بيليغ 1991). والعلاقة بين السياسة واللغة المستخدمة هي علاقة مهمة ويستحيل تجاهلهـا، وبالتالي، فمـن الأجدى أن يُنظر إلى اللغة السياسـية باعتبارها مجموعة خاصـة من الخطابات، بأقل مـما يُنْظر إليها كحزمة خاصة مـن التأثيرات والنتائج المترتبة على الخطابات.

تحليل الخطاب والخطاب السياسي

نعيش في عالم تنهال علينا فيه، من دون انقطاع، رسائل لفظية بالغة التنوع، من إعلانــات المطهرات، إلى خطابات في مؤتمــرات حزبية. وقد غيرت الميديا الإلكترونية (جيميســون، 1988)(*) وبلاغة الصورة السياســية (بــارت، 1977) طبيعة الخطابة السياســية المعاصرة (بيليغ، 2003). فالبلاغة البصرية واللفظية المعقدة للسياســة المعاصرة تقوم بدور الوســيط بين المنظمات والجماهير، بين السياســيين وناخبيهم، وما إلى ذلك. وكما يقول تشــيلتون وشافنر فإن فرصة تلقي، وتأويل، ونقد النصوص والأحاديث السياسية زادت على نحو هائل (1997، ص 206).

وبحســب إيدلمان فإن «السياسة هي، بالنسبة إلى معظمنا، عرض عابر لرموز مجــردة، لكنه عــرض تعلّمنا تجاربنا أنه قوة خير وشر، تــكاد تكون كلية القدرة» (إيدلمــان، 1967، ص5). فنحــن نتحرك بقوة «الإشــارات»(**) الصــادرة عن لغة السياســة لندخــل في عقائد اجتماعية وسياســية. وكما يقول هو فإن «الإشــارات الرمزيــة... تمضي بعيدا باتجاه تقرير جغرافية وطوبوغرافية العالم الســياسي لكل واحــد» (إيدلمان، 1977، ص41). وقد بين إيدلمان ما يترتب سياســيا على طرائقنا الأكــثر اعتياديــة في تســمية وتصنيف «المشــكلات الاجتماعية»: الفقــر، تعاطي المخدرات، الجريمة، وما شــابه، من استخدام كلمات تستدعي «الضعف والتراخي المزعومين عند الفرد» (إيدلمان، 1967، ص27) إلى تعبيرات شديدة الالتباس، يمكن أن تفضي إلى عقائد مضللة[3].

وصورة إيدلمان عن السياســة هي صورة مقنعة، لكنها غير مكتملة. فهي تلفت الانتباه فقط إلى الجوانب الرمزية في السياســة، غير أنه من الممكن أيضا التفكر في السياسة باعتبارها متتالية من الإنجازات الخطابية. والصحافة (السياسية) المعاصرة في جميع أنحاء العالم مثال واضح على الكيفية التي تجعل «أفعال» السياســيين أكثر من مجرد بعد خارجي يحتاج إلى رصد منفصل عن «كلمات» السياسيين. فالكلمات والأفعــال شيء واحد. وبلاغة السياســيين أنفســهم (وليس مجــرد بلاغة المعلقين) انعكاس لذلك. والتيمات السياسية المتنوعة التي تنشأ عنها السياسة «المعيارية» في

(*) Kathleen Hall Jamieson أستاذة الاتصال بجامعة بنسلفانيا الأمريكية.

(**) يستخدم المؤلف كلمة «الإشارات» هنا باعتبارها نقيض «التحليل المحكم» (إيدلمان، 1998) والعقلاني.

الديموقراطيات الغربية (مثلا: الهجرة، التشغيل/البطالة، الأزمة الاقتصادية، الاعتذار عن ظلم سـبق.. إلـخ) لا تحمل علامات مميزة، كما أنها لا تشـير، آليا، إلى «واقع» يكـون، على نحو مـا، متجاوزا للواقع المتصـل بالكيفية التي يتفـق فيها الفاعلون الاجتماعيون والسياسيون، على نحو روتيني، على أن يتكلموا حول هذه القضايا، أو يختاروا أن يؤسسوها، أويناقشوها، أويدافعوا عنها، أو ينتقدوها.

وعندما يتوقف المرء عند الكيفية التي تُسْتكشـف بها اللغة السياسـية في علم النفس السياسي، يكون بوسعه أن يلاحظ أن المشتغلين بعلم النفس السياسي وعلماء السياسـة يبدو أن أكثر مـا يهمهم هو التقارير الكمية عن اللغة السياسـية (انظر، مثلا، تحقيقات لاسـويل وآخرين (1949)(*) حول الـدلالات الكمية، أو «الدلالات» في السياسـة الدولية عند أوسـغود (1978)(**) أو «التركيب التكاملي» عند تيتلوك (1983)(***). ومـا تنجزه اللغة السياسـية، وكيف تفعل ذلـك، وما توصله بيانات سياسية (بعينها)، لا يمثل بؤرة التحليل (ولكن انظر فينليسون، 2004، 2007)(****).

على سـبيل المثال توصل تيتلوك، وهـو داعية ما يُعرف بنظرية التركيب المعرفي التكاملي، إلى أن «الأعضاء المحافظين في مجلس الشـيوخ الأمريكي يطرحون القضايا بطرائـق يقل تركيبها التكاملي بقدر ملحوظ عن مثيله لـدى زملائهم الليبراليين أو المعتدلين» (تيتلوك، 1983، ص 123)[4]. وما يهمنا هنا هو ما شاع الحديث عنه من تركيـب في النظام الإدراكي لمعالجة المعلومات عند الفرد، وليس الاسـتخدام الفعلي للغة في سياقها الاجتماعي، والثقافي، والأيديولوجي[5]. ويمكن لهذا النوع من التحليل أن يحجب أكثر مما يكشف من براغماتيات اللغة السياسية، فهو يطرح رؤية واقعية للغة والسياسـة معا، ويعيد إنتاجها.وما تهمله نظرية التركيب المعرفي المتكامل عند تيتلوك هو أن الناس (وبخاصة السياسـيين) قد تكـون لديهم «غايات بلاغية» عند الحديث عن أسـباب الأحداث الاجتماعية والسياسية أو عند الدفاع عن موقف ذي أسـاس أيديولوجي. وكما يقـول بيليغ، فقوة الرؤى الخطابيـة تكمن في أنها قادرة على أن تؤمّن «كلا من الجهاز النظري والأدوات المنهجية للفحص التفصيلي لكيفية

(*) Harold Dwight Lasswell (1902-1978) عالم سياسة أمريكي.

(**) Charles Egerton Osgood (1916-1991) عالم نفس أمريكي.

(***) Philip Tetlock أستاذ الاتصال بجامعة بنسلفانيا الأمريكية.

(****) Alan Finlayson أستاذ العلوم السياسية بجامعة إيست آنغليا.

تحقيـق «غايات بلاغيـة» (1996، ص21). ويعد التحليل الكيفي للغة السياسـية باعتبارها فعلا اجتماعيا، على أسـاس من تحليل خطابي متمعن ومفصل للتفاعلات الاجتماعية أو للنصوص، أمرا غير جوهري عند تيتلوك.

ولا يعكـس هذا التوجه فقـط ميلا وضعيا وموضوعيا ابسـتمولوجيا ومنهجيا، بل رؤية لاسياسـية للسياسـة أيضا. وقد آن الأوان لأن ينتقل علم النفس السـياسي من دراسـة الجوانب الكمية والواقعية للغة السياسـية (اللفظية) باتجاه الجوانب الكيفيـة والاجتماعية للتفاعل. ويتعين أن تُدْرس اللغة السياسـية باعتبارها تفاعلا اجتماعيا وممارسـة اجتماعية، وعلى أسـاس وظائفها المتنوعة المؤسَّسـة للسياقات السياسـية والثقافة السياسـية. وهناك حاجة إلى التركيز على الخطاب كشـكل من الفعل الاجتماعي، لتوصيف التجهيز والتأسيس المتبادلين للغة والسياسة.

وبوسـع المرء (ويتعين عليه أن يكون قادرا على) أن يبين إمبيريقيا كيف يتيسر لمختلف تنظيمات الكلام والنص على أساس من بُنى نحوية ونظْمية وتركيبات دلالية وبراغماتية، ونقلات سجالية أو عبارات، أن توصّف الإنشاء المتبادل للسياسة واللغة، وأن تقول عنه شيئا ذا دلالة. وكما قال فان ديجك (1997، ص 5):

> التفاعـل بين الطبيب والمريض، بين المعلـم والطالب، وكذلك المناظرة في البرلمان أو في جلسـة بقاعة محكمة، ليسـت مجرد أشـكال مركبة من الحوار المؤسـسي، فهي تؤسـس الممارسـات الخطابيـة والاجتماعية الأكـثر تعقيدا للتدريس، ولتأمين الرعاية الصحية، وللتشريع، ولـ«فعل» العدالة.

والعلاقة بين الخطاب والسياسة مركبة، وهي بحد ذاتها تتطلب تحليلا إمبيريقيا. وفي شكله المعاصر، فعلم النفس السياسي أكثر اهتماما، إما بـ«السيكولوجيا» الفردية للسياسـة (تابر، 2003؛ تيتلوك، 2005) وإما بالأنسـاق السياسـية الكلية للعلاقات الدولية (مثلا، هيرمان، 2003) ، لكنه يُظهر اهتماما أقل بالطبيعة الخطابية للسياسة وبالكيفيـة التـي تجعل مختلف أشـكالها ووظائفها نتاجا للتفاعلات والممارسـات الاجتماعية المعقدة.

والمسـاهمة الحيوية للمشـتغلين على تحليل الخطاب في العلوم الاجتماعية تكون في طـرح رؤى حول فـك حزمة التنظيم الخطابي للخطابات السياسـية، فالخطاب عند

المشــتغلين عــلى تحليل الخطاب هو تأســيسي بالنســبة إلى «الحقائــق» الاجتماعية والسياســية، كما أنه يتأســس بها (فيركلاو 2010(*)؛ فيركلاو ووداك، 1997؛ فان ديجك 2008، 2009؛ فــان ليووين ووداك، 1999؛ ويذريل وبوتــر، 1992؛ وداك، 2011). وكــما يقول فيركلاو ووداك فإن «الخطاب هو، اجتماعيا، تأســيسي كما أنه يقع صوغه اجتماعيا: فهو يؤســس حالات، وموضوعات للمعرفة، والهويات والعلاقات الاجتماعية بــين الناس وجماعات النــاس» (ص 258 التوكيد منقول عن الأصل). وليس هذا الفصل المــكان الذي نوفي فيه عديــدا متنوعا من المقاربات التحليليــة للخطاب حقها[6] لكنه يسمح بالتركيز على أكثرها تأثيرا: التحليل النقدي للخطاب وسيكولوجيا الخطاب (انظر أيضا الفصل الثامن لبعض الملاحظات الإضافية عن سيكولوجيا الخطاب).

تحليل الخطاب في الألسنيات: تحليل نقدي للخطاب

التحليــل النقدي للخطاب (يشــار إليه اختصارا بـ CDA)(**) هو أســلوب في البحــث التحليلي في الخطــاب «يدرس الطريقة التي تمارس بها إســاءة اســتعمال الســلطة، والتســلط، وانعدام المســاواة، ويعــاد إنتاجها وتجــري مقاومتها بالنص والكلام في الســياق الاجتماعي والسـياسي» (فان ديجك، 2001، ص 352)[7]. وينظر التحليل النقدي للخطاب إلى الخطاب على أنه شــكل من أشــكال الممارسة والفعل الاجتماعيين. ويمكن أن تجد فكرة الخطاب كشــكل من أشــكال الممارســة والفعل الاجتماعيــين في قدر هائل مــن البرامج البحثية في الألســنيات (النقدية) والنظرية الاجتماعيــة (انظر فــيركلاو، 2010؛ ووداك، 2011 من أجل نظرات عامة). وقد ظل البحث في الخطاب السياسي اهتماما دائما عند الباحثين في التحليل النقدي للخطاب. (تشــيلتون وإليين(***)، 1993؛ تشــيلتون وشافنر، 1997؛ ويلســون(****)، 1990، 2001؛ ووداك، 2002، 2011) وخطــاب الميديا (فــيركلاو 1995 ب؛ فاولر(†)، 1991؛ فاولر وآخرون، 1979؛ فان ديجك، 1988، 1989، 1991).

(*) Norman Fairclough أستاذ الألسنيات بجامعة لانكاستر البريطانية.

(**) Criticsl discourse analysis.

(***) Mikhail V. Ilyin أستاذ العلوم السياسية بمعهد العلاقات الدولية بموسكو.

(****) John Wilson أستاذ علوم الاتصال بجامعة آلستر في إيرلندا الشمالية.

(†) Roger Fowler (1939 - 1999) أستاذ الألسنيات الذي عمل طويلا بجامعة إيست آنغليا البريطانية.

وقد ظلت أيضا دراسة المركزية الإثنية، والعداء للسامية، والعرقية اهتماما مركزيا لدى المحللين النقديين للخطاب (باستخدام عديد متباين من المواد مثل المحادثات، والاستجوابات، والمناظرات البرلمانية، والتقارير الإخبارية، والنص والكلام الأكاديميين، والصور) (انظر، بين آخرين، ريسيغل ووداك 2001؛ فان ديجك 1997؛ فان ليووين 2000؛ ووداك 1996، 1997 أ، ب؛ ووداك وفان ديجك، 2000؛ ووداك وآخرين، 1999). ويطرح المحللون النقديون للخطاب أسئلة حول الطرائق التي تستخدم بها بُنى معينة للخطاب في إعادة إنتاج السيطرة الاجتماعية. ومن الفرضيات الأساسية في التحليل النقدي للخطاب أن الممارسات الخطابية وثيقة الارتباط بتأثيرات أيديولوجية. وبحسب فيركلاو ووداك، فإنها قادرة على المساعدة على إنتاج وإعادة إنتاج علاقات قوة غير متكافئة بين (على سبيل المثال) طبقات اجتماعية، رجال ونساء، وأغلبيات وأقليات إثنية/ثقافية، عبر الطرائق التي تمثل بها الأشياء وتموضع الناس (1997، ص 258).

وعلى سبيل المثال، فقد شمل العمل الرائد الذي أنجزه فاولر حول دور السلطة والسيطرة في اللغة أيضا تحليلا لتغطية صحافية لحدث «إثني» (الاضطرابات في مهرجان نوتينغ هيل في لندن). ومن بين أشياء أخرى، أشار ما توصل إليه فاولر وزملاؤه إلى الكيفية التي عكست بها البنية النحوية للجمل المنظور «الأبيض» المسيطر لدى الصحافيين، وكيف أدارت تفعيل صيغ المبني للمعلوم والمبني للمجهول مسؤولية المشاركين في الحدث عبر استخدام صيغ المبني للمجهول، وعبر خيارات نحوية ودلالية بعينها. وتمضي دراسة سايكس (1985) حول التمييز إلى خلاصات تشمل دور الصيغ النحوية في التمثيل النصي لـ «نحن» و«هم». وفي سلسلة من الدراسات، فحص تيون فان ديجك الطرائق التي تتحدث بها الأغلبيات في هولندا والولايات المتحدة عن الأقليات والعلاقات الإثنية في المحادثات اليومية، وفي الصحافة، والبرلمان وفي خطاب النخبة (فان ديجك، 1984، 1987، 1991، 1991، 1993 أ). ويبين فان ديجك كيف أن «الاختلاف» هو بنية ينشئها المتحدثون وفقا لتوجهات التمثيل الإيجابي للذات والتمثيل السلبي للآخر، مع استخدام استراتيجيات نحوية ونظمية معينة لعقلنة التحيز ضد جماعات الأقلية. وكما يشير هو، فهذه الاستراتيجيات تعمل بطرائق متنوعة على تفعيل وإنفاذ التمييز إزاء أولئك الذين يوصفون بأنهم «الآخرون».

وكجــزء من برنامج مطول ومجهد للدراســات النقديــة للخطاب، انخرطت روث ووداك وزملاؤهــا من جامعة فيينا في سلســلة من الأبحــاث حول الأبعاد الاجتماعيــة، والسياســية، والتاريخيــة للخطاب المناهض للســامية في النمســا (ووداك، 1990، 1991؛ ووداك وماتوشــك(*)، 1993؛ انظر أيضا فيركلاو ووداك، 1997). وتنتــصر ووداك وزملاؤها للمقاربة التاريخية- الخطابية للبلاغة العرقية والمناهضــة للســامية. وهذا المقترب الــذي يقوم على تحليل الخطاب لدراســة التحيز والعرقية يقوم على مقاربة أكثر حساسية للسياق، تشمل، من بين الأبعاد الأخرى للسياق، الســياق الاجتماعي الســياسي والتاريخي الأوسع، وإن شملت أيضا تاريخ الممارسات الخطابية التي تعيد إنتاج السيطرة والعرقية[8]. وقد بينت ووداك وزملاؤهــا كيف يجري التعبير عن المعتقدات والأيديولوجيات العرقية أو المناهضة للســامية وكيف تســتخدم لأغراض مختلفة. وهذه لها تقاليد تاريخية وجذور متعددة، وبالتالي فلا بد من دراســتها في ذلك السياق. وتحليل الخطاب هــو الأداة التي تســمح للمرء بــأن «يُظهر كامل الطيف من الأدوات الألســنية المستخدمة لتشفير معتقدات وأيديولوجيات كهذه، وما يرتبط بها من ممارسات أيضا (ريسيغل ووداك، 2001، ص266).

وقــد بيّن غــيرُ ذلك من الدراســات النقدية للخطاب، التــي تركز على الخطاب المناهض للهجرة، الكيفية التي يمكن بها للمجازات أن تســتخدم لنزع البشرية عن العمال المهاجرين في الولايات المتحدة (سانتا آنا، 1999) والكيفية التي تستخدم بها اســتراتيجيات خطابية متباينة للتعامل مع المهاجرين، والفقراء، باعتبارهم الخصوم (ووداك وماتوشــك، 1993؛ انظر أيضا إيدلمان، 1977).ويخاطب استخدام الضمائر والــدوال الظرفية («نحن» «هنــا») وتخليق تقابل بين «نحــن» و«هم»، الاهتمام الذاتي عند الشــخص، كما أن الحكايــا الأبوكريفية(**) تنطوي على قدرة على توجيه السياســات وصوغ العمليات والخطابات السياســية حول الهجرة، والفقر، وماشابه ذلك.ويحلــل فان دير فالــك (2003) الخطاب اليميني في البرلمــان حول الهجرة في

(*) Bernd Matouschek من جامعة فيينا.

(**) Apocryphal نســبة إلى أربعــة عــشر ســفرا من أســفار العهــد القديــم (الأبوكريفا) لا يعترف بهــا اليهود والبروتستانت، وهي صفة توصف بها كل كتابة مشكوك في صحتها أو في صحة نسبتها إلى من يفترض أنه كاتبها.

فرنسـا، مبينا أن هذا الخطـاب يميل إلى التمحور حول مجاز أوسـع يتصل بتمثيل سلبي للآخر وهو ما يشمل ليس فقط المهاجرين بل يشمل حلفاءهم أيضا، وأبرزهم أحزاب اليسار.

وقـد كانت الاهتمامات الأبرز والأقرب عهـدا إلينا في التحليل النقدي للخطاب تأسيسية، مع تحول في المسـار باتجاه التنظير والتوثيق الإمبيريقي لمثلث المجتمع- الإدراك- الخطـاب (تشـيلتون، 2004؛ فان ديجـك، 2008، 2009). وفي قلب هذه الاهتمامات تكمن مشـكلة نظريـات التكامل حـول الإدراك في التحليلات النقدية للخطاب التي تعالج الكلام والنص. وما يُفْترض هو أنه لا بد من وجود شيء يسـتند إليه إنتاجنا، وتنظيمنا، وفهمنا للخطاب (السـياسي): تمثيلات عقلية، ونماذج عقلية، ترشـد عمليـة ربط المعلومات الجديدة بمـا تراكم بالفعل مـن معلومات. وابتداء من أعمال فان ديجك وكينتش (1983)(*) ظهر تركيز شـديد على التكامل. والفكرة الرئيسية هنا هي أن «المعنى يصنعه المستمعون أو القراء، الذين يربطون معرفتهم وتوقعاتهـم المخزونـة لديهم في الذاكـرة الطويلة المدى والقصـيرة المدى بمعالجة المدخل اللغوي» (تشيلتون، 2004، ص154). ويمضي تشيلتون إلى ماهو أبعد فيؤكد أنـه ربما كان هناك رابط عميق بين السـياسي واللغـوي (ص 11). وتؤمن الارتباط نظرية إدراكية للغة والسياسـة. والنماذج والتصاميم «الإدراكية»، أو «العقلية»، أو «السياقية»، بحسب فان ديجك، تقوم بمهمة التوسط (فان ديجك، 2009).

وسـواء نظرنا إلى الإدراك أو لم ننظر إليه، باعتبار أنـه يؤدي دورا محوريا، فإن هدف التحليل النقدي للخطاب هو، من جهة، النظر في الأغراض السياسـية المعينة، التي يُدْفع باللغة إليها، وهو من ناحية أخرى، تتبع الوسـائل اللغوية الخاصة التي تُسـتخدم من جانب «من يتكلمون على نحو سـياسي» (تشيلتون 2004 ص 200). أما بالنسـبة إلى المشـتغلين بالتحليل النقدي للخطاب، فمهمـة التحليل هي ربط الخـواص الدقيقة للسـلوك اللغوي بما نفهمه من عبارة «السياسـة» أو«السـلوك السـياسي» (تشـيلتون وشـافنر، 1997 ص 211). وما يُعرّف بأنه «سياسي» هو تلك الأفعال الاجتماعية الخطابية (والأنشـطة الاجتماعية) التي تشـمل (وتعيد إنتاج) علاقات قوة متفاوتة، وسيطرة، وتشمل أيضا مقاومة وصراعا.

(*) Walter Kintsch الأستاذ بمعهد دراسات الإدراك بجامعة كولورادو الأمريكية.

وهنـاك نقطتا قوة حيويـة في المقاربة النقدية لتحليـل الخطاب، فهي تطرح، أولا، مقاربـة للخطـاب السـياسي تسـمح بربط الممارسـات اللغويـة والخطابية الفردية بالسـياق السـياسي والتاريخي الواسـع (الذي يُنْظر إليه باعتباره أسـاس إنتاجها واسـتقبالها). وهـي تطرح، ثانيـا، منطلقا لتحليل الخطابـات التي يجري إنتاجهـا في لحظة زمنيـة محددة وبغض النظر عن السـوابق synchronically أو عبر مسـار تطورها مع الزمن diachronically. ويشـار إلى الأخـيرة بـ «التناص»، وهي تشـتمل على دينامية «المسـاوقة» contextualization و«إعادة المساوقة» «recontextualisation» (انظـر فيركلاو، 2010؛ ريسـيغل وووداك 2001؛ ووداك، 2011). ويعد ذاك أحد أهم الملامح التي تميز ممارسـات الخطاب السـياسي. ووفقا لووداك (2011، ص39)، فإن التناص

> يحيل عـلى ربط كل النصوص بغيرها من النصوص، سـواء في الحاضر أو في الماضي. وهذه الروابط يمكن تأسيسـها بطرائق مختلفة: عبر الإحالة المتصلة على موضوع أو إلى الفاعلين الرئيسيين فيه؛ أو عبر الإحالة على الأحداث ذاتها، باعتبارها نصوصا أخرى، أو عبر عودة الدفوع الرئيسـية في نص ما إلى الظهور في نص آخر. ويسـمى السـياق الأخير إعادة المسـاوقة. وبانتزاع الدفوع من سـياقها وإدخالها في سياق جديد، نلاحظ أولا عملية إنهاء المساوقة، ثم عندما يدخل العنصر المعني في سـياق جديد نلاحظ عملية إعادة المسـاوقة... ومن هنا تعاد مسـاوقة دفوع من مناظرات برلمانية، من خطابات سياسية، أو من الميديـا، بطريقة تراعي نوعها، ومتصلة بموضوعـات، أو أنواع، أو نصوص من خطاب معين.

وعلى سـبيل المثال، الدراسـات التي أجرتها إيرجافيك وفولشـيتش (2007)(*) حول إعادة المسـاوقة الصربيـة لخطاب جورج دبليو بوش حـول الإرهاب، وتلك التي أجراها هودجيز (2008) حول «المنافسة الخطابية» بين الصحافيين ومسؤولي البيت الأبيض، قد أظهرت كيفية عمل «إعادة المسـاوقة» في الممارسة وكيف يمكن أن تثبت جدواه البالغة كأداة تحليلية. وتبين إرجافيك وفولشـيتش (2007) كيف

(*) Karmen Erjavec باحثـة في علوم الاتصال، أسـتاذة بجامعـة لوبليانا الصربية وZala Volčič أسـتاذة علوم الاتصال بجامعة كوينزلاند الأسترالية.

أن خطــاب جورج دبليو بوش حول «الإرهاب» يعاد تدويره، ويســتخدم، ويطبق، عــلى نحو غير نقدي، عــلى كل الأفعال العنفية من جانب المســلمين، بغض النظر عن الســياق الســياسي/ التاريخي المحلي. ويقــدم هودجيــز (2008) تعليقا على قوة سياســات إعادة المساوقة بين الصحافيين والمســؤولين في البيت الأبيض، حول كلــمات جنرال أمريكي بدا أنها تلقي ظلا من الشــك على تــورط إيران في العراق. ويبين هودجيز كيف أن إعادة المســاوقة تتحقق باستخدام لقطات/ متتاليات، من الحديث، أو بالتركيز على بعض العناصر واســتبعاد عناصر أخرى منه، أو بصياغات يفترض أنها تســتهدف التوضيح أو تعيد صوغ جوهر الموقف المختَلَف عليه. ومثل هذه الدراسات (وكثير غيرها) يثبت أهمية الطريقة التي يقع بها تداول الخطابات والنصوص وإعادة تدويرها من جانب المشاركين لخدمة المصالح التجارية والدولية، وأغراض أيديولوجية أخرى كذلك.

تحليل الخطاب في علم النفس الاجتماعي: علم النفس الخطابي

العمل الذي نفذه في بريطانيــا مايكل بيليغ، ومارغريت ويذريل، وجوناثان بوتر، وديريك إدواردز وغيرهم (بيليغ، 1985، 1998، بيليغ وآخرون، 1988، بوتر وويذريل، 1987؛ ويذريل وبوتر، 1992، انظر أيضا أغوسطينوس وتيليغا، 2012) يعد خطوة حاسمة باتجاه تأسيس تحليل الخطاب باعتباره أداة نافعة في تحليل الممارســات الاجتماعية والسياســية، على اختلاف أنواعها. وقد ساعد على ظهور ما يســمى اليوم «سيكولوجيا الخطاب» discursive psychology (DP) المناخ الفكــري الذي تخلق بفضل أعــمال غيرغين (1973) وهاريه وســيكور (1972) وشــوتر(1977)، وما ســبقها من توجهات فلســفة اللغة والفلســفة التحليلية (أوستين 1962، فيتغنشتاين 1953).

وكانــت اللحظة الفاصلــة في التطور المتواصل في المنظــور الخطابي في علــم النفــس الاجتماعــي هــي نشــر «الخطاب وعلــم النفس الاجتماعي»(*) لجوناثان بوتــر ومارغريــت ويذريــل في 1987. وفي العام نفســـه، نُشر كتاب مايكل بيليغ «المحاجة والتفكير»(*). وجددت مســاهمات بوتر وويذريل، ومساهمات بيليغ،

(*) Discourse and Social Psychology.

اهتمام المشتغلين بعلم النفس السياسي والاجتماعي باللغة، والبلاغة، والطبيعة السجالية للتفكير. واهتمامهم باللغة ليس من أجل اللغة. فهو ينبع من إدراكهم لإمكان الاستكشاف المجزي لكثرة من الأفكار والمشكلات التي يعالجها المشتغلون بعلم النفس الاجتماعي الحديث، على أساس الممارسات الخطابية والاجتماعية.

وقد أمنت سيكولوجيا الخطاب، عبر ربع القرن الأخير، للمشروع الإمبيريقي لعلم النفس، رؤى مبتكرة ونقدية (أغوسطينوس وتيليغا، 2012، بيليغ، 2012، بوتر، 2012). وهناك فيض من كتب ومقالات تعرض الخصائص العامة لسيكولوجيا الخطاب(مثلا، بيليغ، 1991؛ إدواردز وبوتر، 1991 أ، 1993، وأقرب عهدا إلينا إدواردز وبوتر، 2001، هيبورن(**) وويغينز، 2007؛ بوتر، 2012، بوتر وإدواردز، 2001، ويغينز وبوتر، 2008). وسيكولوجيا الخطاب هي مقاربة بنيوية، بشكل عام، ترتبط بنظرية شارحة(***) نسبية (إدواردز وآخرون، 1995، غيرغين، 1994). وسيكولوجيا الخطاب بنيوية بطريقتين. إحداهما أنها تبدأ من أن الأفراد ينشئون واقعهم عبر وسيط هو التوصيفات التي يستخدمونها. و«الواقع» جزء من ممارساتنا عبر المقولات والتوصيفات، التي هي جزء من هذه الممارسات. وكما يقول جوناثان بوتر(1998، ص 235) فالواقع «ينشأ، بطريقة أو بأخرى، والناس يتكلمونه، يكتبونه، يحاجّون به، وينسفونه». ومن ناحية أخرى، فهذه التوصيفات والتقارير التي يستخدمها الناس في حالات متباينة هي ذاتها بُنى؛ أي أنها تُنسج في مناسبات الكلام، أو في نصوص معينة، من كلمات، ومجازات، وعديد من موارد خطابية (1998، ص 235، التوكيد منقول عن الأصل).

ويمكن القول إن الجاذبية التي تنطوي عليها سيكولوجيا الخطاب يمكن فهمها، على أفضل وجه، في ضوء المناظرات الفكرية والأفكار والموضوعات المتصلة بعلم النفس الاجتماعي التي سعت إلى إعادة تحديدها. وقد طرح المشتغلون بسيكولوجيا الخطاب عددا من التأويلات النقدية لبعض الأفكار السيكولوجية الأساسية، مثل التوجهات (مثلا، ويذريل وبوتر، 1992، ويغينز وبوتر، 2003) أو

(*) Arguing and Thinking.

(**) Alexa Hepburn محاضرة بقسم العلوم الاجتماعي بجامعة لوفبره بإسكتلندا وSally Wiggins محاضرة بعلم النفس بجامعة ستراثكلايد الإسكتلندية.

(***) meta-theory ومعنى الكلمة هو - وفقا لمعجم كولينز- «المناقشة الفلسفية لأسس نظرية ما، ولبنيتها ونتائجها».

الذاكـرة (مثلا، إدواردز وبوتـر، 1992 أ و ب، ميدلتون وإدواردز، 1990، تيليغا، 2011 أ) أو العاطفـة (مثـلا، إدواردز، 1999) أو الإدراك (مثلا، إدواردز، 1997، 2006، تي مولـدر(*) وبوتـر، 2005) أو الهويـة (مثلا، بنويل وسـتوكوي، 2006، ميرينـو وتيليغا، 2011، سـتوكوي، 2009) أو الإشـكالات الجندرية (مثلا، إيدلي وويذريل، 1997، 1999)(9).

وقد ركز المشـتغلون على سيكولوجيا الخطاب، في دراساتهم، على طبيعة الكلام المراوغة، والمركبة، والحساسـة للسـياق وعلى توجيهها الفعـل الاجتماعي. فالناس يفعلون أشـياء بكلامهـم: يوجهون اتهامـات، يبررون تصرفاتهم، يوجهون أسـئلة، يعذرون، يُقْنعون، وما شـابه. ويستخدمون اللغة ليفعلوا أشياء ولينشئوا نسخا من العـالم، وفقا لوظيفة كلامهم. وكما لاحظ بيليغ (1997) عن حق، فالتحليل الخطابي «هو أكثر من اتباع القواعد الإجرائية لجمع وتصنيف البيانات الخطابية؛ فهو يشمل طريقة نظرية لفهم طبيعة الخطاب وطبيعة الظواهر السـيكولوجية» (ص43). ولا تقترح سيكولوجيا الخطاب «منهجا» للتحليل (محادثاتيا أو خلافه) يمكن تطبيقه في كل حالة، لكنها تؤسس لنقلة «إبسـتمولوجية». وتعالج سيكولوجيا الاتصال الكلام والنصوص باعتبارها ممارسـات اجتماعية، وكما يقـول إدواردز (2003، ص1)، فهي تـدرس «العلاقة بين العقل والعالم، كما يفعل علـم النفس عموما، ولكن كموضوع خطـابي - باعتبارهـا ما يهتم به المشـارك، موضوعا يخص الـكلام، مقولات الكلام، وبلاغيات الكلام، والاهتمامات التفاعلية للكلام».

واللغة السياسية، وخصوصا الصوغ المتبادل بين السياسة واللغة، هو مجال قدم فيه المشتغلون بعلم النفس الخطابي مساهمات مهمة، ولكن مساهماتهم مرت من دون أن يلحظها أحد في علم النفس السياسي.

وأحد المسالك المهمة لفحص الصوغ المتبادل بين السياسة واللغة هو دراسة لغة العرقية. ومنذ ظهرت الأعمال الرائدة عند فان ديجك (1984،1987) وبيليغ (1985) حـول الروابط بين الخطاب والعرقية، صـار الخطاب يُنْظر إليـه باعتباره «طريقة ملحوظـة لإعادة إنتاج التحيزات الإثنية والعرقيـة في المجتمع(فان ديجك وآخرون،

(*) Hedwig te Molder أستاذة هولندية متخصصة في تفاعلات المواطنين من ذوي الخبرة المهنية.

1997، ص 144). ولأعمال ويذريل وبوتر (ويذريل وبوتر، 1992)عن لغة العنصرية في نيوزيلاندا أهمية مركزية في تزويد تحليل الخطاب بالقوة اللازمة للتساؤل حول تفاوتات علاقات القوة ولتوثيق إعادة إنتاج السيطرة عبر الكلام. وبين أمور أخرى، فقد بينا كيف أن بُنى التسامح وإنكارات مشاعر التحيز هي جزء من العمل الشائع حول الهوية في الخطاب العرقي المعاصر، وكيف أن الدفوع الليبرالية والعملية يمكن استخدامها، على نحو مرن، إلى جانب الدفوع المحافظة والمتحيزة (أغوسطينوس وإيفري، 2010 ، رابلي[*]، 1998، 2001).

وعلى الطريق الذي فتحه الخطاب وعلم النفس الاجتماعي (بورتر وويذريل، 1987) جاء «رسم خريطة لغة العرقية»[**] كأول محاولة إمبيريقية ممنهجة للنظر إلى الآراء، والمعتقدات، والتوجهات («متحيزة» أو غير ذلك) ليس باعتبارها ظواهر قَبْلية تحتاج شرحا، بل بالأحرى كموارد يمكن للأعضاء، وعلى نحو مرن، أن يمتاحوها في الكلام، لكي ينجزوا فعلا اجتماعيا بلاغيا له مغزاه في السياق. وقد فتح ويذريل وبوتر (1992) الطريق لدراسة التوجهات باعتبارها «ممارسات تقويمية» (يقع إنتاجها على نحو مرن لمناسبات معينة - سبير وبوتر، 2000). وقد مهد الطريق أيضا لفهم مختلف تماما للخطاب السياسي. وبالنسبة إلى ويذريل وبوتر، فالخطاب ليس بطبيعته سياسيا، لكنه يصبح كذلك «في الجدال، وفي المناظرة، وعند التطبيق (ويذريل وبوتر، 1992، ص 139)»[10].

وعلى سبيل المثال، فقد بين تيليغا (2005، 2007) كيف يمكن أن يعاد تعيين أفكار نزع الشخصية ونزع البشرية عبر التركيز على الممارسة الاجتماعية العرقية والجوانب الخطابية للتحيز المفرط. وقد أوضح كيف أن الكلام عن الأقليات الإثنية (أقلية الروما في رومانيا) هو مؤسس لخطاب (يمكن أن يكون استئصاليا) يضع شعب الروما خارج نظام أخلاقي يوصف بأنه متحضر. وبين كيف أن التحيز المفرط الموجه ضد أقليات إثنية ليس نتيجة نزوع عميق لدى المتحدثين، بل هو أقرب إلى أن يكون ناشئا عن حِزَم وأنساق من التنظيم والتفسير الخطابي التي تتعامل مع شعب الروما باعتبار أنهم «ليسوا مثلنا».

(*) Tim Rapley أستاذ الألسنيات بجامعة لانكاستر البريطانية.

(**) Mapping the Language of Racism.

ولا يحاول المشـــتغلون بسيكولوجيا الخطاب أن يتبينوا إن كان المتحدث متحيزا «حقــا» أو لا، وإن كان تحيــزه صريحــا أو متخفيا وراء تمويهــات كلامه. فالمقاربة التحليلية من التحيــز تعالجه كشيء يمكن الانتباه إليه في طرائق مختلفة، في الكلام ذاتــه (ســبير وبوتر، 2000). والهــدف هو تجنب خلاصات مــن قبيل أن المتحدث هو بالأســاس متحيز، وإن كان يموه على تحيزه بطريقة كلامه، وأن التحليل بوسعه الكشــف عن معتقداته وتوجهاته الحقيقية (انظر إدواردز، 2003). وقد ســاعدت المقاربــة الخطابية عملية رســم خريطة إنتاج التحيز باعتبــاره ظاهرة من ظواهر الحياة اليومية؛ لأن من ينتجونه هم أعضاء في التفاعل الاجتماعي. وما يعد «عرقية» يجري إنتاجه بهذه الصفة، محليا وعلى نحو معقد، في الكلام.

فالعرقية ليســت بعدا سيكولوجيا يمكن تنسيبه لبعض الأفراد، وبالتالي، لا يمكن تنسيبه لآخرين. ويَأخذ تحليل التفاعل الاجتماعي باعتباره المدونات المحلية للجدال وممارسات التنظيم البلاغي لتفاعلات منتخبة. ويمضي تحليل خطاب العرقية في علم النفس الاجتماعي إلى ما وراء المســتويات الدلالية، والبراغماتية، والنحوية، والخبرية للتحليل الألســني والتأويل البســيط لإســتراتيجيات خطابية معقدة. وعلى ســبيل المثال، ووفقا لما صدر عن فان ديجك (1987) «يشــمل الكلام على الأقليات العرقية إســتراتيجيات وتحركات معقدة تهدف إلى تمثيــلات ذاتية إيجابية داخل التوصيف الســلبي العام للآخر» (ص 22). فعندما تطرح مســائل حساســة للنقاش، وعندما تكــون المعايــير الاجتماعية ميالة إلى الصرامة، يصبح إنقاذ مــاء الوجه ضروريا. وإذ يناقــش بيليغ (1988) فــان ديجك، فهو يذهب إلى القول بــأن افتراض تناقض بين التوجهات العرقية وإســتراتيجيات التفاعل يتعين النظــر إليه بوصفه تناقضا داخل التيــمات الأيديولوجية المخالفة التي يَمْتاحُها الناس. ويشــير بيليغ وآخرون (1988) إلى أن الفهم المشترك ملغز ولدى الناس تيمات متناقضة كجزء من مخزونهم المعرفي المشترك. ويجري تأكيد الطبيعة السجالية للتوجهات (العرقية)، حيث تمثل التوجهات تموقعات في مسألة مختلف عليها(بيليغ، 1996). ويتضمن السياق البلاغي والسجالي للتوجهات أن الناس سوف يبررون مواقفهم وينتقدون الرؤى المنافسة.

وركــزت فــروع أخرى، مــن فروع العمــل على الخطــاب، على إنشــاء الآراء، والتوجهات السياســية، والأيديولوجيات وإعادة إنتاجها (مثلا، بيليغ، 1991، 1998)

وعلى إدارة المقولات السياسية في الخطاب السياسي (مثلا، تيليغا، 2008، 2010). وتحقيق بيليغ عن كلام العائلات البريطانية عن العائلة المالكة البريطانية(1998) هو تحقيق مدهش عن الكلام العادي وما يمكن أن يكشفه بالنسبة إلى دراسة الآراء، والتوجهات السياسية، والأيديولوجيات. ويبين بيليغ كيف أنه، عندما دُعِيَت العائلات البريطانية للكلام على أعظم «عائلة» في البلاد، كانت هذه العائلات تتكلم عن نفسها. وكان سياق تقويمها للعائلة المالكة سياق نقاش عائلي، حيث تكون المقارنات، والمقابلات، والمجازات، والفكاهة عناصر للإيلاف السياسي(انظر الفصل السادس، فيما يتصل بالجوانب الخطابية في الإيلاف السياسي). ولا تتدفق الآراء، والتوجهات السياسية، والأيديولوجيات التي تعبر عنها العائلات البريطانية في شكل جاهز بل هي أقرب إلى أن تكون نتيجة لـ «حوار خلاق» بين أعضاء الأسر، دافعة بـ«المتحدثين إلى مدارات جديدة للكلام والتفكر»(بيليغ، 1996، ص 28).

ويطرح تيليغا (2008، 2010) تحليلات خطابية تفصيلية تعالج النزاعات المفهومية/ الخطابية المتنوعة حول المقولات السياسية في أوروبا الشرقية، مع تركيز خاص على الكيفية التي جرت بها مناقشة وتعريف «ثورة 1989» في رومانيا، فيما قدمته النخبة من تقارير ومحاولات لإنشاء تمثيل أيديولوجي للحدث، في متتالية من الأحاديث الاستذكارية. وبالتركيز على البلاغيات السياسية لرئيس رومانيا السابق إيون إيليسكو، بيّن تيليغا أنه ليس بوسع المرء أن ينجح في فهم الإنشاء المتبادل بين اللغة والسياسة، وكيف تعمل اللغة كنوع من الفعل الاجتماعي، إلا إذا ركز على اللغة المختَلَف بشأنها والمتصارَع عليها للهيئة السياسية (كونوللي، 1993، غاللي، 1956). وقد طرح وجهة نظر مقنعة في المطالبة بتحقيق مُفَصّل في الكيفية التي تستخدم وتُعَرّف بها، بالفعل، المقولات الاجتماعية والسياسية من قبل أناس في بيئات اجتماعية مختلفة، وكيف أن هذه الاستخدامات والتعريفات لها نتائج تمس إدارة المجادلات (العامة) وإنشاء مساندة لتمثيلات «مفضلة» لقضايا اجتماعية. ومقولة «الثورة» ليست عنوانا محايدا بالنسبة إلى أحداث 1989. فالمقولات الاجتماعية والسياسية تأتي مع عديد من الافتراضات المسبقة، والمعرفة المشتركة المستندة إلى مقولات، والصفات المؤطرة بمقولات.

ويذهــب تيليغا إلى أن المرء بحاجة إلى توجيــه انتباه حذر إلى الكيفية التي تُعَرَّف بها هذه المقولات، والاستخدامات التي تناط بها، في عدد متنوع من السياقات السجالية (بيليــغ، 1996). ويبين تيليغا كيف أن خطاب إيليســكو حول الثورة في رومانيا يجمع، بغير تبصر، بين الإحداثيــات والحدود في الدلالة التقليدية لـ «الثورة»، في محاولة لنزع الشرعيــة عــن التحديات المتصاعدة من المعارضة السياســية والجمهور الأوســع، فيما يتصــل بـ«الحقيقــة». وتفضي الطريقة التي اختارها إيليســكو لإدارة الجدل إلى رؤية للسياســة وللمحاسبية السياسية تسلم بداهة، وعلى أساس افتراض مسبق وغير نقدي، بالشروط والرهانات التي تحكم الجدل العام حول معنى ثورة 1989، والفعل السياسي، والمســؤولية، والحقيقة. فالمقولات والمفهومات السياسية ليست كونية؛ فهي محكومة بالنسبة إلى لغة وثقافة الهيئة السياسية.

وفي الاتجاه ذاته يمضي أغوسطينوس وآخرون (2011) مبينين كيف أن الاعتذار عن أشكال سابقة من الظلم هو ممارسة اجتماعية وخطابية مركبة، حيث يتوجه المتحدثون والجمهــور إلى قضايا متنوعة تتصل بالحقيقة (التاريخية)، والهوية، والعاطفة، والهوية الوطنية (انظــر أيضا لوكوتور(*) وآخرين، 2001). ويبرز تحليلهم لاعتذار رئيس الوزراء لســكان أســتراليا الأصليين كيفية اســتخدام رئيس الوزراء الأســترالي للعاطفة والمنطق لتقديــم خطابــه باعتباره اعتذارا سياســيا ولإدارة الجدل العام. فقد تحققت مســائل «التعاطف» و«أنســنة الآخر» عبر البنــاء الخطابي للعاطفة الجمعية، عبر الاســتخدام المرهف لمستويات مختلفة من التصنيف الذاتي والوطني.

ومــا يبينه كل مــن تيليغا وأوغســطينوس وزملاؤه هــو أن المقــولات والهويات الاجتماعية التي يســتدعيها المتحدثون يمكن اســتخدامها كأدوات سياسية إستراتيجية لإدارة الجدل السياسي. وكلاهما مؤيد لفكرة أن النزاع حول المقولات، والتحقق الخطابي لحالات ســيكولوجية، يؤمنان فضاء ســجاليا للتفاعل الســياسي. ويعالج كل من تيليغا وأوغسطينوس وزملاؤه اللغة السياســية باعتبارها شكلا مركبا من النشاط الاجتماعي، وباعتبارها ممارســة اجتماعية، وحزمات من تنظيمات متباينة من الأفعال الاجتماعية. ولا تظهر اللغة السياســية ولا تعيد إنتاج نفسها في فراغ. فهي تؤدي وظيفتها في سياق ســجالي، حيث المقــولات، والتصنيفات، والهويات «تصوغ ما نــرى وما لا نرى في العالم السياسي، في آن معا» (إيدلمان، 1977، ص 24).

(*) Amanda Lecouteur من جامعة أديليد الأسترالية.

وقد وضع علماء النفس المشتغلون بسيكولوجيا الخطاب أسس اتجاه تحليلي حاول أن يبين أن ما يدرسه المشتغلون بعلم النفس السياسي والاجتماعي، في الحقيقة، هو ظواهر تتأسس في التفاعل الاجتماعي وعبره (إدواردز، 2012، بوتر 2012). وتترتب على هذا نتيجتان: أولاهما، أن المشتغلين بسيكولوجيا الخطاب طرحوا بديلا عن - وتحويلا لـ - الدراسة السيكولوجية الاجتماعية لموضوعات علم النفس، من دون اعتماد على الافتراضات الإدراكية الاجتماعية التقليدية التي يشتمل عليها قسم كبير من علم النفس الاجتماعي القائم. وعلى سبيل المثال، ففكرة «الإدراك» (انظر، بين آخرين، أنتاكي 2006، إدواردز 2006، تي مولدر وبوتر 2005) تعالج باعتبارها إنجاز المشاركين في الكلام وليس كشيء سابق الوجود، يؤدي اختيارات اللغة والحالات العقلية ويقررها سلفا. وليس هناك افتراض قائم بالنسبة «إلى ما يدور» في رؤوس المشاركين، لكن الإدراك، والعاطفة، والحالات العقلية هي أمور يُنْظَر إليها باعتبارها قابلة للفحص وقابلة للتحليل العلنيين في التفاصيل اليومية أو في الكلام المؤسّسي وعبرهما. وتؤكد سيكولوجيا الخطاب أهمية اللغة بوصفها موضوعا للتقصي في ذاتها، وليس كممر إلى شيء يكمن وراءها. ومعظم الظاهرات السيكولوجية، التي درج علماء النفس على اعتبارها «حالات داخلية» هي ظاهرات تتمثل في نشاطات اجتماعية وتعد جزءا منها[11].

والنتيجة الثانية هي أن سيكولوجيا الخطاب قد انحازت للاستخدام المنهجي والصارم لسجلات التفاعل والسلوك الفعليين، ونظرت في الطريقة التي تؤمّن بها الموادُّ الطبيعيةُ[12] الوصولَ لتوجهات المشاركين وعروضهم. وسيكولوجيا الخطاب تقف على الخط الأمامي بالنسبة إلى الطريقة الجديدة في الاشتغال بعلم النفس الاجتماعي، القائم على تحليلات مدققة ونوعية لأمثلة فعلية للخطاب (بوتر 2012). ويغلب على المقاربات المعاصرة في علم النفس الاجتماعي والسياسي التركيز على السلوك البشري باعتباره، في الأساس، معتمدا على الهويات العقلية (المزعومة). وفي المقابل، فالمشتغلون بعلم النفس الخطابي ينطلقون من التفاعل الاجتماعي والممارسات الاجتماعية على المستويين اليومي والمؤسسي. ويعجز القسم الأكبر في علم النفس الاجتماعي والسياسي المعاصر عن أن يأخذ مأخذ الجد التفاعلات الاجتماعية والممارسات الاجتماعية التي يموقع الفاعلون الاجتماعيون داخلها

سـلوكهم الاجتماعي والسياسي. وفي المقابل، فإن سـيكولوجيا الخطاب تؤكد الدور والوظيفة المركزيين لتلك الممارسات الاجتماعية.

وتذهـب سـيكولوجيا الاتصال إلى أن تنوع التفاعلات الاجتماعية والممارسـات الاجتماعيـة يمثل نظاما اجتماعيا مركبـا وظرفيا. وقد تحرك علم النفس السـياسي مبتعـدا عن دراسـة التنظيـم المعياري للتفاعـل الاجتماعي والحيـاة الاجتماعية، والاسـتخدام المنهجي لسجلات الفعل البشري في الواقع (الكلام والنص). والإمكانات التي تتيحها سـيكولوجيا الاتصال لدراسة السياسـة، لكل من علماء النفس وعلماء السياسـة، هـي إمكانات لا نهاية لهـا. وعوضا عن جمع الملاحظـات عبر المقاييس أو الهيـاكل التجريبية، وغالبا ما يكون ذلك محاولة لاختبـار النظريات أو النماذج المعرفية، فقد أصبح الهدف توليد سجلات خطابية لمجالات بعينها (ودراسة تنظيمها الخطـابي) ـ التفاعل في المقابلات الإخبارية، اللجان، الخطابات السياسـية، الدلالات الشائعة بين العامة عن السياسة كما تعبر عنها المجموعات البؤرية، على سبيل المثال ـ وهو ما يمكن اسـتخدامه، بالتالي، لتوليد مزيد من الفرضيات ولدراسـة ظاهرات سياسية أخرى.

والعائـلات التي تتحدث عـن العائلة المالكـة، والأغلبيات التـي تتحدث عن الأقليات، والاعتذارات الوطنية والخطابات السياسـية التي تناقش مقولات سياسية، ليست سوى بعض الأمثلة على كيفية استخدام سيكولوجيا الخطاب في دراسة اللغة السياسـية. وكل هذه الإعدادات والسياقات هي مصادر ثرية لبيانات طبيعية تمكن المرء مـن فحص قضايا مهمة، تتصـل باللغة السياسـية : أولا، ملامحها البراغماتية والألسـنية؛ ثانيا، دورها الرابط والتأسـيسي في الممارسـات الاجتماعية الأوسع، وفي تصـور للفعل الإنسـاني والاجتماعـي لا يعالج اللغـة باعتبارها بعدا هامشـيا أو إبيفينومينيا(*). ويحض المشـتغلون بسـيكولوجيا الخطاب المشتغلين بعلم النفس السياسي على تفحص «السطح الغني» للغة وللتفاعل الاجتماعي (إدواردز، 2006). والبحث في اللغة السياسـية باعتبارها شبكة من التمثيلات العقلية سوف يؤدي، لا محالـة، إلى معالجة الخطـاب، بوصفه تعبيرا عن حـالات ومخططات معرفية. وفي

(*) epiphenomenal ظاهرة ثانوية تصحب ظاهرة أخرى هي سـبب وجود الظاهرة الثانوية، ويشـار بهذا اللفظ تحديدا إلى ظاهرات عقلية ثانوية تتسـبب بها ظاهرات مادية تكون سـببا للظاهرات العقلية الثانوية التي لا يترتب عليها أثر سببي.

المقابل، فما تطرحه سيكولوجيا الاتصال هو أن تُفْحص اللغة السياسية باعتبارها فعلا سياسيا أدائيا في تفاصيل تنظيمها الخطابي.

الخطاب السياسي - الشكل المركب للنشاط الاجتماعي

على رغم وجود كثرة من النقاط التي اختلف حولها المشتغلون بالتحليل النقدي للخطاب وسيكولوجيا الخطاب، المعنيين باللغة السياسية، فأهم ما في المقاربتين هو أن الخطاب السياسي شكل مركب من النشاط الإنساني/ الاجتماعي، يُدْرَس في ذاته. وقد دفع هذا الفصل بأن هذا التركيز يمكن أن يمثل اللب، إن لم يكن الأساس، لعلم نفس سياسي مائز ومبتكر. وقد أعرب بعض المشتغلين بعلم النفس السياسي، في وقت قريب إلينا، عن قدر من عدم الارتياح للاتجاه المتزايد في علم النفس الاجتماعي لأن يصبح «علما للتقارير عن الذات وعن حركات الأصابع»، وعن القلق بسبب الكيفية التي يختار بها علم النفس الاجتماعي أن يكشف دراسة السلوك، دراسة ما اعتاد الناس على فعله (انظر باومايستر وآخرين، 2007). ومضى علماء السياسة بالاتجاه ذاته، بالإقرار بأن علم النفس السياسي لا يسعه أن يكتفي بالاعتماد على نماذج إدراكية لفهم السلوك السياسي (كايندر، 2003).

ويمكن للتركيز على الخطاب كظاهرة من ظاهرات السياسة، تُدْرس في ذاتها، أن يحول المشهد الإمبيريقي والإبستمولوجي لعلم النفس السياسي. والبحث في اللغة السياسية، في ذاتها، يستلزم المطالبة (العودة للمطالبة) بمكانها في مركز دراسات علم النفس السياسي. ونقلة كهذه من شأنها إعادة تموقع علم النفس السياسي وإعادة تعريفه كعلم للممارسات الاجتماعية والسياسية. وسوف تبتعد به عما يكاد يكون تركيزا حصريا على العمليات والتحضيرات العقلية، وعن التنظيم العقلي، وعن الاعتماد الزائد على النماذج الإدراكية، والسيناريوهات التجريبية، والحالات المتخيلة، باتجاه دراسة السلوك الفعلي. ويمثل علم النفس السياسي المعاصر بنية أكاديمية مُمَأْسسة لدلالات تنطوي على قدرة على التأثير في الفكر والفعل السيكولوجيين والسياسيين، في اتجاهات بعينها، وليس في اتجاهات أخرى. وأولئك الباحثون الذين يكتفون بالاعتماد على أطر ومفهومات مكرسة/ تقليدية للتوصل إلى «حقائق» الحياة السياسية، وإلى «السيكولوجيا» وراء السلوك

السـياسي، وأولئك الذين يتصرفون من دون تفكـر، في حدود المناهج والمنهجيات المكرسة، لا يتاح لهم، بالحقيقة، سوى مفهومات ونماذج بحثية محدودة، وبطريقة مراوغة وغير ملحوظة.

والبحث في اللغة السياسية، في ذاتها، ليس مجرد مسألة رسم لخرائط «التشظي اللغوي» للحياة الاجتماعية والسياسـية. إنه مسألة الدور البنيوي والتأسيسي الذي تمارسـه اللغـة في الحياة الاجتماعية والسياسـية. وهذا موقف تترتـب عليه نتائج أوسع، بالنسبة إلى تحليل اللغة السياسية. فالتحليل ينتقل بدراسة المملكة الداخلية لـلإدراكات والعواطـف عند الفرد، باتجاه دراسـة تعبيرات خارجيـة عن الدلالات السياسية، والطرائق المعلنة والقابلة للتفسير، التي يقع بها إنشاء الحقائق السياسية، عندما نتحدث عن أنفسـنا وعن الآخرين، وعن الشؤون الداخلية والدولية، باتجاه دراسة الممارسـات الخطابية التي تؤسس، وتُفَعّل، وتعيد إنتاج السياسة، والدلالات السياسية، والحقائق السياسية.

وبوسـع كل من التحليل النقدي للخطاب وسيكولوجيا الخطاب، مع تركيزهما المستدام على الصوغ والتأسيس المتبادلين بين اللغة والسياسة أن يؤمنا بديلا مبتكرا لتوصيف وفهم العلاقة بين الممارسـات اللغوية، والفعل السياسي، والواقع. وبتبيان الكيفية التي تتأسـس بها اللغة السياسـية، عبر سلسـلة من الإنجازات والصياغات الأيديولوجيـة، يمكن لحِزَم الممارسـات الخطابية المنظمـة اجتماعية، الموجهة نحو الفعل، أن تُيَسِّر وتثري دراسة العلاقة المحملة بالدلالات بين العمليات السيكولوجية والممارسات السياسية.

8

البلاغيات السياسية

الخطاب السياسي وأهمية البلاغيات

ناقش الفصل السابق العلاقة بين الخطاب والسياسة. وقد رسم صورة عامة للمساهمات المهمـة والمبتكرة مـن التحليل السـياسي في الألسـنيات وعلم النفس الاجتماعي لدراسـة اللغـة السياسـية. وفي هـذا الفصل تتوسـع الدراسـة لتشـمل الكيفيـة التي قـارب بها المشتغلون بعلم النفس السياسي والاجتماعي، تقليديـا، قضية الاتصالات المُقْنِعة، مع تقديم بعـض الأمثلة عـلى الكيفية التـي يعالجون بها اللغـة والبلاغيات. وتشـمل بقية الفصل تحليلا خطابيـا لمظهرين منتخبين من مظاهر البلاغيـات السياسـية: اسـتخدام المجـازات والتماهـي مـع الجمهـور. ويختتـم الفصل بمناقشة المهمة البالغة الحيوية للتحرك باتجاه

«لـكي يتحقـق الفهـم والتحليـل الكامـلان والمخلصـان لطبيعـة اللغة السياسـية المعـاصرة، فلا بد للمـرء مـن أن ينتقـل مبتعدا عن نظريات ونمـاذج الإدراك ومعالجة المعلومات، ليكون أقرب إلى المنظور الألسني، والبلاغي والخطابي..»

علم نفس سـياسي حقيقي معني بالبلاغيات السياسية، بربطـها بدراسـة مفصلة لـ «الاستخدام» العمومي(*) للغة.

وقد يكون بديهيا أن نؤكد أنه في السياسـة، كـما في غيرها من مجالات الحياة الاجتماعية، فـإن الالتزام والمناظرة البلاغيين عنـصران ضروريان. ويمكن القول إن الأهمية السياسـية للبلاغيات وللحوار هي موقف لا يحتـاج، غالبا، إلى تبرير. وما يحتاج تبريرا بالفعل هو طريقة الإنسـان في التفكير بالبلاغيات والحوار، ومقاربته لهـما، إمبيريقيا. ويحيل مصطلح «البلاغيات السياسـية» على كل من الطرق التي يحاول بها السياسـيون إقنـاع جماهير متباينة، وكذلك الدراسـة (الأكاديمية) لمثل هذه البلاغيات (انظـر بيليغ، 2003؛ كوندور وآخرين، تحت الطبع). وتأتي مقاربة هذا الفصل من البلاغيات السياسـية بروحية كان أرسطو (ترجمة 1909) أول من انتصر لها. وهي روحية تحليلية، حيث يكون التركيز على اكتشاف «الوسائل المتاحة للإقنـاع في كل حالة» (ص5). ويشـير هذا الفصل إلى أن ظاهرة الإقناع السـياسي «تستدعي مقاربة سيكولوجية تكون هي نفسها ضاربة بجذورها في دراسة البلاغة (بيليغ، 2003، ص 223).

وهناك افتراض ذائع على نطاق واسع بأن الخطاب السياسي هو استخدام اللغة بطرائق يميل البشر، بوصفهم حيوانات سياسية، إلى اعتبارها «سياسية» «(تشيلتون، 2004، ص 201). والمشـكلة الوحيدة في تعريفات من هذا النوع للخطاب السياسي هي أنها تعريفات دائرية(**). فهي تبدأ وتنتهي مع «الحيوان السـياسي» مؤسسة، وعلى نحو تطوري، تطابقا/ علاقة مباشرة بين الطبيعة البشرية والخطاب السـياسي. غـير أنـه من الممكن الجدل حول ما إذا كان هنـاك شيء صُلْبي inherent في هذه العلاقة. فالربط بين الطبيعة الإنسـانية واللغة والسياسة أمر ضروري ووظيفي، غير أنه يكـون، في بعض الأحيان، غير متوقع، وغير واضح بالمرة (موسـكوفيسي، 1988؛ بيليـغ، 1987). ولكي يتمكن المرء من الحديث عن «الخطاب السـياسي» فلا بد له مـن فكرة ما عن الكيفية التي يتعرف بها الناس على الأشـياء والخصائص باعتبارها

(*) Public أي الاستخدام ذو الصلة بالجمهور وبالتواصل معه وليس الاستخدام ذا الطابع الشخصي.

(**) circular التعريفات الدائرية هي تلك التي تسـتخدم المصطلح المطلوب تعريفه كجزء من التعريف أو تلك التي تفترض في قارئ التعريف معرفة مسبقة بما يجري تعريفه.

«سياســية»، وأيضـا على ما يكمن وراء عملية التعرف هــذه (أو ما يصحبها)، وهنا يتعين على المشتغلين بعلم النفس السياسي أن يقولوا أشياء كثيرة.

وكما بين الفصل الســابع، يمكن للخطاب السياسي أن يوصف كشكل مركب مــن النشــاط الاجتماعي. وبالنســبة إلى البعض هو تعبير عــن تعقيد معالجة المعلومات (ســودفايلد(*) وآخــرون، 2001؛ تيتلــوك، 1984)، أو تكوين انطباع سياسي وإدارته (ماكغرو، 2003)، أو التفسيرات السياسية المُرْضية وغير المُرْضية التي تصدر عن السياســيين (ماكغــرو، 2010)، أو التأثير المتبادل بين الألســني والبراغــماتي (فــيركلاو 2010؛ ووداك 2011)، أو العنــاصر والخصائص البلاغية والخطابيــة (بيليــغ، 2003؛ تيليغا، 2008، 2010). وبوســع المرء أن يضع هذه الاهتمامــات في متوالية تحولية(**)، من المدخلات المعلوماتية وتركيب المعالجة الإدراكية إلى خصائص لغويــة، وبلاغية، وخطابية للخطاب. وعندما يقع التركيز على نماذج «المدخلات - المخرجات» المعلوماتية، فإن الأســئلة المتصلة بالخطاب الســياسي تتخذ الشــكل التــالي: «متى يعلــو الخطاب الســياسي على الصخب المعلومــاتي للحياة المعــاصرة لدرجة تكفي لأن تجعل المواطنــين ينتبهون إليه؟ وأي أنماط المعلومـات السياســيــة يحرك الفكر أكثر من غيره؟» (قارن مع تابر، 2003، ص 446).

وعندمــا يكــون التركيز عــلى البلاغيات تميل التســاؤلات إلى التأكيــد على أمور مختلفة: ما الذي يجعل الخطابات / الرسائل مقنعة؟ وكيف يجري إنشاؤها؟ وما هي الخصائص البلاغية اللافتة إلى الانتباه أكثر من ســواها؟ وما وظيفة «كلمات بسيطة» مــن قبيل «نحن» و«هم»؟ وعلى نطاق أوســع كيف يمكن تحليل التفكر الســياسي عنــد الناس وفهمه بفحص الخطاب الســياسي؟ وتميل الأســئلة المتصلة بـ «مدخلات المعلومــات» و«المعالجات الإدراكيــة» إلى التركيز على «متى» (الــشروط، الكوابح) وعلى «ماذا» (المحتوى) المتعلق بالاتصال والإقناع السياســيين. أما الأســئلة المتصلة بـ«البلاغيات» فتركز على «كيف» (الفعل الاجتماعي)، أي إنها تركز على كيفية تنظيم اللغة بلاغيا لإحداث تأثيرات بعينها، وعلى الكيفية التي تُنْجَز بها الأفعال الاجتماعية،

(*) Peter Suedfeld أستاذ وباحث كندي/ أمريكي/ هنغاري في علم النفس.

(**) continuum متتالية متصلة لا يكون الاختلاف واضحا بين عناصرها المتجاورة لكن طرفيها متمايزان تماما.

باستخدام مختلف الموارد الخطابية/ الثقافية. وقد نشأت الأسئلة من النوع الأخير عن «طريقــة في أداء» علم النفس أفضت، هي ورؤى نقدية أخرى في العلوم الاجتماعية لهــا جذور في الألســنيات والنظرية الاجتماعية، (فــيركلاو 2010؛ ووداك، 2011) إلى تجديد الاهتمام بالبلاغيات واســتخدام اللغة (بيليغ، 1987، 1996؛ إدواردز، 1997؛ بوتر، وويذريل، 1987؛ ويذريل وبوتر، 1992؛ وانظر أيضا الفصل السابع).

انظر، مثلا، مقتطفا من محاضرة باراك أوباما وهو يتلقى جائزة نوبل في ديسمبر 2009 في قاعة مدينة أوسلو بالنرويج:

> عززت خدمات رجالنا ونســائنا ذوي البزات الرسمية وتضحياتهم السلام والازدهار، من ألمانيا إلى كوريا، ومكنت الديموقراطية من أن يكون لها مكانها في مناطــق مثل البلقان. وقد نهضنا بهذا العبء، ليس لأننا نســعى إلى فرض إرادتنا. لقد فعلنا ذلك مدفوعين باهتمام مســتنير بالذات- لأننا نســعى وراء مستقبل أفضل لأطفالنا وأحفادنا، ونحن نعتقد أن حيواتهم ستكون أفضل إذا تمكن أطفال الآخرين وأحفادهم من العيش في حرية وازدهار.

ويمكــن النظر إلى الكلــمات الحكيمة التي نطق بها باراك أوباما عن السياســة الخارجية الأمريكية باعتبارها انعكاســا لرؤية للسياســة، حيث تكون السياسة هي نفســها الفاعل والمحرك لتحولات نظام المجتمع. وفي هذه الحالة، فإن سياسات أمة مــا هي الفاعــل والمحرك لتحولات في النظام العالمي. ولــكي يحقق أوباما هذا الأثر البلاغي يتعين عليه أن يموضع نفســه على نحو يجعلــه يتحدث من داخل مجتمع السياســيين العقلانيين الذين تتجاوز اهتماماتهم مصالح مجتمعه. ويمكن النظر إلى الرئيــس أوباما باعتبــاره منخرطا في محاولة للإقناع الســياسي، مدافعا عن الحروب الإنســانية للولايات المتحدة ومبررا إياها. ولكي يحقق ذلك فهو بحاجة إلى أن يثبت أنه يعرض «شــخصية» ديموقراطية معينة (وهو يفعل الشيء نفســه بالنســبة إلى السياســات التي يدافع عنهــا)، هو بحاجة إلى وضع جمهــوره في إطار عقلي معين (بالإحالة على اهتمامات للذات الوطنية تخدم أمم العالم) وإلى طرح حجج عقلانية وملموسة لمساندة التوجه العام لقضيته السياسية. ويجسد أوباما الوطنية والواجب بطريقة اتبعها زعماء أمريكيون وبريطانيون آخرون في الماضي.

ولا مجال للشك في ما يحيل عليه الضمير «نحن». واستخدام التعبير «رجالنا ونساؤنا ذوي البزات الرسمية» يسعى إلى تأسيس علاقة بين ممثل الأمة وجمهور متخيَّل يشاركه الاهتمامات السياسية نفسها. وهناك أيضا تمييز واضح بين «نحن» (الأمريكيين) و«هم» (الآخرين، معينين وغير معينين). وإن كان ما يدور حوله الجدل هو الفعل السياسي من نوع معين («التدخل الإنساني») فإن «نحن» (الأمريكيين) تشير إلى الفاعلين والمحركين لذلك الفعل؛ والأمم «الأخرى» هي المتلقية لهذا الفعل؛ هي المتلقية فيما يتصل بالأهداف النبيلة التي لدينا «نحن» (انظر بيليغ، 2003، لمناقشة موسعة حول بلاغيات «نحن» و«هم» في الخطاب السياسي). وهكذا، فسياسات الاهتمام بالذات تصاغ، وطنيا، على نحو يحقق توافقها مع سياسات التضحية بالذات عالميا.

وتبدو عبارة «اهتمام مستنير بالذات» كرمز سياسي مجرد يُشَرْعن السياسة الخارجية الأمريكية عبر الأزمان. فباختياره للضمائر واستخدامها يشير أوباما إلى التمييزات السياسية ويوظفها خطابيا. وتختلط في رسالته السياسية بلاغيات القوة ببلاغيات التضامن (براون وغيلمان، 1960). وهو يعتمد على الضمائر المتباعدة («نحن» مقابل «هم») لتوصيل رسالة سياسية عن التضامن. وتنشأ الحاجة إلى التمييز بين «نحن» و«هم» حتى يتسنى للفعل السياسي والتضامن أن يحدثا أثرهما. ومن دون ذلك فلا وجود لسياسات تدخل ولا لإقناع. فما هي الوظيفة الاستراتيجية لاستخدام أوباما للغة؟ هل هي إنتاج رؤية مشتركة حول قيم مشتركة وأساسية، كجزء تكويني تأسيسي من مخزون الجمعية وشرعنة الفعل السياسي (التدخل الإنساني)؟ يمكن القول إن أوباما يخاطب ما هو في صميم السياسة المعاصرة: إقناع الآخرين بمشاركته في تبني رؤية مشتركة حول ما هو عالمي أو خاص، خيّر أو فاسد، مسموح به أو غير مسموح به. وكما يبين لنا التاريخ، يمكن استخدام محاولة كهذه لغايات تقدمية ومحافظة، في آن معا.

الاتصالات المُقْنعة

تعد بحوث علم النفس الاجتماعي المرتبطة بالقول المأثور الشهير: «من يقول ماذا ولمن وبأي تأثير» المحاولة المنهجية والشاملة الأولى لفهم العلاقة بين المتَّصلين

(المصادر) والاتصال (الرسالة) والجمهور (المتلقين) (هوفلاند(*) وآخرون، 1953). وعندمـا وافق هوفلاند على أن يعمل لـدى وزارة الحرب الأمريكية قرابة نهاية الحـرب العالمية الثانيـة، كانت البروباغاندا الألمانية مثـالا حيا على كيفية إقناع الجماهير بالالتفاف حول هتلر ومساندة المجهود الحربي. وقد أثارت البروباغاندا (وتأثيراتهـا) قلق الحكومة الأمريكية، وأرادت أن تـرى كيف يمكن للبروباغاندا (خاصة في شكل الأفلام السينمائية) أن تقنع الجنود الأمريكيين بالنظر في احتمال ألا تكون نهاية الحرب قريبة كما كانوا يتمنون. وسرعان ما تحولت المسـألة التي بدأت عملية وسياسـية إلى برنامج سيكولوجي للبحث في جامعة ييل، استهدف اكتشاف «القوانين العامة للإقناع».

وعلى سـبيل المثال، فقد تبين أن الخبراء أكثر إقناعا من غير الخبراء (هوفلاند وفايس، 1952)(**)، وأن ممارسي الاتصال الشعبيين والجذابين بدا أنهم أكثر تأثيرا من غير الشـعبيين وغير الجذابين (كايسلر وكايسلر، 1969). وقد لوحظ أن المرء يسهل إقناعه إذا تصور أن الرسالة لا يقصد بها تعمد الإقناع أو التوجيه (والْستر وفيسـتنغر، 1962)، وأن الناس الذين تدنى لديهم احترام الذات يسـهل إقناعهم أكـثر من النـاس الذين لديهم احترام كبـير للذات (جانيـس، 1954)(***)، وأنه عندما تكون الرسالة بسيطة يكون الناس أكثر قابلية للإقناع عندما يجري تشتيت فكرهـم أكثر منهم عندما يكونون كاملي الانتباه (آلين وفيسـتنغر). وقد انصب التركيز على أنه يمكن زيادة الإقناع برسـائل تثـير الخوف لدى المتلقين (ليفينتال وآخرون، 1965)، رغم أن النتائج جاءت مختلطة (انظر جانيس وفيشباك، 1953؛ ليفينتال وآخرين، 1967).

وكما يقول بيليغ (2003؛ وانظر أيضا بيليغ، 1987) فإن دراسـات ييل حول الإقنـاع «مالـت إلى افتراض وجود انفصـال بين المتغيرات المسـتقلة أو البلاغية وسـيكولوجية المتلقين» (ص 24). وعلى الرغم من ذلك، فقد طرحت المقاربات

(*) Carl I. Hovland (1912 - 1961) الباحث الأمريكي الرائد في دراسات الاتصال بجامعة ييل.

(**) Walter Weiss باحث في الاتصال زامل هوفلاند في جامعة ييل الأمريكية.

(***) Irving Lester Janis (1918 - 1990) الباحث في علوم الاتصال بجامعة ييل.

الأخرى، مثل نظرية اللقاح(*) عند ماغواير (1964) ونماذج المسار المزدوج للإقناع عند بيتي(**) وكاتشوبّو (1981، 1984)، رأيا مفاده أن العلاقة بين الرسائل والمتلقين يمكن تصورها باعتبارها شكلا من الحوار البلاغي أو السجالي. وقد بدأ ماغواير بالمشكلة العملية المتصلة بغسيل أدمغة الجنود الأمريكيين الذين وقعوا في الأسر، في الحرب الكورية. وقد حاولت التجارب التي صممها وأجراها (آندرسون وماغواير، 1965؛ ماغواير وباباجورجيس، 1961)(***) أن تبرهن على أهمية «اللقاح» التوجيهي كتقانة لمقاومة الإقناع. وبيّن ماغواير كيف أنه بتزويد المشاركين في تجربته بجرعات صغيرة من الحجج يمكنهم بناء «دفاعات» أقوى في مواجهة الحجج المضادة. وفي بحوث ماغواير تكون المحاجة مميزة لعمليات التفكر الداخلية لدى المتلقين. وبالتخليق النشيط للحجج المضادة أو استشرافها، فقد بنى المشاركون الدفاعات. وتعين على المتلقين عند ماغواير أن يتخيلوا ويتدربوا على أداء جانبي السجال.

ويمتاح نموذج المسار المزدوج عند بيتي وكاتشوبّو (1981، 1984، 1986) تطورات سيكولوجيا الإدراك للنظر في الكيفية التي يؤدي بها المصدر والرسالة أدوارا محددة بدقة، وكيف أنه، بالتحفيز وبمقدار الجهد الإدراكي المبذول في الرسالة، يمكنهما تقرير نتائج محددة لمحاولات الإقناع. ووفقا للنموذج، فعندما يجري تحفيز الناس على الانتباه إلى رسالة ما والتعامل اليقظ معها، فمن الأرجح أن يتبعوا مسارا مركزيا لمعالجتها. وعندما يتراجع الانتباه (والتحفيز) ويتكاسل الناس، إدراكيا، فمن الأرجح أن يسلكوا مسلكا هامشيا.

والمسلكان إلى الاقتناع، اللذان اقترحهما بيتي وكاتشوبّو، يتسقان مع «التمييز في البلاغيات الكلاسيكية بين الإقناع بالمحتوى والإقناع بالشكل» (بيليغ، 2003، ص224).

(*) inoculation theory وتقوم على إمداد المتلقّين بمعلومات تزيد من قدرتهم على مقاومة الاقتناع بما يلقى إليهم، بعد ذلك، من معلومات.

(**) Richard E. Petty أستاذ علم النفس بجامعة أوهايو وJohn Terrence Cacioppo أستاذ علم النفس بجامعة شيكاغو وهما من ابتكرا نماذج المسار المزدوج للإقناع dual - process models of persuasion التي تقوم على فرضية مفادها أن مستويات التحفيز والقدرة تقرر ما إذا كان الاقتناع يتحقق بقوة التلميحات والتوجيهات أو بقوة الحجج التي تسوقها الرسالة الإعلامية، وهو ما يقرر، بدوره قوة المواقف التي تترتب على الرسالة وقدرتها على البقاء.

(***) Panagiotis Papageorgis من الجامعة الأوروبية في قبرص.

وقد كان الإعلان، لا السياسـة، المسـتخدم الرئيسي لنماذج الإقنـاع. وتظهر الصعوبة عندما يحاول المرء تطبيق هذه النماذج على السياسـة المعاصرة. ولا يسـهل وضع التمييز الذي اقترحه بيتي وماغواير، بين الشـكل والمحتوى، على خريطة البلاغيات البصرية والشـفاهية المعقدة في السياسـة المعاصرة، التي تسمح للأفراد بأن يتركوا حوافزهـم وانتباههم يطفوان، وتشـتغل على تمييزات أكثر رهافـة وأقل إحكاما. والاشـتباك مع السياسة المعاصرة ودراستها أقرب إلى سـيكولوجيا غشتالتية(*) عن الجزئيـات والكليات منهـا إلى التمييز الصارم بين الشـكل والمحتوى. وهناك أيضا أسـاليب وأشـكال مختلفة للسياسـة، فالمخاتلات الحوارية الرسمية وغير الرسمية في السياسـات المتلفزة، ورسـميات وطقوس المناظرات البرلمانية تطرح مشـكلات بخصوص التمييز التقليدي بين الشـكل والمحتوى. ووفقا للسياق، فإن «الشخصية» التي يحرص المتحدثون على الظهـور بها (الروح أو الخاصية المميزة)(**) تكف عن كونهـا أمرا هامشـيا وتصبح عنصرا مركزيـا، وبخاصة بالنسـبة إلى أولئك المراقبين السياسـيين الذين يعرفون أين يتعـين عليهم النظر، ومن ومـاذا يتعين عليهم أن يرصدوه. وفي الوقت نفسـه، الحجج التـي يطرحها المتحدثون (الكلمة)(***) يمكن أن تبهت وتتراجع إلى الخلفية.

ولا تطلع علينا المشكلات السياسية المعقدة حاملة على ظهورها لافتات بأسمائها، والأمر متروك للمواطنين/المشـاهدين ليسـتخلصوا المغزى مما يجري. ويمكن للروح ethos والعاطفـة pathos والكلمةlogos، العناصر الثلاثة في البلاغة الكلاسـيكية، أن تنتقل من الخلفية إلى المقدمة، وتصعد من الجزء إلى الكل. وعلى سـبيل المثال، الانتخابات الرئاسـية تتفاوت فيما بينها في المعدلات بين الروح، والعاطفة، والكلمة، كما تتفاوت في التمظهرات السياسـية الأخرى الأكثر تعقيدا. وقد احتوت مناظرات تلفزيونية بين قادة أحزاب رئيسية ثلاثة، مثل تلك التي دارت في 2010 بين غوردون

(*) Gestalt psychology أو gestaltism وهي نظرية العقل في مدرسة برلين، التي تحاول فهم القوانين التي تحكم قدرتنا على اكتساب مدركات ذات دلالة والاحتفاظ بها في عالم يبدو هيوليا.

(**) ethos.

(***) logos لأن النص الأصلي أورد هذه الكلمة في غير صيغة اسم العَلَم فالدلالات التوراتية مستبعدة، خاصة أن اشـتغال المؤلف بعلم النفس يرجح أنه يقصد اللوغوس كما يرد في علم النفس التحليلي عند كارل يونغ: مبدأ العقل أو الرأي المرتبط بالحافز.

بـــراون وديفيد كاميرون ونيك كليـــغ، في المملكة المتحدة، العنـــاصر الثلاثة جميعا، بدرجة اختلفت عن المناظرة الشرسة حول غزو العراق، مثلا، في مجلس العموم.

التركيب الإدراكي التكاملي

وتقـــوم نماذج ماغواير وبيتي وكاتشـــوبّو على افتراض أن التفكير يمكن أن يكون بلاغيـــا، من حيث طبيعتـــه التكوينية. وقد حاولت نظريات أخـــرى في علم النفس الســـياسي والاجتماعـــي أن تنظر في العلاقة بين الشـــخصية وبنية الإدراك وأســـلوب الإدراك، عنـــد النظر في البلاغة السياســـية. وســـوف يكون التركيز هنـــا على نظرية التركيب التكاملي، كما طورها تيتلوك، ســـودفايلد وزملاؤهما (ســـودفايلد وآخرون، 1992؛ سودفايلد وآخرون، 2001).

وغالبا ما يقع النظر في التركيب الإدراكي وفق طرائق مختلفة لمعالجة المعلومات[1] وبحسب تعبير تيتلوك (1983، ص 119 - 120)، فنظرية التركيب التكاملي تركز على

> التمييـــز والتكامـــل الإدراكيـــين للمعلومـــات. ويحيل التمييز عـــلى العديد المتنوع من الجوانب لمســـألة يدركها شخص ما... وقد يدرك سياسي أكثر حنكة أن للسياسات تأثيرات متعددة، وأحيانا متضاربة، لا يسهل تصنيفها وفق بعد تقويمي واحد: تأثيرات على الدوائر السياســـية المتباينة، وعلى مختلف مؤشرات الاقتصاد، والموقـــف الدفاعي، واســـتراتيجيات حلفاء المرء وخصومـــه. ويحيل التكامل على تطوير صلات مركبة بين خواص متمايزة. ويتوقف تركيب التكامل على ما إذا كان الفـــرد مدركا لكون الخصائص المتمايزة تعمل على نحو منعزل (تكامل متدن)، أم في أنساق بسيطة (تكامل متوسط)، أم في أنساق متعددة ومركبة (تكامل مرتفع).

وتركز بحوث «التركيب الإدراكي» على خطاب النخبة السياسية- جماعات مختلفة من اللاعبين السياســـيين: رؤســـاء أمريكيين (تيتلـــوك، 1981 ب)، أعضاء في مجلس الشـــيوخ الأمريـــكي (1981 أ، 1983)، أعضاء في مجلس العمـــوم البريطاني (تيتلوك، 1984)، خطابات في الجمعية العامة للأمم المتحدة، حول الشرق الأوسط (سودفايلد وآخـــرون، 1977)، قادة الشرق الأوســـط إبان أزمـــة الخليج (ســـودفايلد وآخرون، 1993) رؤســـاء الوزارة في كندا (سودفايلد وآخرون، 2001) السياسيين السوفييت في ثمانينيات القرن الماضي (تيتلوك، 1985؛ تيتلوك وبويتغر 1989)، البلاغيات الأمريكية

والســوفييتية (تيتلــوك، 1988)، وبلاغيات نخبة من السياســيين، مثل بيل كلينتون (سودفايلد، 1994) أو ميخائيل غورباتشيف (والاس وآخرون، 1996).

وعلى ســبيل المثال، فقد نظر تيتلوك (1983) إلى الخطابات التي ألقاها أعضاء مجلــس الشــيوخ في الكونغرس في 1975 و1976. وقد جــرى ترقيم المادة المجمعة من الأرشــيف برموز تشــير إلى التركيب التكاملي على أساس «التمايز» و«التكامل». وخلص تيتلوك (1983، ص 122) إلى أن:

> كلا مــن الليبراليين والمعتدلين قدم بيانات سياســية أكــثر تركيبا مما قدم المحافظون...ولم يكن هناك اختــلاف يمكن التعبير عنه إحصائيا بين الليبراليين والمعتدلين...وقــد أظهــر الجمهوريــون ميــلا إلى أن يكونوا أقــل تعقيدا من الديموقراطيــين... تبين أن الأيديولوجية السياســية هي المــؤشر الوحيد، الذي يعتــد به، إلى التركيب التكاملي. ويميل الشــيوخ الأكثر ليبراليــة إلى أن يكونوا أكثر تركيبا.

وأضــاف تيتلــوك تعديلا – وهو بالــغ الأهميــة، وإن كانــت نتائجه قد جرى تجاهلهــا – «قــد لا تعكس البيانات السياســية الأقــل تركيبا، التي يلقيها الشــيوخ المحافظون، تنوعا في الأســلوب الإدراكي، بقدر ما تعكس التنوع في الأسلوب البلاغي، (ص124). أما بالنســبة إلى تيتلوك، فالأســلوب البلاغي من وظائف الدور الســياسي (المعارضة مقابل أدوار صنع السياســات). وقد اختبر تيتلوك وزملاؤه (1984) فرضية الأسلوب الإدراكي مقابل الأسلوب البلاغي. وتبين أنه «حيثما أدى المعتدلون والليبراليون أدوار الســيطرة السياســية كانوا يظهرون قدرا من التركيب التكاملي يزيد عما يظهره المحافظون؛ وفي المقابل، عندما يؤدي المحافظون أدوار السيطرة السياسية فإن التركيب التكاملي عندهم لا يزيد عما لدى الليبراليين والمعتدلين» (1984، ص 988).

وعنــد تيتلــوك (1983)، وتيتلــوك وآخريــن (1984)لا يُفَــسّر التمييز بين البلاغيــات «البســيطة» والبلاغيــات «الأكــثر تركيبا» على أســس «بلاغية»، بل بالأحرى على أســس الإدراك / معالجة المعلومات. وعلى رغم أن تيتلوك لا ينفي أهمية ســياقات بلاغية بعينها، فإن نموذجه لا يأخذ بالحســبان السياق السجالي الذي تصدر فيه التفاسير السياسية، وتُنْجز فيه الأفعال البلاغية. وفي دراسة تنظر

في التركيب التكاملي للبلاغيات السياسية الأمريكية والسوفييتية (تيتلوك 1988)، تبين أن البلاغيات السياسـية عند ميخائيل غورباتشيف أكثر تركيبا من تلك التي كانت عند أسلافه[2] وقد شـاع النظر إلى «بلاغياته» باعتبارها «متسقة تماما مع الانطبـاع الـذي بدأ في التكوُّن حول غورباتشـيف في الغـرب، كزعيم براغماتي، وإن كان قويـا، متمتعـا بقدرة واضحة على المحاجاة لمصلحة سياسـاته بطرائق مرنــة ومعقولة» (تيتلـوك، 1988، ص 125). وتُختْزل بلاغيات غورباتشـيف في تحليـل بيانات منتزعة من سـياقها يمكـن، بعد انتزاعها من سـياقها، أن تقارن ببيانات أخرى لسياسـيين آخرين، على أسـاس بعدي التمييز والتكامل. ويختزل ثراء ورهافة اللغة السياسـية في بيانات يمكن، بسهولة، تصنيفها وفقا لإطار يقلل من قيمة (وقد يتجاهل) العمليات النشـيطة للاتصال (السياسي). ومن المتعارف عليـه أن «التركيب التكامـلي ينظر إليه، على نحو أكثر دقـة، كمقياس للمعرفة المسـتخدمة في حالة بعينها، وليس كمقياس للقدرة الذهنية أو الفهم» (تيتلوك، 1983، ص 125)؛ ورغم ذلك فلا مجال لدراسة هذا الأمر في سياق ظرفي للاتصال. ولا يبـدو أن هنـاك أهمية، داخل نظريـة التركيب الإدراكي، لمـا يفعله الاتصال السياسي ذاته ولا لما تبثه بيانات بعينها؛ فالمسألة محصورة في كونها مسألة أفراد يعالجـون المعلومات بطرائق تكاملية، إما أنها بسـيطة أو مركبة. وعلى رغم ما يبدو من أن التركيب التكاملي موجه نحو فهم العمليات السياسـية، فهو يطرح رؤية لا سياسـية للسياسة. ولا يبدو أن هناك اهتماما بتركيب الرسائل السياسية، ولا بعمليـة التماهي البلاغية مع الجمهـور. وعوضا عن ذلك، فالتركيب المزعوم للنظـام الإدراكي لمعالجة المعلومات لدى الفرد هـو الذي يقع في بؤرة الاهتمام. ومن الناحية السياسية هذه الأنواع من التحليل يمكن أن تُخفي أكثر مما تُظهر.

ومـن المتعـارف عليـه أن البحث في تركيـب معالجة المعلومـات لا بد له من «حساسية إزاء الوظائف التمثيلية والاستعمالية للغة معا» (تيتلوك وآخرون، 1984، ص 989)؛ غـير أن اللغة لا تُدْرس ولا تُعالَـج في ذاتها، ولا يكاد يكون هناك اهتمام بطبيعتهـا المشروطة والبلاغية[3]، وهنـاك إدراك طفيف لحقيقة أن اللغة هي التي تسـمح لنا بامتـلاك أيديولوجيات، وبالتعبـير عنها، وإعادة إنتاجهـا، لكن اللغة لا تعامَل إلا باعتبارها أداة شفافة للتعبير عن التوجهات والحالات الإدراكية.

تحليل الخطاب والبلاغيات السياسية

لم يظهر في أبحاث علم النفس الاجتماعي والسـياسي، التي تركز على الاتصالات الإقناعية وعلى تركيبيـة معالجة المعلومات، اهتمام خاص بالتفصيلات الخطابية في بلاغيات السياسـيين. وكما يقول بيليغ (2003)، وعلى نحو مُقنع، لكي يعثر المرء على الاهتمام المتواصل بالبلاغيات يتعين عليه أن يلتفت إلى تحليل المحادثة والخطاب.

ولتحليلات المحادثات في الاتصال السـياسي أهمية خاصة (آتكينسـون، 1984؛ كلايمـان وهيريتيـج، 2002؛ هيريتيـج وغريتباتـش، 1986)(*). وقـد حـاول جون ماكسـويل آتكينسون في «صوت سادتنا» 1984) Our Masters" Voice) أن يفهم التنظيم الخطابي للتصفيق. كيف يمكن للمرء تفسـير التنسـيق الدقيق الذي يحكم خطابات السياسـيين ورد فعل المستمعين؟ كيف يتواصل السياسيون مع جمهورهم لكي يحققوا تنسـيقا فوريا؟ وقد لاحظ أن السياسيين يستخدمون ما يسمى «مصائد التصفيـق» ليحصلوا على تصفيق مُنَسّـق. ولكي يفعل هـذا الأمر فعله، يتعين على السياسـيين، الذين يلقون كلماتهم، أن ينقلوا إلى مسـتمعيهم أن «رسـالة تستحق التصفيق في سبيلها إلى الوصول (آتكينسون، 1984، ص 50)؛

ولا بد لهم من إعطاء مسـتمعيهم إشارة تقول إن هذا موضع تكون فيه الاستجابة من الجمهور مناسـبة ومتوقعة. على سـبيل المثال، باسـتخدام «قائمة من ثلاثة أجزاء» (انظر جيفرسـون 1985) يمكن للسياسـيين أن ينقلوا إلى مستمعيهم أنهم بلغوا نقطة اكتمال يكون التصفيق عندها في محله. ولننظر في المقتطف من مؤتمر حزب المحافظين في 1980، حيث كانت رئيسة وزراء بريطانيا، آنذاك، مارغريت تاتشر تقدم نائبها.

مقتطف 1 *(من آتكينسون، 1984)*[4]

تاتـشر: أنا على أية حال (0.2) محظوظة للغايـة لأن معي (0.6) نائبا رائعا (0.4) هـو مثير للإعجـاب (.) في كل المواقـع (0.2) في كل الأوقات (0.2) في كل الأمور (0.2) .

ويلي هوايت [لو - - - - - - - - - - - - - - - - - (0.8)

الجمهور: [x - xxXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX xxx -x

(تصفيق)

(*) Steven E. Clayman وJohn Heritage أسـتاذا علـم الاجتـماع، جامعة كاليفورنيا، لـوس أنجلوس وDavid Greatbatch المتخصص في تحليل المحادثات بجامعة ديرام البريطانية.

لاحـــظ كيف أن القائمة مـــن ثلاثة أجزاء «في كل المواقـــع (0.2) في كل الأوقات (0.2) في كل الأمور»، يتبعها اســـم نائبها، استُخدمت لتوحي بنقطة اكتمال. ولاحظ أيضا، كيف أن تصفيق الجمهور يأتي مشتبكا مع نقله من جانبها.

وقد وثّـــق هيريتيج وغريتباتش (1986) أهمية التجهيـــز البلاغي(*) للخطابات بهدف الحصول على تصفيق منســـق. والمقابلات والقوائم ذات الأجزاء الثلاثة وحلّ الألغاز هي الأكثر شيوعا. ويتعين استخدام هذه الأمور على نحو صحيح، حيث يؤدي التوقيت، والتنغيم، والإلقاء دورا عظيم الشأن. فالتركيز ينصبّ على الشكل، والدقة، والطبيعة المنسقة للإلقاء والاســـتجابة. والخواص البلاغية للخطابات السياسية هي من خصائص الكيفية التي يقع فيها تنظيم الخطاب نفســـه (مســـألة تنظيم بلاغي ومهارات خطابية)، وإذا توافرت كل العناصر فإن الأثر يتحقق.

وتقانات تحليل المحادثة هي أيضا مناســـبة تماما لفهم التنظيم، الذي يمضي مع الخطاب السياسي، نقلة بنقلة، عندما يتعرض السياسيون للمساءلة «عن أعمالهم أو أقوالهم هم، أو عن أفعال/ بيانات المؤسسة التي ارتبطوا بها» (مونتغومري، 2008، ص262). والمقابلات السياســـية الإخبارية هي مـــن التكوينات ذات الصلة، ويتزايد اســـتخدامها للتعبير عن الآراء السياسية، وإثبات صلاحيتها والتفاوض حولها. ويمكن التفكر في المقابلات السياسية الإخبارية باعتبارها تكوينات يمكن للباحثين استخدامها لتفكيك «المحاسبية التفاعلية» للإجابة عن الأسئلة، بحسب تعبير كلايمان وهيريتيج، ما يعد «القاعدة الأساســـية للمحاسبية العامة للشخصيات العامة»(2002، ص235؛ وانظر أيضا هاتشبي، 2006)(**). ولا يتركز الاهتمام في دراسات تحليل المحادثة على طرح الافتراضات حول الحالات النفســـية للجمهور، أو حول «أمنيات» السياســـيين الذين يلقون الخطابات أو حول «رغباتهم» أو «نواياهم»، فالتركيز يكون غالبا على الشكل البلاغي أكثر مما يكون على المحتوى.

وقد حققت تحليلات الخطاب التي تستخدم تقانات التحليل النقدي للخطاب، خاصة تلك التي تمزج بين الألســـنيات والبراغماتيـــات والنظرية النقدية، وتلك التي

(*) rhetorical packaging هـــو تزويـــد الخطابات بمختلف الأدوات البلاغية اللازمـــة (التوقيت والتنغيم والإلقاء، مثلا) للحصول على التصفيق.

(**) Ian Hutchby أستاذ علم الاجتماع بجامعة ليستر البريطانية.

تطرح تحليلات اجتماعية- إدراكية للخطاب السـياسي، نقلة من التركيز على الشكل البلاغي إلى التركيز على المحتوى (ارجع إلى الفصل السابع من أجل مناقشة تفصيلية). أما بالنسـبة إلى الباحثين الذين يحاولون الدمج بين رؤى الألسـنيات والبراغماتيات والنظريـة النقدية، فـإن فهم وتحليل الخطاب السـياسي يتضمنان تحديد وتحليل عديد من الافتراضات المسـبقة، والتلميحات، والاستنتاجات والكلام المبطن المُفَعّلة في النصوص السياسية (ووداك، 2011) وإعادة التناص في السياسة، في الميديا وعبرها (فيركلاو، وفيركلاو 2001؛ شـافنر، 2010). ويركز هذا الفصل على الجانب السـابق، تاركا الجانب اللاحق للفصل التاسع.

وتقـدم روث ووداك (2011) مثالا بليغا وهي تناقش طرائق «عمل السياسـة» في أوروبا. ونورد هنا (انظر المقتطف (2) تقريرا عن تحليلها لخطاب رومانو برودي (كان رومانـو بـرودي رئيس اللجنـة الأوروبية من 1999 حتـى 2004) في البرلمان الأوروبي في العام 2000).

المقتطف 2

يتمثـل التحدي في ضرورة التفكير عـلى نحو راديكالي في طريقتنا في فعل أوروبـا. لكي نعيد صوغ أوروبا... إن تصرفنا بشـجاعة وحسـم معا يمكننا من صوغ أوروبا الجديـدة التي يريدها مواطنونا والتي ندين بها لأجيالنا المقبلة. أوروبا العادلة، الإنسانية، الاستيعابية، أوروبا المثيرة، النشيطة، المقدامة، أوروبا الجميـع. لنعمل معـا من أجل أن نجعل هـذا العقد عقد الإنجـاز والنجاح البارزين، عقدا يتذكره التاريخ باعتباره عقد أوروبا.

وبالنسبة إلى ووداك هناك سلسـلة من الافتراضات المسبقة في موعظة برودي. أولا: هناك تضمين للقول بأن «الأمور تسـوء» وإنه يتعين على الجميع أن «ينخرطوا في جهد مشترك لتحسين الأمور»(ووداك، 2011، ص29). والمقولة السياسية «أوروبا» يجري ربطها بعدد من المحمولات: «أوروبا الجديدة»، «أوروبا العادلة، الإنسـانية، الاسـتيعابية»، «أوروبا المقدامة». وثانيا، ففعل السياسـات الأوروبية يجري ربطه، ألسـنيا وبراغماتيا، بـ «مزيج مـن الأفعال والعمليات الماديـة والعقلية»(ص29): «فعل»، «تفكير»، «صوغ». وثالثا، فإن ووداك تلاحظ كيف أنه، لكي يتسـنى تفعيل

بلاغيات برودي السياسية الرؤيوية، يتعين أن تصحبها إحالات على الابتكار، والإبداع، والمهارات، والمعرفة(ص29). ووسائل «فعل أوروبا» لا يجري تعيينها؛ فهناك افتراض مسبق لمعرفة مشتركة تتصل بالنشاطات، ومسارات الفعل، وما شابه.

وهناك افتراض بوجود إرادة جمعية مشتركة(انظر أيضا فيركلاو، 2000 حول استخدامات إستراتيجية بلاغية مماثلة في خطاب حزب العمال الجديد)(*). وما عوّل عليه برودي في خطابه هو تحديد هوية جمعية مجردة. وتبين ووداك (2011) كيف أن برودي يستخدم أوروبا باعتبارها «مجازا لهوية شبه إستاتيكية وشبه مستقرة، يمكن للسياسيين (**نحن**) صوغها وبناؤها من **أجلهم** (المواطنين الأوروبيين وأجيال المستقبل الأوروبية، وبالتالي من أجل الجميع)، (ص 30، التوكيد منقول عن الأصل). فلم تعد أوروبا تجريدا، لم تعد «نظاما سياسيا عابرا للوطنية، بل صارت، بالأحرى، إقليما ذا بنية خطابية وقابلا لأن يُحكم»(ص30).

والخطاب يطرح أيضا متتالية زمنية للتحول. فالموضوعة التقليدية topos «التحول» (والأفكار المطروحة ضمنا عن «التحدي» و«المعوقات») تعد تأسيسية في خطاب برودي، وتعد من خصائص القسم الأكبر من الوثائق «المقررة للأجندة» في الاتحاد الأوروبي. وكما تقول ووداك (2011) فإن «الموضوعات التقليدية topoi هي جزء لا يتجزأ من أي خطاب سياسي، وتكتسب - عندما تستخدم في هذا السياق - أهمية ترجع إلى وظيفتها الإقناعية الخاصة بها» (ص 30-31). وما يفعله «الخطاب الرؤيوي» الذي ألقاه برودي هو أنه يضع في مركز الصورة بعدا آخر للفعل السياسي. وعلى رغم أن التحول يقتضي مشاركة من الجميع، فالجمهور «مستبعد، عادة من المفاوضات، من الأحاديث التي تدور في ممرات الأبنية المختلفة للمؤسسات... من هيئات صنع القرار ذات الصلة، ومن الأزمات والتوترات التي تحدث بالضرورة في الحياة السياسية»(ص 31-32). وما تشير إليه ووداك باعتباره «السياسة المعتادة» يجري تصميمه وإدارته بطريقة تكفل خنق المشاركة والمناظرة الحقيقية.

لكن محللي الخطاب لا يقفون عند حد تحليل الافتراضات الألسنية والبراغماتية. وباستلهام التطورات في علوم الإدراك، فإن بعض الباحثين قد تحركوا باتجاه تحليلات

(*) New Labour ويشار بها إلى فترة في تاريخ حزب العمال البريطاني، تمتد من العام 1994 وحتى 2010 إبان قيادة توني بلير للحزب، ثم غوردون براون، في سنواته الثلاث الأخيرة.

للخطاب السياسي تركز على الإدراك. ويُعتقد أن المرء يتعين عليه أن يركز على عمليات عقولنا حتى يتسنى لنا تعزيز فهمنا للطبيعة الإنسانية، بما في ذلك طبيعتنا السياسية»(تشيلتون، 2004، ص205). وقد وجدت الثورة الإدراكية في علم النفس والألسنيات (جونسون – ليرد، 1983، لاكوف وجونسون، 1983)(*) أساسا راسخا لدراسة اللغة، كقدرة عقلية، في القدرات العقلية الأخرى (مثلا، الذاكرة البعيدة المدى والقريبة المدى، والتصورات العقلية، والنماذج العقلية). وعلى سبيل المثال، ففي فرع الدراسات الإدراكية للألسنيات، أصبح التركيز على الإدراك الاجتماعي والسياسي، الذي تمثل بفكرة «النموذج العقلي» مقاربة مبتكرة على نحو مائز(تشيلتون، 1996). ووفق تيون فان ديجك، أحد أكبر مناصري الأنشطة الأكاديمية الدولية في مجال دراسات الخطاب، فلكي يتيسر لنا أن نحلل صنع الدلالات السياسية، في الخطابات السياسية، والمحادثات، وما شابه، دراسة وافية، فـ «نحن بحاجة، ليس فقط إلى خبراء في التفاعل، بل إلى خبراء في الإدراك أيضا»(فان ديجك، 2009، ص 102).

وتعد بحوث فان ديجك عن الخطاب السياسي (انظر، بين أشياء أخرى، فان ديجك، 1993 أ، ب، 2008، 2009) مثالا على بناء تحليلات ونظريات للخطاب تقوم على أساس أمنته فكرة «النموذج العقلي». وبالنسبة إلى فان ديجك، فإن فكرة «النموذج العقلي» هي المفصل المفهومي الذي يثبت مثلث المجتمع – الخطاب – الإدراك (تيليغا، 2011 ب) في موضعه. وحتى تتضح فكرة التحليل الاجتماعي – الإدراكي للخطاب السياسي، يطرح فان ديجك، كمثال، خطاب توني بلير الذي دافع فيه عن إجراء استهدف شرعنة الحرب على العراق في مجلس العموم (18 مارس 2003 – انظر المقتطف(3)، انظر أيضا الفصل الخامس في فان ديجك، 2009 من أجل تقرير مسهب).

المقتطف 3

في البداية، أقول إنه أمر جيد أن يناقش المجلس هذه القضية وأن يصدر حكمه. هذه هي الديموقراطية التي هي حق لنا، وإن كانت أمرا يناضل الآخرون من أجله، بغير طائل. ومرة أخرى، أقول إني لا أحمل عدم احترام

(*) Philip N. Johnson-Laird أستاذ علم النفس بجامعة برينستون (بريطاني المولد)؛ وGeorge P. Lakoff من جامعة بيركلي (كاليفورنيا) اشترك مع Mark L. Johnson أستاذ علم النفس بجامعة أوريغون في وضع كتاب Metaphors We Live By (مجازات نعيش بها) حول الدور القوي للمجاز في حياتنا.

لـلآراء التي تعارض آرائي. هـذا بالفعل خيار صعب، لكنـه أيضا خيار كامل: أن توقـف القـوات البريطانيـة الآن وتردهم عائديـن، أو أن تبقى ثابتا على ذلك المسـار الـذي بدأناه. وأعتقد بـكل قوة أننا يجـب أن نبقى ثابتين على ذلك المسـار. فالسـؤال الذي يُسـأل غالبا ليس «لماذا اكتسب ذلك أهمية؟»، لكنـه «لماذا هو بهذه الأهميـة؟». وها نحن، الحكومـة، في مواجهة الاختبار الأخطر، ومع تعرض الأغلبية للخطر، أول استقالة من الحكومة لسبب سياسي، والأحزاب الرئيسـية تعاني انقسامات داخلية، والناس الذين يوافقون على كل شيء آخر -

[أصحاب الشرف أعضاء المجلس : «الأحزاب الرئيسية؟»]

آه، أجـل، بالطبـع. الليبراليـون الديموقراطيون - متحدون، كـما كانوا دائما، في الانتهازية والخطأ

[مقاطعة]

ويذهب فان ديجك إلى أن

*بلير سوف يكون بوسعه أن يتحدث، وأن يقول **ما** يقول (وبشكل خاص) أن يقوله **بالكيفية** التي يقوله بها، لأنه في نموذجه السـياقي، وبدرجة تزيد أو تنقص، يمثل تمثيلا واعيا ويرصد من دون انقطاع... المشهد، الموقف في المجلس، هويته الشـخصية، خصاله الشـخصية باعتباره ديموقراطيا، متسـامحا... إلخ، هويته الاتصالية باعتباره متحدثا (رئيسـيا)، هويته السياسـية كرئيس وزراء، باعتبـاره رأس الحكم... إلخ، هويته السياسـية كقائد لحـزب العمال، هويته الوطنية باعتباره بريطانيا، الهويات التي تخص كلا من المشاركين الآخرين، من نواب، وسياسيين. (2009، ص 122، والتوكيد منقول عن الأصل).*

كل هذه العنـاصر (وغيرها) تطـرح باعتبارها عناصر (مُقْنعة) تأسيسـية لنموذج عقـلي. والمتطلب الرئيسي للتحليل هو أن يبدأ (وينتهي) بتحديد النموذج «العقلي» أو «السـياقي» للمتحدث، وهو البعد الوحيد الـذي يعد متحكما في إنتاج وفهم الخطاب. وليس بوسع المرء أن ينجز تحليلا للخطاب السياسي على نحو يتسم بالكفاءة، ما لم يعتبر أن وجود جميع الخصائص السـالفة الذكر أمرا ذا صلة باعتبارها تمثيلا إدراكيا للسـياق في عقل المتحدث. وتفسر نماذج «السياق» كلا من المحتوى والشكل في حالات الاتصال.

ولا يمكـــن للتحليلات اللغوية - البراغماتية أو للتحليلات الاجتماعية – الإدراكية إلا أن تمـــضي بالمـــرء إلى هذا المدى في تحليل الخطاب الســـياسي. فـــما يقوله الناس (السياســـيون)، يجـــري الحديـــث عنه، إما على أســـاس إدراكي (نمـــاذج «عقلية» أو «ســـياقية») أو على أساس ألســـني – براغماتي(«افتراضات مسبقة»). وما هو مفتقد على نحو لافت من كلتا الدراســـتين الســـيكولوجيتين التقليديتين للدراسات البلاغية ودراســـات الخطاب هـــو الانتباه لحقيقة أنه أيا كان ما تتألف منه لغة السياســـيين (مقترحـــات، تقويمات، توصيفات، إلخ)، فما تقع الإحالة عليه باعتباره «ســـلوكا على المســـتوى الجزئي»[*] (تشـــيلتون، 2004) هو، في الحقيقة، أنواع من الفعل البلاغي والاجتماعـــي (هيلبرن وويغنز، 2007؛ هيريتيـــج، 1984). وما هو مفتقد أيضا هو الانتبـــاه الحريـــص إلى الطبيعة البلاغية لـــ «الأنســـاق العقدية المشـــتركة» (بيليغ، 1998). وكـــما أثبت بيليغ، وعلى نحو مقنع، فالفهم المشـــترك ليس توحيديا بل هو إشـــكالي، حيث يشتمل على تيمات متناقضة ويحتويها (بيليغ 1996، بيليغ وآخرون، 1988). والجانب الإشكالي في الفهم المشترك هو عنصر أساسي لفهم الطابع المنتظم، وكذلك الطابع المتغير، لتمظهرات السلوك الاجتماعي والسياسي.

ونركز فيما تبقى من هذا الفصل على ســـيكولوجيا الخطاب (انظر أيضا الفصل الســـابع) كمقاربة ســـيكولوجية مبتكرة لفهم طبيعة البلاغيات السياسية. وينصب التركيز على جانبين من جوانب الاشتغال على سيكولوجيا الخطاب المتصلة بالخطاب السياسي :المجازات، ومسألة الخطاب السياسي، والتماهي الخطابي.

وتنطلق ســـيكولوجيا الخطاب من فرضيـــة مؤداها أن التفكير بلاغي في جوهره (بيليغ، 1987). والفرضية المركزية هي أن التفكير الســـياسي عند الناس يمكن فهمه وتحليله بفحص الكلام الســـياسي. وعلى ســـبيل المثال، فالمشتغلون على سيكولوجيا الخطـــاب يرون أن فهم دلالات التوجهات السياســـية يقتضي مـــن المرء أن يفحص عملية إبداء الرأي واتخاذ المواقف، داخل ســـياق الجدال والمساجلة (بيليغ، 1991، بورتر، 1998). ويتعين على المرء أيضا أن يتفهم القوة البنائية والتأسيســـية للخطاب (السياسي)، وأن يتتبع الكيفية التي ينشئ بها الناس نسخا من العالم، ويؤدون أفعالا، بما يقولون(أي يفسرون، ويبررون، وينحون باللائمة) ويستخدمون البلاغيات لتحقيق

(*) micro-level ما دون المستوى المجتمعي من تفاعلات بين الأفراد، مثل المحادثة أو ديناميات الجماعة.

آثــار متباينــة (انظر بوتــر، 1996). ومن المســائل التي اهتم بها المشــتغلون على ســيكولوجيا الخطاب في أوائل عهــد تحليل الخطاب في علم النفس الاجتماعي تلك التي تتصــل بإدارة «الحَمِيَّة»(*) أو «الاهتمام» في الخطاب الســياسي(انظر إدواردز وبوتر، 1992 أ، ب، انظر أيضا مناقشــة البلاغيات «الدفاعية» و«الهجومية» في بوتر 1996). وقد حدد المشــتغلون على ســيكولوجيا الخطاب طرائق متنوعة يمكن بها للمتحدثــين أن يديروا مســائل يغارون عليها أو يهتمون بهــا، والكيفية التي يبنون بها مواقف باعتبارها تقوم على «حقائق» أكثر مما هي ناشــئة عن تحيُّز، أو تغرُّض أو حَمِيَّــة من أي نوع محدد، وعلى ســبيل المثال، فباســتدعاء الســجلات البرلمانية الرسمية (آنتاكي وليودار، 2001)، وبامتياح تعرفات تقليدية/ تصنيفية عند التصدي لتفسير أحداثٍ سياســيةٍ مُخْتَلَفٍ عليها (انظر تيليغا، 2008 من أجل تفاسير للثورة في رومانيا في 1989)، وباســتخدام كلام منقول عند مناقشــة أمور سياسية مختلف عليهــا (لوكوتور وآخرون، 2001)، أو بالاســتعانة بذاكرة «تَضْعُف» (إدواردز وبوتر، 1992 ب)[5]. وما تثبته كل هذه الدراســات هو أن البلاغيات السياســية تتألف من التكتيكات البلاغية التي يجري توفيقها مع مناسبات الاستخدام.

المجازات والتماهي البلاغي في الخطاب السياسي

اجتذبت استخدامات المجاز في اللغة السياسية اهتماما خاصا في السنوات الأخيرة، وخصوصا في مجال الألسنية الإدراكية (مثلا، تشيلتون، 1996؛ تشيلتون وإيليين 1993؛ لاكوف، 2002؛ موسولف، 2004)(**). وبحسب تشارتريس - بلاك(***) فإن المجازات تؤدي عديدا متنوعا من الوظائف: من إدارة، وبالنهاية تكريس روح ethos السياسي، وتكثيف نغمة حديثه، وتفســير أفعال وسياســات، حتى تخليق أســطورة سياســية وشــخصية (انظر تشارتريس - بلاك، 2005). ويعتقد باحثون آخرون أنه، في الخطاب الســياسي، غالبا ما تتجاوز «المجازات كونها محسنات لمقترحات حرفية، بل هي طرق

(*) stake في صيغة الاسم تعني قائمة أو دعامة قوية تغرس في الأرض لتسند نباتا، أو - وهذا ما يعنينا هنا - لتكون جزءا من سياج، و/أو لترسم حدودا. وفي صيغة الفعل فهي تعني تحديد مساحة بدق الدعامات لترسيم حدود الحمى. ومن ثم فالحمية هنا مسلك دفاعي، والاهتمام مسلك هجومي.

(**) Andreas Musolff أستاذ العلوم السياسية والفلسفة ودراسات الاتصال بجامعة إيست آنغليا البريطانية.

(***) Jonathan Charteris-Black أستاذ الألسنيات بجامعة بريستول البريطانية.

للمحاجاة حول أمور، مثل المستقبل وحول السياسات» (2004، ص 203). وقد تترتب على المجازات نتائج سياسـية بالغة الخطر؛ فيمكنها تأطير سياسـات إقصائية وأخرى استيعابية (ووداك، 2011)، وبوسعها صوغ مسائل سياسية، أو توجيه سياسات جهوية وقطرية (سكينر وسكويلاكوت، 2010)(*) أو تغذية خطابات أوسع للتهديد أو الدفاع (لاكوف، 2002). والمجازات تحول نفسـها وتتحول عبر الاسـتخدامات، ولها سـيرتها الدلالية والتاريخية الخاصة بها (بيليغ وماكميلان، 2005 وموسولف، 2010).

والسياسـة ذاتها يجري فهمها على أسـس مجازية (انظـر، مثلا، فيركلاو، 1992 حول «السياسـة باعتبارها حربا»). وخـذ، مثلا، المجاز عن أوروبـا باعتبارها «بيتا مشتركا» (انظر تشيلتون وإيلين، 1993)، وهو مجاز جرى تصميمه بهدف المساعدة عـلى إحداث قطيعة مع النظـام الأوروبي القديم وتغذية خطـاب جديد ومتجدد حـول «التكامل» (انظر أيضا ووداك، 2011 حول المجـازات والرؤى المعاصرة حول أوروبا). ولكي يتيسر فهم المضامين السياسية للمجازات، يتعين على المرء، ليس فقط أن يثبت اتساع مدلول المجاز في الخطاب السياسي، ولكن أيضا أن يستكشف المسيرة التاريخيـة والدلاليـة للمفهومات/المجازات (انظر موسـولف، 2010 حول التاريخ الدلالي لمجاز «الهيئة السياسـية»، وبيليغ وماكميلان، 2005 حول التحول من المجاز إلى العبـارة الاصطلاحية في «الدليل الدامغ»(**) فيما يتصل بالجدل السـياسي حول البحث عن أسلحة الدمار الشامل في العراق). ولا بد للمرء من مقاربة تاريخية حتى يفهم الكيفية التي دخلت بها المجازات، أو يمكن أن تدخل بها، إلى اللغة السياسية.

ويزعـم بيليغ وماكميلان أن «أي تحليل للمجازات السياسـية هو في حاجة إلى امتيـاح نظريات عن المجاز، أكـثر عمومية. وبالنظر إلى المجازات السياسـية، فمن الـضروري أن يتبين المرء الكيفية التي يمكن بهـا الربط بين جانبي المجاز: الإبداعي والاصطلاحي» (بيليغ وماكميلان، 2005، ص 460). وحول هذا الأمر فإن سيكولوجيا الخطاب لديها ما تقوله. فيجب ألا تقتصر معالجة تحول الدلالة المجازية على أسس إدراكية فقط، بل يجب أن تعالج أيضا على أسـس خطابية. فالتحول يطرأ في اللغة

(*) Daniel Skinner أسـتاذ بقسـم الطب الاجتماعي بجامعة أوهايو الأمريكيـة، وRosa Squillacote من هنتر كوليدج بمانهاتن (نيويورك).

(**) the smoking gun البندقية التي تخرج دخانا، هي الدليل الدامغ وهو مجاز تحول اصطلاحا بمجرد شيوعه.

وعبرهـا: «فـما كان، في وقت ما، حادا وطازجا، يصبح مع الاسـتخدام اعتياديا وغير مائز. وبوسـع المرء القول إن المجاز الحي يبدأ بالمـوت بمجرد أن يبدأ حياته داخل اللغـة» (2005، ص 461). ويتعين على المرء أن ينظر في الكيفية التي تسـتخدم بها اللغة ليرى ما يفعله المتحدثون والكتاب بخطابهم.

وينقـل بيليغ وماكميلان (2005) ويناقشـان التراشـق بـين الإعلامي دان راذر ووزير الخارجية الأمريكي في حينه كولن باول، عن البرنامج المتلفز الأمريكي «سـتون دقيقة» في الخامس من فبراير 2003[6].

المقتطف 4

دان راذر: وبالنسبة إلى من يقولون «حسنا، لا وجود لدليل دامغ»(*) هل تجادل في ذلك؟

كولن باول: ما الذي تقصـده بالدليل الدامغ؟ ماذا عن الدخان الكثيف؟ أظننـي طرحت اليوم قضيـة تقول بوجـود دخان كثيف. هنـاك الكثير من البنـادق التي يخرج منها الدخان(**). عندما نقول إن لديه آلاف الليترات من الآنثراكس، ونحن نعلم ذلك - هو(***) أقر بذلك، وهذه أمور مسجلة، هناك دليل، لا شك في ذلك - هل هذه بندقية تخرج دخانا؟ [دليل دامغ؟ - المترجم] هـل هو دليـل دامغ أنّ تكون لديه هذه المواد المرعبـة في مكان ما من ذلك البلد وهو لا يقدم تفسـيرا لذلك؟ ومجرد أنه لا يقدم تفسيرا لذلك، هو برأيي دليل دامغ. هذه بندقية يخرج منها الدخان منذ سنوات.

ويبين بيليغ وماكميلان كيف أن جواز اسـتخدام العبـارة الاصطلاحية (الدليل الدامـغ [البندقيـة ذات الدخان - المترجم]) يمكن الجدل حوله بالاستشـكال حول معنى العبارة. وبحسـب بيليغ وماكميلان فإن باول ينجح في ذلك عندما يشير، من ناحية، إلى «تنوع التأويلات المشروعة» (ص 475)، ومن ناحية أخرى، إلى «المعالجة المجازية للعبـارة الاصطلاحية بطريقة مختلفة» (ص 475). وباسـتخدام سلسـلة مـن التسـاؤلات البلاغية ينجح بـاول في تحدي «الدليل الذي لا يقبل الشـك على

(*) No smoking gun عودة لصورة البندقية والدخان يخرج منها، بما يناسب السياق.

(**) الكثير من الأدلة الدامغة.

(***) صدام حسين.

التورط» الذي تســتخدم العبارة الاصطلاحية، عادة، للإشارة إليه. ولا توضع العبارة الاصطلاحية ذاتها موضع التســاؤل، لكن هناك إشــارة إلى أن «طريقة اســتخدامها تختلــف باختلاف النــاس» (ص 476). وينتقل باول من «البندقيــة ذات الدخان» إلى «الدخــان». وكما يقول المؤلفان فبهذه النقلة، يعــود لفظ «البندقية» في عبارة «البندقية ذات الدخان» إلى حرفيته: فهو يشــير، عامة، إلى التســلح، بأكثر مما يشير إلى شرائط ومذكرات» (ص 476).

ويحذر بيليغ وماكميلان من غواية «الفصل» بين المجازات و«السياقات الخاصة لاســتخدامها»، ويتأملان، على أســس تجريدية وعامة، الخبرة أو الخبرات التي تعبر عنهــا. عوضا عن ذلــك، يتعين على المــرء أن يتفحص «ما يفعله من يســتخدمون مجازات كهذه، بلاغيا وبراغماتيا» (ص 462).

وأحد الإســهامات الرئيســية لســيكولوجيا الخطــاب هو إعادة صــوغ مفهوم المتغيرات، التي تعالج، روتينيا، باعتبارها عمليات إدراكية داخلية. ويرى المشتغلون على ســيكولوجيا الخطاب أن «التماهي» هو أحد هــذه المتغيرات ويمكن معالجته باعتباره بلاغيا أكثر مما هو «عملية داخلية» (بيليغ، 2003، ص 232)[7].

ويعد امتياح الأقوال الشــائعة (بيليغ، 1987)، أو المخزونات أو القيم الخلقية المشــتركة («العدالة»، «الرحمة»، «الحرية»، «المسؤولية») واحدة من الطرائق التي اعتاد السياســيون اتباعها للتماهي، بلاغيا، مــع جمهورهم. ويحلل إيدلمان (1977) لغــة الفقــر باعتبارها خليطا مــن مخزونات مــن اللوم والتعاطــف، حيث يكون الفقر مثار أسى وهدفا للتســامح. ويشير أوغسطينوس وآخرون (1999) إلى حضور مخزونات اللــوم والتعاطف في تحليلاتهم للخطاب حول حقوق الســكان الأصليين [في أســتراليا - المترجــم] في الأرض، حيث يُنظر إلى السياســيين وإلى الناس العاديين باعتبارهم متعاطفين مع مأساة السكان الأصليين، مع انتقادهم لتقاعسهم.

وغالبا ما يعلن المتحدثون السياســيون عن الهوية لتحقيق غايات بلاغية بعينها (إنشاء هوية مشتركة مع الجمهور، مثلا) وعلى سبيل المثال، فقد بيّن رايشر وهوبكنز (1996 أ، ب) أنــه في ما يخص الهوية الاجتماعية، فإن نجاح أي محاولة ذات مغزى للإقناع الســياسي يعتمد على شروط ثلاثة: بروز الهوية الاجتماعية لجماعة المتلقين؛ الأهمية المتصورة للرســالة وللحجج السياسية بالنسبة إلى الهوية الاجتماعية البارزة

لدى جماعة المتلقين؛ ونجاح المتحدث في تقديم نفسه أو نفسها كمنتمٍ إلى هذه الهوية الاجتماعية ذات الصلة. ويمكن لذلك أن يتحقق عبر الطريقة الّتي تُعرّف بها المقولات السياسية، والطريقة التي يصنف المتحدث/المتحدثة بها هويته/هويتها الذاتية وينشئها / تنشئها. لكن تعريفات وتصنيفات المقولات الاجتماعية والسياسية، والتصنيفات الذاتية هي تعريفات وتصنيفات «دينامية وسائلة داخل مجرى تفاعل مفرد، حيث تصاغ محليا، أو تُنتَج، على نحو يتصل بالمناسبة، للوفاء بالمتطلبات اللحظية المتتابعة للتفاعل المحادثاتي» (رابلي، 1998، ص 328، انظر أيضا آنتاكي، وآخرين 1996). وما يحيل عليه رايشر وهوبكنز (1996 أ، ب) باعتباره خطابا تعبويا لا يعدو أن يكون محاولة للبناء الخطابي لهويات استيعابية لمنتمين إلى الجماعة. فالهوية الاجتماعية «مورد مرن... يمكن استخدامه في الكلام لمصلحة المتحدث السجالية أو البلاغية» (رابلي، 1998، ص 328 - 329). والهدف التفاعلي والسياسي للبلاغيات السياسية التي تعالج قضايا سياسية مختلَفا حولها هو تحقيق عمومية الاهتمام عبر التماهي مع جمهور تأسس بلاغيا.

ويمكن ضرب مثالين على الإنشاء البلاغي لهويات استيعابية للمنتمين إلى الجماعة من الدراسات التحليلية للخطاب: تحليل مارك رابلي (1998) للخطاب الأول للسياسية اليمينية والشعبوية الأسترالية بولين هانسون، في البرلمان، وتحليل تيليغا (2008) للخطاب الاستذكاري للرئيس السابق لرومانيا في الاحتفال بـ «الثورة» في رومانيا.

ويلاحظ رابلي (1998) أن البلاغة السياسية عند هانسون مصممة، بكل عناية، لإبراز عاديتها، ومعقوليتها، وبهدف التبرير الضمني للجاذبية الجماهيرية لآرائها المختلف حولها، اختلافا شديدا، حول الهجرة. فالذات (السياسية) تتأسس خطابيا عبر إعلان نوعي عن الهوية، «الاسترالية العادية» (انظر المقتطفين (5) و(6)).

المقتطف 5 (معاد ترقيمه)

1 - السيد القائم بعمل رئيس المجلس، عبر إلقائي خطابي الأول في هذا المكان،

2 - أهنئكم بانتخابكم وأود أن أعبر عن افتخاري بأن أكون أنا

3 - باعتبـاري العضو المسـتقل عن أوكسـلي. لا آتي هنـا باعتباري
سياسية محنكة
4 - لكـن باعتباري امرأة أخذت نصيبها العـادل من متاعب الحياة.
ورؤيتي للقضايا
5 - تقوم على الحس العام، وعلى خبرتي كأم لأربعة أطفال، وباعتباري
6 - والدة منفصلة، وكسيّدة أعمال أدير محلا للسمك ورقائق البطاطس(*).

وكما يقول رابلي، فإن هانسون تؤسس انتماءها إلى الجماعة باستخدام زوج المقابلة (الناس الذين نالوا نصيبهم العادل من متاعب الحياة مقابل السياسيين) وهذه نقلة(**) بلاغية تسمح لها بأن تعبر، بناء عليها، أحقيتها في عضوية داخل الجماعة، بفضل خبرتها الحياتيـة. و«الخبرة» أو ما «خبره المرء» هـي أداة بلاغية قوية لإدارة الحمية وللأحقية في أن تقـول ما تقول. وترتبط خبرتها بما يشـيع القول بأنـه مرتبط بمقولات مثل «أم»، أو «والدة منفصلة» (السـطران 5 و6). وتدعي حقا في «جدارة إبسـتمولوجية» بفضل بنائهـا لذاتهـا باعتبارها النموذج الأصلي الممثل لمقولة الأسـترالي «العـادي» أو مقولة «التقليدي»، (رابلي، 1998 ص 331 - 332). وتتمثل النقلة التالية في الادعاء بعضوية في مقولة «الأسـترالي العادي»، وفي بناء نفسها، باعتبارها سياسية، كممثل لهذه المقولة. وإذ تفعل ذلك فهي «تُطَبِّع» تلك البنية التصنيفية التي تسـتخدمها (الأسترالي العادي) بتأكيد استبعاد البُنى والتصنيفات السياسية البديلة الأخرى.

المقتطف 6 (معاد ترقيمه)

80 - يعلـم أي واحد لديه قـدر من الحس التجاري أن المرء لا يبيع ما لديه
من أصول
81 - خاصة عندما تكون مصدر تدفق نقدي. ربما كنت مجرد «صاحبة
82 - محل للسـمك ورقائـق البطاطس»، ولكن بعض هـؤلاء الاقتصاديين
يحتاجون إلى إبعاد رؤوسهم عن
83 - الكتب المقررة ويلتحقوا بوظيفة في العالم المعيش. لم أكن حتى لأسمح
لواحد منهم

(*) Fish and chip shop.

(**) move وكأن المسألة تتعلق بلعبة شطرنج.

84 - بتولي شؤون البقالة عندي. والهجرة والتعددية الثقافية قضيتان
85 - تحاول هذه الحكومة معالجتهما، ولكن لوقت طال أكثر مما يجب
86 - ظل الأستراليون العاديون بعيدين عن أي مناظرة بين الأحزاب الرئيسية. وأنا
87 - ومعظم الأستراليين نريد إعادة نظر جذرية في سياسات الهجرة عندنا.

وتستخدم هانسون سلسلة من أزواج المقابلة («الاقتصاديين» – الخبرة المهنية مقابل «صاحبة محل للسمك ورقائق البطاطس» – الخبرة الشخصية) و(«الأستراليون العاديون» - عامة الناس مقابل «الأحزاب الرئيسية» - السياسيين) تستخدمهم هانسون بهدف «ادعاء عضوية منتمية إلى الجماعة مع ... الأستراليين العاديين الذين أنشأتهم بلاغيا باعتبارهم مهمشين – وبالحقيقة «معظم الأستراليين» (رابلي، 1998، ص 333). وهي تجعل الموقف السياسي الخاص بها هو (إعادة النظر في سياسة الهجرة) متسقا مع رغبات النموذج الأصلي للأسترالي العادي. وباستخدام التعبير العامي («احتشى حتى أضراسه الخلفية») والعبارات الاصطلاحية («امرأة نالت نصيبها العادل من متاعب الحياة»)، فهي تتحدث بالصوت العامي لأولئك الذين تسعى إلى التأثير فيهم. وهي تصوغ هويتها الشخصية والسياسية «في حدود معجم المقولة الاجتماعية التي تدعي جدارة بالانتماء إليها» (ص340). والأثر المترتب على ذلك هو أن «انتماءها» يجري توسيعه بلاغيا ليشمل «معظم الأستراليين». وبالوقت ذاته، فـ «الجماعة الخارجية» يجري تضييقها لتقتصر على الخبراء (الاقتصاديين) والسياسيين، الذين يجري بناؤهم باعتبارهم منفصلين عن الواقع.

ويركز تيليغا (2008) على الكيفية التي يمكن بها للتماهي مع جمهور أن يكون خميرة التمثيل الأيديولوجي لحدث وطني (الثورة في رومانيا في 1989). ويحلل تيليغا الخطابات الاستذكارية التي ألقاها الرئيس الروماني السابق إيون إيليسكو في برلمان رومانيا. ويشمل التحليل الذي نورده هنا كيف أن نوعا معينا من التماهي البلاغي مع المستمعين يمكنه أن يخدم أهداف سجال سياسي. انظر في المقتطفين 7 و8.

المقتطف 7 (21 ديسمبر 2000)

1 - السيد رئيس مجلسي الشيوخ والنواب

2 - السيدات والسادة الشيوخ والنواب

3 - الأصدقاء الأعزاء من أيام ثورة ديسمبر ولياليها

4 - الجمهور المحترم

المقتطف 8 (18 ديسمبر 2003)

1 - السيد رئيس مجلس النواب

2 - السادة المحترمون أعضاء الهيئات التشريعية

3 - السادة المحترمون أعضاء الحكومة

4 - السيدات والسادة ممثلو البعثات الديبلوماسية

5 - الضيوف المحترمون

6 - الأصدقاء الثوريون الأعزاء

7 - المواطنون الأعزاء

لاحظ كيف أن استخدام المتحدث لصيغ المخاطبة الرسمية يؤشر إلى هوية مؤسسية أكثر مما هي هوية شخصية. لكن إيليسكو، في الوقت ذاته ينجح أيضا في أن يموقع نفسه في الداخل، وفي أن يتماهى بلاغيا مع مجتمع «الثوريين» (المشاركين بالثورة) باستخدام مقولات ترتبط سياسيا بالسياق الذي يتحدث فيه: «الأصدقاء الثوريون» (المقتطف 8 السطر 6) و(«الأصدقاء الأعزاء من أيام ثورة ديسمبر ولياليها») (المقتطف 7 السطر 3). وهكذا يتأطر نظام (سياسي) أخلاقي خاص. ومقولة العضوية «الأصدقاء» تحمل معها مجموعة من الأنشطة المرتبطة بالمقولة. ويقع تعريف «الصداقة» عبر الحدث، عبر المشاركة في الحدث: أصدقاء في الثورة. والرئيس لا يتحدث من داخل المجتمع الوطني الذي هو رئيسه، فحسب، ولكن أيضا من داخل مجتمع الثوريين، مجتمع المشاركين (النشطين) في الثورة. وبوسع المرء أن يدفع بأن هذه ليست نقلة بلاغية بسيطة للتماهي مع الجمهور، بل هي نقلة لإدارة قضايا الاستحقاق، وصوغ إطار (سياسي) أخلاقي معين لكي يتأسس تمثيل أيديولوجي لثورة رومانيا (انظر المزيد عن هذا الموضوع في تيليغا، 2008، 2010).

وهذه الطرائـق في مخاطبة الجمهور تنظم خصائص الخطـاب، ويمكن النظر إليها باعتبارهـا مقدمات لأهمية قضايا التفويض، والاسـتحقاق، والمحاسـبية. فالمفوض الرسمي (رئيس رومانيا) يجري تعزيزه وتثبيته بشعور من التضامن (الشخصي) ومن الروح الرفاقية مع مجتمع المشـاركين بالثورة. وإذ يفعـل ذلك، فالمتحدث لا يقدم نفسـه باعتباره مجرد مستذكر، أو شاهد؛ هو يقدم نفسه باعتباره مشاركا: ويتعين النظر إليه باعتبار أنه يدعي المشـاركة في العضوية في مقولة «الثوري». وهذه نقلة بالغة القوة للترخيص باستحقاق إبستمولوجي واستحقاق للحديث وكمقدمة لطرح نسخته السياسية المفضلة لسردية الثورة في رومانيا، والمصادقة عليها.وفي المثالين معا، فتمثيل الذات والهوية تقع إدارته في سـياقات بلاغية شديدة الخصوصية. ويتحقق التموقع السـياسي والأثر البلاغي المراوغ بالاستخدام المتأني لأدوات ومقولات بلاغية، وببناء هويات شـخصية واجتماعية، وبالتماهي مع المستمعين البعيدين والقريبين، على السـواء. ويرى المشتغلون على سـيكولوجيا الخطاب أن دراسة خصائص كهذه تتطلـب تحليلا يمضي لأبعد من الوظائـف الإدراكية للأفراد. ويتمثل مشروع دارسي الخطاب السـياسي في «تبيـان الكيفية التي يقع بها احتـواء العوامل الأيديولوجية، والبلاغية، والسـيكولوجية، وإعادة إنتاجها داخل تفصيلات الكلام السياسي» (بيليغ، 2003، ص243).

استعادة دور اللغة في السياسة

لا يكاد يكون تحليل الخطاب السـياسي موضوعا بحثيا جديدا؛ لكنه غائب على نحو ملحوظ عن أجندة المشـتغلين بعلم النفس السـياسي. ولا يعني هذا أننا نزعم أن المشـتغلين بعلم النفس السياسي والاجتماعي ليسـت لديهم نظريات أو نماذج تطبيقية تتصل بالخطاب السـياسي. لكن ما نقوله هـو أن أجندتهم البحثية تتجه، تاريخيا، ليس باتجاه دراسـة الخطاب السياسي، في ذاته، بل باتجاه النظر في العلاقة بين اللغة والسياسة. وتعالَج اللغة، على نحو روتيني، باعتبارها مجرد متغير مستقل آخـر يجري توظيفه، بالإضافـة إلى غيره من المتغيرات الاجتماعية - السـيكولوجية المهمة، في دراسـة السياسة. ويشـيع النظر إلى اللغة باعتبارها ملكة/ ظاهرة عقلية وتُجـرَّد من خواصها البنائيـة والتأسيسـية. ويُنظر إلى الاسـتخدام العمومي للغة

كخاصيــة، كتطــور لنظم إدراكية ولوســائل تنظيمية للمعلومــات، وليس كخاصية طبيعية للتفاعل الاجتماعي بين الناس.

وتبدو اللغة، بالنســبة إلى السياسيين والمشتغلين بعلم النفس السياسي المهتمين بالخطاب الســياسي، مصممة، بطبيعتها لتمكين المرء من نقل التمثيلات السياســية. ولكن يجب على المرء ألا يتوقف هنا. ويجب على المرء ألا يكتفي بالنظر في الكيفية التي تنقل بها اللغة التمثيلات السياســية، بل ويجـ [illegible] ـتي تُسْــتخدم بها اللغة ليرى ما يفعله المتحدثــون والـ [illegible] ـال الاجتماعية التي تؤدى، وما هي «الحقائق» السياسيـ [illegible] ـذا النحــو. وبالمضي على هذا الطريق، يقل خطر القبول ببلاغيات السياســة كتوصيف موضوعي لواقع السياسة.

ولــكي يتحقق الفهــم والتحليل الكامــلان والمخلصان لطبيعة اللغة السياســية المعــاصرة، فلا بد للمرء من أن ينتقل مبتعدا عن نظريات ونماذج الإدراك ومعالجة المعلومــات، ليكون أقــرب إلى المنظور الألســني، والبلاغي والخطــابي، الذي يأخذ باعتباره الكيفية التي تبنى بها اللغة السياســية، ويجري التفاوض حولها وتوزيعها، وخواصهــا البلاغية ووظائفها، وجمهورها المســتهدف. ولدى تطبيق منظور خطابي على شــؤون السياســة (وخاصة على تحليل الخطاب الســياسي لدى النخبة) يكون هنــاك أمل في تأمين، ليس فقط طريقة مفصلة وألســنية التوجــه لفحص الطبيعة البلاغية الحساســة للرســائل السياســية، ولكن ذلك المنظور يبيّن أيضا كيف يمكن تحويل نظرية علم النفس السياسي، عبر هذه العملية.

9

السياسة والميديا: الخطاب السياسي والاتصال السياسي

«في وسع المشتغلين بعلم النفس السياسي أن يتعلموا المزيد عن دقائق الاتصالات السياسية بالنظر في الطرائق المتنوعة التي يجري لها إنجاز وعرض الاتصالات السياسية علانية»

السياسة عبر الميديا والاتصال السياسي

يرتبط المشهد السياسي المعاصر في العالم كله، أوثق ارتباط، ببيئة الميديا والاتصال «المتعددة المحاور» (ديلي كابريني وويليامز(*)، 2001). وطبيعة الاتصال السياسي المعاصر في تحول دائم (بينيت وآينغار(**)، 2008). ويقدم هذا الفصل ملخصا للمنطلقات الرئيسية لمقاربة خطابية للاتصال السياسي. ويبدأ بعرض لنقاط الضعف والقوة للدراسات السيكولوجية المعاصرة للاتصال السياسي. ثم ينتقل الفصل إلى مناقشة للكيفية التي يمكن بها تصور

(*) Michael X. Delli Carpini أستاذ دراسات الاتصال بجامعة بنسلفانيا وBruce Williams أستاذ الاتصال بجامعة إلينوي.

(**) W. Lance Bennett أستاذ الاتصال والعلوم السياسية بجامعة واشنطن وShanto Iyengar أستاذ الاتصال بجامعة ستانفورد، بالولايات المتحدة.

الاتصال الســياسي كإنجاز اجتماعي وكنتيجة لأشكال وشبكات مركبة من الممارسات الاجتماعيــة، بقدر ما هو مصدر تأثير عليها. وبعد طرح عدد من الأمثلة الإمبيريقية المأخوذة من أعمال حول إثنوغرافيا(*) العمليات السياســية، والبحث الخطابي حول أسلوب الاتصال عند السياسيين، والإعلان السياسي والفكاهة السياسية، يختتم الفصل بصورة عامــة لمقاربة بديلة للاتصال الســياسي الذي يعتمد، تحديــدا، على أهمية اســتقصاء الكيفية التي يقع بها إنتاج الاتصالات السياسية، وتوزيعها، واستهلاكها في المجتمع، بالفعل. وإذ يفعل ذلك، فهذا الفصل يذهب إلى أن المشتغلين بعلم النفس السياسي بإمكانهم أن يأخذوا، بشكل خلاق، عن الميديا، والاتصال، ومنظري الخطاب المنشغلين بتركيب الاتصالات السياسية، وأن يتعلموا منهم.

وليس نشوء «سياسات التعبير عن الذات» (ستانير، 2007)، وتصاعد «الشخصنة» (كاســتيلز(**)، 2011) و«الحرفيــة» بالنســبة إلى السياســيين والاتصال الســياسي (نيغرين(***) 2000؛ ووداك 2011) إلا شواهد على حقيقة أن الظاهرات السياسية لا وجود لهــا خارج عمليات الاتصــال، خارج المعلومات والاتصالات مع السياســة وحولها. وتحتاج السياســة والعمليات السياســية إلى أن تطــرح باعتبارها «حزمة» (كابيلــلا(****) وجيميســون، 1997؛ فرانكلين، 2004)، في هذا الشــكل الاتصالي أو ذاك، حتى يتسنى لها الوصول إلى الجماهير المتخيلة، القريبة، أو البعيدة. وفي معظم الديموقراطيــات في أوروبا الشرقية والغربية، تكون هذه، عادة، وظيفة السياســيين أنفسهم، ووظيفة الإعلام الجماهيري، والمتحدثين باسمهم، وصناعة العلاقات العامة السياســية المتزايدة القوة. ودور هؤلاء هو بناء، وتوجيه، وتوزيع، وبث، الاتصالات السياسية (ماكنير(†) 2011).

ولــكي يتيسر فهم فكرة السياســة عبر الميديا يتعــين أن تؤخذ مأخذ الجد فكرة المــدى الــذي بلغه التداخل بــين تكنولوجيــات الاتصال (وخصوصــا تكنولوجيات الاتصــال الجديدة، مثل الإنترنت) وبين الخبرة السياســية، مع مــا يترتب على ذلك

(*) ethnography هي الدراسة العلمية للشعوب والثقافات بتقاليدها وعاداتها وما يميزها عن غيرها.

(**) Manuel Castells عالم اجتماع إسباني متخصص في دراسات مجتمع المعلومات.

(***) Ralph Negrine أستاذ الاتصال السياسي بجامعة شيفلد البريطانية.

(****) Joseph N. Capella وKathleen Hall Jamieson أستاذا الاتصال بجامعة بنسلفانيا الأمريكية.

(†) Brian McNair أستاذ الصحافة والميديا والاتصال بجامعة كوينزلاند، أستراليا.

من نتائج متنوعة، لجهة اختراق الحدود التي تفصل بين ما هو سـياسي وما هو غير سياسي، وتفصل بين المجالين الخاص والعام، وبين الأقنية والأشكال، المتصادمة أحيانا والمتكاملة أحيانا أخرى، للمعلومات السياسـية. والاتصالات، في ما يسـمى «العصر العولمي الرقمي» هي علة نشوء «استقلال غير مسبوق للذوات الاتصالية في اتصالها الحر» (كاستيلز، 2011، ص135). والاتصالات تنطوي على قدرة على تضييق، وكذلك توسعة، الأفق السـياسي للأفراد (بينيت وآينغار، 2008). وطبقا لوجهة النظر هذه، فالسياسـات ليسـت «جزءا مائزا ومكتفيا بذاته من الحيـاة العامة» بقدر ما هي «خبرة مُحْدَثَة» (ديللي كابريني وويليامز، 2001، ص161)[1].

سيكولوجيا الاتصال السياسي

ويهتـم دارسـو الميديا والاتصال بالتنظـير للعصور المختلفة للاتصال السـياسي (بلوملـر 2001؛ بلوملـر وكافانـا[*]، 1999)، وللكيفيـة التي تبلغ بهـا الاتصالات السياسـية أهدافها عبر وسـائط الإعلام الجماهيري «القديمـة» و«الجديدة (ديكون ورينغ[**]، 2011؛ سـتانير، 2007). ويهتم المشتغلون على التحليل النقدي للخطاب بالخطاب السـياسي المعالج إعلاميا باعتباره «ممارسـة خطابية مركبة تشمل خلط أنواع من السياسـات والخطابات السياسـية، والمحادثة، والترفيه» (فيركلاو، 2010، ص156). ويغلب على المشـتغلين بعلم النفس السـياسي وعلماء السياسة الاهتمام بالـشروط التي تحدث في إطارها الاتصالات السياسـية، ويجري بناؤها وتكتسـب فاعليتها؛ وما يسبقها ويترتب عليها نفسيا (كريغلر[***]، 1996؛ وكايندر، 2003).

ويسـتعرض هذا الجزء، على نحو نقدي، بحوث علم النفس السـياسي التي تعتنـق الفرضية القائلة أن فهما أعمق للرابط بين الاتصال والسياسـة في «عصر المعلومات» يسـتلزم توصيفـا دقيقا للآليات والعمليات السـيكولوجية الكامنة وراءهما. وقد انصب اهتمام علم النفس السـياسي والعلوم السياسـية، منذ أمد طويل، على دراسـة تأثيرات الاتصال الجماهيري عـلى الجماهير أو على المتلقين

(*) Jay Blumler أسـتاذ الاتصال الأمريكي المولد بجامعة ليدز البريطانية، وDennis Kavanagh المحلل السـياسي البريطاني وأستاذ العلوم السياسية بجامعة ليفربول.

(**) Dominic Wring وDavid Deacon أستاذا الاتصال بجامعة لوفبره.

(***) Ann N. Crigler أستاذة العلوم السياسية بجامعة جنوب كاليفورنيا.

(انظر، بين وآخرين، بيريلسون وآخرين 1954؛ كامبل وآخرين 1960؛ لازارسفيلد وآخريـن 1944؛ ليبـمان 1922). ويسـود الاعتقـاد، عادة، أن وسـائل الاتصال الجماهيريـة بوسـعها التأثير على المواطنـين، بطرائق ثلاث: مـن حيث الكيفية التي «يفهمون بها السياسـة»، وكيف «يقررون ما هو المهم في السياسة»، وكيف «يقومـون البدائل التي تضعها السياسـة أمامهم» (كاينـدر، 2003، ص 358). وبالمصطلحات الفنية، فهذه الأمور يشـار إليها، عـادة، باعتبارها مؤطِّرة، مقرِّرة للأجنـدة، وتجهيزية[*] (مـن أجل نظرة عامة، انظر نيسـبت وفيلدمان، 2010؛ شـويفيل وتيوكسبري، 2007). وسوف نستكشـف هذه الأمور، على نحو موجز، واحدة بعد الأخرى.

وتعتمد فكرة «التأطير» على أنه لكي تكتسب المعلومات الاجتماعية معناها، يتعـين على الفاعلين الاجتماعيين أن يعتمدوا على حضور الآخرين، وعلى التعاون معهـم، وعلى إبلاغهم بالمعلومات وتلقي المعلومات منهم، وعلى التفاعل معهم. ويرى المشتغلون بعلم النفس السياسي الفاعلين الاجتماعيين باعتبارهم منخرطين دونمـا انقطاع في محادثات حول دلالات الأحـداث، والناس، والظروف. وهذا ما يُفعل عبر تبادل للأُطُر(غامسـون 1992)[2]. ويشيع القول إن القسم الأعظم من السياسـات المعاصرة ينفذ بإنشاء وبث الأطر (سـواء تلك التي تصوغها النخب السياسية، أو تلك التي ينتجها الصحافيون والممارسات الصحافية). وهذا يشمل، بين أشـياء أخرى، قضايا بناء الأطر، وتقرير الأطر، وعمليات التأطير على المستوى الفردي، وكذلك التغذية المرتـدة أو العلاقة بين التأطير الفردي وتأطيرات الميديا (قارن مع شويفيل، 1999؛ شويفيل ويينغار، تحت الطبع).

ويُعد تكوين ونشر رأي عام في المجال العام تكوينا لـ الأطر ومن أجلها، مع فوز الأطـر الأكثر انتشـارا بالحظ الأوفر في التأثير على الكيفية التـي يدرك بها الجمهور العمليـة السياسـية[3]، وفي صوغ هذه الكيفية. وعلى سـبيل المثال، فالطريقة التي تصـاغ بها رسـالة ما يمكن أن يكـون لها تأثير في دلالتها، ويمكـن أن تزيد أو تُنقص

(*) priming هـي العمليـة التي تركـز بها الميديا على قضايا سياسـية دون غيرها، على نحو يغـير معايير الاختيار السياسي عند الناخبين، ويجهزهم لاتخاذ مواقف معينة، والمصطلح مأخوذ عن عمليات تجهيز المواد الصناعية وتجهيز الطلقات والمتفجرات.

احتمال القبول بها. وبوسع المرء، مثلا، استخلاص توجهات أكثر قبولا بـ «فعل إيجابي» إذا جـرى تقديم هذا الفعل باعتباره «تكافؤ فرص» أكثر مما لوقُدِّم باعتباره «تمييزا مقلوبـا»(*) (بوزفيلد وآخـرون، 1997). وهذا أمر يدركه السياسـيون والمختصون بالعلاقات العامة. ويعتمد القسـم الأعظم من القضايا المعاصرة (تأمين «المساندة» لحروب يمكـن أن تكون غير مشروعة، أو لسياسـات تبدو غـير مقبولة جماهيريا؛ تبرير ظروف مُخْتَلَف حولها لتقصير سـياسي وللمسؤولية عنه) على مسائل أساسية تتصـل بالتأطير وبلغة توصيفية لواقـع الحال، وإن لم يقتصر الأمرعلى ذلك (كايندر وساندرز، 1996).

وعلى سـبيل المثال، فإن جوسـت وآخرين (1996؛ انظر أيضا غامسون 1992) يبينون كيف يمتاح الناس قلة من الأطر في الخطاب السياسي عند طرح تفسير لقضايا مختلف حولها. وباستخدام استجوابات معمقة حول موضوعات من قبيل مبادرات الدفاع الإسـتراتيجي، وسياسـات الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، وقضايا تتصل بإدمـان المخدرات ومرض نقص المناعة المكتسـبة، حدد جوسـت وآخرون (1996) سلسـلة من الأطر أو المواقف الإدراكية والمزاجية التي يستخدمها المشاركون: الكلام عـلى الجانب الإنسـاني من الأحداث («إطـار الأثر البشري») إلى جانب اسـتخدام «تعابير محملة بالعاطفة لتقويم الأثر الإيجابي أو السـلبي للسياسـات، وللأحداث، وللناس، وللمشكلات» (ص137)؛ الكلام على القضايا «بلغة الاقتصاد، بإصدار أحكام بالإشارة إلى أكلاف السياسات، واقتراح حافز الربح» (ص139) («الإطار الاقتصادي»)؛ وبالاعتماد على إطار اسـتقطابي عام («نحن» مقابل «هم») وبالإحالة على «شعور بالقوة أو بالعجز تجاه قضية ما» (ص142).

والأطر «تشبه الوصفات، فهي نصائح من مختصين حول الكيفية التي يتعين بها على المواطنين أن يطبخوا آراءهم» (كايندر، 2003، ص360). ويمكن للأطر أن تجعل أعدادا كبيرة من الناس يفكرون بالسياسـات على نحو مختلف؛ وبوسعها أن تؤدي إلى تحول في الرأي (كايندر وسـاندرز، 1996؛ نيلسون وآخرين، 1997) أو إلى السخرية السياسية Political cynicism (كابيللا وجاميسون، 1997).

(*) reverse discrimination ويقـال أيضـا positive discrimination وهـو تمييـز لمصلحـة أفراد منتمين إلى الأقليات المضطهدة، من حيث توزيع الموارد والتوظيف... إلخ.

وتهتم دراسات وضع الأجندة (آينغار وكايندر، 1987؛ ماككومبز وشو، 1972) بالعملية التي تجعل أعضاء الجمهور الأعرض يَعُدّون بعض القضايا العامة/ السياسية أهم من غيرها. ومنذ محاولة لازرسفيلد وميرتون (1948) المبكرة للتركيز على سلطة الميديا (خصوصا الميديا الإخبارية) في عملية وضع الأجندة وحتى اكتشاف ماككومبز وشو (1972) لما يكاد يكون علاقة تعادل كامل بين المسائل التي يعدها الناخبون بالغة الخطر وتلك التي تحظى بتغطية واهتمام كبيرين في الأخبار، في الفترة ذاتها، فقد ثبت أن التأثيرات المقررة للأجندة ظاهرة قوية وسائدة. وعلى الرغم من ذلك، فإن كايندر (2003) يجد مشكلات في الدراسات الرائدة حول إعداد الأجندة (مثلا، ماككومبز وشو، 1972). ويتصل أحد النقائص الرئيسية التي يكشف عنها كايندر بعجز الدراسات عن تبين «التغير الحقيقي في إعداد الرسالة، باعتباره عنصرا يتصل بالزمن بأكثر من اتصاله بالفضاء» (ص362 - 363). وقد أثبتت البحوث التجريبية والمسحية أن القضايا السياسية تصبح قضايا ذات أولوية عالية بالنسبة إلى الجمهور «بعد أن تصبح ذات أولوية عالية لدى الصحف وشبكات الأخبار» (ص363؛ انظر أيضا ميللر وكرونيك، 2000). وتتغير أولوية القضايا وبروزها مع الوقت، كما أن وضع الأجندة يتميز بالـ «دينامية - فالمشكلات تظهر، وتنتقل إلى مركز المشهد، لبعض الوقت، ثم تبدأ بالتراجع التدريجي، باتجاه الهامش» (2000، ص363). ونتيجة لذلك، فلا بد من فحص هذه القضايا، عبر فترة من الزمن.

ومسألة الكيفية التي يقوّم بها الفاعلون الاجتماعيون البدائل التي تطرحها عليهم السياسة جرت مقاربتها باستخدام فكرة «التجهيز». فالبدائل المتنوعة التي تُطرح على الفاعلين الاجتماعيين هي بدائل مركبة، وهذا التركيب يتطلب مستوى معينا من التنظيم والتثمين الإدراكيين في صوغ الأبعاد التقويمية. وعبر التجهيز، تتولى الميديا ومسؤولو الاتصال السياسي الجماهيري تأمين الأبعاد التقويمية. وعبر تغطيات الميديا يجري إبراز بعض المقاييس المعيارية فيما يُلقى بغيرها إلى «سلة مهملات» القضايا العامة: وكلما تكرر «تجهيز» بعض القضايا زاد ميل الناس إلى جعلها جزءا من تقويماتهم الاجتماعية والسياسية. ويُنْظر إلى التجهيز باعتباره آلية محورية في قلب الحملات السياسية (جيكوبز وشابيرو، 2000) ورافعة مساندة في حشد وتعزيز التأييد للأجندات والقضايا السياسية لدى الأحزاب السياسية. ويسمح

التجهيز عبر الميديا الإخبارية بالنظر إلى بعض القضايا السياسية باعتبارها، ليست فقط مرتبطة ببعض الأحزاب السياسية، بل و«مملوكة» لها. وقد لقي التجهيز مساندة تجريبية قوية (آينغار وكايندر، 1987؛ ميللر وكروزنيك، 2000؛ فالنتينو، 1999؛ فالنتينو وآخرين، 2002). وأثبتت هذه الدراسات أنه من الممكن تفعيل التجهيز تحت شروط تجريبية محكومة. ولكن ماذا يحدث عندما تأخذ التجهيز (وتضعه موضع البحث) خارج المختبر السيكولوجي؟ ما هي الدينامية والأهمية النسبية للتجهيز في الحالات «الطبيعية» حيث لا تكون تيارات الاتصالات تحت السيطرة المحكمة، وتكون متذبذبة، وغير ثابتة؟ كيف يصاغ التجهيز عندما يعالج بوصفه ظاهرة اتصالية؟

إن التجهيز بذاته لا يضمن أن تتغير أجندة الميديا الإخبارية العامة. انظر، مثلا، مستوى التأييد الراسخ للرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون، بعد فترة قصيرة من فضيحة مونيكا لوينسكي (انظر زوللر، [1992]، 2005)، وهو ما كان معاكسا لمؤشرات إعداد الأجندة والتجهيز. ويبدو أن إعداد الأجندة والتجهيز، معا، يطرحان رؤية معينة للسياسة وللتقويمات السياسية. إنها رؤية تكون فيها سياسات النخبة وتقويمات الفاعلين الاجتماعيين، معا، مسألة تتعلق بـ «البروز(*)» أو «التناسب»، بأكثر مما تتعلق بالمناظرة أو الحوار. وبحسب آينغار فـ «لأن الرأي العام يقوم على اعتبارات ضيقة ومرتبطة بقضايا بعينها، فالتحولات التي تطرأ على بروز القضايا يرجح أن تحدث إزاحة في توزيع التفضيلات، وبذلك تغير النتائج السياسية» (1993، ص211). فالبروز، والشكل، وتكرار الطرح هو ما يعوّل عليه، بأكثر مما يعول على محتوى المجادلة السياسية. وأيضا، فالإشارة إلى أن «إعداد الأجندة والتجهيز هما... أكثر انتشارا بين المواطنين الأوسع اطلاعا والأكثر ثقة» (ميللر وكروزنيك، 2000 ص313) تعني ضمنا أنه لا يعد كل واحد عضوا تكوينيا في العملية الاجتماعية. فهي تنتصر لرؤية للسياسة ترى ضرورة توجيهها، فقط، إلى أولئك الذين هم مجهزون لاستيعاب دلالاتها، وتمضي بهذه الرؤية إلى مدى أبعد.

(*) Salience وهو الأهمية التي تضفَى على مسألة بعينها لتبرز وتتقدم على ما عداها وسط التدفق الغامر للأخبار والتعليقات.

وهنـاك مقاربات أخرى من الاتصال السـياسي تنظر إليه باعتبـاره عملية تخليق للدلالات (كريغلر 1996). وبحسـب كريغلر (1996) فإن جميع المشـاركين في عملية الاتصال - الميديا، والمسـؤولين، والجمهـور - يُنْظر إليهم باعتبارهـم منخرطين في بناء رسـائل ودلالات (ص7). وما يحيل عليه كريغلر باعتباره مقاربة «بنيوية» من الاتصال السـياسي هي مقاربة معنية بمسـائل عرض وترتيب المعلومات السياسـية، الرسـائل والصور السياسـية المقصودة، والفهم الفردي للتغطية. ويقـع التركيز على بناء الدلالة السياسـية باعتبـاره عملية «ديناميـة» و«تفاعلية»، بموجبها «تسـبغ النخب والأفراد الدلالة على الأحداث السياسية» (ص1) وتتبدى أهمية المحتوى وعرض الرسالة، معا[4]. ولا ريب في أن المشـتغلين بعلم النفس السـياسي يعتبرون الاتصالات السياسية عملية تخليـق للدلالات. وبغض النظر عن الفهم المعمق الذي يمكن أن تزودنا به المصفوفات التجريبية، فهناك، على أي حال، غيـاب لعنصر فائق الأهمية. فالبحث التجريبي حول تأثيرات التأطير، أو التجهيز، أو إعداد الأجندة يطرح رؤية فردانية وستاتيكية لعمليات الاتصال السـياسي. ووفقا لهذه الرؤية، فالاتصال السياسي هو نتيجة المعالجة الإدراكية، فإلى أي حد يعد هذا كاشفا لحقيقة الاتصالات والسياسات ذاتها؟

الاتصال السياسي واللغة

تسمح لغة السياسة بكثرة من التأويلات والإمكانات التعبيرية من جانب النخب والفاعلـين الاجتماعيين العاديين، في آن معا (إيدلمان، 1988، 2001). لكن، بالنسـبة إلى غالبية المشـتغلين بعلم النفس السـياسي، فإن لغة السياسـة والفعل السـياسي يقال إنها لا تملك وجودا مسـتقلا عن الميكانيزمات الإدراكية وميكانيزمات المعالجة العاطفية للمعلومات. فمعالجة المعلومات السياسية تسبق الفعل السياسي. والبُنى الإدراكيـة والمزاجية «تقيد تركيب التأويلات التي ينتجهـا الناس» (كريغلر، 1996، ب، ص9؛ انظر أيضا ماركوز وآخرين، 2000). وعلى سـبيل المثال، فدراسـة الإدراك السـياسي تؤكد على الدور النشط للأفراد في معالجة المعلومات، بتطبيق الاسكيمات واليوريسـتيات(*) على المفهومـات، والأحداث، والنـاس، والموضوعات الاجتماعية.

(*) schemas هي تمثيلات تقوم على الخطوط العامة وheuristics هي عمليات تسـاعد الشـخص على استكشاف الدلالات بنفسه.

ودور النشـــاط الإدراكي الفردي هو «ترويض» (ماكغرو، 2003؛ تابر، 2003) التدفق المعلومـــاتي. والنـــاس يســـتخدمون الطرق المختـــصرة اليوريســـتية (بوبكين 1991) والاسكيمات (غرابر 1988) لكي «يتفكروا» في السياسات[5].

وحتـــى عندما يتركز الاهتـــمام على التفاعل بين المشـــاركين في عملية الاتصال - الميديا، والمســـؤولين، والجمهور - (انظر كريغلر، 1996) يبقى هناك شعور بأن هذا لا يعدو أن يكون جزءا من القصة. ويقال إن الوعد بفهم هذا التفاعل واستكشـــافه يكمن، بكامله، في دراسة الإدراكات والأمزجة السياسية للمشاركين كجزء من العملية السياســـية. والعمليات الخطابية، والاتصالية، والثقافيـــة يُنْظر إليها باعتبارها مجرد انعكاس للأطـــر الإدراكية والمزاجية (نيومان وآخـــرون، 2007) وجوانب ذات تمركز فردي ومعتمد على النوازع (بيكر وآخرون، 2010؛ بيكر وشويفيل، 2011). ولا تلقى فكـــرة أن تنظيم الاتصال الســـياسي يفعل فعله داخل الأنســـاق الخطابية والثقافية المتباينة للمجالات العامة والخاصة، وفي البيئات العولمية والمحلية لإنتاج واســـتهلاك خطابات الميديا، الاهتمام الكافي.

وبالتقدم على هذا النحو، فإن الدراسة السيكولوجية للاتصال السياسي والاتصالات عبر الميديا عرضة لخطر إساءة تقدير الوظائف الاجتماعية للغة (انظر إيدلمان، 2001). فاللغة يُنْظر إليها كوســـيط شفاف لتبادل الأفكار والمعلومات بأكثر مما يُنْظر إليها على أنها تُنجز وظائف بنائية وتأسيسية وتأويلية. ومعظم المشتغلين بعلم النفس الاجتماعي والسياسي يميلون إلى الاتفاق على أن اللغة السياسية (عبر الميديا) هي «بالضرورة مثيرة للمخـــاوف، والآمـــال، والتطمينات، والتهديدات» (إيدلمـــان، 2001، ص98). لكن يبقى الاختـــلاف قائما بين بعضهم، عـــلى أي حال، حول كيفية معالجة اللغة السياســـية (عبر الميديا). وتعتمد التحليلات الإدراكية للاتصالات عبر الميديا، حصريا، على وظيفة تمثيلية للغـــة، حيث يكون تخليـــق المعنى عبر الإطارات، والســـيناريوات، والعمليات الإدراكية مثل التجهيز، ووظيفة اللغة هي أن تعكس، وتمثل، هذه المســـائل وتســـاند الخلاصات العقلانيـــة وعمليات صنع القـــرار. ولا تتخلق الدلالات السياســـية، فقط، عبر المعالجة الإدراكيـــة أو ببروز إطارات بعينها، على حســـاب غيرها، ولكن أيضا بالدينامية التأويلية للانطباعـــات، والاهتمامـــات، والقيم، والأخطـــاء، والتوقعات، من جانـــب أولئك الذين يستخدمون اللغة على مستويات مختلفة من التنظيم الاجتماعي والسياسي.

فاللغــة «أداة تخلّق عوالم ونســخا من عــوالم» (إيدلمــان، 2001، ص82؛ ڤارن بيليغ، 1996؛ فيتغنشتاين، 1953). فالسياسة عبر وسائط الإعلام الجماهيري تؤسس لعدد متنوع من الخطابات، والمقولات الخطابية، والممارســات الاجتماعية وأشــكال الحيــاة (خذ، مثلا، اللغة الطقوســية للصحافة، اللغة التمثيلية للسياســيين، الحس الســياسي العام عند الفاعلين العاديين والاجتماعيين). والنظم الاتصالية السياســية، وكذلــك الأدوار المتنوعــة لأولئك الذين يشــتركون فيها - من سياســيين، وصحافيين سياســيين مهنيين، وأعضاء الجمهور، وما إلى ذلــك - هي مشروعات متنوعة، ومرنة وغــير مكتملة، دائمة الانزياح بين المقدمة والخلفية، بين النخبة والقواعد الشــعبية، بين اتصالات رسمية وغير رســمية، بين ممارسات مؤسسية مضبوطة وغير مضبوطة (بلوملر 2001). والهيكلة النخبوية للتأطير (بالنســبة إلى الرسائل، على سبيل المثال) وعمليــات الإنتاج في الميديا والتأويلات الجماهيرية والاســتهلاك الجماهيري، تعتمد على تشكيلات خطابية ومادية معينة (تنظيمية/ مهنية) لمخزونات الثقافة، والسوق والسلطة السياسية.

ويبدو أن التحليلات الإدراكية والعقلانية للاتصال السياسي عبر الميديا تقلل من أهميــة الانتباه إلى تعدد مســتويات القوة في اللغة، وهو ما يمكن أن يســاعد على تفهم تعدد الإمكانات، والمنظورات، والعوالم المتأصلة في حالات الاتصال السياســية/ المحدثة عبر الميديا. وعادة ما يُدْفع بأن نظرية عن الديموقراطية والسياسة تصحب (أو يتعــين أن تصحب) كل محاولة لفهم «توصيل، وتوزيع، وجودة، واســتخدامات المعلومــات من قبل المواطنين» (إنتمان(*) وبينيــت، 2001، ص468). لكن لا يتعين أن يتوقــف المــرء هنا. فالمــرء يحتاج أيضــا إلى نظرية عن اللغــة، لتكمل نظريات الديموقراطية والسياسة، ولترشد البحث الإمبيريقي (انظر أيضا الفصلين الأول والثاني، والفصلين السابع والثامن).

والنقطة هنا ليســت أن التحليلات الإدراكية للاتصال الســياسي لا تطرح تعليقا (اجتماعيــا) على السياســة، ولكــن أن هذا التعليــق مقصور على قضايــا معالجة المعلومــات، والاحتياجــات الســيكولوجية، وصنع القــرار العقــلاني، وليس موجها بالضرورة إلى الخبرة الاتصالية الفعلية اليومية وتفعيل السياسة. ويتعين على المرء أن

(*) Robert M. Entman أستاذ الصحافة والشؤون العامة بجامعة جورج واشنطن الأمريكية.

يدرس الاتصال السـياسي عبر الميديا على نحو مختلف، بالتركيز على السياسة نفسها وعلى الخطاب السـياسي تحديدا، باعتبارهما شـكلين مركبين للنشـاط والممارسات الإنسـانية المتحققـة في بيئات ثقافية ومؤسسـية بالغة الخصوصيـة، وفي التفاعل الاجتماعي، وعبر أشـكال ومقولات خطابية متنوعة. ويضع فيركلاو (2010، ص421، والتوكيد منقول عن الأصل) يده على هذه النقطة حين يكتب: «في أي اتصال، يكون من المحتم أن يمتاح الناس ممارسـات اجتماعية معينة (طرائق تعمل بها الأشـياء)، وأن يتوقعوها، ويستجيبوا لها، على نحو معلن ومبطن، في آن معا. فهم ينخرطون في عمليـة **بَيْخطابية** للامتياح الخلاق لعديد متنوع وممكن من الخطابات، والمقولات، والأساليب المكرسة».

وتتوقـف قـوة فاعلية أشـكال الاتصال السـياسي عـلى خصائصهـا الخطابية والاجتماعيـة الثقافيـة وعلى عديد البيئات، والأنشـطة، والممارسـات التي تتحرك عبرهـا. وهذا يشـير إلى أن المقاربات الخطابية من الاتصال السـياسي قد تكون لها مسـاهمة مهمة يمكن أن تسـاهم بها في هذه المسـاحة من البحث السيكولوجي السـياسي. وكما بيّن الفصلان السـابع والثامن فقد تركز القسـم الأعظم من اهتمام الباحثـين في الخطاب على التحليلات الخطابية والبلاغية المفصلة في لغة السياسـة، والتحليلات النقدية الألسـنية للاتصال السـياسي. وسـوف تعالج بقية هذا الفصل بعض هذه الاهتمامات بأمثلة مأخوذة من إثنوغرافيا السياسة، والأساليب الاتصالية لدى السياسيين، والإعلان السياسي، والفكاهة السياسية.

الاتصال السياسي والسياسة «المعتادة»

السياسيون، في الاتصال السياسي، منتجون للنص ومتلقون له، في آن معا (شافنر، 2010). وكما تكتب شـافنر «تحدث عملية الاتصال ونقل السياسة عبر الميديا داخل مقـولات وأنمـاط خطابية، ومن خلالهـا» (ص255). وعندما يصـف المرء الخطاب السـياسي باعتباره شكلا مركبا وشـبكة من نشاطات اجتماعية، فبوسع المرء إذن أن يتبين أهمية التفحص في كيفية الإنتاج الفعلي للخطاب السياسي، ونشره، واستهلاكه. فالسياسـيون يبنون أنشـطة وممارسـات خطابية معينة ويوجهونها ضد سياسيين آخرين؛ ويجري توجيه وإعداد ممارسـات خطابية أخرى للجمهور العام. وما تحيل

عليه ووداك (2011) باعتباره السياسة المعتادة هو نتاج لسلسلة من الممارسات الخطابية، والاجتماعية، والمؤسسية المركبة.

وأحد الأمثلة هو ممارسة الترجمة، التي تلعب، على نحو متزايد، دورا أساسيا في الاتصال السياسي الكوني. وتعتمد السياسات الأوروبية (خاصة سياسات الاتحاد الأوروبي) اعتمادا كبيرا على ممارسات الترجمة لنقل الرسائل السياسية. وكما بينت شافنر (2010) فإن «الصور النصية للترجمات» ليست حاويات محايدة لرسائل سياسية يتعين أن تنتقل عبر خطوط المصالح الحزبية والوطنية لكنها تتقرر على نحو محكم بفعل الأهداف الاتصالية وبالسياسات والأيديولوجيات المؤسسية (ص273). وبتفحص الكيفية التي تغطي بها التقارير المؤتمرات الصحافية والمواقف السياسية في الصحف الأوروبية، تبين شافنر إلى أي مدى يتأثر الاتصال السياسي الدولي والأوروبي بالترجمة وكيف يمكن لممارسات الترجمة أن تتسبب بالصراعات حول التضمينات والحواشي المتصلة بالدلالات السياسية.

وبحسب ووداك (2011) فيتعين على المرء أن يكون قادرا على توصيف «السياسة المعتادة» (السياسات «الواقعية») بالنظر في العديد من الممارسات، والنشاطات، والسياقات التي تحدث السياسات فيها وعبرها. وقد أفضى التصاعد في «إسباغ الطابع الروائي» والدرامي على السياسة إلى تغيير «الحدود والمعابر الحدودية بين «الواقعي» و«الخيالي» في السياسة وتمثيلاتها في الميديا» (ص155)[6]. وتتمثل إحدى الطرق لمعالجة هذا الأمر في الانخراط في تحليل إثنوغرافي الطابع للشبكات الفعلية للممارسات السياسية. وبمتابعة أحد أعضاء البرلمان الأوروبي طوال يومه، تلاحظ ووداك (2011) كيف يتمكن السياسيون، بكل يسر، من التنقل «بين مختلف الإطارات والسياقات، ليختاروا وليوظفوا، في كل مرة، ما يتعبرونه ملائما من أساليب، وعلامات تأدب، ورطانة مهنية، وموضوعات بارزة ونقلات سجالية» (ص152). وتترك الأجندات السياسية آثارا (خطابية) إبان «أداء» السياسيين في الاجتماعات العامة، أو المؤتمرات الصحافية أو المحادثات الخاصة مع مساعديهم.

ويجري استنباط أنماط مختلفة من المعرفة (تتدرج، من المعرفة «التقنية» بالإجراءات السياسية، إلى المعرفة والافتراضات «العامية» حول السياسة) لمساندة هذه الأداءات. وقد أثبتت البحوث الخطابية حول الاتصال السياسي كيف تقع

تعبئة المعرفة السياسية، عبر بيانات مباشرة لا يكتنفها لبس، وأيضا عبر افتراضات مسبقة، وتضمينات، ومجازات، باعتبارها طرائق إستراتيجية لـ «إنتاج صفقات» المعلومات السياسية (انظر تشيلتون، 2004). وتبين ووداك (2011)، مثلا، كيف أن سياسات الاتحاد الأوروبي تُفْهم عبر شروط مجازية. وهي تناقش المجازات الكثيرة المبثوثة في خطاب أعضاء البرلمان الأوروبي، باعتبارها «أطرا مفهومية ويوتوبيات ممكنة تتصل بما يتعين أن يحققه الاتحاد الأوروبي في المستقبل وكيف يجب أن تكون هيكلته وتنظيمه» (ص63). وتلاحظ ووداك الاستخدامات المتكررة لـ «مجازات الحاوية» («وعاء الانصهار»، «الحصن»، «قلب أوروبا»، «الأسرة الأوروبية الموحدة»)، و«مجازات الحرب والرياضات» (مثلا، تصوير التكامل الأوروبي باعتباره «حربا/ صراعا»)، و«المجازات التنظيمية والاقتصادية» («الحدود العليا»، «العلامات القياسية»). وهي تشير إلى الكيفية التي استخدم بها مجاز «الترقيع» Patchwork على نحو مرن بهدف «تمثيل تشظي أوروبا الموسعة» (ص106). ولا وجود لتمثيل للاتحاد الأوروبي، مستقل عن الطرائق (الإستراتيجية) لإنتاج حزمات المعلومات السياسية، لكن هذا التمثيل ينظم باعتباره معرفة سياسية، في شبكة من الأطر المفهومية والمجازية.

وعادة ما تُسْتكمَل المعرفة السياسية، باعتبارها شبكة من الأطر المفهومية والمجازية، بمعرفة سياسية وشخصية، تنظم داخل ما يدعوه ليودار ونيكفابيل (2000، 2004؛ انظر أيضا نيكفابيل وليودار، 2002) «شبكات حوارية». وعلى سبيل المثال، فإن ليودار وآخرين يبينون كيف أن تيمات متنوعة لـ «العداوة» تكون «منقوشة في تقارير الميديا عن الأحداث الاجتماعية، وفي كلام السكان المحليين» (ص191) في سياق تفسير حالات اللجوء أو طلب اللجوء في المملكة المتحدة[7]. وبالنسبة إلى ليودار وآخرين (2008) فإن تمثيلات الميديا، وسرديات المجتمع، وحكايا اللاجئين أنفسهم لا توجد في شكل مستقل لكنها مرتبطة مع «شبكات حوارية» من الآراء. ويوضح ليودار وآخرون كيف أن الميديا والمجتمع المحلي يمكن لهما، أحيانا، أن يعجزا عن تبني قصص اللاجئين أنفسهم أو التنويه بها، كجزء من تفاسيرهم، في حين يضع اللاجئون نصب أعينهم التمثيلات المعادية في بنائهم لذواتهم. ويضع ليودار وآخرون أيديهم على تفاوت بين رؤية اللاجئين وطالبي اللجوء لأنفسهم

وكيفيــة سردهم لحيواتهم، من ناحية، وبــين ما هو مكتوب عنهم في الميديا، وكيف يدور الكلام عليهم في المحلات التي يعيشون فيها، من ناحية أخرى.

وتشير الطرائق المتنوعة التي يتموضع بها السياسيون، والميديا والناس العاديون، بالنسبة إلى بعضهم البعض إلى فكرة مؤداها أنه يبدو، بشكل عام، أن الأكثر معقولية أن يُنظــر إلى الميديا والآراء الفردية باعتبارهــا تعبيرات ذات بُنى عقلانية واتصالية، وجزءا لا يتجزأ من شبكات مفهومية وحوارية قائمة أو حديثة الإنشاء، أكثر مما هي خصال سابقة الوجود لمؤسسات وأفراد، أو نظم إدراكية.

الاتصال السياسي والأسلوب السياسي والمحاسبية السياسية

وبالانتباه إلى تفصيلات الممارسات الخطابية والاجتماعية، يمكن للمرء أن يبين تركيب الاتصال السياسي، وكيف يتحقق بالفعل في سياقات سياسية بعينها. وقد ساهم التحليل الجزئي (بول(*)، 2002، 2003) والتحليل الخطابي (فيركلاو، 2010) للأسلوب البلاغي لدى السياســيين (حالة بلاغة حزب العمال الجديد لدى رئيس الوزراء الســابق توني بلير) في تبيان الكيفية التي يُنْجَز بها الاتصال الســياسي، بالفعل، في موقعه الأصلي. وعلى سبيل المثــال، فإن بول (2000) يصــف المهارات الاتصالية في حل المشــكلات الاتصالية، مثل الأسئلة المكرورة، التحديات التي تواجه ما يُتَصوَّر أنه استجابات تنطوي على تناقض أو تحديات تتصدى لما يُتَصوَّر أنه تناقضات في التوجهات السياسية.

وبحســب بول (2000)، ففي المقابلات الإخبارية وغــير ذلك من المقابلات العامة، تحرك السياسيين الرغبة في الاحتفاظ بصورة إيجابية وفي «أن يلقوا مساندة من الآخرين» (ص 5). وبتحليل سلســلة من المقابلات المتلفزة، في وقت الانتخابات البريطانية العامة في 1997، ينظر بول في جوهر التناقض عند بلير، وهو يرد على أســئلة حول سياســات حزب العمال، بين 1983 و1997 (ظهور العمال الجديد، والتحرك باتجاه منطقة الوسط السياســية، إلخ). ويلقي التحليل الضوء على اثنتين من أهم الخصائص في خطاب بلير. أولا، لكي يؤكد على كل من الاســتمرارية السياســية والتحول، يفرط بلير في اســتخدام المصطلــح الملتبس «التحديث» (ص12)؛ لكنه لا يوجه، أبــدا، نقدا مباشرا إلى «العمال القديم». وثانيا، فإن «التحولات» في سياســة الحزب يجري تقديمها باعتبارها «مبدئية»،

(*) Peter Bull أستاذ علم النفس بجامعة يورك البريطانية.

و«التحول» عموما، يجري تصويره كعملية شاملة في الحياة السياسية، وليس شأنا خاصا بحزب العمال. وببناء «التحول» على هذا النحو فإن بلير «يتجنب إصدار ملاحظات تلحق ضررا شديدا بالصورة، سواء بالنسبة إليه أو بالنسبة إلى حزب العمال ككل» (ص13). وبرأي بول فإن استخدام بول للغة «التحديث» الملتبسة يمكن النظر إليه باعتباره استراتيجية للحفاظ على صورته وتقديم أفضل صورة ممكنة له ولحزبه.

وفي تحليله للغة السياسية للعمال الجديد، يضع فيركلاو (2010) يده على بعض الخصائص الجديرة بالاهتمام في أسلوب بلير السياسي. ويرى فيركلاو أن نجاح بلير في السيطرة على «المزاج العام» عقب وفاة الليدي ديانا في 1997، هو في جانب منه نتاج «لغة مختلطة» (ص 387):

> أشعر بما يشعر به كل واحد آخر في البلاد اليوم - مُدَمَّر تماما. أفكارنا وصلواتنا هي مع أسرة الأميرة ديانا - وخاصة ابنيها، ولديها - قلوبنا تتجه إليهم. ونحن اليوم أمة، في بريطانيا، في حالة صدمة، في حداد، في حزن يؤلمنا على نحو بالغ العمق.

فمن ناحية، يمكن للمرء أن يلاحظ نوع اللغة الرسمية المكرسة، التقليدية التي تستخدمها النخب للاتصال نيابة عن الأمة، في ظروف رسمية («أفكارنا وصلواتنا»، «نحن اليوم أمة»). ومن ناحية أخرى، فهناك لغة أخلاقية شخصية («أشعر بما يشعر به كل واحد آخر»). وبحسب فيركلاو (2010، ص 388)، فإن بلير يستخدم «لغة عامية تتصل بالحالة المزاجية مع لغة رسمية» (مثلا، الإشارات إلى «مُدَمَّر تماما» و«حالة صدمة»)[8]. والانتقال من «ابنيها» إلى «ولديها» يشخصن اللهجة ليجعلها «أكثر حميمية، وأسرية الطابع». وتكمن قوة أسلوب بلير في «قدرته على المزج بين الرسمي واللارسمي، المراسمية والمشاعر، العمومية والخصوصية»، وفي «قدرته على "ربط" السياسي العمومي مع "الشخص العادي"» (ص 388). وهو لا يكف عن إعادة تأكيد الصورة السياسية لسياسي عادي، نزيه، ودود.

ويتمتع بلير بالقدرة على أن يمزج، بقدر لا بأس به من النجاح، اللغة الشخصية بلغة أكثر رسمية وأكثر تمثيلا وهو يتكلم عن موت الأميرة ديانا[9]. ويشير كل من بول وفيركلاو إلى فكرة تقول بأن الشخصية السياسية والأسلوب السياسي «ليسا من

المعطيات المسـبقة، بل يجري بناؤهـما بعناية» (فـيركلاو، 2010، ص 388). وتحتاج السـياقات والبيئات السياسـية المختلفة إلى أسـاليب سياسـية «مختلفـة»، لألعاب وتنظيمات مختلفة للاتصال السياسي.

ويمكـن أيضا أن يدرس تركيب الاتصالات السياسـية، وكيفية إنجازها في سـياقات سياسـية ومؤسسية معينة، عبر التركيز على المسـاءلة - بالنسبة إلى البعض فهذه هي المحاسبية الجديدة للسياسـات الديموقراطية عبر الإعلام. فمن البديهيات في السياسة الديموقراطيـة أن السياسـيين قابلون للمسـاءلة من جانب الصحافيـين ومن جانب السياسيين الآخرين، وفي حدود الإجابة عن الأسئلة (كلايمان وهيريتيج، 2002؛ هاوسلي وفيتزجيرالـد، 2002؛ هاتشـبي، يُنْشر قريبا؛ تيليغا، 2010). وفي المناظرات السياسـية و«برامج الحوار Talk show والمقابلات في برامج الأخبار السياسـية» يتأتى العثور على الدور الليبرالي الديموقراطي للبث، في أنقى صوره، وهو **يوصّل** بين الجمهور وسياسييه، مؤمنا للجمهور الوصول إلى الخطاب السـياسي في حالته الخام، ومؤمنا للسياسيين قناة اتصال مباشر مع الناس (ماكنير، 2011 ص، 76، والتوكيد منقول عن الأصل).

ويمكـن أن نـرى الإدارة العامـة للمحاسـبية السياسـية في المقابـلات الإخبارية السياسية باعتبارها «فرصة لتزويد موضوع المناظرة بمختلف التصنيفات، والإسنادات، والتقويمات» (هاوسـلي وفيتزجيرالـد 2002 ص 58). وتجد عند تيليغا (2010) فحصا نموذجيا للدينامية الخطابية للمحاسـبية السياسية. والسـياق هو سياق إدارة لتمثيل حدث اجتماعي - سـياسي: ثورة 1989 في رومانيـا. والمقتطف المبين أدناه مأخوذ من مقابلة إخبارية سياسـية يظهر فيها إيون إيليسـكو، أحد الشـخصيات الرئيسـية في أحداث ديسـمبر 1989 ورئيس رومانيا في ذلك الوقت. وظهور إيليسـكو من غمرات الحمى الثورية، على التلفزة الحكومية أولا، ثم باعتباره قائدا ومؤسسا لجبهة الخلاص الوطني، بعد ذلك، ليست سوى بعض الجوانب التي جعلت منه شخصية يدور حولها الجدل في الثورة الرومانية. وأحد أهم المواقف النقدية ضد إيليسـكو (وقد صدر عن الميديا الليبرالية وعن المثقفين) تمثل في القول بعجزه عن تأسيس محاسبية ديموقراطية شفافة عن فظائع سفك الدماء وقتل الأبرياء في ديسمبر 1989. وتمحور دفاع إيليسكو، أساسا، حول إنتاج وبث تمثيل مسيطر للثورة في رومانيا، باعتبارها «حقيقية» (كمقابل لتمثيلات لـ «الثورة» باعتبارها نتاجا لانقلاب أو مؤامرة خارجية)، وتأسيسـية، ونقطة

تحول في تاريخ الأمة. وفوق ذلك فإن إيليسكو واصل الإنكار، بكل قوة لأي تورط في أحداث 1989، أو مراهنة عليها، أو مسؤولية (مباشرة) عنها.

وجرت المقابلة على التلفزة الحكومية بمناسبة الذكرى السنوية الرابعة عشرة لثورة رومانيا. فبإتاحة فرصة المشاركة العامة، التي شملت، تقريبا، كل من لديه جهاز للتلفزة في ذلك الوقت (الثورة المباشرة) اكتسبت أحداث سبتمبر 1989 عديدا من المعاني، التي كانت موضوع تفاوض، ونزاع، وصياغات، داخل التمثيلات الأيديولوجية المتنوعة للأحداث. وتشمل هذه التمثيلات عديدا من الأفكار، التي تمضي من الثورة «النقية» لتصل إلى المؤامرة الداخلية/ الخارجية والانقلاب (لمزيد من التفصيل، انظر سيزيرينو، 2004).

المقتطف (1)

19	المذيع	ألا تظن أن (.) ظهور الصياغات الأسطورية حول موضوع
20		الثورة، حسب تعبيرك (.) ساعد عليه، من بعض النواحي،
21		الفقر في المعلومات بخصوص ما جرى آنذاك؟ (0.2)
22	إيليسكو	ليس فقط الفقر في المعلومات، ولكن أولا وقبل كل شيء الفقر (0.2) الذي يتسبب
23		في الشعور بالخيبة لدى الناس بعد 14 عاما من (.) الثورة
24		(.) آمال الناس في التحسن لم (.) تتحقق
25		وبالنسبة (.) إلى الأغلبية الساحقة (.) خلافا لذلك (.) فمن المؤكد أن هناك دائما ألعابا
26		سياسية (.) لم تكن هناك ثورة في (.) في العالم لم يكن فيها
27		تنازع بين (.) مختلف (.) القوى (.) في كل بلدان العالم (.)
28		والثورة الفرنسية (.) لا تزال حتى اليوم موضع مناظرة (.) وهكذا،
29		> فهذه ليست ال< (.) المشكلة (.) >الأساسية< (.)
30		وأيضا، فاستكشاف التفاصيل (.) والجدل حول جوهر المشكلة
31		(.) هو الموضوع الذي يتعين أن يشغلنا (.) وإلا، فمن المؤكد (.)
32		أن الانشغال بالنظر في التفاصيل هو أيضا أمر طيب (.) وهذه
33		وظيفة مؤرخي (.) الشعب الذين بوسعهم (.) المساعدة في (.)

والســؤال في الســطر 19 موجه، مباشرة، إلى المستجوَب إيون إيليسكو. ويبدي المســتجوِب توجها إلى «الضوابط التي تقضي بــضرورة الحفاظ على موقف الحياد بإنتــاج منطوقــات يمكن، على الأقــل، اعتبارها "أســئلة"» (غريتباتش، 1998، ص 168). ويجســد السؤال «تفضيلا بالغ القوة للإجابة بـ "نعم"» (كلايمان وهيريتيج، 2002، ص 209). ويثــير الســؤال إمكانية أن تكون المواقــف النقدية التي يقدمها المســتجوِب باعتبارها «صياغات أســطورية حول موضوع الثورة» (الســطران 19 و20) قد لا تكون مجرد توجهات وراءها دوافع سياسية، بل قد تكون مرتبطة ببعد مختلف يتصل بالمحاسبية، وهو عدم القدرة على معرفة ما جرى آنذاك («الفقر في المعلومات»، السطر 21).

وسرعان ما يتم التنويه بــأن «الفقر في المعلومات» هو إجابة محتملة معقولة، لكن يلي ذلك، فورا، انتقــال إلى شرط موضوعي، يتصل بحقيقة اجتماعية: «الفقر» ذاته هو ما يقال إنه حال معظم الناس الذين «لم تتحقق آمالهم بالتحسن» (السطر 24). ولا ينكر إيليسكو شرعية السؤال، ويبدو أنه يتفق مع وجهة النظر التي ينطوي عليهــا التحدي من جانب المســتجوِب. وعلى رغم ذلــك، فجوهر الأمر يكمن، فيما يقال، في موضع آخر: في «الشــعور» الموضوعي «بالخيبة» وهو شعور (السطر 23) تسبب به الفقر. والانتقال إلى «الفقر» يبرز مسألة معالجة «القضية الحقيقية» مثار النــزاع. والانتقال «مشروع وحافزه هو الفقر» (كلايمان وهيريتيج، 2002، ص 264)، عبر المنظور التبريري المطروح.

وتمثــل عبارة «خلافا لذلــك (.) فمن المؤكد أن هناك دائما ألعابا سياســية»، في الســطرين 25 و26، نقلة تســووية وتطبيعية لفهم الجدل والتنازع (السياســيين). ولاحظ اســتخدام صياغة الحالة القصوى «دائما» ومجاز «الألعاب السياســية» وقد اســتُخْدما لتقرير الســمة الدائمة والطبيعيــة/ الموضوعية للجدل الســياسي (انظر جيفرســون، 1985؛ إدواردز، 2000 حول استخدام صياغات الحالة القصوى). وتقع إزاحة / مراوغة تتصل ببعد المحاســبية السياســية الذي يتضمنه الســؤال، بتقديم بعد بديل: الإشــارة إلى مــا يُنْظر إليه باعتبــاره من الخصائص الأساســية للثورات: التنازع حولها (الســطران 26 - 27). وهنا تســجيل مماثل لاســتخدام صياغة لحالة قصــوى: «لم تكــن هناك ثورة في (.) في العــالم لم يكن فيها تنــازع»، «في كل بلدان

العـالم»، وبذلـك فهو يبني حجتـه باعتبارها قائمة على حقائق. ومـا يتضمنه هذا التفسـير هو أن «الثورات» يتعين فهمها عبر منظور ما، عبر شروط **تاريخية** (ليست مرتبطة بسـياقات وأحـداث محلية) ومقولاتية (تيليغا، 2008). وبفضل اكتسـابها عضوية في المقولة الاجتماعية «الثورة»، فيمكن لأحداث ديسـمبر 1989، أن توصف بأنها تتقاسـم مع غيرها الخصائص الأساسـية ذاتها: تلك التـي تتصل بكونها (دائما وبشـكل أساسي) محل تنازع. وبالإضافة إلى الإحالة السابقة على الحضور الواسع لـ «الألعاب السياسـية»، فتأسيس التنازع كخاصية أساسـية لـ «الثورة» يمثل الخلفية لنـزع الشرعية عن الأصوات (المحلية) الناقدة وتجاوز البعد العمومي للمحاسـبية المتصل بمعرفة الحقيقة.

ويسـمح التقرير، في السـطور من 31 إلى 33 بتجاوز التوجه النقدي المتصل بـ «ما حدث آنذاك» و«ما هي الحقيقة» (والسـؤال ذي الصلة حول «كيف للمرء أن يعـرف الحقيقة»). وهو يخـرّب الشروط التي يمكن للمرء من خلالها أن يبدأ تفهم هذه المسـائل والاسـتجابة لها، بطرح بعد معرفي يرتبط بالدور: «الانشغال بالنظر في التفاصيل هو أيضا أمر طيب (.) وهذه وظيفة المؤرخين» (السـطران 31 - 32). وهذا يجري تقديمه كتنازل (آنتاكي وويذريل، 1999) لا يسـتخدم لاسـتبعاد مباشر للانتبـاه إلى التفاصيل، بل يُنْظر إليه كأمر مرغـوب فيه، وإن لم يكن اهتماما فعليا ومناسـبا للمتحدثين الراهنين (وبالتالي، للجمهور الأعرض). وهكذا تكتمل وتسـتقر قراءة «مفضلة» وأيديولوجية لحدث وطني محوري (ثورة رومانيا). لكن هذه قراءة أيديولوجيـة تقلل من أهميـة أبعاد بديلة تتصل بالمحاسـبية وبفكرة أن المقولات والتسـميات السياسية هي «في الغالب مختَلَف حول دلالاتها وتداعياتها» (إيدلمان، 2001، ص 79؛ انظر أيضا كونوللي، 1993).

الإعلان السياسي والفكاهة السياسية

لا يتمثل الاتصال السـياسي في البيانات المنطوقة والمكتوبة فحسب، بل أيضا في «وسائل بصرية لتخليق الدلالات مثل الملبس، والماكياج، وتصفيف الشعر، وتصميم الشـعارات، أي في جميع عناصر الاتصال التي يمكن أن يقال إنها تؤسـس "صورة" سياسـية أو هويـة» (ماكنير، 2011، ص 4). والإعلان السـياسي هو الوسـيط الذي

يخلّـق ويبث الصور والهويات السياســية (كايـد وهولزباتشــا، 2006)(*). ويحيل الإعلان السياسي على مختلف أشكال الاتصال السياسي، من المحتوى السياسي للإعلام الجماهــيري التقليدي (البث الســياسي للأحزاب) للافتات الإعلانية، والمنشــورات، ومواقع الحملات، وتدفقات التويتر واليوتيوب، والملصقات الافتراضية/على الانترنت، وحملات التناقل الإليكتروني، وما شابه.

وتعمل مختلف أشــكال النقل الوسائطي لـ «تقرير «تيمات» و«مواقع» الشأن الســياسي بطرائق بالغــة التنوع... وفق شروط تشــمل النقد والرفض كما تشــمل التصديق» (ريتشاردســون وآخريــن، 2011، ص 321)(**). والإعلان الســياسي على الإنترنــت هو أمــر ذو صلة بموضوعنا، فهــو مثال خاص على التأثــير بالميديا حيث يوضع «الســياسي» في شــبكة من النشــاطات التي تفتح إمكانات متعددة لتأويل الرســائل السياسية التي تكون، عادة، خارجة عن ســيطرة منشئها. وتزود الانترنت، عــلى نحــو متصاعد، المنخرطــين في حملات سياســية «بمنبر جديد لإطلاق رســائل حملاتهم» (2011، ص182). وانطلاقا من تجربة باراك أوباما واســتخداماته الخلاقة للميديا الجديــدة في الانتخابات العامة في 2008، اندفــع الصحافيون البريطانيون، في الانتخابــات العامــة في بريطانيــا في 2010، للترحيب بالجميــع في أول انتخابات إليكترونية (هاريس، 2010).

ومــع ظهور التكنولوجيــات الجديدة، خاصة شــبكات التواصل الاجتماعي، صار بوســع أي إنســان، تقريبا، أن يُخَلّق محتوى، أو يُخَرّب، أو يعدل، أو يثري محتوى موجودا. وفتح هذا الأمر عديدا متنوعا من الإمكانات لناشطي الانترنت، أو المدونين (المستقلين)، أو المشــتغلين بالفنون السينمائية/البصرية لإنتاج وبث محتــوى ينطوي عــلى إمكانية التأثير على الطريقة التــي يتفكر بها الناس حول قضايا سياســية محددة تماما. وينصب التركيز هنا على دور الفكاهة السياســية في التأثير على الطريقة التي يتفكر بها الناس حول قضايا سياســية. ومن الرســوم والكاريكاتورات السياسية في الصحف (ريتشاردسون وآخرين، 2011)، بداية من السخرية من كلمات وأســاليب السياسيين والأحزاب السياسية، وحتى استخدام

(*) Lynda Lee Kaid وChristina Holtz - Bacha أستاذتان أمريكيتان في دراسات الاتصالات الخطية.

(**) Glenn W. Richardson Jr أستاذ العلوم السياسية بجامعة كوتزتاون، بنسلفانيا، الولايات المتحدة.

الفكاهة في المناظرات الرئاسية (ستيوارت، 2011)(*)، يتبين أن القدرات الإبداعية والتخريبية للأشكال اللفظية، والبصرية، والدلالية ليست لها حدود (انظر أيضا لوكيار وبيكرينغ، 2001؛ سبيير، 1998)(**). وبحسب ريتشاردسون وآخرين (2011) فالحملات الانتخابية تؤمن «وقتا خصبا، على نحو خاص، لممارسي السخرية البصرية». فهناك إمكانات لا حد لها تنفتح أمام «التخريب، والتشويه، والمبالغة في الخصائص الشخصية لإحداث أثر فكاهي» (ص 312؛ ولكن انظر كويبرز، 2011 من أجل الروابط بين الفكاهة، والفضيحة، والإساءة)(***). وكما يقول ماكنير (2011، ص41):

> يستخدم السياسيون والأحزاب، الآن وعلى نحو روتيني، يوتيوب لإطلاق رسائل وإعلانات تتصل بالحملات، لكن هذه الرسائل والإعلانات تتعرض للتخريب من قبل مستخدمي الشبكة - بـ «المزج»، وإعادة الصوغ، وبإضافات رقمية - بطرق تسخر من المرسل وتستهزئ به. والاتصال السياسي على الانترنت عرضة لتدخلات من جانب مستخدمين يخلّقون محتوى رقميا لدرجة لا تنطبق أبدا على الميديا «القديمة»، بطابعها الركزي الذي كان يعمل من أعلى إلى أسفل.

وتعد اللوحة الإعلانية الكلاسيكية أو الإعلانات على الانترنت وسيلة لبث معلومات سياسية سابقة الإعداد حول البرنامج السياسي للمرشح أو لحزبه. وكما يلاحظ بيرجيس (2011)(****) فـ «على رغم الانتشار الواسع، فغالبا ما يجري تجاهل الملصقات من جانب أولئك الذين يحاولون تحليل وفهم الدور الانتخابي لمختلف وسائط الإعلام، وخاصة التلفزيون، وفي الفترة الأقرب إلينا، الانترنت» (ص 181). وتظهر الملصقات باعتبارها أمثلة على الرسائل السياسية المركزية، ولكنها نادرا ما تعالج، في ذاتها، كجزء لا يتجزأ من عملية الاتصال السياسي.

(*) Patrick A. Stewart أستاذ العلوم السياسية بجامعة أركنسو.

(**) Michael Pickering و Sharon Lockyer مـن جامعتي دي مونتفورت ولوفبره البريطانيتين على التوالي و Hans Speier عالم الاجتماع الذي ولد في ألمانيا في 1905 وتوفي في الولايات المتحدة في 1990 ومؤلف المقال الشهير «النكتة والسياسة».

(***) Giselinde Kuipers أستاذة علم الاجتماع الثقافي بجامعة أمستردام.

(****) Michael Burgess من جامعة كنت البريطانية.

وإعلانات الحملات على الإنترنت عرضة لتدخلات من جانب مستخدمي الانترنت. وفي الانتخابات العامة في 2010 في المملكة المتحدة قضية لها صلة بموضوعنا حيث جعلت الضجة التي ثارت حول mydavidcameron.com أشهر موقع انتخابي على الإنترنت. وقد زود mydavidcameron.com الزوار بفرصة التقليد الساخر للمادة الانتخابية الرسمية لحزب المحافظين والعبث بها، وإعادة تركيبها، و«إعادة صياغتها»، بالاستعانة بعناصر مطبوعة أو مصورة (انظر الشكلين 9-1 و9-2). وشهد فبراير 2010 انطلاق حملة اللوحات الإعلانية الرئيسية الثانية لحزب المحافظين («لم يسبق لي أبدا التصويت لصالح المحافظين») التي كان يفترض أنها موجهة إلى أولئك الذي لم يصوتوا للمحافظين من قبل. وظهرت في كل ملصق شخصية مختلفة: «جولي من «لاندوندنو»(*)، وإيان من «كونغلتون» و«دانييل من برايتون». وظهرت الشخصيات ذاتها في شرائط فيديو على يوتيوب وفي البث التلفزيوني لحفلات الحزب.





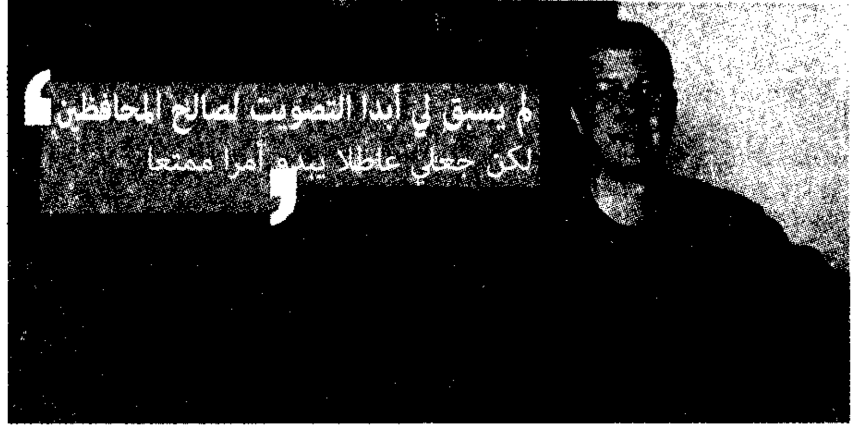
الشكل (9-1): الملصقات الأصلية لحزب المحافظين البريطاني

المصدر: mydavidcameron.com (آخر دخول على الموقع في يونيو 2012)

(*) Llandundno منتجع ساحلي في ويلز، Congleton مدينة على شاطئ نهر دين جنوبي مانشستر، Brighton منتجع ساحلي قريب من لندن.

وتستهدف النكات السياسية «المؤسسات الراسخة، أو السياسات، أو القيم المتعارف عليها عموما» (سبيير، 1998، ص 1353) أو القيم المعلنة والتي وقع عليها إجماع. وتؤشر قدرة مستخدمي الانترنت على تخريب الرسائل الرسمية للحملات إلى مفهوم يمكن من خلاله النظر إلى الرسائل السياسية باعتبارها مشغولات، بُنى، تعكس الأجندة والقيم الخاصة للأحزاب السياسية. والرسائل السياسية تصوغها عمليات تشفير وفك للشيفرات. وتصاغ الرسائل على نحو أيديولوجي، من قبل سياسيين وأحزاب سياسية لتطرح دلالة سياسية «مفضلة»، لكن المتلقين والجماهير قد يفكون الشيفرات (أو حتى يعيدوا التشفير) فيما يخص هذه الرسائل، بقدر معين من الحرية، يعكس شيفرات «ثقافية [وسياسية] معينة، تتصل، بدورها، بظروفهم الاجتماعية الأوسع» (فرانكلين، 2004، ص215). وتسمح السخرية والتهكم بأن تكتشف الجماهير بنفسها «التناقض بين المزاعم والحقائق» (بيليغ، 2005، ص 77) وأن تلقي الضوء عليه. الضحك متروك للجمهور.





الشكل (9-2): الملصقات المقلدة المنسوبة لحزب المحافظين البريطاني

المصدر: mydavidcameron.com (آخر دخول على الموقع في يونيو 2012)

وتعالج الملصقات (تصوغ) الرهانات والاهتمامات لدى «الناخبين». وتتحول جدية الرسالة الانتخابية، عبر السخرية، والفكاهة، والدهاء الحصيف. ولنلاحظ الاستخدام البلاغي لـ السخف (آنتاكي، 2003) في ملصق «أنا في السابعة» واللعب على المظهر مقابل الحقيقة في ملصق «جعلي عاطلا يبدو أمرا ممتعا». ويبقى إخراج الصورة كما هو؛ ما يجري تخريبه هو الرسالة السياسية. والعبث الساخر بالشخصيات الرئيسية في الملصق يمثل رد فعل على «الأداء» والافتراضات السياسية التي تحتويها الملصقات الأصلية. وكما يكتب بيليغ، فالفكاهة يتعين النظر إليها باعتبارها بلاغية «لأن البلاغة جزء من الاتصال الاجتماعي» (2005، ص 195). وعبر الاستخدام البلاغي للفكاهة يمكن للمتحدثين والكتاب أن يفعلوا أشياء متنوعة: أن ينتقدوا أو يمتدحوا، أن يؤيدوا أو يرفضوا، أن يقاوموا أو يعمقوا ممارسات بعينها. فاللقاء مع السياسة لا يحدث فقط عبر اللقاء مع جدية الرسائل السياسية للحزب، ولكن أيضا عبر المغزى التخريبي للمحاكاة الساخرة(*). وهنا فقط تصبح اللغة السياسية (والاتصال السياسي ذاته) مسألة سياسية رئيسية. وقد يفترض في أحيان كثيرة أن الاتصال السياسي يحدث على نحو يمكن، إلى حد بعيد، التنبؤ به، «على نحو واضح وكفء» وفي بيئة مستقرة، وأنه لا وجود لخلافات حول شروط المناظرة ذاتها. وتولّد الفكاهة السياسية لغة سياسية دينامية تخلّق وتعكس عوالم اجتماعية وسياسية بديلة (إيدلمان، 2001). ولكي يتيسر فهم الكيفية التي تعمل بها الفكاهة السياسية في هذه الظروف وفي غيرها، فلا بد للمرء من فهم الأغراض الاجتماعية والسياسية للفكاهة والسخرية (بيليغ، 2005). فالسخرية بالغة الأهمية للحفاظ على منطقية الحس السياسي العام. وبالنسبة إلى العابثين على موقع mydavidcameron.com فالدفاع عن حس سياسي عام بديل له أهمية قصوى، وينعكس في ملصقاتهم. ويمكن للتورية، والتهكم، وغير ذلك من تمظهرات الفكاهة اليومية أن يستهزئ بالمواضعات الراسخة للاتصال السياسي. فبوسع التهكم والسخرية السياسيتين أن تنتهكا قواعد التمظهرات والتعبيرات السياسية السائدة. وما يعد أحيانا «سخرية الانترنت» (بيرجس، 2011، ص 185) أو «تخريبا»(**)

(*) parody وقد تترجم إلى الباروديا أو البارودية.

(**) vandalism ويمكن أن تترجم إلى الوندالية، نسبة إلى العنف التخريبي الذي اشتهر عن قبائل الوندال الجرمانية التي اجتاحت فرنسا وإسبانيا وشمال أفريقيا في القرن الخامس الميلادي.

هي مجرد محاولات من جانب الناس لإنتاج سياسة (خاصة بهم) على نحو نشيط، وبطريقتهم هم؛ محاولات للانتقال من خانة المستهلكين للسياسة إلى خانة المنتجين النشيطين لها. وتعكس معابثات الملصقات فكرة مؤداها أن السياسة المقبولة ليست السياسة الحزبية وحدها؛ إنها السياسة التي يخلّقها المواطنون كمستخدمين، ومبدعين، ومُحوِّلين نشيطين للسياسة.

نحو مقاربة خطابية للاتصال السياسي

كما قلنا في الفصل السابق، فالمشتغلون بعلم النفس السياسي يظهرون ميلا لمعالجة اللغة باعتبارها متغيرا مستقلا أو تعبيرا عن نشاط عمليات إدراكية داخلية. وفي دراسة السياسة عبر الإعلام والاتصالات السياسية، تُجَرَّد اللغة، إلى حد بعيد، من خواصها البنائية والتأسيسية. ويُنْظر إلى الاتصال السياسي وإلى الاستخدام العمومي للغة باعتباره من خواص وشروط العمليات الإدراكية (اليورستيات، التأطير، التجهيز) وليس باعتباره خاصية أصيلة في الممارسات/النشاطات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي بين الناس. ويمكن لتحليلات الخطاب أن تساعدنا على تحقيق فهم أفضل للأنساق الخطابية والثقافية للاتصال السياسي. وبوسع المشتغلين بعلم النفس السياسي أن يتعلموا المزيد عن دقائق الاتصالات السياسية بالنظر في الطرائق المتنوعة التي يجري بها إنجاز وعرض الاتصالات السياسية، علانية. ومن المهم للغاية الكشف عن الأسس الخطابية (والأيديولوجية) للاتصال السياسي (ولتفعيله عبر الميديا)؛ أي تحليل التدبر الاجتماعي والسياسي، والالتزامات والمواقف السياسية، والقضايا المتصلة بالرهانات والمحاسبية، وهي الأمور التي تكتسب أهميتها لدى الناس عبر الكلام، أو النصوص، أو عبر الوسائل البصرية، ومعالجة هذا كله باعتباره نتاجا لإنجازات عملية طارئة وظرفية، وجزءا لا يتجزأ من ما يجري في عدد متنوع من الممارسات والبيئات السياسية. وكما بين الفصلان السابع والثامن، فهذه النقلة تستدعي معالجة السياسة باعتبارها مجالا من مجالات الممارسة الاجتماعية وشبكة معقدة من النشاطات الاجتماعية.

ومن المأمول أن يتمكن علم النفس السياسي، بتوسعة مجاله النظري والإمبيريقي، من تحقيق فهم أفضل للهيكلة وإعادة الهيكلة الاجتماعية والسياسية للتمظهرات

المتنوعة للاتصالات السياسية التي تتأسس عليها «طبيعة السياسة بمعنى جوهري» (فيركلاو، 2010، ص 158). وهذا يشمل تكوين وبث المعتقدات السياسية، والمعرفة السياسية، والممارسات والتمثيلات السياسية، والهويات الاجتماعية والسياسية، وتأطير العلاقات السياسية والارتباط بينها. وبوسع المشتغلين بعلم النفس السياسي الاستعارة من منظري الميديا / الاتصال ومن منظري الخطاب المعنيين بتركيبية الاتصال السياسي، والتعلم منهم. ويفتقر المشتغلون بعلم النفس السياسي، تاريخيا، إلى الأسس النظرية للتدبر في الاتصال والخطاب باعتبارهما من عناصر الاجتماعي والسياسي، ومن الموارد المنهجية لإنتاج تحليلات تفصيلية للاتصال والخطاب تتجاوز وضع قوائم للمخزونات الموضوعية و«الأطر» الخطابية. ويمكن للمنظور الخطابي للاتصال السياسي أن يسد هذه الثغرة ويخلق الحوار، الذي اشتدت الحاجة إليه، بين دراسات الخطاب والميديا / الاتصال وبين المقاربات السيكولوجية للاتصال السياسي.

وبوسع المرء أن يقول بوجود نوعين من الحتمية عند محاولة فهم الاتصالات السياسية عبر الميديا: حتمية تكنولوجية (تطرح وجود ارتباط ضروري وجوهري بين الاتصالات السياسية وبين طبيعة التكنولوجيات الجديدة) وحتمية سيكولوجية / إدراكية (تطرح وجود ارتباط ضروري وجوهري بين الاتصالات السياسية وبين مصفوفات معالجة المعلومات في العلوم الإدراكية). ويمكن للاثنين أن يحدا من الأفق السياسي للأفراد والباحثين معا، عوضا عن توسعته. ويمكن استكمال الاثنين برؤية للسياسة عبر الميديا تعالج الاتصالات السياسية، باعتبارها خطابا جرى إنتاجه على نحو متأنٍ، عملية تفاعلية وبَيْفعلية اجتماعية لصنع الدلالات السياسية. وكما يقول كايندر، بحق، فالمشتغلون بعلم النفس السياسي يتحملون مسؤولية «تحقيق التكامل بين نتائج الاتصال وبين القصة الأكبر للسياسة... ولا يمكن لعلم الاتصالات الجماهيرية الناجح حقا أن يكون مجرد جناح لسيكولوجيا الإدراك، على رغم الأهمية البالغة لعلم النفس في تطور هذا الحقل» (2003، ص 379). والتحرك الجاد، بعيدا عن الإدراك، وإعادة التوجه الحقيقية نحو اللغة وعمليات الاتصال النشط هما ما يمكن أن يزود المشتغلين بعلم النفس السياسي بأساس أعرض، ينطلقون منه لمعالجة التركيب ومعالجة التحول المتواصل في طبيعة الاتصال السياسي والخطاب السياسي.

خاتمة

«يتعين الانتظار حتى نتبين ما إذا كان مستقبل علم النفس السياسي يكمن في الحوار مع علوم الإدراك، أو مع علـوم التطور، أو مع علوم الأعصـاب، خاصة عندمـا يجري امتياح هـذه المقاربات على نحو غير نقدي»

كما بيّنـت الصفحات السـابقة، بوسـع المرء أن يحقق فهما أعمق للسـلوك السياسي، ولقوة وجدوى علم النفس السـياسي بالتأكيد على تنـوع منظوراته. وبالطبع، فالعالم الكوني لعلم النفس السـياسي يمتد إلى ما وراء حدود أوروبـا وأمريكا الشـمالية. ولا تنحصر قضايا علم النفس السياسي، وموضوعاته، وابتكاراته فيما يختار الأكاديميون الأوروبيون وزملاؤهم في أمريـكا الشـمالية أن يدرسـوه. ولا هـي محـددة بقضايا سـيكولوجية. وفي كل أنحاء العـالم، يجري تطوير طرائـق جديدة وخلاقة لفهم التمظهرات المختلفة للسـلوك السياسي: يسـتعير بعضها، ببسـاطة، النماذج والأدوات من الزملاء الأعلى مكانة في أمريكا الشـمالية؛ ويمضي آخرون على طريق مسـتقلة، لتطوير رؤى نقدية، وللكشـف عن ثغـرات جديدة،

وتخيل أدوات بحـــث جديدة، وفرضيات أكثر ملاءمة لبحث الســياقات المحلية الاجتماعية والسياســية. وأحد التحديات الرئيســية لعلم النفس السياسي يرتبط بأفضل الطرق لتعزيز طرائق بديلة لممارسة علم النفس السياسي.

وبالبحث عن رؤى متكاملة وتكاملية، ينشــغل علم النفس السياسي المعاصر (خاصة في أمريكا الشــمالية) بابتكار تكنولوجيــات جديدة للبحث يمكن لها أن تُحــدث تغييرا أو تحولا في هذا الحقــل. ولا شيء يعيب هذه المقاربة. فالأدوات المفهوميــة في العلــوم الإدراكية، أو علوم التطور، أو دراســة الجينات، أو أدوات علوم الأعصاب تدفع بعلم النفس السياسي نحو وجهات جديدة مثيرة. لكن من الممكن أن تنشــأ المشكلات عندما تســتخدم هذه المقاربة للتنبؤ بمستقبل علم النفس السياسي وتقرير مساراته. وما تقوله هيلين هيست ينطوي على قدر كبير من الصدق: التنبؤ بالمستقبل عمل محفوف بالمخاطر؛ وتقرير مسارات المستقبل هو ممارســة محكوم عليها بالإخفاق (2012، ص 1). ويتعين الانتظار حتى نتبين ما إذا كان مستقبل علم النفس السياسي يكمن في الحوار مع علوم الإدراك، أو مع علــوم التطور، أو مع علوم الأعصاب، خاصة عندما يجري امتياح هذه المقاربات على نحو غير نقدي. ويمكن لهذا الحوار أن يحول علم النفس الســياسي إلى نظام تحكمه مشــكلات الحقول الأخرى وأولوياتها. ولكن ما يمكن أن نكون واثقين به، على رغم كل شيء، هو أننا كمشــتغلين بعلم النفس السياسي، نبقى قادرين على الدوام على الالتفات إلى حيوات الكائنات البشرية «الملموسة»، لتوصيف وتأويل ممارساتهم الاجتماعية، وتفاعلاتهم الاجتماعية، وحوافزهم، وتمثيلاتهم، كما تبدو لهم في طارئيتها الكاملة(*).

هنــاك اتجاه في علــم النفس الســياسي لافــتراض أن الأفــراد، والجماعات، والمجتمعات منخرطة في بحث كلي عن الدلالة في شــكل قيم، ومعرفة سياســية، وهويــات اجتماعيــة، وما إلى ذلــك. ويتمثل المنظور البديــل في القول بأن هذا البحــث عن دلالة هو، من الناحية العملية، متشــظٍّ، وغير مكتمل، ونســبي، في حدود الســياقات التي يؤدى فيها. وكما بيّن هذا الكتاب، يمكن لمزيد من التركيز المتــأني والممنهج على الجوانب الاجتماعية - الثقافية للأيديولوجيات السياســية،

(*) contingency ارتباطها بشروط لا تتحدد سلفا.

والتمثيلات الاجتماعية والهويات الاجتماعية، واللغة والفعل السياسي أن توجه المشتغلين بعلم النفس السياسي والاجتماعي نحو طرح تحليلات وتعليقات أكثر شمولا وأوضح بصيرة حول الجوانب الاجتماعية - الإدراكية، والثقافية والخطابية للسياسة والسلوك السياسي. ويمكن للرؤى التي جرى توصيفها في هذا الكتاب أن تقيم أسس تأويل أقل اختزالية وأكثر تبصرا لعديد متنوع من السلوكيات والتمظهرات السياسية لدى الأفراد والجماعات.

وربما تعيّن على المشتغلين بعلم النفس السياسي أن يتعمدوا الدعوة إلى اهتمام واضح بمناهجهم، وافتراضاتهم، وعمليات إنتاج المحصلات لديهم، وأن يكونوا أكثر وضوحا في الإشارة إلى تميز مفهوماتهم، وأدواتهم، وخلاصاتهم، بطبيعة بنيوية أكثر من تميزها بطبيعة اكتشافية. ويمكن القول بأن علم النفس السياسي مستمسك بفكرة أن المعرفة الوضعية (المعرفة الناشئة عن منهجيات بحثية يسيطر عليها الباحث) يمكن استخدامها لحل مشكلات اجتماعية (ماتز، 2009). والمشكلة الوحيدة هي أن هذا النوع من المقاربات يمكنه، أحيانا، التغاضي عن تنوع أطر المنطق السياسي المتجذر في الرؤى السياسية للعالم، لدى مختلف الجماعات، والمجتمعات، والأفراد، وكذلك في تناقضاتها والتباساتها، ومعضلاتها. ويعمل علم النفس والسياسة، كمنطقتين من مناطق النشاط الإنساني والحالة الإنسانية، على إبراز الصور الحالاتية، والخصوصية، والطارئة للطبيعة الإنسانية، وللشخصانية، والاتصال والفعل الجمعي.

ويمتاح المشتغلون المعاصرون بعلم النفس السياسي (ويصممون) مناهج وأشكالا للمعرفة هي أبعد مدى وأوسع نطاقا من تلك التي أتيحت لأسلافهم. وقد تأتى لرينغ أن يكتب في 1967 عن علم النفس الاجتماعي، قائلا: نحن في حقل فيه كثرة من رجال الحدود، وقلة من المستوطنين (ص 120). وبوسعنا اليوم أن نقول إن علم النفس الاجتماعي والسياسي هو حقل يكثر فيه المستوطنون، ويقل رجال الحدود أو نساء الحدود. ويرى بعض الباحثين في هذا الأمر مكسبا فارقا؛ ويراها آخرون ميزة متوهمة. ولكي يتيسر تفهم التوجه المستقبلي لعلم النفس الاجتماعي والسياسي، يتعين على المشتغل المعاصر بعلم النفس السياسي أن يتطلع إلى الماضي، وإلى الكُتاب الكلاسيكيين في هذا التخصص. فقد اشتغلت

المشـكلات التي أثارتها الأعمال المبكرة في علم النفس الاجتماعي لدى آلفباكس، أوليبمان، أو بارتليت أو تريد، كلها، على الأحداث «الأكثر مباشرة والأكثر واقعية، في الحياة اليومية، والمبادلات المادية والرمزية بين الأفراد» (موسكوفيسي، 1988، ص 213)، الأحداث والمشكلات التي طرحتها عليهم مجتمعاتهم هم. وبالالتفات إلى أحــدث التطــورات في العلوم الإدراكيــة والتطورية، فربمــا كان علم النفس الســياسي يتغافل عن قدرته على تعزيز وســط فكري منفتــح على رؤى أرحب، وحريص على استكشــاف العوالم المعيشــة المثقلة بالمعنى، بأكثر مما هو حريص على السعي وراء البيانات.

الهوامش

الفصل الأول

(1) وفقـا لما يذهب إليـه لاكوف فـإن «مقولتي المحافـظ والليبرالي، فيما يخـص الفعل الأخلاقي، تخلقـان في كل نظام أخلاقي فكرة عن المواطن النموذجي - نمط مثالي - عن مواطن هو أفضل مثال على أشكال الفعل الأخلاقي (2002، ص169).

(2) أعرب كل من غالوب وراي في العام 1940عن مشـاعر مشابهة: «يشمل الجمهور كثرة مـن الناس الذين لم يتأهلوا تربويا لمهمة المواطنة. ووجد آخـرون أن حياتهم الاقتصادية غير آمنة إلى درجة أنهم يسـقطون بكل سـهولة ضحايا للحلول السـحرية الزائفة. فهم مستغرقون في مكابدات يومية للعيش على الكفاف إلى درجة تجعلهم لا يجدون الوقت أو الفرصة للتفكير على نحو متسق بمشكلات الأمة» (1940، ص186-7). وقبل ذلك كان ليبمان يطرح وجهة نظر مشابهة: «لا يخصص المواطن سوى القليل من الوقت للشؤون العامة، وإن كان لديه اهتمام عابر بالحقائق، وما لا يزيد على شهية ضعيفة للنظريات» (ليبمان [1927]2009 ص 14-15).

(3) إذا كان كونفيرس متشككا في قدرة (قدرات) الفرد على تنظيم المعلومات السياسـية في نظـم عَقدية متسـقة وذات مغـزى، فإن محـط آمال المشتغلين بعلم النفس السياسي المعاصرين هو سمو الأحكام والخيارات الجمعية. والصورة المعاصرة تتمثل في جماهير نشـطة وسياسـات تمرر عبر الميديا (انظر التقرير الموسـع في الفصل التاسـع). ومع المشـاركة الجماهيرية الزائدة والمتزايـدة في الميديا الاجتماعية الجديدة، واهتمام الميديا بنقل الصورة وبالنقل الفوري، فيما يتصل بالرأي الانتخابي (انظر، مثلا، تجربة «الدودة» على شاشـات التلفزة البريطانية إبان الانتخابات العامة في المملكة المتحدة في العام 2010)، والحملات الأخيرة لقياسات «فضاء تويتر»، فإن الجماهير الساكنة قد حلت محلها جماهير جديدة، ونشـطة، وتفاعليـة، ومؤمنة بالتواصل. ووفق كاسـتيلز، فإن الجمهور المعاصر هو«مزيج من مسـتهلكين سياسـيين ومشـاهدين متفاعلين» (2011، ص163).

(4) يحــدث التوازن بــين تأثيرات الميــول الأصلية (لاكــوف، 2002) والثقل والأهميــة المميزين للمعلومات السياســية وبين الانخــراط العمدي في المناظرات الاجتماعية والسياســية (بيكر، وشويفوللاه 2011) والمشاركة في مناقشة القضايا (بيكر وآخرين 2010).

(5) لمطالعة تقارير ممتازة عن تاريخ الرأي العام ودلالاته، انظر هيربســت (1998) وفي تاريــخ أقرب (2012). ويؤمن بيرنســكي (2012) مجموعة بالغــة النفع مــن نصوص قريبــة العهد حــول الاتجاهــات الجديدة بخصــوص بحوث الرأي العــام، تغطي عديدا متنوعا مــن زوايا الرؤية بينها البحث المسحي، والأيديولوجيا السياسية، والشخصية، والحملات، والسياسات العامة.

(6) على سبيل المثال، فبالنسبة إلى ليبمان «الصوت الانتخابي وعد بالمناصرة» (ص46). ويترتب على ذلك أن «الجمهور لا ينتخب المرشح... هو يصطف وراء أو ضد شخص طرح نفسه وقدم وعدا» (ص47).

(7) وفقــا لوجهة النظر هذه، فيكفي، ببســاطة، أن يتفحص المرء اتجاهات الاســتطلاع - مثلا، ردود الفعل على الهجمات الإرهابية في الحادي عشر من ســبتمبر 2001 (هدي وآخرين، 2002) أو مناصرة الحركة النســائية (هدي وآخرين، 2000) ليقترب من تفهم ما يفكر به الناس حول قضايا اجتماعية ملحة.

(8) لمزيد من التفصيلات حول هذه المســائل ولجدول بحثي يتناول البلاغة السياســية والخطــاب الســياسي كشــكل مركب من أشــكال النشــاط الاجتماعي، انظر الفصلين السابع والثامن.

(9) وفقــا لوجهة النظر هذه، فيكفي، ببســاطة، أن يتفحص المرء اتجاهات الاســتطلاع - مثلا، ردود الفعل على الهجمات الإرهابية في الحادي عشر مــن ســبتمبر 2001 (هــدي [Leonie Huddy] وآخــرون، 2002)، أو مناصرة الحركة النســائية (هدي وآخريــن، 2000) ليقترب من تفهم ما يفكر فيه الناس حول قضايا اجتماعية ملحة.

(10) تضع تقانات اســتطلاع الرأي أسس التمييز بين رأي عام جدير بالاحترام ومستنير (هو ذلك الذي تكرسه وتسانده الاستطلاعات ذاتها) ورأي عام يمكن تحقيره، رأي عام غير مســتنير (ذلك الذي لا تسانده الاستطلاعات ولا يكون ممثلا فيها). وبتعبير بورديو (2012) فالرأي العام هو، بالأساس، رأي من يستحقون أن يكون لهم رأي.

(11) مــن المفارقات أن منطق غالــوب يلقى تقديرا لدى المشــتغلين بعلم النفس الســياسي المعنيين بالمقررات الخطابيــة، والاجتماعية، والثقافية لتكون الرأي العام والتعبير يفوق التقدير من جانب المشتغلين باستطلاع الرأي العام المعنيين بالتقدير الكمي للآراء.

(12) تتوازى مرئياتهم مع مرئيات المشتغلين بعلم النفس الاجتماعي المعنيين بدراســة اللغة والفعــل الاجتماعــي في علم النفــس الاجتماعي (انظر [مارغريــت] بوتر و[جوناثان] ويذريــل، 1987؛ وويذريل وبوتر 1992؛ والفصل السابع لوصف تفصيلي لانشغال كهذا).

(13) لتقويم نقدي لمفهوم النوستالجيا، انظر لونتال (1989) بيكرينغ وكيتلي (2006) ورادستون (2010).

(14) انظر تيليغا (2009، ألف)، لمناقشــة موســعة لهذا الموضوع في ســياق التمثيلات الاجتماعية للشيوعية.

(15) لمزيد عن المعالجة الكمية للــرأي والعمليات الديموقراطية، انظر أيضا هيربست (1995).

الفصل الثاني

(1) يميــز روكيتش بين القيم كأهداف (ما يســميه القيم «النهائية») والقيم كنماذج للسلوك (ما يسميه القيم «الأداتية»).

(2) ويشارك روكيتش في فرضيته هذه باحثون معاصرون. والفرضية المركزية في أغلــب البحوث هي أن أولويات القيمة ثابتة، عموما، على مر الزمن،

وهـــي عناصر مفتاحيـــة في بنية المعرفة السياســية، وفي تنظيم المواقف السياسية والسلوك السياسي (فيلدمان، 2003).

(3) هناك أوجه شبه بين نظرية القيم عند شوارتز والأعمال التي انبثقت من اكتشــافات هوفســيد عن المجتمعات الفردانية والجمعانية (هوفسيد، 2001) وبخاصة تلك التي تحاول ربط الخصال بأبعاد الثقافة (هوسفيد وماكراي، 2004).

(4) لمزيد من التفصيل انظر/www.worldvaluesservey.org (آخر دخول في يوليو 2012)، وهو مصدر شامل لمادة نظرية وإمبيريقية حول الموجات المختلفة لتقرير القيم الدولي. وبالنسبة إلى تقرير القيم الأوروبي، انظر/ www.europeanvaluessturvey.eu (آخر دخول يوليو 2012).

(5) وهـــما يجدان أيضا اختلافات واســعة في التوجــات القيمية بين المنتمين لأجيال أقدم أو أحدث ما يبدو، برأيهما، انعكاسا لـ «عملية تحول قيمي من جيل إلى جيل» (ص228).

(6) ويمــضي إنغلهارت وويلســل إلى حــد الدفع بأن «صعــود قيم التعبير عن الــذات يفضي إلى ارتفاع قــوي في احتماليــة أن يصبح مجتمع ما ديموقراطيــا (إن لم يكن بلغ ذلك المبلــغ بعد) أو أن يبقى كذلك» (إن كان ديموقراطيا بالفعل).

(7) بالنســبة إلى كل من تارد وعلماء النفس المعاصرين فإن «الجمهور... هو الزمرة الاجتماعية للمستقبل» (ص 281).

(8) على الســاحل المقابل للأطلسي كان الفيلسوف البراغماتي الأمريكي جون ديوي يكتب عــن الفروق بين جماهير «أقدم»، «جماهير «متجانســة» وراكدة، وبين «قوى أحدث» هي التي «خلقت أشــكالا اتحادية متحركة ومرنة» (ديوي [1979] 1954، ص 139-140).

(9) يذهب البعض إلى أن «شعوب غالبية هذه البلدان لم تصبح أكثر ثقة أو أكثر تسامحا، أو سعادة، أو أكثر تجاوزا للمادية، بعد حركتها الدراماتيكية

باتجاه الديموقراطية» (إنغلهارت وويلسـل، 2005، ص 159، والتشديد على حرف الجزم يوافق الأصل).

(10) يزودنا ويلزل (2009) وإنغلهارت (2009) وشين (2009) بصور عريضة نافعـة للقضايا الإمبيريقيـة الأقرب إلى زماننا، المتصلـة بالتعبير ما بعد المادي عن الذات وغيره من القيم المرتبطة بعمليات الدمقرطة.

(11) يذهب البعـض إلى أن «الحالات أو الأحداث المؤلمة تظهر ضمن الآثار الجانبية للتحول الاجتماعي الكبير... وأن الأحداث أو الحالات المؤلمة قد تحدث خلخلة في الطرائـق الروتينية المعتادة في الفعل أو التفكير، وقد تغـير العالم المعيش للنـاس على نحو غالبا ما يكـون دراماتيكيا، فتعيد صوغ نماذج الفعل والتفكير» (شـتومبكا، 2000، ص 456). ومن الأمثلة على الحالات المؤلمة البطالة، أو الفقر.

(12) تبـين ماركوفـا (2004) كيف تبددت الثقـة في دول أوروبا الشرقية عقـب الانتقال من حالات اجتماعية اختلطت الثقة فيها بالخوف، إلى حالات اجتماعية بعد شيوعية اختلطت الثقة فيها بالمخاطرة. وتوضح ماركوفا كيف أن الحالتين هاتين ليسـتا مجازين يناقض أحدهما الآخر بقدر مـا هما متكاملتان كمـوارد في الصراع بين الأفـراد والجماعات والأمم بهدف اسـتيعاب مـوروث النظام السـابق ومشروعية النظام الديموقراطي الجديد.

(13) لحجة كوروستيليفا صداها في الدراسات حول الأنظمة الهجينة (ليفسكي وواي، 2010، انظر أيضا ليفسـكي واوي، 2002)، حيث توصف الأنظمة السياسـية (الديموقراطية) باعتبارها مزيجا من مؤسسـات ديموقراطية رسمية (متضمنة على انتخابات حرة ونزيهة) ومؤسسات وتنظيمات غير رسمية تعمل ضدها.

(14) بحسـب شـين (2009) ربما تعين على المرء أن يميز بـين الديموقراطية من حيث المبدأ، ومسـاندة تطبيقية فعلية للديموقراطية. وبوسـع المرء أن يدفع بأن التمييز بين الديموقراطية باعتبارها «نظاما سياسـيا مثاليا» والديموقراطيـة باعتبارهـا «نظاما سياسـيا يجري تطبيقـه ليس تمييزا

فاعلا بالنسبة إلى عالم السياسة وحده، ولكن أيضا بالنسبة إلى الفاعلين الاجتماعيين والسياسيين العاديين. وتثبت دراسات قامت على المسح أن «الديموقراطية باعتبارها نظاما سياسيا مثاليا حازت مساندة جماهيرية غلابة في مختلف أنحاء العالم» (شين، 2009، ص 270). لكن مؤشري شرق آسيا والأوروبي الجديد يشيران، فيما يبدو، إلى أنه «وإن كان المواطنون، على وجه العموم، يساندون الديموقراطية، فهم لا يرغبون في العيش في ديموقراطية كاملة أو قريبة من الكمال»(2009، ص 271).

(15) قد يمثل وجود «رباط خفي مع التسلطية» في الديموقراطيات الناشئة (بالنسبة إلى شرق آسيا، انظر شين وويلز، 2005) مشكلة تتعلق باعتبار «التسلطية» النقيض (الكامل) لـ «الديموقراطية»، بأكثر مما هي مشكلة توجّه مناهض للديموقراطية.

(16) عن نجاحات الديموقراطية وإخفاقاتها، انظر أيضا دانييري (2006).

(17) يذهب بعض المؤلفين إلى أننا نشهد «التصدير» الناجح نسبيا لمناهج البحث المسحي حول العالم، من دون كبير اهتمام لعواقب تطور كهذا (هيث وآخرين 2005). والمشكلة الوحيدة هي أن عولمة مناهج البحث المسحي أفضت إلى انفراد بالسيادة لإطار فكري، ولمجموعة من الافتراضات التي قد لا تكون مناسبة تماما خارج نيويورك» (هيث وآخرين 2005، ص298).

(18) على سبيل المثال، في كتابهما الصادر في 2005 يخصص إنغلهارت وويلسل فصلا كاملا لتحليل تنبئي لنتائج الموجة الجديدة من المسوح، على أساس نتائج سابقة. وما يتبين من ذلك هو أن «النموذج» يعمل، وأنه نبوئي بدرجة عالية.

الفصل الثالث

(1) على سبيل المثال، فإن محاولة قريبة للغاية من زمننا (وينتر، 2011) لرسم «صورة شخصية» للرئيس الأمريكي باراك أوباما تصف الرئيس

بأنه «كاريزماتي»، وناجح للغاية في «المناوشـات السياسـية»، بما يظهره من سـيطرة قوية على عواطف الجمهور، وما يظهره من هدوء الطبع، وارتفاع القدرة على معالجة المعلومات السياسـية المعقدة. وبالنسـبة إلى وينتر، يبدو أوباما تجسـيدا لأعلى درجات المهنية السياسـية وقوة العاطفة والعمق.

(2) حاولت التحليلات، المثقلة بتأثيرات من النظرية الاجتماعية الماركسـية، والتحليـل الفرويـدي والنيوفرويـدي، لـ «الشـخصية التسـلطية»، أن تربـط بين ممارسـات التحامـل وممارسـات التطبيـع الاجتماعي. وفي آدورنو وآخرين (1950) تشمل «الشـخصية التسلطية» عناصر من كلا المنظوريـن، مع تأكيد على نماذج أوسـع، تتصـل بالأيديولوجية وبعلم السمات الشخصية characterology، من شأنها تفسير معاداة السامية.

(3) يشار إلى عرض اللاتسامح باسم «العقل المنغلق» أو الشخصية الدوغمائية. وعـلى الطرف المقابل للظواهـر المترابطة، تحـدث روكيتش عن «العقل المنفتـح» أو الشـخص غير المتحامـل (روكيتش، 1960). وأقـدم آيزينك (1954) على محاولة أخرى لربط الشـخصية بالتحامل. وعلى غرار مافعل روكيتش، زعم آيزينك أن ميل الناس إلى اللاتسامح يتوقف على مصادقتهم على أيديولوجية يسـارية أو يمينية. وسُمّي هذا التوجه «الثبات العقلي»، كنقيض لـ «التهافت العقلي» وجرى ربطه بخصلة عقلية هي الانبسـاط (وبعـد ذلك الذهانية). ويمكـن الدفع بأن آيزينك مضى إلى حد الزعم أن توجهات الناس، وبينها مستوى التحامل عندهم، يمكن أن يتقرر جينيا.

(4) في محاولـة لمـد النمـوذج ذي البعـد الواحد عند آلتمايـر، يقترح داكيـت وآخرون (2010) مقاربة ثلاثية للتسـلطية اليمينية: نموذج التسـلطية – المحافظية –التقليدية لقياس التسـلطية اليمينية، على أساس التغاير التقاطعي لثلاث خصال: الانصياع التسلطي، والعدوان التسـلطي، والتقليديـة. وبالنسـبة إلى داكيت وزملائه التسـلطية، والمحافظيـة، والتقليدية هي ثلاث «بنيات للتوجهات الأيديولوجية» متمايزة لكنها مترابطة.

(5) مـن أوجه القصور الأخرى في أي تفسـير للشـخصية عـدم القدرة على شرح توحيد التوجهات التحاملية في أوسـاط جماعات كاملة من الناس وتعثرهـا وهي تحاول شرح الكيفية التي يصبح بها التحامل محل توافق في مجتمعـات بعينها (على سـبيل المثال، مجتمع الأبارتايد السـابق في جنوب أفريقيا) ولماذا تميل جماعات بعينها، أكثر من غيرها، إلى أن تصبح هدفا لتحامل (تاريخي).

(6) بـدا التسـلطيون مثيرين للخوف، أشـداء، ذوي اتجـاه ذكوري في خطابهـم. وعندمـا كان المسـتجوِب أمريكيـا مـن أصـل أفريقي كان التسـلطيون يوصفون بأنهـم «بغيضون» و«غـير وديين»، بل و«مضطربون نفسيا /عاطفيا».

(7) انظـر بيليـغ (1985) لنقـد مبكر لعلـم النفس الاجتماعـي للتطرف والاعتدال، وباكس (2009) لتاريخ المفهومات المتصلة بالتطرف السياسي. وحول اليمين المتطرف في أوروبا، انظر باكس ومورو (2011).

(8) لنظرة عامة على البحوث حول التحامل كناتج طارئ للتفاعل الاجتماعي، انظر كوندور وفيغو (2012).

(9) انظـر أيضا سـتوكوي وإدواردز (2007) حول ظهور الاتهامات بالتحامل المحتمل توجيهها في استجوابات بشأن جهود الشرطة وأنشطة المجاورات، وكيفية إدارتها في التفاعل الاجتماعي.

الفصل الرابع

(1) يمثل «الشـخص المطلـع على الأمور» و«المواطـن المنخرط حقا «نقيض «المواطـن العادي» الذي لا يمكن له أن يحلم بالوصول للمسـتوى ذاته من التعقيد السـياسي. ووفقـا لما يقوله كونفيرس فقد تسـيطر «قضايا ملموسـة»، بعينها، على اهتمامه/ اهتمامها و«تفضي إلى تكوين رأي ذي مغزى سـياسي، لكن الاهتمام يبقى محـدودا... ويعجز المواطن العادي عن تطوير رؤى أكثر شمولية عن السياسة» (ص 54).

(2) يقدم كوكلينسكي وبيتون (2009)، وكونفيرس (2009)، ودالتون كلينغمان (2009) خطوطا عامة ونقدا نافعا للعمل الكلاسيكي والأقرب عهدا حول النظم العقدية الجماهيرية.

(3) لكـن هناك اختلافا في الرؤيـة، بالغ الأهمية، بين الاثنـين. ففيما يعالج كونفـيرس التفكر السـياسي، والمجتمـع، والعالم السـياسي باعتبار ذلك نظاما، ونسـقا، من المعتقدات (أي نواتج التفكر)، يعالج موسـكوفيسي المجتمـع والعالم السـياسي باعتبارهما نظامين، ونسـقين لـ «التفكر» و«المعرفـة». وإذا كان الإدراك والمعلومـات عند موسـكوفيسي يجري تصورهما باعتبارهما ظاهرتين مفترضتين مسبقا، فالفاعلون الاجتماعيون عند موسـكوفيسي، ينشئون معا بنيتهم الإدراكية، وبذلك فهم يؤسسون لعلاقات اجتماعية.

(4) كما بين باور وغاسكيل (1999) فهذا التمييز هو أبعد ما يكون عن الخلو من الإشـكاليات، لأن العلم والحياة اليومية هما مجالان لإنتاج المعرفة؛ وعمليات التحقق والتوافق تمارس دورا في كلا المجالين (ص167).

(5) خذ، مثـلا، التمييزات القائمة بين الطب الطبيعـي والتقليدي العضوي. يعبر الأول عن أنشـطة عالم توافقـي، وآراء، ومعتقدات، ووجهات نظر تقوم على فهم مشـترك، حول قدرات الجسـد، في حـين يعبر الآخر عن أنشطة عالم محقق، بقدمين ثابتتين على أرض العلوم الطبية.

(6) تعرض موسـكوفيسي للنقد، في مناسبات عدة، بسبب افتقار التعريف إلى الإحـكام أو للافتقار، أصلا، إلى تعريف للتمثيـلات الاجتماعية (انظر، بين عديدين، جاهودا، 1988؛ بوتر وإدواردز، 1999). وبالنسبة إلى موسكوفيسي (1988) فمسألة كيفية تعريف التمثيلات الاجتماعية ترتبط، أوثق ارتباط، بما هي نظرية التمثيلات الاجتماعيـة. فنظرية التمثيلات الاجتماعية هي «في آن معـا، مقاربـة أو طريقة للنظـر إلى الظواهـر الاجتماعية، ونظام لتوصيفها وتفسيرها» (ص213). أي أنها تشتمل على رؤية للمجتمع، رؤية للاتصال، رؤية للتفكر اليومي، وعلى محاولة لتوصيف وتفسير ميكانيزماتها (الخلقية، والاجتماعية، والسياسية)، في آن معا.

(7) بحســب موســكوفيسي فكل ســلوك يبدو، وفي آن معــا، فرضا ونتاجا لطريقتنــا في تمثيلــه (1988، ص214). ولا يجــب أن نعتــبر أن هذه الفكرة تنطوي على تناقض يدعو إلى الدهشــة. فهي، بالأحرى، الأساس الفعلي الذي ينشــئ فوقه الفاعلون الاجتماعيون علاقاتهم بأنفســهم، وبالمجتمع، وبالآخرين.

(8) بحسب باور وغاسكيل (1999) فالبروباغاندا، النمط الاتصالي المميز لدى الشــيوعيين، ولدت صورا مقولبة ســالبة للتحليل النفسي. وكان الهدف هو إقصاؤه من الوســط ومن الخطاب الشــيوعيين. وقد هدف الترويج في الأوســاط الكاثوليكية إلى «الســيطرة على اســتقبال أفــكار التحليل النفسي بصــوغ **توجهات** أكثر مما كان بصوغ الصور المقولبة» (ص 164 - 165، والتوكيــد منقول عن الأصل). وقد تولــدت أفكار نتيجة النشر، وهو الممارسة الاتصالية النمطية في الوسط الحضري. و«الصور المقولبة» والتوجهات والآراء هي جميعها جزء من التمثيلات الاجتماعية للتحليل النفسي، كنتيجة ترتبت على إستراتيجيات الاتصال.

(9) كيف يمكن للمرء أن يســتوثق مــن أن جميع هذه المبادئ جزء من عمل اســتقصائي؟ باتباع نصيحة موسكوفيسي: فالطريقة الوحيدة لفهم المعرفة الاجتماعية هي بـ «إعادة غمسها في «المختبر الاجتماعي» حيث تشكلت، أي في «المحيط الاجتماعي للاتصال» (موسكوفيسي، 1988، ص 215).

(10) يستتبع البحث في المعرفة السياسية أيضا الالتفات إلى الوظيفة الرمزية للتمثيــلات اللغوية (انظر إيدلمــان، 1977، والفصل الســابع). وترتبط الاستخدامات الرمزية للسياسة ارتباطا وثيقا بالوظيفة الرمزية للتمثيلات اللغوية التي تعكس العمليات المركبة للدلالات، والتضمينات، والإشارات كوسائط بين الأفراد والمجتمعات، والعالم الاجتماعي/ السياسي.

(11) بالنســبة إلى دواز وآخريــن (1999) فإن حقوق الإنســان هي مبادئ إرشــادية لتقويم العلاقــات (ص2). وترتبط حقوق الإنســان بالحقائق والمعتقــدات الجمعية المتصلــة بالواقع؛ فهي نمــاذج لعلاقات مقبولة، ولنماذج أولية لعلاقات منصفة وعادلة.

(12) في الاتجاه ذاته، تمضي دراسة أجراها كليمنس وآخرون في 1995 حول التمثيلات الاجتماعية لانتهاكات حقوق الإنسان، انتهى فيها الباحثون إلى وجود قدر منح الفهم المشترك عبر البيئات الوطنية (فرنسا، سويسرا، إيطاليا، كوستاريكا). وفي ترتيب تنازلي لما جرى الاتفاق عليه، فإن ما عُدّ انتهاكا لحقوق الإنسان، وفقا لما بينه كليمنس وزملاؤه، بالنسبة إلى المشتركين كان كما يلي: الحبس من دون دفاع يؤديه محام (86 في المائة) وضرب الآباء لأطفالهم (82 في المائة) ترك رجال ونساء يموتون جوعا (81.3 في المائة) إدانة سجين بعد أعمال شغب من دون دفاع يقوم به محام (79.3 في المائة) السجن بسبب الاحتجاج ضد الحكومة (78.1 في المائة) وصولا إلى قتل لص اقتحم منزلك (55.6 في المائة) وحظر التدخين في اجتماع ما (30.5 في المائة).

(13) لقد أثبتنا وجود عملية ثنائية في الاتصال، عملية اتصال ذات اتجاهين - من العلم والتكنولوجيا باتجاه الجمهور، وأيضا من الجمهور باتجاه العلم والتكنولوجيا.

الفصل الخامس

(1) تعمل الجماعة المتدنية المكانة/التابعة والجماعات الرفيعة المكانة/المسيطرة، كلتاهما، على الحفاظ على التراتبيات الاجتماعية. وكما يقول براتو وآخرون فإن «الأفراد والمؤسسات يقوّي كل منهم الاتجاهات المعززة للتراتبية لدى الآخرين» (1994 ص 758). وتنسب نظرية السيطرة الاجتماعية للمؤسسات الاجتماعية دورا أساسيا في صوغ معتقدات وسلوكيات الأفراد. ويمكن أن تلعب المؤسسات دورا في «إبراز التراتبية». (بالترويج لمعتقدات وسلوكيات تمييزية) أو في «تخفيف التراتبيات» (بتقليص المعتقدات والسلوك التمييزية). وينخفض رصيد الناس القائمين بدور في تخفيف التراتبيات (مثل الاختصاصيين الاجتماعيين) من حيث الميل إلى السيطرة الاجتماعية (SDO) مقارنة بالناس في مواقع ابراز التراتبية (مثل ضباط الشرطة) (سيدانيوس وآخرون 2004).

(2) يرتبــط الدافع والتوجه الســيكولوجي / التطوري الشــامل بالحاجة إلى إضفاء الشرعية على النظام الاجتماعي والاقتصادي والســياسي (جوست وباناجي، 1994؛ جوست وآخرين، 2004). ويرى هدي (2004) أن هذا يســتلزم أخذ الاختلافات بين الأفراد، فيما يخص رؤيتهم لـ «مدى شرعية النظامين الاقتصادي والسياسي الحاليين» في عين الاعتبار، (ص 952).

(3) بُنيــت الرؤى النظريــة في نظرية الهوية الاجتماعية ونظرية الســيطرة الاجتماعية وصيغت عبر اللقــاء بين الفردي والاجتماعي، ووفقا لما ارتآه هوغ وآبرامز (1988) فدراســة العداوات الاجتماعية في نظرية السيطرة الاجتماعية تعتمد على افتراض مؤداه أن المجتمع يجري إنشــاؤه وتقرير بنيته في شــكل «فئات اجتماعيــة متمايزة، بينها علاقــات قوة، ومكانة وهيبــة» (ص18). وبالنســبة إلى رينولــدز وتيرنــر (2000) فالعداوات الاجتماعيــة يمكن توصيفهــا باعتبارهــا «منتوجا عقلانيــا وصالحا من الناحية الســيكولوجية للطريقة التي يدرك بهــا أعضاء جماعات معينة البنيــة الاجتماعية للعلاقات بين الجماعــات» (ص 160 علامات التوكيد منقولة عن الأصل؛ انظر أيضا تيرنر 1999 أ وب).

(4) مــن الانتقــادات الأكثر شــيوعا لنظرية الهوية الاجتماعيــة أن تركيزها الأســاسي هو عادة على قياس الانحياز داخل الجماعة، سواء عبر أحكام تقويميــة أو بتوزيع مكافآت (هَــدي، 2001، 2004). لكن ما يعجز هذا النقد عن الإمســاك به هو طبيعة نظرية الهوية الاجتماعية. وكما يقول بيليغ فإن «نظرية الهوية الاجتماعية ليست نظرية عن التحيز... إنها، في أساسها، نظرية حرية الجماعة. فهي تتحدث عن الطريقة التي يمكن بها للجماعات المقموعة أن تجد طرائق لتحدي الجماعات التي تملك سلطة تكريس هويات وصور مقولبة» (2002، ص 179).

(5) يؤيد ما يذهب إليه رايشر ما يكتبه بروور من أنه «في العالم الاجتماعي الحديث المركب... قد تكون عمليات الفرز الفردية إلى منتمين للجماعة - غربــاء عنهــا (وإن كانــت دراماتيكية وقوية) اســتثناء أكثر مما هي قاعدة» (2010، ص11).

(6) يمكـــن تصور بعض هـــذه العضويات المتعـــددة المنتمية إلى الجماعة باعتبارهـــا عضويات قد تكون غير متمشـــية مـــع الجماعة أو مناقضة لمنطقها. وعلى ســـبيل المثال، فإن جاســـبال وســـينيريللا (2010) درسا مظاهر الهوية عند المثليين المســـلمين البريطانيين من أصول باكستانية في ســـياقات دينية غير مثلية. وبينت الدراسة أن إنكار شرعية مؤسسة دينيـــة قد يعمـــل كأداة ســـيكولوجية ضد التناقـــض المنطقي. فكون المرء مثليا ومســـلما لم يكن يُنظر إليه دائما كأمر مناقض للمنطق. وما اكتســـب الأهمية الكـــبرى كان الإدراك الذاتي لدى الفـــرد للتناغم بين الهويات (ص 865).

(7) قد يفضي جعل الناس يفكرون بالآخرين وفق أبعاد متعددة إلى تخفيف التحيـــز البيجماعي. ويمكن للمرء أن يزيد مدركات التنوع عبر تصنيفات متعـــددة وأن يفتـــح الطريـــق لمداخلات تقـــوم على نظريـــات ومبادئ سيكولوجية (كاميرون وتيرنر 2010).

(8) لأمثلة أخرى على إنشاء الفئات في الخطاب السياسي، انظر الفصل الثامن.

(9) في حالات بعينها، وكما بين هوبكنز وآخرون 2007، فقد تفضي الاهتمامات الاســـتراتيجية المرتبطة بالهوية (بتحسين الصورة النمطية للجماعة، مثلا) إلى تقديم المساعدة لجماعة غريبة.

(10) بالنســـبة إلى سوباشـــيتش وزملائها، فالتضامن هو، بالأساس، أمر يتصل بـ «إعادة تعريف مســـتوى أعلى، هوية رفيعة تقرر معاييرها وقيمها ما إذا كانـــت العلاقـــات البيجماعية ذات الصلة مناســـبة ومشروعة أم لا» (2008، ص 332).

(11) وعلى ســـبيل المثال، فيمكن القول بأن الهويات الناشـــطة لا تُحمّل آليا بالدلالات السياســـية ولا تتكرس مرة واحدة وإلى الأبد. وفي أعمال تعالج التواريخ المعيشة لناشـــطين من اليمين المتطرف، بين ليندن وكلاندرمانز (2007) كيف أن «التحول إلى ناشـــط» هو عملية مركبة تشمل عمليات اســـتمرار الهوية (روابط مع إيلاف سياسي أســـبق)، وتحول (قطيعة مع الماضي) وامتثال (ربط الهوية بظروف تخرج عن السيطرة).

(12) الغارديــان في 20 أغســطس 2011، إرجاع أعمال الشــغب إلى تدهور خلقــي يمكن أن ينتج عناوين صحفية جيدة لكنه ينتج أيضا سياســات ســيئة (/www.guardian.co.uk/commentisfree/2011/aug/20 (tony - blair - riots - crime - family?intcmp=239) (آخــر دخول في يوليو 2012).

(13) اعتمد البحث «قراءة أعمال الشــغب» الذي اســتلهم دراســة أجريت في 1967 للشــغب في ديترويــت في الولايــات المتحدة، عــلى بيانات جُمعت مــن 270 مقابلة سرية مع أناس لهم دور مباشر في الشــغب، وكذلك على تحليل 2.5 مليون تغريدة متصلة بالشغب. وبعكس دراسة ديترويت التي اســتخدمت مناهج بحثية كمية، اتجه الرأي إلى أن مناهج التحليل الكيفية هي الأنسب لفهم اضطرابات أغسطس. ولمزيد من المعلومات حول «قراءة أعمال الشغب» انظر www.guardian.co.uk/uk/series/reading - the - riots (آخر دخول يوليو 2012). ولجدول زمني لأعمال الشغب انظر:

www.guardian.com.uk/interactive/2011/sep/05/england-riots-tineline-interactive

(14) وفقا لتقرير «قراءة أعمال الشــغب»، فالتركيــب الإثني العام كان 47 في المائة من الســود، و26 في المائة من البيض، و17 في المائة من أجناس مختلطة وغير ذلك، و4.5 في المائة من الآسيويين.

(15) الغارديــان، 7 ديســمبر 2011، «هدنــة الأيام الأربعــة: كيف تجاوزت العصابــات الصراعــات بينهــا إبــان الاضطرابــات» (ص6 - 7). وتؤيد الخلاصات التي انتهت إليها الغارديان وباحثو مدرسة لندن للاقتصاديات ما توصــل إليه باحثو الفعــل الجمعي. تكوُّن هوية وهدف مشــتركين ومتعاليين يمكن أن ينجح في تحريك فعل جمعي.

(16) كــما يبــين الفصل الرابــع، فالعقائــد الجمعية تــؤدي دورا مهما هي الأخرى. وعلى ســبيل المثال، فقد بينت جوديليه ([1989]1991) كيف أن التمثيلات الاجتماعية للجنــون تحمي هويات المجتمعات من خطر الجنون، وتنظم الفعل الاجتماعي إزاء من يعرّفون بأنهم الآخرون.

(17) الهوية السياسية الجمعية هي نتاج ثلاثة عوامل مهمة: الوعي بما يفهم على أنه مظلوميات مشتركة، وخطابيات اللوم والاستعداء، وإشراك أقسام أخرى من المجتمع. ويُنظر إلى الهوية الاجتماعية، والإدراك، والعاطفة، والتحفيز باعتبارها وسائط بين الهوية الجمعية وبين الفعل الجمعي (فان ستكلنبورغ وكلايندرمانز، 2010).

الفصل السادس

(1) الإيلاف الاستذكاري ظاهرة تحيل على مجمل الممارسات لثقافة معينة - أطر رسمية (متاحف، كتب التاريخ المدرسية) وأقل رسمية (عائلات تشترك في استعادة الذكريات، والتظاهرات المتباينة للثقافة الشعبية) - حيث تُستخلص دروس معلنة ومضمرة حول ما يمكن تذكره وما يمكن نسيانه.

(2) ما من قصة عن الإيلاف (السياسي أو غيره) تتسامى على المجتمع، والسياق، والتراث الخطابي (غيرغين، 2005، ص 117).

(3) يميز عالم الاجتماع جيفري أوليك بين الفهمين الفرداني والجمعاني للذاكرة الجمعية. فمن ناحية، هو يكتب عن «الذاكرة المحصلة»، «التي تقوم على مبادئ فردانية: الذاكرات الفردية المجمعة لأعضاء جماعة ما (أوليك، 1999، ص 338)؛ ومن ناحية أخرى، فهو يحيل على «الذاكرة الجمعية»، حيث تكون «لأنساق من المجتمعية لا يمكن اختزالها في عمليات سيكولوجية فردية أهميتها بالنسبة إلى هذه العمليات» (ص 341).

(4) قد يكون «الرابط» الثقافي لمقاربة تأويلية/ اجتماعية ثقافية للذاكرة هو الدراسة الأكثر شهرة بين كل ما كتب حول الذاكرة واستعادتها البحث عن «الزمن الضائع» لمارسيل بروست. فـ «الشاي ومادلين الصغيرة» هما من يطلقان رحلة إلى الماضي، خبرة مجسدة بالزمن والفضاء. ومع بروست يبدأ إدراكنا لحضور الماضي في كل حقل من حقول الخبرة الاجتماعية،

ولإمكانية ظهوره، في طرائق قصدية وغير قصدية، في الكيفية التي نعيش بها حيواتنا ونبني علاقاتنا بالآخرين.

(5) كما قال هو، وبشـكل شديد الإقناع، لم أنظر إلى الذاكرة، أبدا، باعتبارها ملكة... محصورة ومحوطة بسـياج دائـري، ومحتوية بداخلها على كل خصوصياتها، وكل تفسـير لهذه الخصوصيات. لقد نظرتُ إليها، بالأحرى كإنجـاز على خـط النضال المتصل، للسـيطرة على عالم حافـل بالتنوع وبالتحول السريع، والاسـتمتاع به (بارتلـت [1932]، 1995، ص 314). وقد بين بارتلت كيف أن الدلالات الثقافية (والمجتمعية) ليسـت ثابتة، وكيـف تلعب المواثيـق الاجتماعية، التمثيلات الاجتماعية، المؤسسـات الاجتماعية دورا محوريا في عملية التذكر.

(6) تُسـهم هذه العملية في تحويل الحدث إلى سردية جمعية. ويمكن للمرء أن يقـول بأن هذه العملية هي أيضا عملية سياسـية وأيديولوجية، قد تشـمل طرح أسئلة حول الحاضر، وما يعنيه الماضي في الحاضر (هودكين ورادستون، 2003، ص1).

(7) بالنسبة إلى الغريب، فالمعنى المسبغ على حدث سياسي، تصنيف الحدث، لا يوضع بالضرورة داخل سـياق سـجالي. وعلى سـبيل المثال، وبحسب المـؤرخ البريطاني تيمـوثي غارتون آش لم يتردد أحد في تسـمية ما جرى في رومانيا ثورة. فبالنهاية، بدا الأمر شـديد الشـبه بثورة: حشود غاضبة في الشـوارع، دبابات، مبان حكومية تحترق، والديكتاتور مدفوع به إلى الحائط ويطلق عليه الرصاص (1990، ص20).

(8) يتمثل جوهر المحولات الرسمية «الإمساك بالماضي الشيوعي» و«التوافق معـه» في دفع المجتمع «باتجاه عقل مشـترك» (تايلور، 2004، ص91)، واقتراح وإقرار رؤية خلقية وسياسـية للذاكـرة الجمعية تتمحور حول «حكاية وعظية» معيارية.

(9) لمزيـد من التفصيل حول بنية التقريـر ومداه وردود الفعل إزاءه، انظر سـيزيرينو (2008) سـيوبانو (2009) هوجيـا (2010) كينـغ (2007) تاناسويو (2007) وتيسمانينو (2007، 2008).

(10) وقد أُلحق بمشروع الديكتاتورية الشيوعية مزيد من النعوت. فالتقرير يوصّفه باعتباره «مناهضا للوطنية»، ويُصور القادة الشيوعيين باعتبارهم مفتقدين لـ «المشــاعر الوطنية»، والسياسات الرومانية بأنها لا تعبِّر عن «روح/ إرادة وطنية». وما يهم، سياسيا، بالنسبة إلى إدانة الشيوعية هو تصوير الشيوعية على أنها لا تعكس القيم والمصالح الوطنية الرومانية.

(11) لا وجــود لنهايــة طبيعية لفهــم الماضي القريــب؛ لا وجود لقصة نهائية. ودراسة الذاكرة الجمعية والتوافق مع الماضي يتعين ألا يقعا في الخطأ التالي: اســتخدام التوافق لمعالجة أمراض التوافق (رانسيير، 2007، ص106).

(12) وهــي تبين أيضا كيف أن هذه القصص «حــدت من فضاء الحكي عن الــذات» بســبب القيود العديــدة الموضوعة على الشــخص من جانب المناخ الاجتماعي/ العام للرأي، والمطالبة بسياسة اعتراف رسمي بأخطاء الماضي. ولدى مارك طرح مماثل، فيما يتصل بما بعد الشيوعية. وهو يرى أن معظم الناس تعين عليهم أن «يشــتبكوا مع حيواتهم التي عاشــوها قبل العام 1989، وأيضا مع التوقعات السائدة، من جانب الفترة ما بعد الشــيوعية، بأن يحكوا تجاربهم على أساس الاضطهاد والمعاناة» (2010، ص183؛ انظر أيضا سكولتانز، 1998).

الفصل السابع

(1) تقوم هذه الرؤية للسياســة على التمييز بين العالم المبهر والأسطوري للسياســة والسياســة اليومية، «الحقيقية». وبحســب ووداك فليس بوســع المرء أن يفهم الكيفية التي «تُفْعل» أو «تُؤدى» بها السياسة، في الواقــع، ما لم يركز على الممارســات الاجتماعية التــي تقوم عليها السياسة كمهنة.

(2) «التفاعل الملتبس والمفتوح النهاية، نسبيا، بين الأشخاص والجماعات التي تتقاســم عديدا متدرجا من المفهومات، وإن كانت المشاركة غير مكتملة

ولا شـاملة» لـه أهميته المركزيـة في فهم عديد متنـوع من تمظهرات السياسة واللغة السياسية (كونوللي، 1993، ص6).

(3) يذهب إيدلمان إلى أن ما نحسبه سياسة وعمليات سياسية لا يزيد عن كونه «تفصيصا لغويا» للحياة السياسية (إيدلمان، 1977). و«طريقتنا في الإحالة على المشكلات» (ص 41) ، طرائقنا في الكلام عليها» هي التي تخلق هذه التقطيعـات، التي قد تفضي إلى الجـزع، أو الارتياح، أو الأمل، وهي التي يمكن أن تقـدم تمثيلا للقضايا الاجتماعية والسياسـية، في طريقة بعينها، وليس في طريقة أخرى. أما بالنسـبة إلى علماء السياسة مثل إيدلمان فإن «التفتت اللغوي» مسـألة تتصل بالاستخدام الرمزي للسياسة، في حين أنه بالنسـبة إلى الألسنيين «التفتت» ذاته ووجود المعارضات الثنائية وإعادة إنتاجها في السياسة المعاصرة، جاءت نتيجة الاختيارات المعجمية.

(4) انظـر أيضا الفصل الثامن من أجل نقد تفصيلي لنظرية التركيب المعرفي التكاملي عند تيتلوك، في سياق البحث في البلاغة السياسية.

(5) يمثل هذا الاتجاه جزءا من تحرك أوسع لمعالجة اللغة، عموما، باعتبارها متغيرا مستقلا يفعل فعله في محيط ويمواد تعمل في الأساس على طمس المتغيرات في حديث الأفراد (بوتر، 2012).

(6) انظـر شـيفرين وآخرين (2003) من أجل تقرير عـن عديد متنوع من المقاربات التحليلية في العلوم الاجتماعية.

(7) انظر أيضا شـولياراكي وفيركلاو (1999) ، فيركلاو (1992، 1995 أ، 2010) ، فيركلاو ووداك (1997) فـان ديجك (1993 ب، 2010) ، ووداك واير (2002) من أجل تلخيصات للمبادئ الرئيسية للتحليل النقدي للخطاب.

(8) لم يقتـصر المنظور الخطـابي- التاريخي على مجـرد تأكيد تركيب نماذج الخطـاب التحيزي بل طرح أيضا فكـرة أن المحتوى التحيزي الذي تبثه التعبيرات عـن الانحياز محكـوم، إلى حد بعيد، بالسـياقات التاريخية واللغويـة لظهـور هذه التعبـيرات (انظـر ووداك وماتوشـيك 1993؛ ريسيغل ووداك، 2001).

(9) وقـد أمنوا أيضا رؤى نقدية للدراسـة السـيكو- اجتماعيـة لأفكار مثل المقـولات (مثلا، ويديكومـب وووفيت، 1995)، أو عملية التنسـيب (مثـلا، إدواردز وبوتـر، 1992 أ، 1993) أو التمثيلات الاجتماعية (مثلا، بيليغ، 1993؛ بوتر وإدواردز، 1999) أو العرقية (إدواردز، 2003، تيليغا، 2005، 2007، ويذريل وبوتر، 1992).

(10) برهنـت بحوث الخطـاب حول العلاقات الإثنية على مسـتوى الفعل الاجتماعي للتوجهات. فالتوجهات العرقية يُنْظر إليها باعتبارها تأثيرات تأويليـة للتوصيفات والـشروح (بوتر وويذريـل، 1988، تيليغا، 2007؛ ويذريـل وبوتـر، 1992). وكلام الناس ليس «مجرد» كلام. وعلى سـبيل المثـال، فتأمين التقويم لمصلحة أمر ما هـو، غالبا، تأمين ضمني لتقويم ضد شيء آخر(بيليغ، 1988). وكما قال المشتغلون بسيكولوجيا الخطاب فمن الأفضل معالجة الكلام التقويمي على أساس دوره في التفاعل وبأكثر من محاولة تشخيصه باستخدام أفكار من قبيل التوجهات والآراء (مثلا، بوشتا وبوتر، 2002، انظر أيضا الفصل الأول).

(11) على سـبيل المثال، فإن إدواردز (2006، 2007) يبين كيف أن المفردات المعرفيـة (فكر أو شَـعُر) والأفعال المشروطة (كان يمكن) تسـتخدم في اسـتجوابات الشرطة من قبل الشرطة والمشـتبه به، في آن معا، لمعالجة نسـخ من الواقع «ذات صلة بالحقيقة : ماذا جرى، من المسـؤول، من فعـل، وما شـابه. ويبـين إدواردز كيف أن هذه المفـردات لا تؤشر إلى حالات عقلية، بل هي بالأحرى مؤسسة لأفعال اجتماعية : بتوجيه اللوم أو بتجنبه، وبإدارة المحاسـبية الشـخصية أو الجماعاتيـة عن الأفعال، والرهانات والاهتمامات.

(12) كـما يقـول بوتـر (2012)، فالمصطلح يسـتخدم من قبل المشـتغلين بسـيكولوجيا الخطـاب لتبيـان المقابلـة مع المـواد المجهـزة got up materials التـي هـي في مركز نمـو علم النفس الاجتماعـي في أمريكا الشـمالية وكثـير من أنحاء أوروبا - المشـاهد القصـيرة، والبروتوكولات التجريبية، والاستجابات في عمليات المسح (ص437-438).

الفصل الثامن

(1) من الأسئلة التي توجّه هذا البرنامج البحثي «هل يعالج القادة المعلومات على نحو تبسيطي، مركزين، فقط، على منظور واحد أو على بدائل من أبيض وأسود، أم تراهم على دراية بوجهات النظر المختلفة، بل ربما يدمجونها في منظورات أوسع وأعقد؟» (2003، ص 124).

(2) قيل إن الأسلوب البلاغي عند غورباتشيف «يشبه الأسلوب البلاغي عند المصلحين الغربيين المعتدلين الذين لا يسعون إلى تفكيك النظام الذي يعملون في إطاره، بقدر ما يسعون إلى جعل النظام يعمل بكفاءة أكبر وعدالة أوفر» (تيتلوك، 1988، ص 124).

(3) على سبيل المثال، إذا نظر المرء في دليل النقاط المكتسبة المستخدم لتدوين التركيب التكاملي (بيكر - براون وآخرين 1986) فسوف يلاحظ أن خصائص البلاغة هي، على نحو ما، غير مرغوب فيها، ويمكن أن تفضي إلى بيانات «لا يمكن تسجيل رصيد لها». والبلاغيات تثير للراصدين مشكلات، فالبيانات التي لا يمكن تسجيل رصيد لها تسقط من تحليل البيانات. ويرد ضمن المؤشرات إلى استحالة تسجيل رصيد لبيان ما: الأقوال الشائعة المبتذلة [الكليشيهات] أو العبارات الاصطلاحية، السخرية والتهكم، الأوصاف).

(4) انظر أيضا تقاليد النسخ عند محللي المحادثات في مفتتح هذا الكتاب.

(5) انظر أيضا تحليلات لخطاب السياسيين الأوروبيين حول الهجرة (مثلا، ووداك وماتوشيك، 1993) وأعمال فان ديجك حول خطاب النخبة والعرقية (مثلا، فان ديجك، 1993 أ) لطرائق خطابية أخرى لبناء المعقولية والمواقف القائمة على الحقائق كنقيض للحَمِيَّة السياسية.

(6) اتصل سياق التراشق بخطاب باول في الأمم المتحدة حيث قدم ما يوحي بوجود خطر حالٍ وواضح مصدره أسلحة الدمار الشامل في العراق.

(7) يقتصر التحليل هنا على الخطاب السياسي النخبوي، لكن المقاربة الخطابية لا تقتصر على تحليل الخطاب السياسي الرسمي - انظر كوندور وغيبسون(2007) وويذريل وبوتر (1992)، لأمثلة على التماهي البلاغي/ الوطني من جانب أعضاء المجتمع العاديين.

الفصل التاسع

(1) في قلب السياسة، باعتبارها خبرة محدثة، تكمن ثلاثة توترات: بين التنوع والعامية، بين الاختيار المعلوماتي الحر والتعليم الضروري للمواطن، بين معاملة الناس باعتبارهم جماهير مستهلكة أو باعتبارهم جماهير من مواطنين نشطين. (بينيت وإنتمان، 2010).

(2) الأطر هي آليات إدراكية تأويلية ثابتة نسبيا، تسمح للناس بالإبحار عبر المشهد الاجتماعي والسياسي، وبتنظيم/ إعادة تنظيم معلومات موجودة بالفعل وأخرى جديدة. وتعمل الأطر كمبادئ إرشادية لاستيعاب دلالات الأحداث، والقضايا، والناس، بطرق معينة.

(3) بحسب كاستيلز، فإنه«صوغ العقل العام يحدث، إلى حد بعيد، عبر عمليات تجري في الميديا» (2011، ص157). والنخب السياسية المسيطرة هي التي تملك أكبر قدر من السيطرة على الأطر الإخبارية. (ص163-164).

(4) تستند رؤية كريغلر إلى (وتستكمل) اهتمامات بالتدفقات الثنائية الجانب للمعلومات، حيث يمكن لـ «الرسالتين السائدة والمكافئة أن تحدثا تأثيرات مختلفة على قطاعات مختلفة من السكان، وفقا للوعي السياسي والتوجهات الأيديولوجية لدى المواطنين، ووفقا للكثافة النسبية للرسالتين». (زوللر، [1992]2005، ص185).

(5) وتحتاج اليوريستيات والاسكيمات الأكثر تركيبا المزيد من المعالجة الإدراكية. وسهولة الوصول والألفة هما الجانبان الرئيسيان في معالجة المعلومات، على العموم، والمعلومات السياسية على الخصوص (آينغار، 1993؛ نيومان، 1992). وينشأ تأثير الأخبار المتلفزة، والصحف، وغيرها

من المنافذ الإخبارية عن جعل المعلومات (السياسية) قابلة للوصول إليها ومألوفة.

(6) يمكن أن يسهل التصاعد في إضفاء الطابع الدرامي على السياسة (انظر، مثلا، النجاح الهائل للدراما الأمريكية الجناح الغربي The West Wing، وشعبية قلب الأحداث The Thick of It في المملكة المتحدة) تكوين وإنتاج رؤية تبسيطية (أبيض وأسود) للسياسة حيث يختزل تعقيد السياسة ذاتها. وكما تقول ووداك، فعندما تكتسب السياسة طابعا روائيا «يصبح من السهل التعرف على الأبطال والأشرار، وتصبح القيم الطيبة والشريرة واضحة التحديد وقائمة على مقابلات حادة. ولا تظهر الظلال الرمادية، ويجري حل تناقضات المعضلات الأيديولوجية على وجه السرعة». (2011، ص 204).

(7) بحسب ليودار وآخرين، 2008، فهذه التيمات تتباين في عموميتها وخصوصيتها، ويمكن أن تستخدم لأغراض متنوعة مثل حرمان اللاجئين وطالبي اللجوء من إنسانيتهم، أو استبعاد خبراتهم من التقارير التي تغطي الأحداث.

(8) حول دور مفردات العاطفة في الخطاب انظر إدواردز (1997، 1999).

(9) في سياقات أخرى، وعند الكلام عن الحرب أو عن الإرهاب، تمكن بلير من تقديم أسلوب خطابي مختلف، مزيج من «السلطة الأخلاقية» و«الصلابة» (انظر، على سبيل المثال، فان ديجك، 2006).

ببليوغرافيا

Abell, J., Condor, S., and Stevenson, C. (2006). 'We are an island': geographical imagery in accounts of citizenship, civil society and national identity in Scotland and in England. *Political Psychology*, 27, 191–217.

Adorno, T. W., Frenkel-Brunswick, E., Levinson, D. J., and Sanford, R. N. ([1950] 1982). *The authoritarian personality*. New York: Harper.

Allport, G. W. (1954). *The nature of prejudice*. Reading, MA: Addison-Wesley.

(1962). The general and the unique in psychological science. *Journal of Personality*, **30**, 405–22.

Allyn, J., and Festinger, L. (1961). The effectiveness of unanticipated persuasive communications. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, **62**, 35–40.

Altemeyer, B. (1981). *Right-wing authoritarianism*. Winnipeg: University of Manitoba Press.

(1996). *The authoritarian specter*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Anderson, L., and McGuire, W. (1965). Prior reassurance of group consensus as a factor in producing resistance to persuasion. *Sociometry*, **28**, 44–56.

Andrews, M. (2007). *Shaping history: narratives of political change*. Cambridge University Press.

Ansolabehere, S., Rodden, J., and Snyder, J. (2008). The strength of issues: using multiple measures to gauge preference stability, ideological constraint, and issue voting. *American Political Science Review*, **102**, 215–32.

Antaki, C. (2003). The uses of absurdity. In H. van den Berg, M. Wetherell and H. Houtkoop Steenstra (eds.) *Analyzing race talk: multidisciplinary perspectives on the research interview* (pp. 85–102). Cambridge University Press.

(2006). Producing a 'cognition'. *Discourse Studies*, **8**, 9–15.

Antaki, C., and Leudar, I. (2001). Recruiting the record: using opponents' exact words in Parliamentary argumentation. *Text*, **21**, 467–88.

Antaki, C., and Wetherell, M. (1999). Show concessions. *Discourse Studies*, **1**, 7–27.

Antaki, C., Condor, S., and Levine, M. (1996). Social identities in talk: speakers' own orientations. *British Journal of Social Psychology*, **35**, 473–92.

Arendt, H. (1958). *The human condition*. Chicago, IL: University of Chicago Press.

Aristotle. (1909). *Rhetorica*. Cambridge University Press.

Assmann, A. (2008). Transformations between history and memory. *Social Research*, **75**, 49–72.

Atkinson, J. M. (1984). *Our masters' voices*. London: Methuen.

Atkinson, P., and Silverman, D. (1997). Kundera's immortality: the interview society and the invention of the self. *Qualitative Inquiry*, **3**, 304–25.
Augoustinos, M., and Every, D. (2010). Accusations and denials of racism: managing moral accountability in public discourse. *Discourse & Society*, **21**, 251–56.
Augoustinos, M., and Reynolds, J. K. (2001). Prejudice, racism and social psychology. In M. Augoustinos and J. K. Reynolds (eds.) *Understanding prejudice, racism and social conflict* (pp. 1–23). London: Sage.
Augoustinos, M., Hastie, B., and Wright, M. (2011). Apologizing for historical injustice: emotion, truth and identity in political discourse. *Discourse & Society*, **22**, 507–31.
Augoustinos, M., and Tileagă, C. (2012). Twenty five years of discursive psychology. *British Journal of Social Psychology*, **51**, 405–12.
Augoustinos, M., Tuffin, K., and Rapley, M. (1999). Genocide or failure to gel? Racism, history and nationalism in Australian talk. *Discourse & Society*, **10**, 351–78.
Augoustinos, M., Tuffin, K., and Every, D. (2005). New racism, meritocracy and individualism: constraining affirmative action in education. *Discourse & Society*, **16**, 315–39.
Austin, J. L. (1962). *How to do things with words*. Oxford: Clarendon Press.
Azzi, A. E., Chryssochoou, X., Klandermans, B., and Simon, B. (eds.) (2011). *Identity and participation in culturally diverse societies*. Oxford: Wiley-Blackwell.
Backes, U. (2009). *Political extremes: a conceptual history from antiquity to the present*. London: Routledge.
Backes, U., and Moreau, P. (2011). *The extreme right in Europe: current trends and perspectives*. Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht.
Baker-Brown, G., Ballard, E., Bluck, S., deVries, B., Suedfeld, P., and Tetlock, P. (1986). *Scoring manual for integrative and conceptual complexity*. Vancouver: University of British Columbia.
Bartels, L. (2003). Democracy with attitudes. In M. MacKuen and G. Rabinowitz (eds.) *Electoral democracy* (pp. 48–82). Ann Arbor: University of Michigan Press.
Barthes, R. ([1957] 1993). *Mythologies*. London: Vintage.
(1977). *Image-music-text*. London: Fontana.
Bartlett, F. C. ([1932] 1995). *Remembering: a study in experimental and social psychology*. Cambridge University Press.
Bastian, B., and Haslam, N. (2011). Experiencing dehumanization: cognitive and emotional effects of everyday dehumanization. *Basic and Applied Social Psychology*, **33**, 295–303.
Bauer, M. W., and Gaskell, G. (1999). Towards a paradigm for research on social representations. *Journal for the Theory of Social Behaviour*, **29**, 163–86.
(2008). Social representations theory: a progressive research programme for social psychology. *Journal for the Theory of Social Behaviour*, **38**, 335–53.
Baumeister, R., and Hastings, S. (1997). Distortions of collective memory: how groups flatter and deceive themselves. In J. Pennebaker, D. Paez and B. Rimé (eds.) *Collective memory of political events: social psychological perspectives* (pp. 277–94). Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.

Baumeister, R., Vohs, K., and Funder, D. (2007). Psychology as the science of self-reports and finger movements: whatever happened to actual behavior? *Perspectives in Psychological Science*, **2**, 396–403.

Becker, A. B., and Scheufele, D. A. (2011). New voters, new outlook? Predispositions, social networks, and the changing politics of gay civil rights. *Social Science Quarterly*, **92**, 324–45.

Becker, A. B., Dalrymple, K. E., Brossard, D., Scheufele, D. A., and Gunther, A. (2010). Getting citizens involved: how controversial policy debates stimulate issue participation during a political campaign. *International Journal of Public Opinion Research*, **22**, 181–203.

Beissinger, M. R. (2009). Debating the color revolutions: an interrelated wave. *Journal of Democracy*, **20**, 74–7.

Bennett, W. L., and Entman, R. M. (eds.) (2001). *Mediated politics: communication in the future of democracy.* New York: Cambridge University Press.

Bennett, W. L., and Iyengar, S. (2008). A new era of minimal effects? The changing foundations of political communication. *Journal of Communication*, **58**, 707–31.

Benwell, B., and Stokoe, E. (2006). *Discourse and identity.* Edinburgh University Press.

Berelson, B. (1952). Democratic theory and public opinion. *Public Opinion Quarterly*, **16**, 313–30.

Berelson, B., Lazarsfeld, P., and McPhee, W. (1954). *Voting: a study of opinion formation in a presidential election.* Chicago, IL: Chicago University Press.

Berinsky, A. (ed.) (2012). *New directions in public opinion.* New York: Routledge.

Billig, M. (1976). *Social psychology and intergroup relations.* London: Academic Press.

(1978). *Fascists: a social psychological view of the National Front.* London: Academic Press.

(1985). Prejudice, categorisation and particularisation: from a perceptual to a rhetorical approach. *European Journal of Social Psychology*, **15**, 79–103.

(1987). *Arguing and thinking: a rhetorical approach to social psychology.* Cambridge University Press.

(1988). The notion of 'prejudice': Some rhetorical and ideological aspects. *Text*, **8**, 91–111.

(1991). *Ideology and opinions.* London: Sage.

(1993). Studying the thinking society: social representations, rhetoric and attitudes. In G. Breakwell and D. Canter (eds.) *Empirical approaches to social representations.* Oxford University Press.

(1995). *Banal nationalism.* London: Sage.

(1996). *Arguing and thinking: a rhetorical approach to social psychology* (2nd edn). Cambridge University Press.

(1997). Discursive, rhetorical and ideological messages. In C. McGarty and S. A. Haslam (eds.) *The message of social psychology.* Oxford: Blackwell.

(1998). *Talking of the Royal family* (2nd edn). London: Routledge.

(1999). *Freudian repression.* Cambridge University Press.

(2002). Henri Tajfel's 'Cognitive aspects of prejudice' and the psychology of bigotry. *British Journal of Social Psychology*, **41**, 171–88.

(2003). Political rhetoric. In D. O. Sears, L. Huddy, and R. Jervis (eds.) *Oxford handbook of political psychology* (pp. 222–52). New York: Oxford University Press.

(2005). *Laughter and ridicule: towards a social critique of humour.* London: Sage.

(2008). *The hidden roots of critical psychology: understanding the impact of Locke, Shaftesbury and Reid.* London: Sage.

(2012). Undisciplined beginnings, academic success, and discursive psychology. *British Journal of Social Psychology,* **51**, 413–24.

Billig, M., and MacMillan, K. (2005). Metaphor, idiom and ideology: the search for 'no smoking guns' across time. *Discourse & Society,* **16**, 459–80.

Billig, M., Condor, S., Edwards, D., Gane, M., Middleton, D., and Radley, A. (1988). *Ideological dilemmas: a social psychology of everyday thinking.* London: Sage.

Blumer, H. (1948). Public opinion and public opinion polling. *American Sociological Review,* **13**, 542–54.

Blumler, J. G. (2001). The third age of political communication. *Journal of Public Affairs,* **1**, 201–9.

Blumler, J. G., and Kavannagh, D. (1999). The Third Age of political communication: influences and features. *Political Communication,* **16**, 209–30.

Bosveld, W., Koomen, W., and Vogelaar, R. (1997). Construing a social issue: effects on attitudes and the false consensus effect. *British Journal of Social Psychology,* **36**, 263–72.

Bourdieu, P. (1979). Public opinion does not exist. In A. Mattelart and S. Siegelaub (eds.) *Communication and class struggle* (vol. I) (pp. 124–130). New York: International General/ Intl Mass Media Research Centre.

(2012). *Sur l'État: Cours au Collège de France (1989–1992).* Paris: Seuil.

Bourhis, R. Y., and Giles, H. (1977). The language of intergroup distinctiveness. In H. Giles (ed.) *Language, ethnicity and intergroup relations.* London: Academic Press.

Braithwaite, V. (1994). Beyond Rokeach's equality-freedom model: two-dimensional values in a one-dimensional world. *Journal of Social Issues,* **50**, 67–94.

(2009a). The value balance model and democratic governance. *Psychological Inquiry,* **20**, 87–97.

(2009b). Security and harmony value orientations and their roles in attitude formation and change. *Psychological Inquiry,* **20**, 162–7.

Breakwell, G. (1978). Some effects of marginal social identity. In H. Tajfel (ed.) *Differentiation between social groups.* London: Academic Press.

Brewer, M. B. (2010). Social identity complexity and acceptance of diversity. In R. J. Crisp (ed.) *The psychology of social and cultural diversity* (pp. 11–33). Oxford: Wiley-Blackwell.

Brewer, M. B., and Campbell, D. T. (1976). *Ethnocentrism and intergroup attitudes: East African evidence.* New York: Sage.

Brockmeier, J. (2002). Remembering and forgetting: narrative as cultural memory. *Culture* and *Psychology,* **8**, 15–43.

(2010). After the archive: remapping memory. *Culture & Psychology,* **16**, 5–35.

Brown, R. (1965). *Social psychology.* London: Collier-Macmillan.

Brown, R. J. (1995). *Prejudice: its social psychology*. Oxford: Blackwell.

Brown, R., and Gilman, A. F. (1960). *The pronouns of power and solidarity*. Indianapolis, IN: Bobbs-Merrill.

Brown, S. D. (2008). The quotation marks have a certain importance: prospects for a 'memory studies'. *Memory Studies*, **1**, 261–71.

Bruner, J. S. (1957). On perceptual readiness. *Psychological Review*, **64**, 123–152.

(1986). *Actual minds, possible worlds*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

(2001). Self-making and world-making. In J. Brockmeier and D. Carbaugh (eds.) *Narrative and identity: studies in autobiography, self, and culture* (pp. 25–38). Amsterdam: John Benjamins.

Bucur, M. (2009). *Heroes and victims: remembering war in twentieth-century Romania*. Bloomington: Indiana University Press.

Bull, P. (2000). Equivocation and the rhetoric of modernisation: an analysis of televised interviews with Tony Blair in the 1997 British General Election. *Journal of Language and Social Psychology*, **19**, 222–47.

(2002). *Communication under the microscope: the theory and practice of microanalysis*. London: Psychology Press.

(2003). *The microanalysis of political communication: claptrap and ambiguity*. London: Routledge.

Bunce, V. J., and Wolchik, S. (2009). Debating the color revolutions: getting real about 'real causes'. *Journal of Democracy*, **20**, 69–73.

Burgess, C. (2011). 'This election will be won by people not posters'... In D. Wring, R. Mortimore and S. Atkinson (eds.) *Political communication in Britain* (pp. 181–97). London: Palgrave-Macmillan.

Burgess, M., Ferguson, N, and Hollywood, I. (2007). Rebels' perspectives of the legacy of past violence and of the current peace in post-agreement Northern Ireland: an interpretative phenomenological analysis. *Political Psychology*, **28**, 69–88.

Cameron, L., and Turner, R. (2010). The application of diversity-based interventions to policy and practice. In R. J. Crisp (ed.) *The psychology of social and cultural diversity* (pp. 322–52). Oxford: Wiley-Blackwell.

Campbell, A., Converse, P., Miller, W., and Stokes, D. (1960). *The American voter*. New York: Wiley.

Campbell, D. T. (1956). Enhancement of contrast as a composite habit. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, **53**, 350–355.

Campbell, S. (2008). The second voice. *Memory Studies*, **1**, 41–8.

Cantril, H. (1942). Public opinion in flux. *Annals of the American Academy of Political and Social Science*, **22**, 136–52.

Cappella, J. N., and Jamieson, K. H. (1997). *Spiral of cynicism: the press and the public good*. New York: Oxford University Press.

Caprara, G. V., Schwartz, S., Capanna, C., Vecchione, M., and Barbaranelli, C. (2006). Personality and politics: values, traits, and political choice. *Political Psychology*, **27**, 1–28.

Castells, M. (2011). *Communication power*. Oxford University Press.

Cesereanu, R. (2004). *Decembrie '89. Deconstrucţia unei revoluţii*. Iaşi: Polirom.

(2008). The Final Report on the Holocaust and the Final Report on the Communist Dictatorship in Romania. *East European Politics and Societies*, **22**, 270–81.

Charteris-Black, J. (2005). *Politicians and rhetoric: the persuasive power of metaphor.* Basingstoke and New York: Palgrave Macmillan.

Chilton, P. (1996). *Security metaphors: Cold War discourse from containment to common European home.* Berne and New York: Peter Lang.

(2004). *Analysing political discourse: theory and practice.* London: Routledge.

Chilton, P., and Ilyin, M. (1993). Metaphor in political discourse. *Discourse & Society*, **4**, 7–31.

Chilton, P., and Schäffner, C. (1997). Discourse and politics. In T. van Dijk (ed.) *Discourse as social interaction* (vol. II) (pp. 206–31). London: Sage.

Chouliaraki, L., and Fairclough, N. (1999). *Discourse in late modernity: rethinking critical discourse analysis.* Edinburgh University Press.

Christie, R., and Jahoda, M. (eds.) (1954). *Studies in the scope and method of 'The Authoritarian Personality'.* New York: Free Press.

Ciobanu, M. (2009). Criminalising the past and reconstructing collective memory: the Romanian Truth Commission. *Europe-Asia Studies*, **61**, 313–36.

Clayman, S., and Heritage, J. (2002). *The news interview: journalists and public figures on the air.* Cambridge University Press.

Clémence, A., Doise, W., de Rosa, A. S., and Gonzalez, L. (1995). La représentation sociale des droits de l'homme: une recherche internationale sur l'étendue et les limites de l'universalité. *International Journal of Psychology*, **30**, 181–212.

Cohrs, J. C., and Stelzl, M. (2010). How ideological attitudes predict host society members' attitudes toward immigrants: exploring cross-national differences. *Journal of Social Issues*, **66**, 673–94.

Condor, S. (2000). Pride and prejudice: identity management in English people's talk about 'this country'. *Discourse & Society*, **11**, 163–93.

(2006). Temporality and collectivity: diversity, history and the rhetorical construction of national entitativity. *British Journal of Social Psychology*, **45**, 657–82.

(2010). Devolution and national identity: the rules of English dis/engagement. *Nations & Nationalism*, **16**, 525–43.

(2011). Sense and sensibility: the conversational etiquette of English national self-identification. In A. Aughey and C. Berberich (eds.) *These Englands: a conversation on national identity.* Manchester University Press.

Condor, S., and Figgou, L. (2012). Rethinking the prejudice problematic: a collaborative cognition approach. In J. Dixon and M. Levine (eds.) *Beyond prejudice: extending the social psychology of conflict, inequality and social change* (pp. 200–22). Cambridge University Press.

Condor, S., and Gibson, S. (2007). 'Everybody's entitled to their own opinion': ideological dilemmas of liberal individualism and active citizenship. *Journal of Community and Applied Social Psychology*, **6**, 178–99.

Condor, S., Abell, J., Figgou, L., Gibson, S., and Stevenson, C. (2006). 'They're not racist ... ': Prejudice denial, mitigation and suppression in dialogue, *British Journal of Social Psychology*, **45**, 441–462.

Condor, S., Tileagă, C., and Billig, M. (in press). Political rhetoric. In L. Huddy, D. O. Sears and J. Levy (eds.) *Oxford handbook of political psychology* (2nd edn). New York: Oxford University Press.

Connerton, P. (1989). *How societies remember.* Cambridge University Press.

Connolly, W. (1993). *The terms of political discourse* (3rd edn). Oxford: Wiley-Blackwell.

Converse, P. E. (1962). Information flow and the stability of partisan attitudes. *Public Opinion Quarterly*, **26**, 578–99.

(1964). The nature of belief systems in mass publics. In D. Apter (ed.) *Ideology and discontent* (pp. 206–61). New York: Free Press.

(1987). Changing conceptions of public opinion in the political process. *Public Opinion Quarterly* (Supplement: 50th Anniversary Issue), **51**, S12–S24.

(2006a). The nature of belief systems in mass publics. *Critical Review: A Journal of Politics and Society*, **18**, 1–74.

(2006b). Democratic theory and electoral reality. *Critical Review: A Journal of Politics and Society*, **18**, 297–329.

(2009). Perspectives on mass belief systems and communication. In R. J. Dalton and H.-D. Klingemann (eds.) *The Oxford handbook of political behavior* (pp. 144–60). New York: Oxford University Press.

Conway, M. (1997). The inventory of experience: memory and identity. In J. Pennebaker, D. Paez and B. Rimé (eds.) *Collective memory of political events: social psychological perspectives* (pp. 21–46). Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.

Coulter, J. (2001). Human practices and the observability of the 'macro-social'. In T. R. Schatzki, K. K. Cetina and E. Savigny (eds.) *The practice turn in contemporary theory* (pp. 29–41). London: Routledge.

Crigler, A. N. (1996). Making sense of politics: constructing political messages and meanings. In A. N. Crigler (ed.) *The psychology of political communication* (pp. 1–10). Ann Arbor: University of Michigan Press.

Crisp, R., and Hewstone, M. (eds.) (2000). Crossed categorization and intergroup bias: the moderating role of intergroup and affective context. *Journal of Experimental Social Psychology*, **36**, 357–83.

(2006). *Multiple social categorization: processes, models and applications.* Hove, Sussex: Psychology Press.

(2007). Multiple social categorization. In M. P. Zanna (ed.) *Advances in experimental social psychology* (vol. XXXIX, pp. 163–254). Orlando, FL: Academic Press.

Crisp, R., Hewstone, M., and Rubin, M. (2001). Does multiple categorization reduce intergroup bias? *Personality and Social Psychology Bulletin*, **27**, 76–89.

Dalton, R. J. (2008). *Citizen politics: public opinion and political parties in advanced industrial democracies* (5th edn). Washington, DC: CQ Press.

Dalton, R. J., and Klingemann, H.-D. (2009). Citizens and political behavior. In R. J. Dalton and H.-D. Klingemann (eds.) *The Oxford handbook of political behavior* (pp. 3–28). New York: Oxford University Press.

D'Anieri, P. (2006). Explaining the success and failure of post-communist revolutions. *Communist and Post-Communist Studies*, **39**, 331–50.

Danziger, K. (2008). *Marking the mind: a history of memory.* Cambridge University Press.

Deacon, D., and Wring, D. (2011). Reporting the 2010 General election: old media, new media – old politics, new politics. In D. Wring, R. Mortimore and S. Atkinson (eds.) *Political communication in Britain.* London: Palgrave.

de Brito, A. B., Enriquez, C. G., and Aguilar, P. (2001). *The politics of memory: transitional justice in democratizing societies.* New York: Oxford University Press.

Delli Carpini, M. X., and Keeter, S. (1996). *What Americans know about politics and why it matters.* New Haven, CT: Yale University Press.

Delli Carpini, M. X., and Williams, B. (2001). Let us entertain you: politics in the new media environment. In L. Bennett and R. Entman (eds.) *Mediated politics: communication in the future of democracy* (pp. 160–91). New York: Cambridge University Press.

De Weerd, M., and Klandermans M. (1999). Group identification and social protest: farmer's protest in the Netherlands. *European Journal of Social Psychology,* **29,** 1,073–95.

Dewey, J. ([1927] 1954). *The public and its problems.* New York: Holt, Rinehart & Winston.

Diab, L. N. (1959). Authoritarianism and prejudice in near-Eastern students attending American universities. *Journal of Social Psychology,* **50,** 175–87.

Dimitrov, M. (2009). Debating the color revolutions: popular autocrats. *Journal of Democracy,* **20,** 78–81.

Dixon, J., and Levine, M. (eds.) (2012). *Beyond prejudice: extending the social psychology of conflict, inequality and social change.* Cambridge University Press.

Doise, W. (2002). *Human rights as social representations.* London: Routledge.

Doise, W., and Staerklé, C. (2002). From social to political psychology: the societal approach. In K. Monroe (ed.) *Political psychology* (pp. 151–72). Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum.

Doise, W., Deschamps, J.-C., and Meyer, G. (1978). The accentuation of intracategory similarities. In H. Tajfel (ed.) *Differentiation between social groups.* London: Academic Press.

Doise, W., Clémence, A., and Lorenzi-Cioldi, F. (1993). *The quantitative analysis of social representations.* Hemel Hempstead: Harvester Wheatsheaf.

Doise, W., Spini, D., and Clémence, A. (1999). Human rights studied as social representations in a cross-national context. *European Journal of Social Psychology,* **29,** 1–29.

Doise, W., Staerklé, C., Clémence, A. and Savory, F. (1998). Human rights and Genevan youth: a developmental study of social representations. *Swiss Journal of Psychology,* **57,** 86–100.

Doosje, B., Van den Bos, K., and Loseman, A. (in press). Radicalization process of Islamic youth in the Netherlands: the role of uncertainty, perceived injustice and perceived group threat. *Journal of Social Issues.*

Dovidio, J. F., Gaertner, S., and Saguy, T. (2007). Another view of 'we': majority and minority group perspectives on a common ingroup identity. *European Review of Social Psychology,* **18,** 296–330.

(2009). Commonality and the complexity of 'we': social attitudes and social change. *Personality and Social Psychology Review*, **13**, 3–20.

Drury, J., and Reicher, S. (2000). Collective action and psychological change: the emergence of new social identities. *British Journal of Social Psychology*, **39**, 579–604.

(2009). Collective psychological empowerment as a model of social change: researching crowds and power. *Journal of Social Issues*, **65**, 707–25.

Duckitt, J. (1988). Normative conformity and racial prejudice in South Africa. *Genetic, Social, and General Psychology Monographs*, **114**, 413–37.

(2003). Prejudice and intergroup hostility. In D. Sears, L. Huddy and R. Jervis (eds.) *Oxford handbook of political psychology* (pp. 559–600). Oxford University Press.

Duckitt, J., Bizumic, B. and Heled, E. (2010). A tripartite approach to right-wing authoritarianism: the Authoritarianism-Conservatism-Traditionalism model. *Political Psychology*, **31**, 685–715.

Duveen, G. (2001). Representations, identities, resistance. In K. Deaux and G. Philogene (eds.) *Social representations: introductions and explorations*. Oxford: Blackwell.

Dzihic, V., and Segert, D. (2012). Lessons from 'post-Yugoslav' democratization: functional problems of stateness and the limits of democracy. *East European Politics and Societies*, **26**, 239–53.

Edelman, M. (1967). *The symbolic uses of politics*. Urbana, IL: University of Illinois Press.

(1988). *Constructing the political spectacle*. Chicago, IL: Chicago University Press.

(1977). *Political language: words that succeed and policies that fail*. New York: Academic Press.

(2001). *The politics of misinformation*. Cambridge University Press.

Edley, N., and Wetherell, M. (1997). Jockeying for position: the construction of masculine identities. *Discourse & Society*, **8**, 203–17.

(1999). Imagined futures: young men's talk about fatherhood and domestic life. *British Journal of Social Psychology*, **38**, 181–94.

Edwards, D. (1997). *Discourse and cognition*. London: Sage.

(1999). Emotion discourse. *Culture & Psychology*, **5**, 271–91.

(2000). Extreme case formulations: softeners, investment and doing nonliteral. *Research on Language and Social Interaction*, **23**, 347–73.

(2003). Analysing racial discourse: a view from discursive psychology. In H. van den Berg, H. Houtkoop-Steenstra and M. Wetherell (eds.) *Analyzing interviews on racial issues: multidisciplinary approaches to interview discourse* (pp. 31–48).

(2006). Facts, norms and dispositions: practical uses of the modal *would* in police interrogations. *Discourse Studies*, **8**, 475–501.

(2007). Managing subjectivity in talk. In A. Hepburn and S. Wiggins (eds.) *Discursive research in practice: new approaches to psychology and interaction* (pp. 31–49). Cambridge University Press.

(2012). Discursive and scientific psychology. *British Journal of Social Psychology*, **51**, 425–35.

Edwards, D., and Potter, J. (1992a). *Discursive Psychology*. London: Sage.

(1992b). The Chancellor's memory: rhetoric and truth in discursive remembering. *Applied Cognitive Psychology*, **6**, 187–215.

(1993). Language and causation: a discursive action model of description and attribution. *Psychological Review*, **100**, 23–41.

(2001). Discursive psychology. In A. McHoul and M. Rapley (eds.) *How to analyse talk in institutional settings* (pp. 12–24). New York: Continuum.

Edwards, D., Ashmore, M., and Potter, J. (1995). Death and furniture: the rhetoric, politics and theology of bottom line arguments against relativism. *History of the Human Sciences*, **8**, 25–49.

Eiser, J. R. (1971). Enhancement of contrast in the absolute judgment of attitude statements. *Journal of Personality and Social Psychology*, **17**, 1–10.

Ekman, J., and Linde, J. (2005). Communist nostalgia and the consolidation of democracy in Central and Eastern Europe. *Journal of Communist Studies and Transition Politics*, **21**, 354–74.

Elcheroth, G., Doise, W., and Reicher, S. (2011). On the knowledge of politics and the politics of knowledge: how a social representations approach helps us rethink the subject of political psychology. *Political Psychology*, **32**, 729–58.

Ellemers, N., and Barreto, M. (2009). Collective action in modern times: how modern expressions of prejudice prevent collective action. *Journal of Social Issues*, **65**, 749–68.

Ensink, T. (1996). The footing of a Royal address: an analysis of representativeness in political speech, exemplified in Queen Beatrix' address to the Knesset on March 28, 1995. *Current Issues in Language and Society*, **3**, 205–32.

Entmann, R., and Bennett, L. (2001) Communication in the future of democracy: a conclusion. In L. Bennett and R. Entman (eds.) *Mediated politics: communication in the future of democracy* (pp. 468–480). New York: Cambridge University Press.

Erjavec, K., and Volcic, Z. (2007). 'War on terrorism' as a discursive battleground: Serbian recontextualization of G.W. Bush's discourse. *Discourse and Society*, **18**, 123–37.

Eysenck, H. J. (1954). *The psychology of politics*. London: Routledge & Kegan Paul.

Fairclough, N. (1992). *Discourse and social change*. Cambridge: Polity Press.

(1995a). *Critical discourse analysis*. London: Longman.

(1995b). *Media discourse*. London: Edward Arnold.

(2000). *New Labour, new language*. London: Routledge.

(2010). *Critical discourse analysis: the critical study of language*. London: Longman.

Fairclough, I., and Fairclough, N. (2011). Practical reasoning in political discourse: the UK government's response to the economic crisis in the 2008 Pre-Budget Report. *Discourse and Society*, **22**, 243–68.

Fairclough, N., and Wodak, R. (1997). Critical discourse analysis. In T. A. van Dijk (ed.) *Discourse as social interaction* (vol. II). London: Sage.

Farnen, R. F. and Meloen, J. (2000). *Democracy, authoritarianism and education: a cross-national empirical survey*. Houndmills, Hants: Macmillan.

Feldman, S. (2003). Values, ideology and the structure of political attitudes. In D. O. Sears, L. Huddy and R. Jervis (eds.) *Oxford handbook of political psychology* (pp. 477–510). New York: Oxford University Press.

Ferguson, N., Burgess, M., and Hollywood, I. (2008). Crossing the Rubicon: deciding to become a paramilitary in Northern Ireland. *International Journal of Conflict and Violence*, **2**, 130–137.

(2010). Who are the victims? Victimhood experiences in postagreement Northern Ireland. *Political Psychology*, **31**, 857–86.

Finkenauer, C., Gisle, L., and Luminet, O. (1997). When individual memories are socially shaped: flashbulb memories of sociopolitical events. In J. Pennebaker, D. Paez and B. Rime (eds.) *Collective memory of political events: social psychological perspectives* (pp. 191–208). Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.

Finlayson, A. (2004). Political science, political ideas and rhetoric. *Economy and Society*, **33**, 528–49.

Finlayson. A. (2007). From beliefs to arguments: interpretative methodology and rhetorical political analysis. *British Journal of Politics and International Relations*, **9**, 545–63.

Fitzgerald, R., and Housley, W. (2002). Identity, categorization and sequential organization: the sequential and categorial flow of identity in a radio phone-in. *Discourse* and *Society*, **13**, 579–602.

Fivush, R. (2008). Remembering and reminiscing: how individual lives are constructed in family narratives. *Memory Studies*, **1**, 49–58.

Fleischmann, F., Phalet, K., and Klein, O. (2011). Religious identification and politicization in the face of discrimination: support for political Islam and political action among the Turkish and Moroccan second generation in Europe. *British Journal of Social Psychology*, **50**, 628–48.

Fowler, R. (1991). *Language in the news: discourse and ideology in the press.* London: Routledge.

Fowler, R., Hodge, R., Kress, G., and Trew, T. (1979). *Language and control.* London: Routledge & Kegan Paul.

Franklin, B. (2004). *Packaging politics: political communications in Britain's media democracy.* London: Bloomsbury Academic.

Frijda, N. (1997). Commemorating. In J. Pennebaker, D. Paez and B. Rime (eds.) *Collective memory of political events: social psychological perspectives* (pp. 103–30). Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.

Fromm, E. (1942). *Fear of freedom.* London: Routledge & Kegan Paul.

Gaertner, S. L., and Dovidio, J. F. (2000). *Reducing intergroup bias: the common ingroup identity model.* Philadelphia, PA: Psychology Press.

Galasińska, A., and Galasiński, D. (eds.) (2010). *The post-communist condition: public and private discourses of transformation.* Amsterdam/Philadelphia, PA: John Benjamins.

Gallie, W. B. (1956). Essentially contested concepts. *Proceedings of the Aristotelian Society*, **56**, 167–98.

Gallinat, A. (2006). Difficult stories: public discourse and narrative identity in Eastern Germany. *Ethnos*, **71**, 343–66.

(2009). Intense paradoxes of memory: researching moral questions about remembering the socialist past. *History and Anthropology*, **20**, 183–99.

Gallup, G., and Rae, S. F. (1940). *The pulse of democracy: the public opinion poll and how it works.* Oxford: Simon & Schuster.

Gamson, W. A. (1992). *Talking politics.* Cambridge University Press.

Garton Ash, T. (1990). *We the people: the revolution of '89.* Cambridge: Penguin.
Gély, R., and Sanchez-Mazas, M. (2006). The philosophical implications of research on the social representations of human rights. *Social Science Information*, **45**, 387–410.
Gergen, K. (1973). Social psychology as history. *Journal of Personality and Social Psychology*, **26**, 309–320.
(1994). *Realities and relationships: soundings in social construction.* Cambridge, MA: Harvard University Press.
(2005). Narrative, moral identity and historical consciousness: a social constructionist account. In J. Straub (ed.) *Narration, identity and historical consciousness* (pp. 99–119). New York: Berghahn Books.
Gillespie, A. (2008). Social representations, alternative representations and semantic barriers. *Journal for the Theory of Social Behaviour*, **38**, 375–91.
Gillespie, A., Cornish, F., Aveling, E. L., and Zittoun, T. (2008). Conflicting community commitments: a dialogical analysis of a British woman's World War II diaries. *Journal of Community Psychology*, **36**, 35–52.
Gordon, C. (2004). 'Al Gore's our guy': linguistically constructing a family political identity. *Discourse & Society*, **15**, 607–31.
Graber, D. A. (1988). *Processing the news: how people tame the information tide* (2nd edn). Lanham, MD: University Press of America.
Graumann, C. F. (1998). Verbal discrimination: a neglected chapter in the social psychology of aggression. *Journal for the Theory of Social Behaviour*, **28**, 41–61.
Greatbatch, D. (1998). Conversation analysis: neutralism in British news interviews. In A. Bell and P. Garrett (eds.) *Approaches to media discourse* (pp. 163–185). Oxford: Blackwell.
Halbwachs, M. ([1952] 1992). *On collective memory.* Chicago, IL: Chicago University Press.
Hall, N. R., and Crisp, R. J. (2005). Considering multiple criteria for social categorization can reduce intergroup bias. *Personality and Social Psychology Bulletin*, **31**, 1,435–44.
Hamilton, D., and Trolier, T. (1986). Stereotypes and stereotyping: an overview of the cognitive approach. In J. F. Dovidio and S. L. Gaertner (eds.) *Prejudice, discrimination and racism.* Orlando, FL: Academic Press.
Hammack, P. L., and Pilecki, A. (2012). Narrative as a root metaphor for political psychology. *Political Psychology*, **33**, 75–103.
Hardt, H., and Splichal, S. (eds.) (2000). *Ferdinand Tönnies on public opinion: selections and analyses.* New York: Rowman & Littlefield.
Harré, R., and Gillett, G. (1994). *The discursive mind.* London: Sage.
Harré, R., and Secord, P. F. (1972). *The explanation of social behaviour.* Oxford: Blackwell.
Harris, J. (2010). Welcome to the first e-election. *Guardian*, 17 March. Available online at www.guardian.co.uk/politics/2010/mar/17/labour-conservatives-general-election-online (last accessed January 2011).
Haslam, N., and Loughnan, S. (2012). Prejudice and dehumanization. In J. Dixon and M. Levine (eds.) *Beyond prejudice: extending the social psychology of conflict, inequality and social change* (pp. 89–104). Cambridge University Press.

Haslam, S. A., and Wilson, A. (2000). In what sense are prejudiced beliefs personal? The importance of ingroup shared stereotypes. *British Journal of Social Psychology*, **39**, 45–63.

Haste, H. (2012). Where do we go from here in political psychology. *Political Psychology*, **33**, 1–9.

Hastie. R., and Dawes, R. (2010). *Rational choice in an uncertain world: the psychology of judgment and decision making* (2nd edn). Thousand Oaks, CA: Sage.

Heath, A., Fisher, S., and Smith, S. (2005). The globalization of public opinion research. *Annual Review of Political Science*, **8**, 297–333.

Heaven, P. (2001). Prejudice and personality: the case of the authoritarian and social dominator. In M. Augoustinos and K. Reynolds (eds.) *Understanding prejudice, racism and social conflict* (pp. 89–104). London: Sage.

Henry, P. J., Sidanius, J., Levin, S., and Pratto, F. (2005). Social dominance orientation, authoritarianism, and support for intergroup violence between the Middle East and America. *Political Psychology*, **26**, 569–84.

Hepburn, A., and Wiggins, S. (eds.) (2007). *Discursive research in practice: new approaches to psychology and interaction*. Cambridge University Press.

Herbst, S. (1995). *Numbered voices: how opinion polling has shaped American politics*. Chicago, IL: University of Chicago Press.

(1998). *Reading public opinion: How political actors view the democratic process*. Chicago, IL: University of Chicago Press.

(2012). The history and meaning of public opinion. In A. J. Berinsky (ed.) *New directions in public opinion* (pp. 19–31). New York: Routledge.

Heritage, J. (1984). *Garfinkel and ethnomethodology*. Cambridge: Polity Press.

Heritage, J., and Clayman, S. (2010). *Talk in action: interaction, identities and institutions*. Chichester: Wiley-Blackwell.

Heritage, J., and Greatbatch, D. (1986). Generating applause: a study of rhetoric and response at party political conferences. *American Journal of Sociology*, **92**, 110–57.

Herrmann, R. (2003). Image theory and strategic interaction in international relations. In D. O. Sears, L. Huddy and R. Jervis (eds.) *Oxford handbook of political psychology* (pp. 285–314). New York: Oxford University Press.

Herzlich, C. (1973). *Health and illness: a social psychological analysis*. New York: Academic Press.

Hill, J. (2008). *The everyday language of White racism*. Chichester: Wiley-Blackwell.

Hobsbawm, E., and Ranger, T. (1992). *The invention of tradition*. Cambridge University Press.

Hodges, A. (2008). The politics of recontextualization: discursive competition over claims of Iranian involvement in Iraq. *Discourse* and *Society*, **19**, 483–505.

Hodgkin, K., and Radstone, S. (eds.) (2003). *Contested pasts: the politics of memory*. London: Routledge.

Hofstede, G. (2001). *Culture's consequences: comparing values, behaviors, institutions, and organizations across nations* (2nd edn). Thousand Oaks, CA: Sage.

Hofstede, G., and McCrae, R. (2004). Personality and culture revisited: linking traits and dimensions of culture. *Cross-Cultural Research*, **38**, 52–88.
Hogea, A. (2010). Coming to terms with the communist past in Romania: an analysis of the political and media discourse concerning the Tismăneanu Report. *Studies of Transition States and Societies*, **2**, 16–30.
Hogg, M. A., and Abrams, D. (1988). *Social identification: a social psychology of intergroup relations and group processes*. London: Routledge.
Hogg. M. A., and Blaylock, D. (2012). *Extremism and the psychology of uncertainty*. Chichester: Wiley-Blackwell.
Holtz, P., and Wagner, W. (2009). Essentialism and attribution of monstrosity in racist discourse: right-wing Internet postings about Africans and Jews. *Journal of Community and Applied Social Psychology*, **19**, 411–25.
Hopkins, N. (2011). Dual identities and their recognition: minority group members' perspectives. *Political Psychology*, **32**, 251–70.
Hopkins, N., and Kahani-Hopkins, V. (2004). Identity construction and political activity: beyond rational actor theory. *British Journal of Social Psychology*, **43**, 339–56.
(2006). Minority group members' theories of intergroup contact: a case study of British Muslims' conceptualizations of 'Islamophobia' and social change. *British Journal of Social Psychology*, **45**, 245–64.
(2009). Reconceptualizing 'extremism' and 'moderation': from categories of analysis to categories of practice in the construction of collective identity. *British Journal of Social Psychology*, **48**, 99–113.
Hopkins, N., Reicher, S., Harrison, K., Cassidy, C., Bull, R., and Levine, M. (2007). Helping to improve the group stereotype: On the strategic dimension of prosocial behavior. *Personality and Social Psychology Bulletin*, **33**, 776–88.
Housley, W., and Fitzgerald, R. (2002). Categorization, national identity and debate. In S. Hester and W. Housley (eds.) *Language, interaction and national identity* (pp. 38–59). Aldershot: Ashgate.
(2003). Moral discrepancy and political discourse: accountability and the allocation of blame in a political news interview. *Sociological Research Online*, **8**(2), www.socresonline.org.uk/8/2/housley.html (last accessed February 2012).
Hovland, C., and Weiss, W. (1952). The influence of source credibility in communication effectiveness. *Public Opinion Quarterly*, **15**, 635–50.
Hovland, C., Janis, I., and Kelley, H. (1953). *Communication and persuasion: psychological studies of opinion change*. New Haven, CT: Yale University Press.
Howarth, C. (2002). Identity in whose eyes? The role of representations in identity construction. *Journal for the Theory of Social Behaviour*, **32**, 145–62.
(2004). Re-presentation and resistance in the context of school exclusion: reasons to be critical. *Journal of Community and Applied Social Psychology*, **14**, 356–77.
(2006). A social representation is not a quiet thing: exploring the critical potential of social representations theory. *British Journal of Social Psychology*, **45**, 65–86.

(2010). Social representations theory, communication and identity. In D. Hook, B. Franks and M. Bauer (eds.) *Communication, culture and social change: the social psychological perspective*. London: Palgrave Macmillan.

Huckfeldt, R. (2009). Information, persuasion, and political communication networks. In R. J. Dalton and H.-D. Klingemann (eds.) *The Oxford handbook of political behavior* (pp. 100–22). New York: Oxford University Press.

Huckfeldt, P., Johnson, E., and Sprague, J. (2002). Political environments, political dynamics, and the survival of disagreement. *Journal of Politics*, **64**, 1–21.

(2004). *Political disagreement: the survival of diverse opinions within communication networks*. New York: Cambridge University Press.

Huddy, L. (2001). From social to political identity: a critical examination of social identity theory. *Political Psychology*, **22**, 127–56.

(2003). Group identity and political cohesion. In D. O. Sears, L. Huddy and R. Jervis (eds.) *Oxford handbook of political psychology* (pp. 511–58). New York: Oxford University Press.

(2004). Contrasting theoretical approaches to intergroup relations. *Political Psychology*, **25**, 947–67.

Huddy, L., Francis N., and Marilyn, L. (2000). The polls–trends: support for the Women's Movement. *Public Opinion Quarterly*, **64**, 309–50.

Huddy, L., Khatib, N., and Capelos, T. (2002). The polls-trends: reactions to the terrorist attacks of September 11, 2001. *Public Opinion Quarterly*, **66**, 418–50.

Hutchby, I. (2006). *Media talk: conversation analysis and the study of broadcasting*. Maidenhead: Open University Press.

(forthcoming). *The televised interview: political news as social interaction*. Cambridge: Polity Press.

Huyssen, A. (2003). *Present pasts: urban palimpsests and the politics of memory*. Stanford, CA: Stanford University Press.

Iacob, B. C. (2010). Avem nevoie de o pedagogie a memoriei colective a trecutului comunist. Available at www.evz.ro/detalii/stiri/bogdan-cristian-iacob-avem-nevoie-de-o-pedagogie-a-memoriei-colective-a-trecutului-comunist-90689.html (last accessed January 2011).

Igartua, J., and Paez, D. (1997). Art and remembering traumatic events: the case of the Spanish Civil War. In J. Pennebaker, D. Paez and B. Rimé (eds.) *Collective memory of political events: social psychological perspectives* (pp. 79–102). Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.

Igo, S. (2007). *The averaged American: Surveys, citizens, and the making of a mass public*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Inglehart, R. (1977). *The silent revolution*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

(1990). *Culture shift in advanced industrial societies*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

(2003). How solid is mass support for democracy – and how do we measure it? *PS: Political Science and Politics*, **36**, 51–7.

(2009). Postmaterialist values and the shift from survival to self-expression values. In R. J. Dalton and H.-D. Klingemann (eds.). *The Oxford handbook of political behavior* (pp. 223–39). New York: Oxford University Press.

Inglehart, R., and Abramson, P. (1999). Measuring postmaterialism. *American Political Science Review*, **93**, 665–677.

Inglehart, R., and Baker, W.E. (2000). Modernization, cultural change, and the persistence of traditional values. *American Sociological Review*, **65**, 19–51.

Inglehart, R., and Welzel, C. (2005). *Modernization, cultural change, and democracy: the human development sequence*. Cambridge University Press.

Iniguez, L., Valencia, J., and Vazquez, F. (1997). The construction of remembering and forgetfulness: memories and histories of the Spanish Civil War. In J. Pennebaker, D. Paez and B. Rimé (eds.) *Collective memory of political events: social psychological perspectives* (pp. 237–52). Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.

Israel, J., and Tajfel, H. (eds.) (1972). *The context of social psychology: a critical assessment*. London: Academic Press.

Iyengar, S. (1993). Agenda-setting and beyond: television news and the strength of political issues. In W. Riker (ed.) *Agenda formation* (pp. 1–27). Ann Arbor: University of Michigan Press.

Iyengar, S., and Kinder, D. R. (1987). *News that matters: television and American opinion*. Chicago, IL: Chicago University Press.

Jacobs, L. R., and Shapiro, R. (2000). *Politicians don't pander: political manipulation and the loss of democratic responsiveness*. Chicago, IL: University of Chicago Press.

Jahoda, G. (1988). Critical notes and reflections on 'social representations'. *European Journal of Social Psychology*, **18**, 195–209.

Jamieson, K. H. (1988). *Eloquence in an electronic age*. New York: Oxford University Press.

Janis, I. (1954). Personality correlates of susceptibility to persuasion. *Journal of Personality*, **22**, 504–18.

Janis, I., and Feshbach, S. (1953). Effects of fear-arousing communications. *The Journal of Abnormal and Social Psychology*, **48**, 78–92.

Jaspal, R., and Cinnirella, M. (2010). Coping with potentially incompatible identities: accounts of religious, ethnic, and sexual identities from British Pakistani men who identify as Muslim and gay. *British Journal of Social Psychology*, **49**, 849–70.

Jefferson, G. (1985). An exercise in the transcription and analysis of laughter. In T. A. van Dijk (ed.) *Handbook of discourse analysis* (vol. III) (pp. 25–34). London: Academic Press.

(2004). Glossary of transcript symbols with an Introduction. In G. H. Lerner (ed.) *Conversation analysis: Studies from the first generation* (pp. 13–23). Philadelphia, PA: John Benjamins.

Jervis, R. (2004). The implications of prospect theory for human nature and values. *Political Psychology*, **25**, 163–76.

Jodelet, D. ([1989] 1991). *Madness and social representations*. Hemel Hempstead: Harvester Wheatsheaf.

(2008). Social representations: the beautiful invention. *Journal for the Theory of Social Behaviour*, **38**, 411–30.

Joffe, H. (2002). Social representations and health psychology. *Social Science Information*, **41**, 559–80.

(2003). Risk: from perception to social representation. *British Journal of Social Psychology*, **42**, 55–73.

Johnson-Laird, P. N. (1983). *Mental models: towards a cognitive science of language, inference, and consciousness*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Jost, J. T., and Banaji, M. (1994). The role of stereotyping in system-justification and the production of false consciousness. *British Journal of Social Psychology*, **33**, 1–27.

Jost, J. T., and Thompson, E. P. (2000). Group-based dominance and opposition to equality as independent predictors of self-esteem, ethnocentrism, and social policy attitudes among African Americans and European Americans. *Journal of Experimental Social Psychology*, **36**, 209–32.

Jost, J. T., Banaji, M., and Nosek, B. (2004). A decade of system justification theory: accumulated evidence of conscious and unconscious bolstering of the status quo. *Political Psychology*, **25**, 881–919.

Jost, J. T., Federico, C. M., and Napier, J. L. (2009). Political ideology: its structure, functions, and elective affinities. *Annual Review of Psychology*, **60**, 307–33.

Jovchelovitch, S. (2007). *Knowledge in context: representations, community and culture*. London: Routledge.

(2008). The rehabilitation of common sense: social representations, science and cognitive polyphasia. *Journal for the Theory of Social Behaviour*, **38**, 431–48.

(2010). From social cognition to the cognition of the social. *Papers on Social Representations*, **19**, 3.1–3.10.

Just, M. R., Crigler, A. N., and Neuman, W. R. (1996). Cognitive and affective dimensions of political conceptualization. In A. N. Crigler (ed.) *The psychology of political communication* (pp. 133–48). Ann Arbor: Michigan University Press.

Kaid, L., and Holtz-Bacha, C. (2006). *The Sage handbook of political advertising*. London: Sage.

Kaltwasser, C. (2012). The ambivalence of populism: threat and corrective for democracy. *Democratization*, **19**, 184–208.

Kansteiner, W. (2002). Finding meaning in memory: a methodological critique of collective memory studies. *History & Theory*, **41**, 179–97.

Kiesler, C., and Kiesler, S. (1969). *Conformity*. Reading, MA: Addison-Wesley.

Kinder, D. R. (2003). Communication and politics in the age of information. In D. O. Sears, L. Huddy and R. Jervis (eds.) *Oxford handbook of political psychology* (pp. 357–93). New York: Oxford University Press.

(2006). Belief systems today. *Critical Review: A Journal of Politics and Society*, **18**, 197–216.

Kinder, D. R., and Kam, C. D. (2009). *Us against them: ethnocentric foundations of American opinion*. Chicago, IL : Chicago University Press.

Kinder, D. R., and Sanders, L. (1996). *Divided by color*. Chicago, IL: Chicago University Press.

King, C. (2007). Remembering Romanian communism. *Slavic Review*, **66**, 718–23.

Klandermans, B. (1997). *The social psychology of protest*. Oxford: Blackwell.

(2003). Collective political action. In D. O. Sears, L. Huddy and R. Jervis (eds.) *Oxford handbook of political psychology* (pp. 670–709). New York: Oxford University Press.
Klandermans, B., and Mayer, N. (2006). *Extreme right activists in Europe: through the magnifying glass*. London: Routledge.
Klandermans, B., Sabucedo, J. M., and Rodriguez, M. (2002). Politicization of collective identity: farmer's identity and farmer's protest in the Netherlands and Spain. *Political Psychology*, **23**, 235–51.
Klandermans, B., van der Toorn, J., and van Stekelenburg, J. (2008). Embeddedness and identity: how immigrants turn grievances into action. *American Sociological Review*, **73**, 992–1,012.
Korosteleva, E. (2003). Is Belarus a demagogical democracy? *Cambridge Review of International Affairs*, **16**, 525–33.
(2009). The limits of EU governance: Belarus's response to the European Neighbourhood Policy. *Contemporary Politics*, **15**, 229–45.
(2012). Questioning democracy promotion: Belarus' response to the 'colour revolutions'. *Democratization*, **19**, 37–59.
Kuipers, G. (2011). The politics of humour in the public sphere: cartoons, power and modernity in the first transnational humour scandal. *European Journal of Cultural Studies*, **14**, 63–80.
Kuklinski, J., and Peyton, B. (2009). Belief systems and political decision making. In R. J. Dalton and H.-D. Klingemann (eds.) *The Oxford handbook of political behavior* (pp. 45–64). New York: Oxford University Press.
LaCapra, D. (1994). *Representing the Holocaust: history, theory, trauma*. Ithaca, NY: Cornell University Press.
Laclau, E. (1993). The signifiers of democracy. In J. H. Carens (ed.) *Democracy and possessive individualism* (pp. 221–34). Albany: State University of New York Press.
Lakoff, G. (2002). *Moral politics: what conservatives know that liberals don't*. Chicago, IL: University of Chicago Press.
(2010). *The political mind*. London: Viking.
Lakoff, G., and Johnson, M. (1980). *Metaphors we live by*. Chicago, IL: Chicago University Press.
Lane, R. (1962). *Political ideology: why the common man believes what he does*. New York: Free Press.
Lasswell, H. D. (1930). *Psychopathology and politics*. Chicago, IL: Chicago University Press.
Lasswell, H. D., Leites, N., and associates (1949) *Language of politics: Studies in quantitative semantics*. New York: George W. Stuart.
Lau, R., and Redlawsk, D. (2001). An experimental study of information search, memory and decision making during a political campaign. In J. Kuklinski (ed.) *Political psychology and public opinion* (pp. 136–59). New York: Cambridge University Press.
(2006). *How voters decide: information processing during election campaigns*. New York: Cambridge University Press.
Lavine, H. (2002). On-line versus memory-based process models. In K. R. Monroe (ed.) *Political psychology* (pp. 225–48). Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.
(2010). *Political psychology*, vol. I: *Theoretical approaches*. New York: Sage.

Lazarsfeld, P. F., and Merton, R. K. (1948). Mass communication, popular taste and organized social action. In L. Bryson (ed.) *The communication of ideas* (pp. 95–118). New York: Harper.

Lazarsfeld, P. F., Berelson, B., and Gaudet, H. (1944). *The people's choice*. New York: Duell, Sloan and Pearce.

LeCouteur, A., Rapley, M., and Augoustinos, M. (2001). 'This very difficult debate about Wik': stake, voice and the management of category memberships in race politics. *British Journal of Social Psychology*, **40**, 35–57.

Lee, I., Pratto, F., and Johnson, T. B. (2011). Intergroup consensus/disagreement in support of group-based hierarchy: an examination of socio-structural and psycho-cultural factors. *Psychological Bulletin*, 137, 1,029–64.

Lemaine, J. (1966). Inegalité, comparaison et incomparabilité: esquisse d'une théorie de l'originalité sociale. *Bulletin de Psychologie*, **20**, 1–9.

Leudar, I., and Nekvapil, J. (2000). Presentations of Romanies in the Czech media: on category work in television debates. *Discourse & Society*, **11**, 487–513.

(2004). Media dialogical networks and political argumentation. *Journal of Language and Politics*, **3**, 247–66.

Leudar, I., Hayes, J., Nekvapil, J., and Turner Baker, J. (2008). Hostility themes in media, community and refugee narratives. *Discourse and Society*, **19**, 187–221.

Leventhal, H., Singer, R., and Jones, S. (1965). Effects of fear and specificity of recommendation upon attitudes and behavior. *Journal of Personality and Social Psychology*, **2**, 20–9.

Leventhal, H., Watts, J., and Pagano, F. (1967). Effects of fear and instructions on how to cope with danger. *Journal of Personality and Social Psychology*, **6**, 313–21.

Levin, S., Federico, C. M., Sidanius, J., and Rabinowitz, J. (2002). Social dominance orientation and intergroup bias: the legitimation of favoritism for high-status groups. *Personality and Social Psychology Bulletin*, **28**, 144–57.

Levine, M., and Thompson, K. (2004). Identity, place, and bystander intervention: social categories and helping after natural disasters. *The Journal of Social Psychology*, **144**, 229–45.

Levine, M., Cassidy, C., and Brazier, G. (2002). Self-categorization and bystander non-intervention: two experimental studies. *Journal of Applied Social Psychology*, **32**, 1,452–63.

Levine, M., Prosser, A., Evans, D., and Reicher, S. (2005). Identity and emergency intervention: how social group membership and inclusiveness of group boundaries shape helping behavior. *Personality and Social Psychology Bulletin*, **31**, 443–53.

Levitsky, S., and Way, L. (2002). Elections without democracy: the rise of competitive authoritarianism. *Journal of Democracy*, **13**, 51–65.

(2010). *Competitive authoritarianism: hybrid regimes after the Cold War*. Cambridge University Press.

Leyens, J.-P., Cortes, B., Demoulin, S., Dovidio, J., Fiske, S., Gaunt, R., Paladino, M.-P., Rodriguez-Perez, A., Rodriguez-Torres, R., and Vaes, J. (2003). Emotional prejudice, essentialism, and nationalism. The 2002 Tajfel Lecture. *European Journal of Social Psychology*, **33**, 703–17.

Linden, A., and Klandermans, B. (2007). Revolutionaries, wanderers, converts, and compliants: life histories of extreme right activists. *Journal of Contemporary Ethnography*, **36**, 184–201.
Lippmann, W. (1922). *Public opinion*. London: Allen & Unwin.
([1927] 2009). *The phantom public*. New Jersey: Transaction Publishers.
Lockyer, S., and Pickering, M. (2001). Dear shit-shovellers: humour, censure and the discourse of complaint, *Discourse & Society*, **12**, 633–51.
Lowenthal, D. (1989). Nostalgia tells it like it wasn't. In M. Chase and C. Shaw (eds.) *The imagined past: history and nostalgia* (pp. 18–32). Manchester and New York: Manchester University Press.
Lukes, S. (1973). *Individualism*. Oxford: Basil Blackwell.
Lynn, N., and Lea, S. (2003). 'A phantom menace and the New Apartheid': the social construction of asylum-seekers in the United Kingdom. *Discourse & Society*, **14**, 425–52.
Marcus, G., Neuman, W., and MacKuen, M. (2000). *Affective intelligence and political judgement*. Chicago, IL: University of Chicago Press.
Marcus, G., Sullivan, J., Theiss-Morse, E., and Wood, S. (1995). *With malice toward some: how people make civil liberties judgements*. New York: Cambridge University Press.
Mark, J. (2010). *The unfinished revolution: making sense of the communist past in Central and Central-Eastern Europe*. New Haven, CT: Yale University Press.
Marková, I. (2000). Amédée or how to get rid of it: social representations from a dialogical perspective. *Culture & Psychology*, **6**, 419–60.
(2001). Dialogical perspectives of democracy as social representation. *Critical Studies*, **16**, 125–39.
(2004). *Trust and democratic transition in post-communist Europe*. Oxford University Press.
(2006). On 'the inner alter' in dialogue. *International Journal for Dialogical Science*, **1**, 125–48.
(2008). The epistemological significance of the theory of social representations. *Journal for the Theory of Social Behavior*, **38**, 461–87.
(2012). 'Americanization' of European social psychology. *History of the Human Sciences*, **25**, 108–16.
Martin, J. L. (2001). The authoritarian personality, 50 years later: what questions are there for political psychology? *Political Psychology*, **22**, 1–26.
Matsuda, M., Lawrence, C., Delgado, R., and Crenshaw, K. (1993). *Words that wound: critical race theory, assaultive speech, and the first amendment*. Boulder, CO: Westview Press.
McClosky, H. (1964). Consensus and ideology in American politics. *American Political Science Review*, **58**, 361–82.
McCombs, M., and Shaw, D. (1972). The agenda-setting function of mass media. *Public Opinion Quarterly*, **36**, 176–87.
McGarty, C., and Penny, R. E. (1988). Categorization, accentuation and social judgement. *British Journal of Social Psychology*, **27**, 147–57.
McGee, M. C. (1980). The 'ideograph': a link between rhetoric and ideology. *Quarterly Journal of Speech*, **66**, 1–16.
McGraw, K. M. (2001). Political accounts and attribution processes. In J. H. Kuklinski (ed.) *Citizens and politics: perspectives from political psychology* (pp. 160–97). New York: Cambridge University Press.

(2003). Political impressions: formation and management. In D. O. Sears, L. Huddy and R. Jervis (eds.) *Oxford handbook of political psychology* (pp. 394–432). New York: Oxford University Press.

McGuire, W. J. (1964). Inducing resistance to persuasion: some contemporary approaches. In L. Berkowitz (ed.) *Advances in experimental social psychology* (vol. I) (pp. 191–229). San Diego, CA: Academic Press.

(1993). The poly-psy relationship: three phases of a long affair. In S. Iyengar and W. J. McGuire (eds.) *Explorations in political psychology* (pp. 9–35). Durham, NC: Duke University Press.

McGuire, W., and Papageorgis, D. (1961). The relative efficacy of various types of prior belief-defense in producing immunity against persuasion. *Public Opinion Quarterly*, **26**, 24–34.

McKinlay, A., and McVittie, C. (2008). *Social psychology and discourse.* Oxford: Wiley-Blackwell.

McNair, B. (2011). *An introduction to political communication* (5th edn). London: Routledge.

McSweeney, B. (2002). Hofstede's model of national cultural differences and their consequences: a triumph of faith – a failure of analysis. *Human Relations*, **55**, 89–118.

Merino, M. E., and Tileagă, C. (2011). The construction of ethnic minority identity: a discursive psychological approach to ethnic self-definition in action. *Discourse and Society*, **22**, 86–101.

Merriam, C. E. (1924). The significance of psychology for the study of politics. *The American Political Science Review*, **18**, 469–88.

Middleton, D., and Brown, S. D. (2005). *The social psychology of experience: studies in remembering and forgetting.* London: Sage.

(2007). Issues in the socio-cultural study of memory: making memory matter. In J. Valsiner and A. Rosa (eds.) *The Cambridge handbook of socio-cultural psychology* (pp. 661–77). Cambridge University Press.

Middleton, D., and Edwards, D. (eds.) (1990). *Collective remembering.* London: Sage.

Mill, J. S. (2008). *On liberty and other essays* (ed. with an Introduction and Notes by John Gray). Oxford University Press.

Miller, B. (1999). *Narratives of guilt and compliance in unified Germany: Stasi informers and their impact on society.* London: Routledge.

(2003). Portrayals of past and present selves in the life stories of former Stasi informers. In R. Humphrey, R. Miller and E. Zdravomyslova (eds.) *Biographical research in Eastern Europe: altered lives and broken biographies* (pp. 101–14). Aldershot: Ashgate.

Miller, J. M., and Krosnick, J. A. (2000). News media impact on the ingredients of presidential evaluations: politically knowledgeable citizens are guided by a trusted source. *American Journal of Political Science*, **44**, 301–15.

Misztal, B. (2003). *Theories of social remembering.* Milton Keynes: Open University Press.

(2005). Memory and democracy. *American Behavioral Scientist*, **48**, 1,320–38.

Moghaddam, F. (2008). The psychological citizen and the two concepts of social contract: a preliminary analysis. *Political Psychology*, **29**, 881–901.

Mondak, J. (2010). *Personality and the foundations of political behavior.* New York: Cambridge University Press.
Mondak, J., and Gearing, A. (2003). Civic engagement in a post-communist state. In G. Bădescu and E. M. Uslaner (eds.) *Social capital and the transition to democracy* (pp. 140–64). London: Routledge.
Mondak, J., and Halperin, K. D. (2008). A framework for the study of personality and political behavior. *British Journal of Political Science*, **38**, 335–62.
Mondak, J., and Hibbing, M. (2012). Personality and public opinion. In A. Berinsky (ed.) *New directions in public opinion* (pp. 217–38). New York: Routledge.
Mondak, J., Hibbing, M., Canache, D., Seligson, M., and Anderson, M. (2010). Personality and civic engagement: an integrative framework for the study of trait effects on political behavior. *American Political Science Review*, **104**, 85–110.
Monroe, K. R., Hankin, J., and van Vechten, R. B. (2000). The psychological foundations of identity politics. *Annual Review of Political Science*, **3**, 419–47.
Montgomery, M. (2008). The discourse of the broadcast news interview: a typology. *Journalism Studies*, **9**, 260–77.
Moscovici, S. (1961). *La Psychanalyse, son image et son public.* Paris: Presses Universitaires de France.
(1972). Society and theory in social psychology. In J. Israel and H. Tajfel (eds.) *The context of social psychology: a critical assessment* (pp. 17–68). London: Academic Press.
(1981). On social representations. In J. P. Forgas (ed.) *Social cognition* (pp. 181–209). New York: Academic Press.
(1984). The phenomenon of social representations. In R. Farr and S. Moscovici (eds.) *Social representations* (pp. 3–70). Cambridge University Press.
(1988). Notes towards a description of social representations. *European Journal of Social Psychology*, **18**, 211–50.
(1989). Les thèmes d'une psychologie politique. *Hermès*, **5–6**, 13–20.
(1998). The history and actuality of social representations. In U. Flick (ed.) *The Psychology of the Social* (pp. 209–247). Cambridge University Press.
(2008). *Psychoanalysis: its image and its public.* Cambridge: Polity Press.
(2011). An essay on social representations and ethnic minorities. *Social Science Information*, **50**, 442–61.
Moscovici, S., and Marková, I. (2006). *The making of modern social psychology: the hidden story of how an international social science was created.* Cambridge: Polity Press.
Moscovici, S., and Pérez, J. (1997). Representations of society and prejudice. *Papers on Social Representations*, **6**, 27–36.
(2005). Discrimination vs. ontologization of the Gypsies. In D. Abrams, M. A. Hogg and J. M. Marques (eds.) *The social psychology of inclusion and exclusion.* New York: Psychology Press.
Musolff, A. (2004). *Metaphor and political discourse: analogical reasoning in debates about Europe.* London: Palgrave Macmillan.

(2010). *Metaphor, nation and the Holocaust: the concept of the body politic.* London: Routledge.
Mutz, D. (2009). Political psychology and choice. In R. J. Dalton and H.-D. Klingemann (eds.) *The Oxford handbook of political behavior* (pp. 80–99). New York: Oxford University Press.
Myers, G. (1998). Displaying opinions: topics and disagreement in focus groups. *Language in Society*, **27**, 85–111.
Negrine, R. (2008). *The transformation of political communication: continuities and changes in media and politics.* Houndmills and New York: Palgrave Macmillan.
Nekvapil, J., and Leudar, I. (2002). On dialogical networks: arguments about the migration law in Czech mass media in 1993. In S. Hester and W. Housley (eds.) *Language, interaction and national identity: studies in the social organization of national identity in talk-in-interaction.* London: Ashgate.
Nelson, T. E., Clawson, R. A., and Oxley, Z. M. (1997). Media framing of a civil liberties conflict and its effect on tolerance. *American Political Science Review*, **91**, 567–83.
Nesbitt-Larking, P., and Kinnvall, C. (2012). The discursive frames of political psychology. *Political Psychology*, **33**, 45–59.
Neuman, R., Just, M. R., and Crigler, A. N. (1992). *Common knowledge. News and the construction of political meaning.* Chicago, IL: Chicago University Press.
Neuman, R., Marcus, G., Crigler, A., and Mackuen, M. (eds.) (2007) *The affect effect: dynamics of emotion in political thinking and behavior.* Chicago, IL: University of Chicago Press.
Nisbet, M. C., and Feldman, L. (2010). The social psychology of political communication. In D. Hook, B. Franks and M. Bauer (eds.) *The social psychology of communication* (pp. 284–99). London: Palgrave Macmillan.
Noelle-Neumann, E. (1993). *The spiral of silence: public opinion – our social skin.* Chicago, IL: Chicago University Press.
Nora, P. (1998). The era of commemoration. In P. Nora (ed.) *Realms of memory: the construction of the French past* (pp. 609–37). New York: Columbia University Press.
O'Doherty, K., and Augoustinos, M. (2008). Protecting the nation: nationalist rhetoric on asylum seekers and the Tampa. *Journal of Community* and *Applied Social Psychology*, **18**, 576–92.
Olick, J. (1999). Collective memory: the two cultures. *Sociological Theory*, **17**, 333–48.
(2003). What does it mean to normalize the past? Official memory in German politics since 1989. In J. K. Olick (ed.) *States of memory: continuities, conflicts, and transformations in national retrospection* (pp. 259–88). Durham, NC: Duke University Press.
(2007). *The politics of regret: on collective memory and historical responsibility.* London: Routledge.
Olick, J., and Robbins, J. (1998). Social memory studies: from 'collective memory' to the historical sociology of mnemonic practices. *Annual Review of Sociology*, **24**, 105–40.

Onorato, R. S., and Turner, J. C. (2004). Fluidity in the self-concept: the shift from personal to social identity. *European Journal of Social Psychology*, **34**, 257–78.

Opotow, S. (1990). Moral exclusion and injustice: an introduction. *Journal of Social Issues*, **46**, 1–20.

Osborne, T., and Rose, N. (1999). Do the social sciences create phenomena?: the case of public opinion research. *British Journal of Sociology*, **50**, 367–96.

Osgood, C. E. (1978). Conservative words and radical sentences in the semantics of international politics. *Studies in the Linguistic Sciences*, **8**, 43–61.

Paez, D., Basabe, N., and Gonzalez, J. L. (1997). Social processes and collective memory: a cross-cultural approach to remembering political events. In J. Pennebaker, D. Paez and B. Rimé (eds.) *Collective memory of political events: social psychological perspectives* (pp. 147–74). Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.

Pehrson, S., and Leach, C. W. (2012). Beyond 'old' and 'new': for a social psychology of racism. In J. Dixon and M. Levine (eds.) *Beyond prejudice: extending the social psychology of conflict, inequality and social change* (pp. 120–38). Cambridge University Press.

Pennebaker, J., and Banasik, B. (1997). On the creation and maintenance of collective memories: history as social psychology. In J. Pennebaker, D. Paez and B. Rime (eds.) *Collective memory of political events: social psychological perspectives* (pp. 3–20). Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.

Pennebaker, J., Paez, D., and Rimé, B. (eds.) (1997). *Collective memory of political events: social psychological perspectives*. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.

Perreault, S., and Bourhis, R. Y. (1999). Ethnocentrism, social identification and discrimination. *Personality and Social Psychology Bulletin*, **25**, 92–103.

Pettigrew, T. F. (1958). Personality and socio-cultural factors in inter-group attitudes: a cross-national comparison. *Journal of Conflict Resolution*, **2**, 29–42.

Petty, R. E., and Cacioppo, J. T. (1981). *Attitudes and persuasion*. Iowa City, IA: Brown.

(1984). The effects of involvement on responses to argument quantity and quality: central and peripheral routes to persuasion. *Journal of Personality and Social Psychology*, **46**, 69–81.

(1986). *Communication and persuasion: central and peripheral routes to attitude change*. New York: Springer-Verlag.

Pickering, M., and Keightley, E. (2006). The modalities of nostalgia. *Current Sociology*, **54**, 919–41.

Polkinghorne, D. E. (1988). *Narrative knowing and the human sciences*. Albany, NY: State of New York University Press.

Poole, R. (2008). Memory, history and the claims of the past. *Memory Studies*, **1**, 149–66.

Popkin, S. (1991). *The reasoning voter*. Chicago, IL: Chicago University Press.

Potter, J. (1996). *Representing reality: Discourse, rhetoric and social construction*. London: Sage.

(1998). Discursive social psychology: from attitudes to evaluative practices. *European Review of Social Psychology*, **9**, 233–66.

(2012). Re-reading *Discourse and Social Psychology*: transforming social psychology. *British Journal of Social Psychology*, 51, 436–55.

Potter, J., and Edwards, D. (1999). Social representations and discursive psychology: from cognition to action. *Culture & Psychology*, 5, 447–58.

(2001). Discursive social psychology. In W. Robinson and H. Giles (eds.) *The new handbook of language and social psychology* (pp. 103–18). Chichester, Sussex: Wiley.

Potter, J., and Wetherell, M. (1987). *Discourse and social psychology: beyond attitudes and behaviour.* London: Sage.

Potter, J., and Wetherell, M. (1988). Accomplishing attitudes: fact and evaluation in racist discourse. *Text*, 8, 51–68.

Pratto, F., Sidanius, J., and Levin, S. (2006). Social dominance theory and the dynamics of intergroup relations: taking stock and looking forward. *European Review of Social Psychology*, 17, 271–320.

Pratto, F., Sidanius, J., Stallworth, L. M., and Malle, B. F. (1994). Social dominance orientation: a personality variable predicting social and political attitudes. *Journal of Personality & Social Psychology*, 67, 741–63.

Pridham, G. (2000). Confining conditions and breaking with the past: historical legacies and political learning in transitions to democracy. *Democratization*, 7, 36–64.

Puchta, C., and Potter, J. (2002). Manufacturing individual opinions: market research focus groups and the discursive psychology of evaluation. *British Journal of Social Psychology*, 41, 345–63.

(2004). *Focus group practice*. London: Sage.

Radstone, S. (2010). Nostalgia: home-comings and departures. *Memory Studies*, 3, 187–91.

Rancière, J. (2007). *On the shores of politics*. London: Verso.

Rapley, M. (1998). Just an ordinary Australian: self-categorisation and the discursive construction of facticity in 'racist' political rhetoric. *British Journal of Social Psychology*, 37, 325–44.

(2001). "How to do X without doing Y': accomplishing discrimination without 'being racist' – 'doing equity'. In M. Augoustinos and K. J. Reynolds (eds.) *Understanding prejudice, racism and social conflict* (pp. 231–50). London: Sage.

Reicher, S. (2001). Studying psychology, studying racism. In M. Augoustinos and J. K. Reynolds (eds.) *Understanding prejudice, racism and social conflict* (pp. 273–98). London: Sage.

(2004). The context of social identity: domination, resistance, and change. *Political Psychology*, 25, 921–45.

(2011). Promoting a culture of innovation: BJSP and the emergence of new paradigms in social psychology. *British Journal of Social Psychology*, 50, 391–98.

Reicher, S., and Hopkins, N. (1996a). Seeking influence through characterizing self-categories: an analysis of anti-abortionist rhetoric. *British Journal of Social Psychology*, 35, 297–11.

(1996b). Self-category constructions in political rhetoric: an analysis of Thatcher's and Kinnock's speeches concerning the British Miners Strike (1984–1985). *European Journal of Social Psychology*, 26, 353–71.

(2001). *Self and nation*. London: Sage.
Reicher, S., Cassidy, C., Wolpert, I., Hopkins, N., and Levine, M. (2006). Saving Bulgaria's Jews: an analysis of social identity and the mobilisation of social solidarity. *European Journal of Social Psychology*, **36**, 49–72.
Reicher, S., Spears, R., and Haslam, A. (2010). The social identity approach in social psychology. In M. Wetherell and C. T. Mohanty (eds.) *The Sage handbook of identities* (pp. 45–62). London: Sage.
Reisigl, M., and Wodak, R. (2001). *Discourse and discrimination: rhetorics of racism and antisemitism*. London: Routledge.
(eds.) (2000). *The semiotics of racism*. Vienna: Passagen Verlag.
Reynolds, K. J., and Turner, J. C. (2001). Prejudice as a group process: the role of social identity. In M. Augoustinos and K. Reynolds (eds.) *Understanding prejudice, racism and social conflict* (pp. 159–79). London: Sage.
Reynolds, K. J., Turner, J. C., Haslam, S. A., Ryan, M. K., Bizumic, B., and Subasic, E. (2007). Does personality explain ingroup identification and discrimination? Evidence from the minimal group paradigm. *British Journal of Social Psychology*, **46**, 517–39.
Richardson, K., Parry, K., and Corner, J. (2011). Genre and the mediation of election politics. In D. Wring, R. Mortimore and S. Atkinson (eds.) *Political communication in Britain* (pp. 304–24). London: Palgrave Macmillan.
Riesman, D. (1954). *Individualism reconsidered*. New York: Free Press.
Rigney, A. (2008). Divided pasts: a premature memorial and the dynamics of collective remembrance. *Memory Studies*, **1**, 89–97.
Rijswijk, W., Hopkins, N., and Johnston, H. (2009). The role of social categorization and identity threat in the perception of migrants. *Journal of Community and Applied Social Psychology*, **19**, 515–20.
Ring, K. (1967). Experimental social psychology: some sober questions about some frivolous values. *Journal of Experimental Social Psychology*, **3**, 113–23.
Riots Communities and Victims Panel (2011). *5 Days in August*. http://webarchive.nationalarchives.gov.uk/20121003195935/http:/riotspanel.independent.gov.uk/wp-content/uploads/2012/04/Interim-report-5-Days-in-August.pdf (last accessed July 2012).
Roccas, S., and Brewer, M. (2002). Social identity complexity. *Personality and Social Psychology Review*, **6**, 88–106.
Roccas, S., Schwartz, S., and Amit, A. (2010). Personal value priorities and national identification. *Political Psychology*, **31**, 393–419.
Roiser, M., and Willig, C. (2002). The strange death of the authoritarian personality: 50 years of psychological and political debate. *History of the Human Sciences*, **15**, 71–96.
Rokeach, M. (1956). Political and religious dogmatism: an alternate to the authoritarian personality. *Psychological Monographs*, **70**, 18.
(1960). *The open and closed mind*. New York: Basic Books.
(1968). *Beliefs, attitudes, and values*. New York: Free Press.
(1973). *The nature of human values*. New York: Free Press.
(1979). *Understanding human values: individual and societal*. New York: Free Press.
Rommetveit, R. (1968). *Words, meanings, and messages: theory and experiments in psycholinguistics*. New York: Academic Press.

Rorty, R. (1989). *Contingency, irony and solidarity*. Cambridge University Press.

Rose, R. (2009). Perspectives on political behavior in time and space. In R. J. Dalton and H.-D. Klingemann (eds.) *The Oxford handbook of political behavior* (pp. 283–304). New York: Oxford University Press.

Rowe, S., Wertsch, J. V., and Kosyaeva, T. Y. (2002). Linking little narratives to big ones: narrative and public memory in history museums. *Culture & Psychology*, **8**, 97–113.

Salvatore, S., and Valsiner, J. (2010). Between the general and the unique: overcoming the nomothetic versus idiographic opposition. *Theory & Psychology*, **20**, 817–833.

Santa Ana, O. (1999). 'Like an animal I was treated': anti-immigrant metaphor is US public discourse. *Discourse & Society*, **10**, 191–224.

Sapiro, V. (2004). Not your parents' political socialization: introduction for a new generation. *Annual Review of Political Science*, **7**, 1–23.

Satter, D. (2012). *It was a long time ago, and it never happened anyway: Russia and the communist past*. New Haven, CT: Yale University Press.

Schäffner, C. (2010). Political communication mediated by translation. In U. Okulska and P. Cap (eds.) *Perspectives in politics and discourse* (pp. 255–78). Amsterdam: John Benjamins.

Schatz, R., and Lavine, H. (2007). Waving the flag: national symbolism, social identity, and political engagement. *Political Psychology*, **28**, 329–55.

Schatz, R., Staub, E., and Lavine, H. (1999). On the varieties of national attachment: blind versus constructive patriotism. *Political Psychology*, **20**, 151–74.

Scheufele, D. (1999). Framing as a theory of media effects. *Journal of Communication*, **49**, 103–22.

Scheufele, D., and Tewksbury, D. (2007). Framing, agenda setting, and priming: the evolution of three media effects models. *Journal of Communication*, **57**, 9–20.

Scheufele, D., and Iyengar, S. (in press). The state of framing research: a call for new directions. In K. Kenski and K. H. Jamieson (eds.) *The Oxford handbook of political communication theories*. New York: Oxford University Press.

Schiffrin, D., Tannen, D., and Hamilton, H. (eds.) (2003). *The handbook of discourse analysis*. Oxford: Blackwell.

Schmid, K., and Hewstone, M. (2010). Combined effects of intergroup contact and multiple categorization: consequences for intergroup attitudes in diverse social contexts. In R. Crisp (ed.) *The psychology of social and cultural diversity* (pp. 299–321). Oxford: Wiley-Blackwell.

Schmid, K., Hewstone, M., Tausch, N., Jenkins, R., Hughes, J, and Cairns, E. (2010). Identities, groups and communities: the case of Northern Ireland. In M. Wetherell and C. T. Mohany (eds.) *The Sage handbook of identities*. (pp. 455–75). London: Sage.

Schmitt, M., Branscombe, N., and Kappen, D. (2003). Attitudes toward group-based inequality: social dominance or social identity? *British Journal of Social Psychology*, **42**, 161–86.

Schütz, A. (1973). *Collected papers I. The problem of social reality* (ed. M.A. Natanson and H. L. van Breda). Dordrecht, The Netherlands: Martinus Nijhoff.

(1976). *Collected papers II. Studies in social theory* (ed. and with an introduction by A. Brodersen). Dordrecht, The Netherlands: Martinus Nijhoff.
Schwartz, S. H. (1992). Universals in the content and structure of values: theoretical advances and empirical tests in 20 countries. In M. Zanna (ed.) *Advances in social psychology* (vol. XXV) (pp. 1-65). New York: Academic Press.
(2006). Basic human values: theory, measurement, and applications. *Revue Française de Sociologie*, **47**, 249–88.
(2009). Basic values: how they motivate and inhibit prosocial behavior. In M. Mikulincer and P. Shaver (eds.) *Prosocial motives, emotions, and behavior: the better angels of our nature* (pp. 221–41). Washington, DC: American Psychological Association Press.
Schwartz, S. H., and Bardi, A. (2001). Value hierarchies across cultures: taking a similarities perspective. *Journal of Cross Cultural Psychology*, **32**, 268–90.
Schwartz, S. H., and Bilsky, W. (1987). Toward a universal psychological structure of human values. *Journal of Personality and Social Psychology*, **53**, 550–62.
Schwartz, S., Caprara, G. V., and Vecchione, M. (2010). Basic personal values, core political values, and voting: a longitudinal analysis. *Political Psychology*, **31**, 421–52.
Sears, D., Huddy, L., and Jervis, R. (2003). The psychologies underlying political psychology. In D. O. Sears, L. Huddy and R. Jervis (eds.) *Oxford handbook of political psychology* (pp. 3–16). New York: Oxford University Press.
Shin, D. (2009). Democratization: perspectives from global citizenries. In R. J. Dalton and H.-D. Klingemann (eds.) *The Oxford handbook of political behavior* (pp. 259–82). New York: Oxford University Press.
Shin, D., and Wells, J. (2005). Is democracy the only game in town? *Journal of Democracy*, **16**, 88–101.
Sibley, C. G., and Duckitt, J. (2010). The ideological legitimation of the status quo: longitudinal tests for a social dominance model. *Political Psychology*, **31**, 109–37.
Sibley, C. G., and Liu, J.H. (2010). Social dominance orientation: testing a global individual difference perspective. *Political Psychology*, **31**, 175–207.
Sidanius, J. (1993). The psychology of group conflict and the dynamics of oppression: a social dominance perspective. In S. Iyengar and W. McGuire (eds.) *Explorations in political psychology* (pp. 183–219). Durham, NC: Duke University Press.
Sidanius, J., and Kurzban, R. (2003). Evolutionary approaches to political psychology. In D. O. Sears, L. Huddy and R. Jervis (eds.) *Oxford handbook of political psychology* (pp. 146–81). New York: Oxford University Press.
Sidanius, J., and Pratto, F. (1999). *Social dominance: an intergroup theory of social hierarchy and oppression*. New York: Cambridge University Press.
(2003). Social dominance theory and the dynamics of inequality: a reply to Schmitt, Branscombe, & Kappen and Wilson & Liu. *British Journal of Social Psychology*, **42**, 207–13.
Sidanius, J., Feshbach, S., Levin, S., and Pratto, F. (1997). The interface between ethnic and national attachment: ethnic pluralism or ethnic dominance. *Public Opinion Quarterly*, **61**, 102–33.

Sidanius, J., Pratto, F., van Laar, C., and Levin, S. (2004). Social dominance theory: its agenda and method. *Political Psychology*, **25**, 845–80.

Siegman, A. W. (1961). A cross-cultural investigation of the relationship between ethnic prejudice, authoritarian ideology and personality. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, **63**, 654–55.

Shotter, J. (1977). *Images of man in psychological research*. London: Methuen.

Simon, B., and Grabow, O. (2010). The politicization of migrants: further evidence that politicized collective identity is a dual identity. *Political Psychology*, **31**, 717–38.

Simon, B., and Klandermans, B. (2001). Politicized collective identity: a social psychological analysis. *American Psychologist*, **56**, 319–31.

Simon, B., Loewy, M., Stürmer, S., Weber, U., Freytag, P., Habig, C., Kampmeier, C., and Spahlinger, P. (1998). Collective identification and social movement participation. *Journal of Personality and Social Psychology*, **74**, 646–58.

Skinner, D., and Squillacote, R. (2010). New bodies: beyond illness, dirt, vermin and other metaphors of terror. In U. Okulska and P. Cap (eds.) *Perspectives in politics and discourse* (pp. 43–60). Amsterdam: John Benjamins.

Skultans, V. (1998). *The testimony of lives: narrative and memory in post-Soviet Latvia*. London: Routledge.

(2001). Arguing with the KGB Archives: archival and narrative memory in post-soviet Latvia. *Ethnos*, **66**, 320 –43.

Smith, D. (1974). The social construction of documentary reality. *Sociological Inquiry*, **44**, 257–68.

(1978). 'K is mentally ill': the anatomy of a factual account. *Sociology*, **12**, 23–53.

(2005). *Institutional ethnography: a sociology for people*. Cambridge, MA.: AltaMira Press.

Speer, S., and Potter, J. (2000). The management of heterosexist talk: conversational resources and prejudiced claims. *Discourse* and *Society*, **11**, 543–72.

Speier, H. (1998). Wit and politics: an essay on laughter and power. *American Journal of Sociology*, **103**, 1,352–401.

Staerklé, C., Sidanius, J., Green, E. G. T., and Molina, L. E. (2010). Ethnic minority-majority asymmetry in national attitudes around the world: a multilevel analysis. *Political Psychology*, **31**, 491–519.

Stan, L. (2006). The vanishing truth: politics and memory in post-communist Europe. *East European Quarterly*, **40**, 383–408.

(2007). Comisia Tismăneanu: repere internaţionale. *Sfera Politicii*, **126–7**, 7–13.

(2012). Witch-hunt or moral rebirth? Romanian Parliamentary debates on lustration. *East European Politics and Societies*, **26**, 274–95.

Stanyer, J. (2007). *Modern political communication*. Cambridge: Polity Press.

Stein, J. G. (2002). Political learning and political psychology: a question of norms. In K. Monroe (ed.) *Political psychology* (pp. 107–20). Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum.

Stelzl, M., and Seligman, C. (2009). Multiplicity across cultures: multiple national identities and multiple value systems. *Organization Studies*, **30**, 959–73.

Stenner, K. (2005). *The authoritarian dynamic.* Cambridge University Press.
Stewart, P. (2011). The influence of self- and other-deprecatory humor on presidential candidate evaluation during the 2008 US election. *Social Science Information*, **50**, 201–22.
Stokoe, E. (2009). Doing actions with identity categories: complaints and denials in neighbour disputes. *Text & Talk*, **29**, 75–97.
Stokoe, E., and Edwards, D. (2007). 'Black this, black that': racial insults and reported speech in neighbor complaints and police interrogations. *Discourse & Society*, **18**, 337–72.
Stott, C. J., and Drury, J. (2000). Crowds, context and identity: dynamic categorization processes in the 'poll tax riot'. *Human Relations*, **53**, 247–73.
Stott, C. J., Hutchison, P., and Drury, J. (2001). 'Hooligans' abroad? Intergroup dynamics, social identity and participation in collective 'disorder' at the 1998 World Cup Finals. *British Journal of Social Psychology*, **40**, 359–84.
Stürmer, S., and Simon, B. (2009). Pathways to collective protest: calculation, identification, or emotion? A critical analysis of the role of group-based anger in social movement participation. *Journal of Social Issues*, **65**, 681–705.
Subasic, E., Reynolds, K. J., and Turner, J. C. (2008). The political solidarity model of social change: dynamics of self-categorization in intergroup power relations. *Personality and Social Psychology Review*, **12**, 330–52.
Subasic, E., Schmitt, M. T., and Reynolds, K. J. (2011). Are we all in this together? Co-victimization, inclusive social identity and collective action in solidarity with the disadvantaged. *British Journal of Social Psychology*, **50**, 707–25.
Suedfeld, P. (1994). President Clinton's policy dilemmas: a cognitive analysis. *Political Psychology*, **15**, 337–49.
Suedfeld, P., Conway, L. G., and Eichhorn, D. (2001). Studying Canadian leaders at a distance. In O. Feldman and L. O. Valenty (eds.) *Profiling political leaders: cross-cultural studies of personality and political behavior* (pp. 3–19). Westport, CT: Praeger.
Suedfeld, P., Tetlock, P. E., and Ramirez, C. (1977). War, peace, and integrative complexity: UN speeches on the Middle East problem, 1947–1976. *Journal of Conflict Resolution*, **21**, 427–42.
Suedfeld, P., Tetlock, P. E., and Streufert, S. (1992). Conceptual/integrative complexity. In C. P. Smith, J. W. Atkinson, D. C. McClelland and J. Veroff (eds.), *Motivation and personality: handbook of thematic content analysis* (pp. 393–400). New York: Cambridge University Press.
Suedfeld, P., Wallace, M. D., and Thachuk, K. L. (1993). Changes in integrative complexity among Middle East leaders during the Persian Gulf crisis. *Journal of Social Issues*, **49**, 183–199.
Sykes, M. (1985). Discrimination in discourse. In T. A. van Dijk (ed.) *Handbook of discourse analysis* (vol. IV). London: Academic Press.
Sztompka, P. (1994). *The sociology of social change.* Chichester: John Wiley & Sons.
(2000). Cultural trauma: the other face of social change. *European Journal of Social Theory*, **3**, 449–66.

(2004). The trauma of social change: a case of postcommunist societies. In J. C. Alexander, R. Eyerman, B. Giesen, N. J. Smelser and P. Sztompka (eds.) *Cultural trauma and collective identity* (pp. 155–95). Berkeley, CA: University of California Press.

Taber, C. (2003). Information processing and public opinion. In D. O. Sears, L. Huddy and R. Jervis (eds.) *Oxford handbook of political psychology* (pp. 433–76). New York: Oxford University Press.

Taber, C., and Lodge, M. (2006). Motivated skepticism in the evaluation of political beliefs. *American Journal of Political Science*, **50**, 755–69.

Tajfel, H. (1969). Cognitive aspects of prejudice. *Journal of Social Issues*, **25**, 79–97.

(1972). Experiments in a vacuum. In J. Israel and H. Tajfel (eds.) *The context of social psychology: a critical assessment*. London: Academic Press.

(1978). *Differentiation between social groups: studies in the social psychology of intergroup relations*. London: Academic Press.

(1981a). Cognitive aspects of prejudice. In H. Tajfel, *Human groups and social categories* (pp. 127–42). Cambridge University Press.

(1981b). Social stereotypes and social groups. In J. C. Turner and H. Giles (eds.) *Intergroup behaviour* (pp. 144–67). Oxford: Blackwell.

Tajfel, H., and Turner, J. (1979). An integrative theory of intergroup conflict. In W. G. Austin and S. Worchel (eds.) *The social psychology of intergroup relations*. Monterey, CA: Brooks-Cole.

Tajfel, H., and Turner, J. (1986). The social identity theory of intergroup behaviour. In S. Worchel and W. G. Austin (eds.) *Psychology of intergroup relations* (pp. 7–24). Chicago, IL: Nelson Hall.

Tajfel, H., and Wilkes, A. L. (1963). Classification and quantitative judgment. *British Journal of Psychology*, **54**, 101–14.

Tajfel, H., Flament, C., Billig, M., and Bundy, R. P. (1971). Social categorization and intergroup behaviour. *European Journal of Social Psychology*, **1**, 149–78.

Tănăsoiu, C. (2007). The Tismăneanu report: Romania revisits its past. *Problems of Post-Communism*, **54**, July/August.

Tarde, G. ([1969] 2010). *On communication and social influence: selected papers* (ed. and with an introduction by Terry N. Clark). Chicago, IL: Chicago University Press.

Taylor, C. (2004). *Modern social imaginaries*. Durham, NC: Duke University Press.

te Molder, H., and Potter, J. (eds.) (2005). *Conversation and cognition*. Cambridge University Press.

Tetlock, P. E. (1981a). Personality and isolationism: content analysis of senatorial speeches. *Journal of Personality and Social Psychology*, **41**, 737–43.

(1981b). Pre- to postelection shifts in presidential rhetoric: impression management or cognitive adjustment? *Journal of Personality and Social Psychology*, **41**, 207–12.

(1983). Cognitive style and political ideology. *Journal of Personality and Social Psychology*, **45**, 118–26.

(1984). Cognitive style and political belief systems in the British House of Commons. *Journal of Personality and Social Psychology*, **46**, 365–75.
(1985). Integrative complexity of American and Soviet foreign policy rhetoric: a time-series analysis. *Journal of Personality and Social Psychology*, **49**, 565–85.
(1988). Monitoring the integrative complexity of American and Soviet policy rhetoric: what can be learned? *Journal of Social Issues*, **44**, 101–31.
(2003). Thinking the unthinkable: sacred values and taboo cognitions. *Trends in cognitive science*, **7**, 320–4.
(2005). *Expert political judgment: how good is it and how can we know?* Princeton University Press.
Tetlock, P. E., and Boettger, R. (1989). Accountability: a social magnifier of the dilution effect. *Journal of Personality & Social Psychology*, **57**, 388–98.
Tetlock, P. E., Hannum, K. A., and Micheletti, P. M. (1984). Stability and change in the complexity of senatorial debate: testing the cognitive versus rhetorical style hypotheses. *Journal of Personality and Social Psychology*, **46**, 979–90.
Thoemmes, F., and Conway, L. (2007). Integrative complexity of 41 US presidents. *Political Psychology*, **28**, 193–226.
Thompson, J. (2009). Apology, historical obligations and the ethics of memory. *Memory Studies*, **2**, 195–210.
Tileagă, C. (2005). Accounting for extreme prejudice and legitimating blame in talk about the Romanies. *Discourse & Society*, **16**, 603–24.
(2006). Representing the 'other': a discursive analysis of prejudice and moral exclusion in talk about Romanies. *Journal of Community and Applied Social Psychology*, **16**, 19–41.
(2007). Ideologies of moral exclusion: a critical discursive reframing of depersonalization, delegitimization and dehumanization. *British Journal of Social Psychology*, **46**, 717–37.
(2008). What is a revolution? National commemoration, collective memory and managing authenticity in the representation of a political event. *Discourse & Society*, **19**, 359–82.
(2009a). The social organization of representations of history: the textual accomplishment of coming to terms with the past. *British Journal of Social Psychology*, **48**, 337–55.
(2009b). 'Mea culpa': the social production of public disclosure and reconciliation with the past. In A. Galasinska and M. Krzyzanowski (eds.) *Discourse and transformation in Central and Eastern Europe* (pp. 173–87). London: Palgrave.
(2010). Cautious morality: public accountability: moral order and accounting for a conflict of interest. *Discourse Studies*, **12**, 223–39.
(2011a). (Re)writing biography: memory, identity, and textually mediated reality in coming to terms with the past. *Culture & Psychology*, **17**, 197–215.
(2011b). Context, mental models and discourse analysis. *Journal of Sociolinguistics*, **15**, 124–34.

(2012). The right measure of guilt: moral reasoning, transgression and the social construction of moral meanings. *Discourse & Communication*, **6**, 203–22.

Tilly, C. (2002). *Stories, identities and political change*. Lanham: Rowman & Littlefield.

Tilly, C., and Tarrow, S. (2006). *Contentious politics*. Boulder, Colo.: Paradigm.

Tismăneanu, V. (2007). Confronting Romania's past: a response to Charles King. *Slavic Review*, **66**, Winter.

(2008). Democracy and memory: Romania confronts its Communist past. *The Annals of the American Academy of Political and Social Science*, **617**, 166–80.

(2010a). Despre nostalgia comunismului, peronism şi spaima de libertate. Available at http://tismaneanu.wordpress.com/2010/12/15/despre-nostalgia comunismului-peronism-si-spaima-de-libertate/ (last accessed January 2011).

(2010b). Plâng românii după comunism? Amintirea dictaturii şi anxietătile prezentului. Available at http://tismaneanu.wordpress.com/2010/09/23/amintireacomunismului-si-anxietatile-prezentului/ (last accessed January 2011).

Todorova, M., and Gille, S. (eds.) (2010). *Post-communist nostalgia*. Oxford: Berghahn Books.

Tsirogianni, S., and Gaskell, G. (2011). The role of plurality and context in social values. *Journal for the Theory of Social Behaviour*, **41**, 441–65.

Turner, J. (1999a). The prejudiced personality and social change: a self-categorization perspective. The Tajfel Lecture at the European Association of Experimental Social Psychology. Oxford, 7–11 July.

(1999b). Some current themes in research on social identity and self-categorization theories. In N. Ellemers, R. Spears and B. Doosje (eds.) *Social identity: context, commitment, content* (pp. 6–34). Oxford: Blackwell.

Turner, J., and Reynolds, K. (2003). Why social dominance theory has been falsified. *British Journal of Social Psychology*, **42**, 199–206.

Turner, J., Hogg, M. A., Oakes, P. J., Reicher, S., and Wetherell, M. (1987). *Rediscovering the social group: a self-categorization theory*. Oxford and New York: Basil Blackwell.

Valentine, G., and Sporton, D. (2009). The subjectivities of young Somalis: the impact of processes of disidentification and disavowal. In M. Wetherell (ed.) *Identity in the 21st century: new trends in changing times* (pp. 157–74). London: Palgrave.

Valentino, N. (1999). Crime and the priming of racial attitudes during evaluations of the President. *Public Opinion Quarterly*, **63**, 293–320.

Valentino, N., Hutchings, V., and White, I. (2002). Cues that matter: how political ads prime racial attitudes during campaigns. *American Political Science Review*, **96**, 75–90.

Valsiner, J. (2007). *Culture in minds and societies: foundations of cultural psychology*. London: Sage.

Valsiner, J., and van der Veer, R. (2000). *The social mind: the construction of an idea*. Cambridge University Press.
van der Eijk, C., and Franklin, M. (2009). *Elections and voters*. London: Palgrave.
van der Noll, J., Poppe, E., and Verkuyten, M. (2010). Political tolerance and prejudice: differential reactions towards Muslims in the Netherlands. *Basic and Applied Social Psychology*, 32, 46–56.
van der Valk, I. (2003). Right-wing parliamentary discourse on immigration in France. *Discourse & Society*, 14, 309–48.
van Dijk, T. A. (1984). *Prejudice and discourse*. Amsterdam: Benjamins.
(1987). *Communicating racism: ethnic prejudice in thought and talk*. London: Sage.
(1988). *News as discourse*. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum.
(1989). Mediating racism: the role of media in the reproduction of racism. In R. Wodak (ed.) *Language, power and ideology*. Amsterdam: Benjamins.
(1991). *Racism and the Press*. London: Routledge.
(1992). Discourse and the denial of racism. *Discourse & Society*, 3, 87–118.
(1993a). *Elite discourse and racism*. Newbury Park, CA: Sage.
(1993b). Principles of critical discourse analysis. *Discourse & Society*, 4, 249–83.
(1997). Political discourse and racism: describing others in western parliaments. In S. H. Riggins (ed.) *The language and politics of exclusion*. London: Sage.
(2001). Critical discourse analysis. In D. Schiffrin, D. Tannen and H. E. Hamilton (eds.) *The handbook of discourse analysis* (pp. 352–71). Oxford: Blackwell.
(2006). Discourse and manipulation. *Discourse & Society*, 17, 359–83.
(2008). *Discourse and context: a sociocognitive approach*. New York: Cambridge University Press.
(2009). *Society and discourse: how social contexts influence text and talk*. New York: Cambridge University Press.
van Dijk, T. A., and Kintsch, W. (1983). *Strategies of discourse comprehension*. London: Academic Press.
van Dijk, T. A., Ting-Toomey, S., Smitherman, G., and Troutman, D. (1997). Discourse, ethnicity, culture and racism. In T. A. van Dijk (ed.) *Discourse as social interaction* (Discourse studies: a multidisciplinary introduction, vol. II) (pp. 144–80). London: Sage.
van Leeuwen, T. (1995). Representing social action. *Discourse & Society*, 6, 81–106.
(2000). Visual racism. In M. Reisigl and R. Wodak (eds.) *The semiotics of racism* (pp. 333–50). Vienna: Passagen Verlag.
van Leeuwen, T., and Wodak, R. (1999). Legitimising immigration control: a discourse-historical approach. *Discourse Studies*, 1, 83–118.
van Stekelenburg, J., and Klandermans, B. (2010). Individuals in movements: a social psychology of contention. In B. Klandermans and C. Roggeband (eds.) *Handbook of social movements across disciplines* (pp. 157–204). New York: Springer.

van Stekelenburg, J., Klandermans, B., and van Dijk, W. W. (2009). Context matters: explaining how and why mobilizing context influences motivational dynamics. *Journal of Social Issues*, **65**, 815–38.

van Zomeren, M., and Iyer, A. (2009). Introduction to the social and psychological dynamics of collective action. *Journal of Social Issues*, **65**, 645–60.

van Zomeren, M., and Klandermans, B. (2011). Towards innovation in theory and research on collective action and social change. *British Journal of Social Psychology*, **50**, 573–4.

van Zomeren, M., and Spears, R. (2009). Metaphors of protest: a classification of motivations for collective action. *Journal of Social Issues*, **65**, 661–79.

Vecchione, M., and Caprara, G. V. (2009). Personality determinants of political participation: the contribution of traits and self-efficacy beliefs. *Personality and Individual Differences*, **46**, 487–92.

Velikonja, M. (2009). Lost in transition: nostalgia for socialism in post-socialist countries. *East European Politics and Societies*, **23**, 535–1.

Verhulst, B., Eaves, L., and Hatemi, P. (2012). Correlation not causation: the relationship between personality traits and political ideologies. *American Journal of Political Science*, **56**, 34–51.

Verkuyten, M. (1997). Discourses of ethnic minority identity. *British Journal of Social Psychology*, **36**, 565–86.

(2001). 'Abnormalization' of ethnic minorities in conversation. *British Journal of Social Psychology*, **40**, 257–78.

(2003). Discourses about ethnic group (de-)essentialism: oppressive and progressive aspects. *British Journal of Social Psychology*, **42**, 371–91.

(2004). *The social psychology of ethnic identity*. Hove and New York: Psychology Press.

(2005). Immigration discourses and their impact on multiculturalism: a discursive and experimental study. *British Journal of Social Psychology*, **44**, 223–41.

(2010). Multiculturalism and tolerance: an intergroup perspective. In R. Crisps (ed.) *The psychology of social and cultural diversity* (pp. 147–70). Oxford: Blackwell.

Verkuyten, M., and de Wolf, A. (2002). Being, feeling and doing: discourses and ethnic self-definitions among minority group members. *Culture & Psychology*, **8**, 371–99.

Verkuyten, M., and Hagendoorn, L. (1998). Prejudice and self-categorisation: the variable role of authoritarianism and in-group stereotypes. *Personality and Social Psychology Bulletin*, **24**, 99–110.

Wallace, C., Pichler, F., and Haerpfer, C. (2012). Changing patterns of civil society in Europe and America 1995–2005. Is Eastern Europe different? *East European Politics and Societies*, **26**, 3–19.

Wallace, M., Suedfeld, P., and Thachuk, K. A. (1996). Failed leader or successful peacemaker? Crisis, behavior, and cognitive processes of Mikhail Sergeyevitch Gorbachev. *Political Psychology*, **17**, 453–71.

Wallwork, J., and Dixon, J. (2004). Foxes, green fields and Britishness: on the rhetorical construction of place and national identity. *British Journal of Social Psychology*, **43**, 21–39.

Walster, E., and Festinger, L. (1962). The effectiveness of 'overheard' persuasive communications. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, **65**, 395–402.

Waśkiewicz, A. (2010). The Polish home army and the politics of memory. *East European Politics and Society*, **24**, 44–58.

Watson, R. (2009). *Analyzing practical and professional texts: a naturalistic approach*. Aldershot: Ashgate.

Way, L. (2008). The real causes of the color revolutions. *Journal of Democracy*, **19**, 55–69.

Welzel, C. (2009). Individual modernity. In R. J. Dalton and H.-D. Klingemann (eds.) *The Oxford handbook of political behavior* (pp. 185–205). New York: Oxford University Press.

Welzel, C., and Deutsch, F. (2011). Emancipative values and non-violent protest: the importance of 'ecological' effects. *British Journal of Political Science*, **42**, 465–79.

Wertsch, J. (2002). *Voices of collective remembering*. Cambridge University Press.

(2007). Collective memory. In J. Valsiner and A. Rosa (eds.) *The Cambridge handbook of sociocultural psychology* (pp. 645–60). Cambridge University Press.

(2008). Collective memory and narrative templates. *Social Research*, **75**, 133–56.

(2011). Beyond the archival model of memory and the affordances and constraints of narratives. *Culture & Psychology*, **17**, 21–9.

Wertsch, J., and Karumidze, Z. (2009). Spinning the past: Russian and Georgian accounts of the War of August 2008. *Memory Studies*, **2**, 377–91.

Wetherell, M. (1998). Positioning and interpretative repertoires: conversation analysis and post-structuralism in dialogue. *Discourse & Society*, **9**, 387–412.

(2003). Racism and the analysis of cultural resources in interviews. In H. van den Berg, H. Houtkoop-Steenstra and M. Wetherell (eds.) *Analyzing race talk: multidisciplinary perspectives on the research interview* (pp. 11–30). Cambridge University Press.

(ed.) (2009a). *Theorizing identities and social action*. London: Palgrave.

(ed.) (2009b). *Identity in the 21st century: new trends in changing times*. London: Palgrave.

Wetherell, M., and Potter, J. (1986). Discourse analysis and the social psychology of racism. *British Psychological Society Social Psychology Section Newsletter*, **15**, 24–9.

(1992). *Mapping the language of racism: discourse and the legitimation of exploitation*. Hemel Hempstead: Harvester Wheatsheaf.

White, H. (1992). Historical emplotment and the problem of truth. In S. Friedlander (ed.) *Probing the limits of representation: Nazism and the Final Solution* (pp. 37–53). Cambridge, MA: Harvard University Press.

White, J. (2011a). Left and Right as political resources. *Journal of Political Ideologies*, **16**, 123–44.

(2011b). Community, transnationalism, and the Left-Right metaphor, *European Journal of Social Theory*, **15**, 197–219.

Widdicombe, S., and Wooffitt, R. (1995). *The language of youth subcultures: social identity in action*. Hemel Hempstead: Harvester Wheatsheaf.
Wiggins, S., and Potter, J. (2003). Attitudes and evaluative practices: category vs. item and subjective vs. objective constructions in everyday food assessments. *British Journal of Social Psychology*, **42**, 513–31.
(2008). Discursive psychology. In C. Willig and W. Stainton Rogers (eds.) *The Sage handbook of qualitative research in psychology* (pp. 72–89). London: Sage.
Willinger, I. (ed.) (2007). *N/Osztalgia – ways of revisiting the socialist past*. Budapest, Hungary: Anthropolis.
Wills, J. (2009). Identity making for action: the example of London citizens. In Wetherell, M. (ed.) *Theorizing identities and social action* (pp. 157–76). London: Palgrave.
Wilson, J. (1990). *Politically speaking: the pragmatic analysis of political language*. Oxford: Blackwell.
(2001). Political discourse. In D. Schiffrin, D. Tannen and H. E. Hamilton (eds.) *The handbook of discourse analysis* (pp. 398–415). Oxford: Blackwell.
Winter, D. G. (2003). Personality and political behavior. In D. O. Sears, L. Huddy and R. Jervis (eds.) *Oxford handbook of political psychology* (pp. 110–45). New York: Oxford University Press.
(2006). Authoritarianism: with or without threat? *International Studies Review*, **8**, 524–27.
(2011). Philosopher-king or polarizing politician? A personality profile of Barack Obama. *Political Psychology*, 32, 1,059–81.
Wittgenstein, L. (1953). *Philosophical investigations*. Oxford: Blackwell.
Wodak, R. (1990). The Waldheim affair and antisemitic prejudice in Austrian public discourse. *Patterns of Prejudice*, 24, 18–33.
(1991). Turning the tables: antisemitic discourse in post-war Austria. *Discourse* and *Society*, **2**, 65–83.
(1996). The genesis of racist discourse in Austria since 1989. In C. Caldas-Coulthard and M. Coulthard (eds.) *Texts and practices: readings in critical discourse analysis* (pp. 107–28). London: Routledge.
(1997a). Das ausland and anti-semitic discourse: the discursive construction of the Other. In S. H. Riggins (ed.) *The language and politics of exclusion* (pp. 65–87). London: Sage.
(1997b). Others in discourse: racism and anti-semitism in present day Austria. *Research on Democracy and Society*, **3**, 275–96.
(2002). Friend or foe: the defamation or legitimate and necessary criticism? Reflections on recent political discourse in Austria. *Language & Communication*, **22**, 495–517.
(2011). *The discourse of politics in action: politics as usual*. London: Palgrave.
(ed.) (1989). *Language, power and ideology: studies in political discourse*. Amsterdam: Benjamins.
Wodak, R., and Matouschek, B. (1993). 'We are dealing with people whose origins one can clearly tell just by looking': critical discourse analysis and the study of neo-racism in contemporary Austria. *Discourse & Society*, **4**, 225–48.
Wodak, R., and Meyer, M. (eds.) (2002). *Methods of critical discourse analysis*. London: Sage.

Wodak, R., and van Dijk, T. A. (eds.) (2000). *Racism at the top. Parliamentary discourses on ethnic issues in six European states.* Klagenfurt, Austria: Drava.

Wodak, R., de Cillia, R., Reisgl, M., and Liebhart, K. (1999). *The discursive construction of national identity.* Edinburgh University Press.

Wolfe, A. (1998). *One nation, after all.* New York: Penguin.

Yumul, A., and Özkirimli, U. (2000). Reproducing the nation: 'banal nationalism' in the Turkish press. *Media, Culture & Society*, 22, 787–804.

Zaller, J. ([1992] 2005). *The nature and origins of mass opinion.* New York: Cambridge University Press.

Zaller, J., and Feldman, S. (1992). A simple theory of the survey response: answering questions versus revealing preferences. *American Journal of Political Science*, **36**, 579–616.

Zerubavel, E. (2004). *Time maps: collective memory and the social shape of the past.* Chicago, IL: University of Chicago Press.

المؤلف في سطور

الدكتور كريستيان تيليغا

- محاضر أول في قسم علم النفس الاجتماعي ومدير برنامج، بجامعة لوفبره البريطانية.
- حصل على بكالوريوس في علم النفس من جامعة ياسي في رومانيا.
- في العام 2005 نال الدكتوراه من جامعة لوفبره، في موضوع الوطنية والانحياز في الكلام على الأقليات الإثنية. وقد حاضر في جامعة شرق لندن قبل العودة إلى لوفبره في 2008.

المترجم في سطور

أسامة محمد الغزولي

- ليسانس الآداب في اللغة الإنجليزية من جامعة القاهرة 1968.
- رئيس المؤسسة العربية للهجرة وحوار الثقافات بالقاهرة.
- عمل بالصحافة والترجمة منذ العام 1968 وحتى اليوم.
- ترجم لسلسلة «عالم المعرفة» كتابي «الثقافة في عصر العوالم الثلاثة» تأليف مايكل دينينغ (العدد 401)، و«مشروع الديموقراطية» تأليف ديفيد غريبر (العدد 418).

سلسلة عالم المعرفة

«عالم المعرفة» سلسلة كتب ثقافية تصدر في مطلع كل شهر ميلادي عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت - وقد صدر العدد الأول منها في شهر يناير العام 1978.

تهدف هذه السلسلة إلى تزويد القارئ بمادة جيدة من الثقافة تغطي جميع فروع المعرفة ، وكذلك ربطه بأحدث التيارات الفكرية والثقافية المعاصرة . ومن الموضوعات التي تعالجها تأليفا وترجمة :

1 - الدراسات الإنسانية : تاريخ - فلسفة - أدب الرحلات - الدراسات الحضارية - تاريخ الأفكار.

2 - العلوم الاجتماعية : اجتماع - اقتصاد - سياسة - علم نفس - جغرافيا - **تخطيط** - دراسات استراتيجية - مستقبليات.

3 - الدراسات الأدبية واللغوية : الأدب العربي - الآداب العالمية - علم اللغة .

4 - الدراسات الفنية : علم الجمال وفلسفة الفن - المسرح - الموسيقى - الفنون التشكيلية والفنون الشعبية.

5 - الدراسات العلمية : تاريخ العلم وفلسفته ، تبسيط العلوم الطبيعية (فيزياء ، كيمياء ، علم الحياة ، فلك) - الرياضيات التطبيقية (مع الاهتمام بالجوانب الإنسانية لهذه العلوم) ، والدراسات التكنولوجية.

أما بالنسبة إلى نشر الأعمال الإبداعية - المترجمة أو المؤلفة - من شعر وقصة ومسرحية ، وكذلك الأعمال المتعلقة بشخصية واحدة بعينها فهذا أمر غير وارد في الوقت الحالي.

وتحرص سلسلة «عالم المعرفة» على أن تكون الأعمال المترجمة حديثة النشر.

وترحب السلسلة باقتراحات التأليف والترجمة المقدمة من المتخصصين ، على ألا يزيد حجمها على 350 صفحة من القطع المتوسط ، وأن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب وموضوعاته وأهميته ومدى جدته وفي حالة الترجمة ترسل

نسخة مصورة من الكتاب بلغته الأصلية ، كما ترفق مذكرة بالفكرة العامة للكتاب ، وكذلك يجب أن تدوّن أرقام صفحات الكتاب الأصلي المقابلة للنص المترجم على جانب الصفحة المترجمة ، والسلسلة لا يمكنها النظر في أي ترجمة ما لم تكن مستوفية لهذا الشرط . والمجلس غير ملزم بإعادة المخطوطات والكتب الأجنبية في حالة الاعتذار عن عدم نشرها . وفي جميع الحالات ينبغي إرفاق سيرة ذاتية لمقترح الكتاب تتضمن البيانات الرئيسية عن نشاطه العلمي السابق.

وفي حال الموافقة والتعاقد على الموضوع ـ المؤلف أو المترجم ـ تصرف مكافأة للمؤلف مقدارها ألفا دينار كويتي، وللمترجم مكافأة بمعدل ثلاثين فلسا عن الكلمة الواحدة في النص الأجنبي، (وبحد أقصى مقداره ألفان وخمسمائة دينار كويتي).

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	دينار كويتي
الدول العربية	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	أربعة دولارات أمريكية

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	15 د . ك
للمؤسسات	25 د . ك

دول الخليج

للأفراد	17 د . ك
للمؤسسات	30 د . ك

الدول العربية

للأفراد	25 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	50 دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد	50 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	100 دولار أمريكي

تسدد الاشتراكات والمبيعات مقدما نقدا أو بشيك باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت، ويرسل إلينا بالبريد المسجل على العنوان التالي:

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب 23996 الصفاة - الرمزي البريدي 13100

دولة الكويت

بدالة: 22416006 (00965)

داخلي: 1196/ 1195/ 1194/ 1153/1193/ 1152

تنويــــه

للاطـلاع علـى قائمـة كتـب السلسـلة انظـر عدد ديسـمبر (كانـون الأول) مـن كل سـنة، حيـث توجد قائمة كاملة بأسماء الكتب المنشورة في السلسلة منذ يناير 1978.

اتحاد الموزعين العرب
ARAB DISTRIBUTORS UNION

كشف بأسماء وأرقام وكلاء التوزيع - أولاً: التوزيع المحلي - دولة الكويت

م	الدولة	وكيل التوزيع	رقم الهاتف	رقم الفاكس	الإيميل
1	الكويت	المجموعة الإعلامية العالمية	00965 24826820/1/2	00965 24826823	im_grp50@yahoo.com
			ثانياً: التوزيع الخارجي		
2	السعودية	الشركة السعودية للتوزيع	00966 /14419933 - 14418972	009661 12121766 - 1212774	bander.shareef@saudidistribution.com babiker.khalil@saudidistribution.com
3	البحرين	مؤسسة الأيام للنشر	00973 /17617733 - 36616168	00973 17617744	cir@alayam.com rudainaa.ahmed@alayam.com
4	الإمارات	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع	00971 43916501/2/3	00971 43918354 - 43918019	eppdc@emirates.net.ae info@eppdco.com essam.ali@eppdco.com
5	سلطنة عُمان	مؤسسة العطاء للتوزيع	00968 24492936 - 24496748 - 24491399	00968 24493200	alattadist@yahoo.com
6	قطر	شركة دار الثقافة	00974 44621942 / 44622182	00974 44621800	thaqafadist@qatar.net.qa
7	مصر	مؤسسة أخبار اليوم	00202 25782700/1/2/3/4/5 00202 25806400	00202 25782540	ahmed_isaac2008@hotmail.com
8	لبنان	مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع	00961 1666314/5	00961 1653259 00961 1653260	topspeed1@hotmail.com
9	تونس	الشركة التونسية	00216 71322499	00216 71323004	sotupress@sotup.com.nt
10	المغرب	الشركة العربية الأفريقية	00212 522249200	00212 522249214	s.wardi@sapress.ma
11	الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	00962 6535885 - 797204095	00962 65337733	alshafiei.ankousha@aramex.com basem.abuhameds@aramex.com
12	فلسطين	شركة رام الله للتوزيع والنشر	00970 22980800	00970 22964133	wael.kassess@rdp.ps
13	اليمن	القائد للنشر والتوزيع	00967 1240883	00967 1240883	alkaidpd@yahoo.com
14	السودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	002491 83242702	002491 83242703	daralryan_cup22@hotmail.com daralryan_12@hotmail.com

قسيمة اشتراك في إصدارات

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

سلسلة عالم المعرفة		الثقافة العالمية		عالم الفكر		إبداعات عالمية		جريدة الفنون		المسرح العالمي	
د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار
25		12		12		20		12		20	
15		6		6		10		8		10	
30		16		16		24			36	24	
17		8		8		12			24	12	
	100		50		40		100		48		100
	50		25		20		50		36		50
	50		30		20		50		36		50
	25		15		10		25		24		25

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الاسم:

العنوان:

اسم المطبوعة: مدة الاشتراك:

المبلغ المرسل: نقدا / شيك رقم:

التوقيع: التاريخ: / / 20م

هذا الكتاب...

يُؤمّن هذا الكتاب مدخلا إلى علم النفس السياسي بالتركيز على سياسات وقضايا أوروبية. فهو يوصّف أسلوب إنتاج علم النفس السياسي في أوروبا، ذلك الأسلوب الذي تخلق عبر الحوار مع المقاربات الأمريكية الشمالية ونقدها. وبالتأكيد على التنوع النظري والمنهجي لعلم النفس السياسي، فالكتاب يُراد له أن يُسهم في تحقيق فهم أفضل لقوة هذا الحقل وجدواه:

- بأن يحقق انفتاحا في دراسات علم النفس السياسي ويوسعها، لتشمل عديدا متنوعا من سياقات السلوك السياسي وتمظهراته.
- بأن يرسم صورة عامة وواضحة للمنافع المتوخاة والموعودة للمقاربات النقدية المميزة في علم النفس الاجتماعي والسياسي.
- بأن يتدبر دور اللغة، والاتصال، والتمثيلات الهُويّاتية والاجتماعية، في إنشاء الدلالات السياسية، تدبرا واضحا.

وسوف يخاطب كتاب «علم النفس السياسي» طلاب الدراسات العليا والباحثين الساعين إلى توسعة معرفتهم بالعلاقات المركبة بين علم النفس والسياسة والمجتمع.

وكريستيان تيليغا محاضر أول في علم النفس الاجتماعي وعضو في جماعة الخطاب والبلاغة بجامعة لوفبره، وتشمل اهتماماته البحثية تحليل الخطاب السياسي، والذاكرة الجماعية، وعلم النفس النقدي للعنصرية، والتمثيلات الاجتماعية للتاريخ، تحليلا موضوعيا.

ISBN 978 - 99906 - 0 - 501 - 3